

HEXAEMERON

«(A WORK) OF SIX DAYS»

BY

MAR YA'QUB OF EDESSA

633 - 708

TRANSLATED INTO ARABIC

BY

GREGORIOS SALIBA SHAMOON

METROPOLITAN OF MOSUL

PUBLISHED WITH INTRODUCTION

BY

GREGORIOS YOHANNA IBRAHIM

METROPOLITAN OF ALEPPO

1990



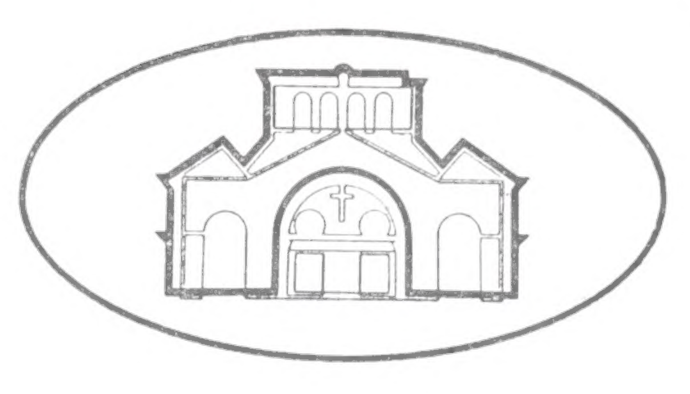
AL-RAHA
PUBLISHING HOUSE

SIDAWI PRINTING HOUSE
DAMASCUS - SYRIA

ܝܪܬܘܬܐ ܣܘܪܝܝܬܐ

SYRIAC PATRIMONY

التراث السّرياني



4

ܐܩܫܡܪܘܢ

ܕܡܪܝ ܝܥܩܘܒ ܐܦܣܩܘܦܐ ܕܐܘܪܗܝ

الأيّام السّتة

ألّفهُ بالسّريانية

مار يعقوب الرهاوي

متروبوليت الرها

نقله إلى العربيّة

غريغوريوس صليبا شمعون

متروبوليت الموصل وتوابعها

قدم له ونشره

غريغوريوس يوحنا ابراهيم

متروبوليت حلب

مقدمة المترجم

يشكل التراث الذي تخلفه الأمم والشعوب مقياساً لحضارتها ومدى اسهامها في اغناء وانماء الحضارة البشرية ٠ وليس خاف ما كان للسريان منذ سحيق أجيالهم من نشاط مثمر في المضمار الحضاري ، وبخاصة عن طريق لغتهم السريانية ـ الآرامية التي لعبت دوراً هاماً وفاعلا في تاريخ الشرق قبل الميلاد خاصة ، وقد واصلوا عطاءهم الفكري الذي اتسم بالطابع الديني بعد الميلاد ، فتركزت اهتماماتهم على العلوم الدينية والروحية ، لكن هذا لا يعني أنهم لم يعنوا بالعلوم الانسانية الأخرى ٠ فقد كانت لهم صولات رائعة وصولات موفقة في ميادين المعرفة بمختلف جوانبها ٠ وما هذا الكتاب « الأيام الستة » الذي نقدمه اليوم للقراء الكرام ، سوى دليل بيّن على اهتمام السريان بالعلوم الأخرى غير الدينية ٠ وقد جاء هذا الكتاب ثمرة جهود جليلة بذلها أحد أمراء الفكر المسيحي السرياني ، وهو ، ولا شك ، مؤشر واضح على سعة اطلاعه على مختلف صنوف العلم المعروفة في عهده من فلسفة وفلك وجغرافية واحياء وسواها ٠

ونظراً الى أهمية هذا الكتاب ، فقد راودت فكرة نقله الى اللغة العربية أذهان أكثر من واحد ، بيد أن الظروف لم تسعفهم على تحقيق أمنيتهم ، حتى عزمنا ، بعونه تعالى ، على القيام بهذا العمل خدمة لقراء الضاد ، واحياء لتراث كنيستنا السريانية العريقة المجيد الذي يشيد به القاصي والداني ٠

أكتفي بهذه الكلمات الوجيزة ، تاركاً المجال لنيافة الأخ الحبيب الهمام المطران يوحنا لتقديم الكاتب والكتاب للقراء بصورة مفصلة ، شاكراً له قيامه بطبعه ونشره ٠ هذا ولا يفوتني أن أشكر الأب الدكتور يوسف حبي لتفضله باعداد الهوامش وترجمة الكثير من الأسماء الأجنبية ٠ والله ولي التوفيق ٠

الموصل في ١/١/١٩٩٠

صليبا

مار يعقوب الرهاوي

المطران يوحنّا ابراهيم
متروبوليت حلب

المصـــادر ـ حيـاتــه ـ الرهــا في عصــره

مؤلفــاتــه ـ الأيــام الســتة ـ المتــرجــم

ـ ١ ـ

المصـــادر :

لا نملك سيرة مطولة أو مختصرة ، ولا مقالاً منفرداً يسرد حياة العلامة مار يعقوب الرهاوي (٦٣٣ ـ ٧٠٨ +) لافي كتب التاريخ العام أو الخاص، ولا في النبذ التاريخية وسير البطاركة والأساقفة ، كما هو الحال مع بعض آباء الكنيسة السريانيــة الأنطاكية وعلمائها كمــار سويريوس الأنطاكي (٥٣٨ +) ومار يوحنا التلي (٥٣٨ +) ومار احودامه (٥٧٥ +) ومار يعقوب البرادعي (٥٧٨ +) ومار ماروثا التكريتي (٦٤٩ +) والعلامة مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري (١٢٨٦ +) رغم أنه حاز على أكثر من لقب أهمها :

مفسر الكتاب المقدس ܡܦܫܩܢܐ ، الطوباوي ܛܘܒܢܐ القديس ܩܕܝܫܐ ، العارف بعلوم اللاهوت ܝܕܘܥ ܬܐܘܠܘܓܝܐ الحكيم والملفان ܚܟܝܡܐ ܘܡܠܦܢܐ والمستشرقون لقبوه ، ب « ايرونيموس السريان » واشتهر كلاهوتي ، وفيلسوف ، ولغوي ، ومؤرخ ، ومستنبط الحركات السريانية ، ومترجم ، ومراسل · وفي رأي البطريرك أفرام برصوم هو : « ملفان البيعة الأكبر وحامل لواء مجدها ··· وأمثل علماء السريان في العصور الأولى والوسطى »(١) · وما حُفظ لنا بالسريانية هو ما سجله البطريرك المؤرخ مار ميخائيل الكبير (١١٩٩ +) في تاريخه ص ٤٤٥ ـ ٤٤٦(٢) ونقل عنه العلامة ابن العبري في تاريخ البطاركة(٣) ص ٩١ ـ ٩٢ ·

أما أهم مصادر سيرة مار يعقوب الرهاوي في القرون الثلاثة الأخيرة فهي كما يلي :

اللغة العربية :

١ ـ **بطرس نصري :** ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ج ١ ص ٣٦٦ ـ ٣٧٠ ·

٢ ـ **مراد فؤاد جقي :** ترجمة الفيلسوف السرياني الشهير مار يعقوب الرهاوي ٦٣٣ ـ ٧٠٨ ، نشرت في مجلة الحكمة القدسية · الحكمة ٣/١٩٢٩ ص ٢٠٩ ـ ٢٢٦ ·

٣ ـ **اغناطيوس أفرام برصوم :** قداسة مار يعقوب الرهاوي . نشرت في مجلة الحكمة القدسية · الحكمة ٤/١٩٣٠ ص ٤٦ ـ ٤٧ و : اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ط ٥/سلسلة التراث السرياني/١ حلب ١٩٨٧ ص ٢٩١ ـ ٣١٣ ·

٤ ـ **ألبير أبونا :** أدب اللغة الآرامية ـ بيروت ١٩٧٠ ص ٣٦٧ ـ ٣٧٤ ·

---

١ ـ أفرام برصوم · اللؤلؤ المنثور ط ٥ ص ٢٩٢ ·

2 — Chronique de Michel le Syrien (1166-1190+) Editée par J. B. Chabot Tome IV (Texte Syriaque) Paris 1910.

٣ ـ مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري ـ تاريخ البطاركة · مخطوط / محفوظ في مكتبتنا ·

سيرة مار يعقوب
في تاريخ
مار ميخائيل الكبير
ص — ٤٤٥

[illegible]

[illegible]

مار ميخائيل الكبير

ص ٤٤٦ _ ٤٤٧

٥ ـ **أغناطيوس زكـا عيواص** : مــار يعقــوب الرهــاوي ٠ نشــرت في مجلة مجمع اللغة السريانية عدد ١٩٧٦/٢ ص ٣١ ـ ٣٥ ٠

٦ ـ **ج٠ب سـيغال** : الرهــا المــدينــة المبــاركــة ـ ترجمــة ـ يوسف ابراهيم جبرا /دار الرها ٠ حلب ١٩٨٨ سلسلة التراث السرياني/ ٢ ص ٢٣٦ ـ ٢٦٧ ٠

اللغــة الأجنبيــة :

1 — **Assemani** : Biblioteca orientalis T. I, pp. 477-494, Rome 1714.

2 — **Wright (W)** : Catalogue of the Syriac Manuscripts in the British Museum I-III, London 1872.

3 — **Wright (W)** : A Short history of Syriac Literature, London 1894, pp. 141-144.

4 — **Duval (R.)** : (1) Littérature Syriaque 3e édition, Paris 1907 pp. 374-376.

5 — **Baumstark, A.** : Geschichte der Syrischen Literatur Bonn 1922, pp. 248-56.

6 — **Moss, C.** : Catalogue of Syriac Printed Books and Related Literature in the British Museum 1962, pp. 514-521.

7 — **Urbina Ortiz Du** : Patrologia Syriaca, Roma 1965, pp. 177-183.

ـ ٢ ـ

حياتــه :

يؤكد أغلب المؤرخين بأن ولادة مار يعقوب كانت في نحو سنة **٦٣٣** م ، في قــريــة عنــدابا ܥܝܢܕܒܐ (٤) (عين الذئب) القريبــة من بلدة عفرين(٥) ، وكانت قديماً تابعة لولايــة أنطاكية ٠ درس أولا في مدرســة

---

٤ ـ « عين ديبة » حاليا خالية من السكان ٠ فيها ثلاثة ينابيع ماء تنفجـر من الأرض وتقع مقابـل مشعلة ٠ تبعد عن بلدة عفرين حوالي ٥ كم وفي سهلها قطع فسيفساء يظن أنها بقايا فسيفساء كنيسة القرية التي كان يصلي فيها مار يعقوب ٠

٥ ـ عفــريــن ܥܦܪܝܢ ܥܦܪܐ اتربة وتراب ٠ بلدة تبعد عن حلب حوالى ٦٠ كم ٠

قريته على يد البريودوط(٦) قرياقس مبادىء اللغة السريانية ثم تعمق في قراءة العهدين ومؤلفات الآباء · وفي ريعان شبابه توجه الى دير قنشرين ܩܢܫܪܝܢ (٧) (عش النسور) وكان مقابل كركميش التاريخية الشهيرة ، واليوم بلدة جرابلس السورية على الضفة اليسرى من نهر الفرات · هناك تابع دراساته العالية على يد أساتذة الدير وخاصة الفيلسوف والعالم في الرياضيات السرياني مار ساويرا سابوخت (٦٦٧ +) حيث تخصص في العلوم والآداب والفلسفة واللاهوت وأتقن اللغة اليونانية. وكان أثناسيوس البَلَدي (البطريرك الأنطاكي فيما بعد) رفيقاً له في الدراسة ·

انتقل الى الاسكندرية للمزيد من الدرس والبحث والمطالعة أسوة ببعض العلماء السريان مثل مارا مطران آمد (٥٢٩ +) وزكريا البليغ أسقف جزيرة مدللي (لسبوس) ، وتوما الحرقلي السرياني أسقف منبج (٦٢٧ +) وغيرهم · ولا تعرف المدة الزمنية التي قضاها هناك ولكن المؤرخين يؤكدون عودته الى بلاد الشام ثم اختياره النسك طريقاً له في الحياة وهذا ما جعله أن يذهب الى الرها(٨) ·

كان شماساً في سنة ٦٧٢ م · ولا تاريخ لرسامته كاهناً ، وقبلاً كان قد لبس الاسكيم الرهباني في دير قنشرين ، ولشهرته في العلوم اللاهوتية انتخب مطراناً لكرسي الرها ، وفي سنة ٦٨٤ رقاه الى درجة مطران زميله في الدراسة مار أثناسيوس الثاني البَلَدي بطريرك أنطاكية (٦٨٧ +) فنسب الى الرها وأقام فيها أربع سنوات · ولأنه كان حريصاً جداً على تطبيق قوانين البيعة وشديد العزم على تنفيذها ، ولم يرضَ بالرخاوة التي فسرت بها تلك القوانين ، ولم يلق اذنا صاغية لأفكاره وتطلعاته في حقل الاصلاح الكنسي ، لا من البطريرك مار أثناسيوس البلدي ، ولا من خَلَفه البطريرك يوليان الرومي (٦٨٧ ـ ٧٠٨ +) أو أي من المطارنة وأساقفة الأبرشيات الأخرى الذين كانوا يشيرون عليه بالتساهل تنازلا

---

٦ ـ بريودوط جمع بريودوطية ، بالسريانية الساعور = ܣܥܘܪܐ وهو على الأغلب الراهب الكاهن (الربّان) الذي يوفده الأسقف في مهمة رعوية ويمثله في بعض الأمور الكنسية ·

٧ ـ أسسه مار يوحنا ابن افتونيا نحو سنة ٥٣٠ · له مكانة خاصة في الكنيسة السريانية · من مشاهير الدير سبعة بطاركة لأنطاكية · ظل عامرا حتى صدر المئة الثالثة عشرة ·

٨ ـ الرها ـ اليوم أورفا في تركيا ـ خالية من المسيحيين · كانت عاصمة للآداب السريانية · وفي مدرستها نبغ العديد من مشاهير الآباء السريان · مار افرام السرياني ٣٧٣ + التجا الى الرها وعلم في مدرستها · انظر : الرها المدينة المباركة · نشرنا ترجمتها سنة ١٩٨٨ ·

مع الزمان ، ولكثرة مناهضيه والمقاومين له من الذين ضُربت مصالحهم خاصة بين الرهبان وسكان الأديرة ، لأن صاحب الترجمة كان يرغب في أن يعيد الحياة الرهبانية الى رونقها وطابعها الانجيلي ، ولحدة مزاجه وتمسكه بمبدأ الاستقامة والاخلاص في العمل قرر أن يقدم استقالته ويهجر المدينة والأبرشية ، وقبل أن يفعل ذلك ذهب الى باب الدير الذي كان البطريرك فيه وخرج وبيده نسخة من قوانين الأديرة قائلا :

« ها آنذا أحرق القوانين التي لم تحفظوها بل تداس من قبلكم وقد صارت لديكم من قبل الزيادة التي لا جدوى لها »(٩) ٠

غادر مار يعقوب الرهاوي أبرشيته ومعه اثنان من تلاميذه هما : دانيال وقسطنطين وتوجه أولا الى دير مار يعقوب في كيسوم سميساط بين حلب والرها وهناك كتب مقالتين ضد رعاة الكنيسة ومخالفي القوانين ٠ وعندما تلقى دعوة من رهبان دير أوسيبونا ترك دير مار يعقوب في كيسوم والتحق بمقره الجديد حيث أمضى احدى عشرة سنة يُعلِّم رهبان الدير وتلاميذه شرح الكتاب المقدس معتمداً على اللغة اليونانية وكتابات الآباء اليونان ، وهذا سبب له خلفاً مع الرهبان السريان الوطنيين المتمسكين بلغة أرضهم وكنيستهم واضطر مار يعقوب أن ينتقل مع سبعة من تلاميذه الى دير تلعدا(١٠) القريب حيث قضى هناك أيضاً تسع سنوات صحح خلالها ترجمة الكتاب المقدس ـ العهد القديم ـ باللغة السريانية على النص اليوناني وعلم مجموعة من التلامذة العلوم اللاهوتية والفلسفية واللغة اليونانية ٠

---

٩ ـ ميخائيل الكبير بالسريانية ص ٤٤٥ ٠

١٠ـ دير تلعدا أو الدير الكبير يقع على بعد ٢ كم من قرية تلعادي وهو في سفح جبل الشيخ بركات مقابل قرية ترمانين وعلى بعد ٣٥ كم من مدينة حلب ٠ شيّده اميانس الناسك العمّاوي ـ عما : قرية قريبة من باب الهوا على الحدود السورية ـ التركية اليوم ـ قبل سنة ٣٤٠ ، وعاش فيه عدد كبير من الرهبان أشهرهم مار سمعان العمودي الذي أمضى في هذا الدير عشر سنوات قبل أن يرتقي العمود في قلب كاتدرائية مار سمعان العمودي ، زاره المطران تيودور أسقف قورش سنة ٤٢٥ وذكر في تاريخه أن الدير الكبير كان يحتوي على مئة وخمسين راهبا ٠ علم فيه مار يعقوب الرهاوي وقبل أن يعود الى أبرشيته ثانية انتقل الى الخدور العلوية فدفن في مقبرة الدير ٠ في هذا الدير انتخب ونصب أربعة بطاركة أنطاكيين سريان وهم يوحنا الخامس في ٩٣٦/٨/٢٨، ويوحنا السادس في ٩٥٤/٧/١٦، وديونيسيوس الثالث في ٩٥٨/١١/٢٨، وابراهيم الأول في ٩٦٢/٥/٢٥ وما زالت أطلاله ظاهرة ومقبرته تحافظ على شكلها الهندسي القديم ٠ في ٥ ايلول ١٩٨٧ سجل أملاكه ثانية باسم الكنيسة السريانية الارثوذكسية المطران غريغوريوس يوحنا ابراهيم ويهتم باحياء تراثه الرهباني من خلال اعادة بنائه على الشكل المعماري القديم ٠ راجع تيودوريتوس أسقف قورش/تاريخ أصفياء الله ترجمة ١٠ شكور لبنان ١٩٨٧ ٠

في سنة ٧٠٧ توفي المطران حبيب خلف مار يعقوب على كرسي الرها ، فألحّ الرهاويون وفي مقدمتهم الشيخ أثناسيوس الكبير على البطريرك ليعيده اليهم ثانية بعد غياب دام حوالي عشرين سنة ، ويظهر أن مار يعقوب لبى رغبة البطريرك وأبناء الأبرشية وقرر العودة الى أبرشيته السابقة ودبّر أمورها مدة أربعة أشهر ، ثم عاد الى ديره في تلعدا لنقل مكتبته الغنية بالمخطوطات النفيسة وعندما وصلها وحمل كتبه وأرسلها أمامه أدركه الأجل وفارق الحياة مأسوفاً عليه في ٥ حزيران سنة ٧٠٨ م ودفن باحتفال كبير يليق بمكانته في مقبرة الدير الكبير • ويختم البطريرك ميخائيل الكبير قوله : « أن عجائب عديدة حدثت على ضريحه »(١١) •

- ٣ -

الرها في عصره :

يعتبر عصر مار يعقوب الرهاوي عصر الاضطراب السياسي في المنطقة • فالجيوش الاسلامية كانت قد فتحت أهم بلاد ما بين النهرين مثل قرقيسيا وماردين والرها وحرّان ورأس العين ودارا وميافارقين وآمد وغيرها(١٢) • والبيزنطيون تراجعوا بسرعة مذهلة أمام جيوش الفتح الاسلامي ، وأحس الرهاويون بالخطر فقاوموا لفترة قصيرة ثم تفاوضوا من أجل السلام • وقد أمنت الشروط التي منحها عياض بن غنم لمطران الرها على حياة وممتلكات المسيحيين بصفتهم أهل الذمة • ويُذكر أن أول حاكم مسلم على الرها كان « أبو بدر » •

واذا صح تاريخ ولادة مار يعقوب (حوالي ٦٣٣ م) يكون قد نشأ مع عصر الخلفاء الراشدين وسمع بأهم أعمال الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (ت في ٣ تشرين الثاني ٦٤٤ م) منها : اجلاء النصارى عن نجران والسماح لهم بالاقامة في بلاد الشام ، ورفع الجزية عن بني تغلب أبناء كنيسته السريانية الأرثوذكسية ، وجعل اللغة العربية لغة رسمية في البلاد الاسلامية •

كما عايش النزاع الهاشمي ـ الأموي ووقف على أخبار استمرار الفتوح خاصة في بلاد فارس وبلاد الترك ، وكان شاباً عندما وقع النزاع بين الخليفة عثمان (ت في حزيران ٦٥٦ م) والمسلمين ، وعرف بعض

١١ـ ميخائيل الكبير ص ٤٤٥ •

١٢ـ الواقدي : أبو عبد الله بن عمر : فتوح الشام ص ١٠٧ ـ ١٥٤ •

ܒܗܘ ܙܒܢܐ ܐܦ ܐܠܝܣܘܪܘܣ ܡܠܟܐ: ܒܬܪ ܕܐܫܬܠܛ ܥܠ ܡܠܟܘܬܐ ܕܪ̈ܗܘܡܝܐ:
ܘܐܬܒܥܝܘ ܡܢ ܠܘܬܗ ܡܢ ܥܝܢ ܛܘܪܐ: ܘܐܫܬܡܥܘ ܡܢ ܡܠܟܐ ܪ̈ܘܡܝܐ:
ܐܠܐ ܫܡܥܢ ܡܢ ܐܠܝܣܘܪܘܣ ܦܪܘܣܬܐ ܘܡܟܬܒܢܐ ܕܥܡܐ: ܗܘܐ ܡܬܟܬܒܢܐ
ܘܡܢ ܒܢ̈ܝܐ: ܡܢ ܚܝܠܗ ܘܡܠܟܘܬܐ ܡܫܬܒܚܐ: ܘܒܬܪ ܗܠܝܢ ܒܪܝܫܐ
ܘܥܒܕܘ ܠܐܘܪܚ ܘܠܐܢܫܘܬ ܒܟܠܗ ܥܡܐ: ܘܒܬܪ ܒܪܝܫܐ ܘ
ܡܢܗܘܢ ܢܦܩܘ ܡܫܬܡܠܝܢ: ܠܐܝܣܘܪܘܣ ܘܡܢ ܒܬܪܗ ܠܡܠܟܐ ܘܐܚܪܢܐ ܘܡܢ
ܘܡܠܟܐ: ܒܪܝܫܐ ܘܡܬܩܪܝܢ ܘܦܘܡܝܐ: ܘܡܢ ܟܠܗܘܢ ܐܝܟ ܡܢܗܘܢ
ܐܦܝܣܩܦܐ ܘܟܗܢ̈ܐ ܘܟܠܗ ܥܡܐ:
ܘܒܬܪ ܟܕ ܚܙܐ ܡܠܟܐ ܗܘܐ ܡܫܬܥܝܢ: ܘܐܠܨܘ ܘܐܪ̈ܚܐ: ܡܗܠܟ
ܘܒܬܪ ܐܠܝܣܘܪܘܣ ܗܘܐ ܐܦܝܣܩܦܐ ܠܘܬ ܠܪ̈ܗܘܡܝܐ: ܡܢܗ ܘܡܢ ܐܠܝܣܘܪܘܣ
ܦܪܘܣܬܐ: ܗܘ ܒܥܝܢ ܡܢ ܡܫܬܥܝܢ: ܡܢ ܒܬܪ ܕܐܬܐ ܒܪܝܫܐ ܘܟܠܗ
ܒܬܪܗ ܘܟܢܝܫܐ ܘܐܢܫܘܬܐ ܐܝܟ ܗܘܐ: ܘܒܬܪܗ ܘܐܦ ܦܘܡܝܐ ܘܡܢ
ܘܒܬܪ ܗܠܝܢ: ܒܝܫܐ ܡܢ ܥܡܐ ܘܟܠܗ ܡܫܬܡܠܝܢ ܒܝܬ: ܘܡܢ ܐܢܫ
ܠܡܬܩܪܝܢܘܬܐ ܒܠܠ: ܘܡܢܗܘܢ ܒܥܝܢ: ܘܐܦ ܠܡܫܬܪܝܢܘܬܐ ܩܒܠ: ܘܠܐܢܫܘܬܐ
ܡܢܗܘܢ ܘܐܠܨܘ ܘܐܠܝܣܘܪܘܣ ܠܘܬ: ܘܡܢ ܥܡ̈ܐ ܐܘܪܚ ܒܗܘ ܡܗܠܟ
ܒܬܪ ܡܢܗ: ܡܢ ܐܝܟ ܡܫܬܥܝܢ ܠܐ ܡܬܩܪܝܢ ܐܝܟ ܐܢܫ: ܘܡܢ ܠܐ
ܡܫܬܡܠܝܢ ܒܝܬܗ ܘܡܫܬܥܝܢ: ܠܗ ܐܦ ܠܐ ܡܢܗ ܘܡܢ ܒܬܪܗ: ܐܠܝܣܘܪܘܣ ܡܠܟܐ
ܒܬܪ ܦܪܘܣܬܐ ܡܢ ܡܢ ܥܡܐ ܘܐܦܝܣܩܦܐ ܡܢܗܘܢ ܘܒܝܬ ܒܪܝܫܗ ܡܢܗܝܢ
ܟܢ̈ܫܐ: ܘܠܐ ܐܝܟ ܡܢ ܡܫܬܥܝܢ: ܐܠܐ ܠܡܫܬܪܝܢ ܘܡܢ ܥܡܐ ܒܪܝܫܐ ܠܡܫܬܥܝܢ
ܢܦܩ ܡܢܗܘܢ ܡܢ ܠܗܘܢ ܘܡܫܬܪܝܢ ܠܡܠܟܐ ܘܡܢ ܟܢ̈ܫܐ ܐܝܟ: ܘܡܢ

سيرة مار يعقوب الرهاوي في تاريخ البطاركة لابن العبري
ص ۹۱ ـ ۹۲ (مخطوط في مكتبتنا)

أسرار الخلاف بين الامام علي (ت في ٢٤ كانون الثاني ٦٦١ م) ومعاوية والي سورية الذي نادى بنفسه خليفة في الشام ثم أصبح خليفة على العالم الاسلامي كله (٦٦١ م) · ومنذ تبوأ كرسي مطرانية الرها (٦٨٤ م) وحتى تاريخ وفاته (٧٠٨ م) تولى الخلافة مروان بن الحكم (حزيران ٦٨٤ م) وعبد الملك بن مروان (نيسان ٦٨٥ م) والوليد ابن عبد الملك (تشرين الأول ٧٠٥ م)(١٣) ·

وعندما جلس مار يعقوب على كرسي مطرانية الرها كانت المدينة تعيش صراعاً بين الموالين لآل علي والخليفة عبد الملك بن مروان · ورغم أن ابراهيم الأشتر قائد الموالين لآل علي قد منح حكم الرها وحران وشميشاط لحاتم بن النعمان ولكن محمداً أخا الخليفة عبد الملك نجح في احتلال الرها دون قتال واسترجع منها السيطرة على بلاد ما بين النهرين(١٤). وفي هذه الأثناء لم تكن أحوال المسيحيين - وكانوا يشكلون الغالبية العظمى - في الرها مستقرة · وكانت القرارات والأنظمة التي فرضت عليهم جائرة · فالجزية والخراج كانا باهظين ، ولم يُسمح لهم ببناء الكنائس والمعابد ولا عرض الصليب علانية أو دق نواقيس الكنائس في أوقات الصلاة في الجوامع · وأنظمة اللباس والمسكن والممتلكات كانت تتوخى اهانتهم واحتقارهم . والمؤرخ الزوقنيني الذي سجل أحداث تلك الأيام يعتبر أن مصائب المسيحيين نشأت من القرار الصارم الذي أصدره الخليفة بضرورة دفع الضريبة ليس فقط على الأملاك ، بل على الأشخاص أيضاً · واخبار محمد بن مروان في بلاد ما بين النهرين تبقى مرعبة ومخيفة(١٥) · ومما يؤسف له ان التاريخ الذي ألفه مار يعقوب الرهاوي وهو تتمة لتاريخ أوسابيوس القيصري ويبدأ من السنة العشرين لقسطنطين الى سنة ٦٩٢ م قد ضاع أغلبه بل لم يبق لدينا سوى وريقات معدومة في المتحف البريطاني · وتمنى العلامة نولدكه لو تمكن استبدال ما تبقى من مؤلفات مار يعقوب بتاريخه الكبير المفقود الذي لم يصلنا الا أجزاء يسيرة مشوهة(١٦) · ومع أننا لا نعرف بالضبط موقف العلامة مار يعقوب من الفتح الاسلامي ، ولكن قيل عنه : « أنه أفتى رجال الدين من النصارى بأنه يحل لهم أن يعلموا أولادهم

١٣- عمر فرّوخ : العرب والاسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط (منذ الجاهلية الى سقوط الدولة الأموية) ط ٢ ١٩٦٦ بيروت ص ٧٥ - ١١٢ ·

١٤- الدينوري : أبو حنيفة بن داود : الأخبار الطوال · دار الفكر الحديث ١٩٨٨ ص ٢١٣ - ٢١٥ ·

١٥- ج· ب· سيغال : الرها المدينة المباركة ص ٢٤١ - ٢٤٦ · نقلا عن المؤرخين السريانيين الزوقنيني والرهاوي المجهول ·

١٦- مراد فؤاد جقي - مار يعقوب الرهاوي ص ١٣ ·

المسلمين التعليم الراقي ، وهذه الفتوى تدل من غير شك على اقبال بعض المسلمين في ذلك العصر على دراسة الفلسفة عليهم ، وتردد النصارى أولا في تعليمهم »(١٧) ٠

أما الأحوال الاقتصادية في الرهـا فكانت في أيام مار يعقـوب على ما يرام ٠ ومصدرها التجارة مع العسكر ، والوظائف الحكومية ، والثروة الحيوانية ، والزراعة خاصة وأن الأراضي المحيطة بالمدينة كانت خصبة ، وكان الريف جميلا بمنظر الكروم والحقول ٠ وربمـا مياه نهر ديصـان (النهر الوثاب) كانت سبباً في انتعاش الزراعة في الرها وأطرافها ٠ ورغم أن فيضان نهر ديصان كان يشكل خطراً كبيراً على المدينة وسكانها كمـا حدث في تشرين الأول سنة ٦٦٧ م ، اذ دمرت وهدمت أسوار الرها وغصت بالمياه وغرق الآلاف من الشعب ، وفيضـان آذار سنة ٧٤٠ م الذي سبب خسائر مادية جسيمة لسكان المدينة ، ولولا أن سارع الشعب وفتح مصارف المياه الشرقية لغرقت المدينة بأكملها في طرفة عين(١٨) ٠

وكان بين السريان رجالات عدت من أعيان الرها ٠ وفي أيام مار يعقوب كانت عائلات آل رصافيا ، والتلمحري ، وقزما ابن آرابي وملر معـروفـة بعطاءاتها وخدماتها ومنهم من أوقف الآنية الذهبية والفضية والبسـاتين والرحى والدكاكين والحمامات لصالح البيَـع وخاصة البيعة الكبرى التي احتلها السريان الملكيون ٠ ومن أعيان الرها أثناسيوس ابن غوميا وأولاده واخوته ٠ وأثناسيوس هذا عُين معلماً مثقفاً لعبد العزيز الأخ الأصغـر للخليفة عبد الملك ٠ وقيل أنه جمع ثروة طائلة : أربعـة آلاف مملوك ، وقرى ، وبساتين ، وذهب وفضة وجواهر ، لا تعد كالحصى ٠ وكان سريانياً أرثوذكسياً ورعاً يخاف الله فكرّس بعض ايـراده الذي كان يدخله مـن الرهـا لبناء الكنائس(١٩) ٠

واذا عرفت أن مدينة الرها كانت مرتبطة بطريق مهم يصلها بنصيبين وحدياب فأرمينيا باتجاه شرق ، وطريق آخر يصلها بسنجار والحضـر في الجنوب الشرقي ، وبميسان حتى الهند عبر الخليج الى الجنوب ، ومنبـج

١٧ــ أحمد أمين/فجر الاسلام ــ بيروت ط ١ ــ ١٩٦٩ ص ١٣٢ ٠

١٨ــ ج٠ ب٠ سيغال : الرها ص ١٩١ ــ ١٩٢ ٠

١٩ــ أفرام برصوم : تاريخ الأبرشيات السريانية (مخطوط في مكتبتنا) ص ٣٣٢ و ٣٣٣ وله أيضا أعيان السريان ــ المجلة البطريركية القدسية ٠

الى الغرب وعبرها طريق الى فلسطين . وبتدمر الى الشرق الأقصى . أدركت أهمية المدينة من الناحيتين التجارية والاقتصادية (٢٠) .

ويبقى التناحر المذهبي في الرها من أهم مظاهر ضعف المسيحيين في عصر مار يعقوب . وكانت الطوائف الأربع : السريان المغاربة (الأرثوذكس) والسريان المشارقة (النساطرة) والسريان الملكيون (الروم الأرثوذكس) . والأرمن . ممثلة في المدينة . وكان السريان المغاربة (الأرثوذكس) أكبر طائفة في القرون الثلاثة الأولى للفتح الاسلامي(٢١) .

على صعيد الامبراطورية البيزنطية كانت كنيسة البلاط ـ في عهده ـ منهمكة بقرارات المجمع السادس (المسكوني) (٦٨٠ـ٦٨١) ، والمجمع الخامس السادس (٦٩٢ م) المعروف بالمجمع البنثيكتي Pentheklos ـ باللاتينية Quinesexium . وعرف مار يعقوب الامبراطور يوستنيانوس وأهم الأحداث في أيامه . أما في كنيسة السريان الملكيين فلقد ظل بطاركتها بعيدين عن أنطاكية منذ منتصف القرن السابع وحتى أوائل القرن الثامن .

ومرت على السريان المشارقة (النساطرة) مرحلة عصيبة في أيام علامتنا مار يعقوب . وكان الصراع يدور حول رئاسة الكنيسة بين يشوعياب مطران البصرة الذي استولى على كرسي الجثلقة بصورة غير شرعية ، وحنانيشوع الأعرج المنتخب والمنصب شرعياً سنة ٦٨٦ م ، وبين حنانيشوع ويوحنا الأبرص نده والذي توصل الى عزل حنانيشوع وحبسه ونفيه واكراه المطارنة والأساقفة على تنصيبه سنة ٦٩٢ م ، مما أدى الى انشقاقات ونزاعات لم تهدأ الا بعد موت يوحنا وعودة حنا نيشوع الى كرسيه .

وعرف مار يعقوب اثنين من بطاركة السريان الأنطاكيين : مار أثناسيوس البلدي زميله في الدراسة في دير قنشرين والمتوفى عام ٦٨٧م وهو الذي رقاه الى درجة مطران ، ويوليان الرومي (٦٨٧ ـ ٧٠٨ م) . وكانت الأمور مستتبة في عهد الأول اذ أن الخلافات الحاصلة في أيام سلفه البطريرك مار سويريوس الثاني ابن مشقا (٦٦٨ ـ ٦٨٣) قد انتهت بانتخابه وتنصيبه . ومجمع دير مار سيلا في سنة ٧٠٦ م الذي انعقد

٢٠ـ د. يوسف حبي : المراكز السريانية الثقافية /فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي/ بغداد ١٩٨٥ ص ٢١ و ٢٢ .

٢١ـ الرها ص ٢٤٩ و ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٩ و ٢٩٥ . ٢٥٤ ـ ٢٥٩ .

برئاسة البطريرك يوليان وحضره المطارنة ومن جملتهم مار توما مطران آمد ومار يعقوب مطران الرها قد وضع حلولا لمشاكل ادارية وقعت في الكنيسة ٠

وعن هذه الحقبة بالذات يشير أسد رستم بقوله : « واستغل اليعاقبة (السريان الأرثوذكس) الحروب بين الروم والأمويين وأكدوا لهؤلاء ولاء أبناء الكنيسة الجامعة لدين الروم ودعوهم « ملكيين » واتهموهم بالتجسس للروم فضيق الأمويون على هؤلاء « الملكيين » ومنعوا قيام بطاركة لهم في أنطاكية وأورشليم والاسكندرية »(٢٢) وهذا القول يحتاج الى أكثر من برهان ودليل !

ورغم كل الظروف المار ذكرها يبقى مجال الأدب واسعاً في حياة السريان المغاربة والمشارقة حتى القرن الثالث للفتح الاسلامي ، وتبقى اللغة السريانية ـ لغة ورثة حضارات وادي الرافدين وبلاد الشام ـ أداة وصل بين الحضارتين الآرامية واليونانية ، بل تصبح جسراً لتنقل بواسطتها العلوم والآداب بمختلف فروعهما من لغات أخرى الى لغة السريان ٠ وكان علماء السريان ـ المغاربة والمشارقة ـ كانوا في تنافس مستمر لوضع البصمات الخالدة على صفحات تاريخ المنطقة ٠ وكان نصيب الرها كبيراً جداً وكما يقول أوليري : « ان الرها باعتبارها مركز كنيسة الشعوب المتكلمة بالسريانية أو باعتبارها موطن الجانب السرياني من الحياة العقلية اليونانية في الشرق ، قد أصبحت مركز انتشار ضياء النهضة الكبادوكية »(٢٣) ٠

وعن حركة الفكر والتعبير ونقل العلوم من بقية اللغات الحضارية الى السريانية في الرها أهم مركز اشعاع وفكر وعاصمة الآداب السريانية في بلاد ما بين النهرين يكتب سيغال :

« ان المنافسة البسيطة على اللغات بقدر ما هي مستمدة من تلك المرونة العقلية والسيطرة على أساليب التعبير والاصطلاحات التي كانت عنصراً فريداً في السريان ٠٠٠ وكانت كتاباتهم ذات أهمية حقيقية »(٢٤) ٠

ومن أركان الحركة الفكرية في الرها بالاضافة الى بولس ابن عرقا الرهاوي مستنبط القلم المعروف بالاسطرنجيلي وبرديصان الفيلسوف السرياني ت ٢٢٢ م وهيبا الملفان ومدير مدرسة الرها نذكر مار أفرام

---

٢٢ ـ أسد رستم : كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ٠ ط ١ بيروت ج ٢ ص ٦٣ ٠

٢٣ـ انظر د٠ يوسف حبي : المراكز السريانية ص ٢٨ ٠

٢٤ـ الرها ص ٢٥٩ ٠

السرياني ٣٧٣ + ومار رابولا الرهاوي ٤٣٥ + ومار اسحق الرهاوي ٤٩١ ؟ ومار يوحنا ابن افتونيا ٥٣٨ + ومار بولس الرهاوي ٦١٩ + ومار يعقوب الرهاوي ٧٠٨ + ٠

— ٤ —

مؤلفاته :

في عالم مضطرب قلق تتقاذفه أمواج التحديات والفتوحات وحروب من أجل الوجود والحدود ، وجيل حائر مرتبك ملتحف بالأخطار المصيرية يقف عند مفترق الطرق ، وصراع بين القديم والجديد أدى الى أهوال وفظائع ومآس ، كيف نستطيع أن نتصور انساناً يعيش في وسط هذه الأحداث المأساوية ، ويتخذ من القلم سلاحاً له لا ليصف مع هذا أو ذاك ، بل ليحمل رايات العلم والفكر والمعرفة الى أبناء جيله والأجيال القادمة ؟ بل كيف يمكننا أن نحصل على نتاج فكري زاخر متعدد الأبواب والأهداف والمواضيع من رجل فرد رأسماله في الحياة قول الرب : « لا تحملوا شيئاً للطريق لا عصاً ولا مزوداً ولا خبزاً ولا فضة ولا يكون للواحد ثوبان»(٢٥) ، وشغله الشاغل أن يدور في الأرض ويتنقل من دير الى كنيسة ومن مركز علمي الى مدرسة في أرض الرافدين وبلاد الشام ومصر ٠ لم يتمكن من التوفيق بين التمسك بالقوانين الكنسية المبنية على مبادىء الانجيل وبين عدم ممارسة المسيحيين اياها ، وقد لاقت محاولاته الاصلاحية مناهضة ومعاداة واهانات وآلاماً حتى من أقرب الناس اليه غير أنه انطلاقاً من ايمانه بدور البطل في صنع التاريخ هجر الأبرشية وكره الادارة ومن حيث خانته الادارة وجرحت طموحاته تولى تحويل جرحه الى فكر وابداع ومن خلال محطات سيرته وشخصيته الفذة التي بنت لنفسها حياة فكرية شامخة أسس صرحاً عظيماً للفكر وللابداع بقي خالداً عبر الأجيال. هذا هو مار يعقوب الرهاوي السرياني الجنس واللغة والمذهب(٢٦)، اللاهوتي والفيلسوف ، اللغوي والنحوي والشاعر ، المؤرخ والمدقق والمحقق والمترجم ، الذي أجاد من اللغات أولا لغته الأم السريانية ، ثم اليونانية فالعبرية وترك أكثر من ثلاثين مؤلفا . بعضها عصف الدهر بها ، والآخر ما زال مخطوطاً في أمهات المكتبات العالمية ، وقسم تناوله المستشرقون والباحثون بالدراسة والتحقيق ونشروها مترجمة الى لغات أبناء حضارة القرن العشرين ٠ منها ألفها ومصادره كتابات الآباء السريان واليونان ،

٢٥ـ لوقا ٩/٣ ٠

٢٦ـ اعتقد السمعاني أولا أن مار يعقوب ليس أرثوذكسيا ثم بعد اطلاعه على مؤلفاته اللاهوتية وخاصة ما كتبه ضد المجمع الخلقيدوني عاد فاقر بأرثوذكسيته ٠ انظر م٠ ش٠ ج١ ص٤٧٠ـ٤٧٥ و ج ٢ ص ٣٣٧ ٠

ومنها ما حققها وصححها وضبطها ، وجزء مهم نقله من لغة اليونان الى السريانية • واذا خسر مار يعقوب معركة في الحياة كقائد للشعب وراع للخراف الناطقة ومرشد ومصلح للمجتمع فانه ربح قلوباً اهتدت بتعاليمه الى الايمان الحق •

انصبت جهود مار يعقوب بالدرجة الأولى على أسفار العهدين القديم والجديد فصححها وضبطها على النقل البسيط وهكسبلة أوريجانس أي الترجمة اليونانية المسدسة المصادر والحواشي • وهو أول عمل من نوعه لدى السريان • ثم تناول قضايا لاهوتية خطيرة منها هذا الكتاب الذي هو بين يديك وسنأتي على ذكره بعد قليل ، وأولى اهتماماً زائداً بالليترجيا اذ له الفضل الأكبر في اخراجها بالشكل المستعمل اليوم في كنائس السريان ـ من كل المذاهب ـ وفي هذا الصدد يؤكد البطريرك برصوم بأن مار يعقوب « جمع الفناقيث(٢٧) ورتبها ••• وألف طقوس آحاد القيامة ••• وفي فنقيث صلوات الآلام نظم مدراش(٢٨) بلحن ܩܘܡ ܦܘܠܘܣ قوم فولوس يذيب لفائف القلوب ويكون له أثر عميق بعيد ••• وهو مترجم طقس العماد للقديس سويريوس الأنطاكي تاج السريان(٢٩) »... وكذلك فعل بكتاب الأشحيم(٣٠) • واشتهر بحبه للنظام داخل الكنيسة ومما يدل على ذلك « فتواه الخامس والتسعون الذي يمنع فيه القراء غير المدربين وقبيحي الأصوات من الترتيل وتلاوة القراءات في اجتماعات المدن والقرى الشهيرة حذراً من ازعاج الشعب • فهو يرى أن ترتل ويقرأ أمام الشعب لا سيما في أيام المواسم الخبراء بأصول القراءة والعارفون بقواعد فن التلحين لأن الله اله نظام وترتيب لا اله اضطراب وتشويش »(٣١) •

أما في مجال اللغة والنحو فحدث عنه ولا حرج • فمار يعقوب هو صاحب أول مؤلف في النحو عند السريان الذي من خلاله وضعت القواعد والضوابط للغة السريانية • وربما اليه يشير الزيات في كتابه الأدب

٢٧ـ فنيقيث ج فناقيث ܦܢܩܝܬܐ مجلد أو كتاب يتضمن صلوات الآحاد والأعياد •

٢٨ـ مدراش ج مداريش ܡܕܪܫܐ ترتيلة أو نشيد كنسي •

٢٩ـ انظر اللؤلؤ المنثور الصفحات ٦٢ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٨١ ، ٨٥ •

٣٠ـ الاشحيم ܫܚܝܡܐ = البسيط ، كتاب يتضمن الصلوات الفرضية اليومية •

٣١ـ مراد فؤاد جقي ، مار يعقوب الرهاوي ص ١١ •

العربي(٣٢) بقوله:«والغالب في ظننا أن أبا الأسود الدؤلي(المتوفى عام٦٨٨م) لم يضع النحو والنقط من ذات نفسه وانشائه وانما نظن أنه ألم بالسريانية أو اتصل بقساوستها وأحبارها فساعده ذلك على وضع ما وضع» ٠ واليه تنسب الحركات الخمس المعبر عنها بصور أحرف يونانية صغيرة

وحاول ادخال أحرف جديدة على اللغة السريانية ولكن محاولته باءت بالفشل بعد موته ٠ والى جانب كل ذلك له جملة قوانين ضم بعضها العلامة ابن العبري الى كتاب الهدايات ومجموعة كبيرة من الرسائل ونقل من اليونانية الى السريانية مقالات وكتبا وخطبا وقوانين وصحح بعضها ٠

لقد سرد البطريركان مار أغناطيوس أفرام الأول ومار أغناطيوس زكا الأول مؤلفات مار يعقوب الرهاوي بالتفصيل ، وهنا نقدمها ملخصة على الشكل التالي(٣٣) ٠

الكتاب المقدس :

- تصحيح الكتاب المقدس ـ العهد القديم ـ الترجمة البسيطة ܦܫܝܛܬܐ
- ضبط سفر الملوك على ترجمتي السريان واليونان سنة ٧٠٥ ٠
- ضوابط الألفاظ في أسفار العهدين ٠
- كتاب الشروح وهو تفسير سفر التكوين والأسفار الأربعة التي تليه وغيرها من العهد القديم ٠

اللاهوت :

- علم اللاهوت/مفقود ٠
- كتاب العلة الأولى الخالقة الأزلية القادرة على كل شيء وهي الله حافظ الكل/مفقود ٠
- كتاب الأيام الستة ٠
- مسائل وأجوبة في ماهية النصرانية ٠

٣٢ـ ص ١٤١ ٠

٣٣ـ راجع : اللؤلؤ المنثور ص ٢٩٤ ـ ٣٠٥ ٠ ومقال البطريرك زكا الأول ص ٣٤ ـ ٤١ ٠

– رسالة في أعمال السيد المسيح الخلاصية بعنوان « التدبير الخلاصي لله الكلمة المتجسد » . ܡܕܒܪܢܘܬܐ (٣٤) .

التاريخ :

– كتاب التاريخ من السنة العشرين لقسطنطين الملك وحتى سنة ٦٩٢ م (فضل منه ٤٦ ص)(٣٥) .

النحو :

– كتاب نحو لغة ما بين النهرين – وصل منه نتف فقط .

القوانين :

– ١٦٦ قانوناً في مختلف المواضيع (بحسب احصاء البطريرك برصوم) .

الليترجيا :

– تفسير وجيز للقداس (صفحتان) .

– ترتيب صلوات الفرض الالهي – الأشحيم .

– وأيضاً فناقيث الآحاد والأعياد والمناسبات .

– كتاب الكنوز (طقوس العماد والزواج وتبريك الماء لعيد الغطاس).

– طقس الجناز للأساقفة والكهنة والعلمانيين (رجال ونساء وأطفال) .

– تصحيح ليتورجية مار يعقوب عن النسخة اليونانية .

– أنافورا للقداس (١٦ ص) مطلعها : ܐܠܗܐ ܐܒܐ ܘܡܠܟܐ ܕܟܘܠ ܡܫܝܚܐ

– حساية في جماعة اليهود والبيعة .

– كلندار عام لأيام السنة .

الفلسفة :

– كتاب الأنشيريدون أي المختصر . عبارات علمية فلسفية (في مكتبتنا نسخة منقولة عن لندن رقم ١٢١٥٤) .

٣٤– نقلها الى العربية المطران مار ملاطيوس برنابا ونشرناها في سلسلة دراسات سريانية العدد ٢٠ مع النص السرياني حلب ١٩٨٥ وعن هذا الكتاب قال البطريرك أفرام : « ونسبت اليه رسالة في أعمال المسيح يتلوها تراجم للأئمة مغلوط فيها وليست له » اللؤلؤ ص ٣٠٥ .

٣٥– د. يوسف حبي : كنيسة المشرق ط بغداد ١٩٨٩ ص ٣١٧ .

الرسائل :

ـ مجموعة كبيرة من الرسائل في مواضيع مختلفة أهمها :

الخط السرياني · رتبة تقدمة القداس · رتبة العماد · سجود النصارى الى الشرق · رد على المجمع الرابع الخلقيدوني ٤٥١ م · الحروف الأبجدية اليونانية · الخمر وفلاحة الأرض · نسب السيد المسيح · بدء تاريخ العالم · القرابين وفائدتها · موت الانسان في أجَله · السبتيون ورئيستهم قمصو التي تسقفت عليهم ! دحض مذهب القضاء والقدر · مؤلف ألحان القوقية · مسائل قانونية ، قضايا لاهوتية · شروحات للعهدين ·

ترجمات :

ـ خطب مار سويريوس (١٢٥ خطبة) ·
ـ مقولات أرسطو ·
ـ تاريخ أوسابيوس القيصري ـ مفقود ·
ـ القوانين المنحولة الى اقليميس الروماني ·
ـ قوانين قرطاجنة الأول ·
ـ قوانين المجامع المسكونية الثلاثة ·
ـ قصة بني يوثاداب ·
ـ اصلاح ترجمة :

١ ـ معانيث مار سويريوس الأنطاكي · } ترجمة : المطران
٢ ـ ترجمة أسفار غريغوريوس اللاهوتي · } بولس الرقي

ـ ٥ ـ

الأيام الستة :

الأيام الستة ، ܫܬܐ ܝܘ̈ܡܐ ، Hexaemeron أعظم كتابات العلامة مار يعقوب الرهاوي · ويعد أول محاولة عند السريان لوصف العالم وظواهره الطبيعية في اطار قصة الخليقة في التوراة · يقع في سبعة أبواب وهي : الخلقة الأولى العقلية غير المحسوسة · السماء والأرض · الأرض والبحار والجبال · الأنوار في فلك السماء · الحيوانات والزحافات والطيور المائية · بهائم ووحوش الأرض · الانسان · وفي الفصل السابع وقبل الحديث عن الدينونة فاجأته المنية ولهذا نرى الناسخ يكتب :

« لما وصل الكاتب أي المعلم الحكيم ، الى هنـا ، انتهت حياته وانتهى حديثه ، فأكمل البقية الأسقف جورجي أسقف العرب والطائيين وبني عقيل الذي في عهده تمت كتابة هـذا الكتاب بهذه اللوحة أيضاً »(٣٦) ٠

ومن هنا واضح أن مار جورجي قد كتب فقط في الدينونة ، وفي مجازاة الصالحات والسيئات والخاتمة ٠

النسخ المخطوطـة بالسريانيـة التي وصلتنـا هي : ١ ـ مخطوطـة عام ٨٢٢ عملت لثاودوسيوس مطران الرهـا ٠ كانت أولا خاصة بمكتبـة دير مار متى ثم صارت لمكتبة آمد للكلدان فبطريركية الكلدان في الموصل ثم في بغداد تحت رقـم (٥٤) ٠ ٢ ـ نسخة مكتبة ليـدن خطت عـام ١١٨٣ عدد ٦٦ ٠ نشر النص السرياني B. Chabot في مجموعة C.S.C.O. — 2 Vol في جزءين ٠ في باريس سنة ١٩٢٨ ثم في لوفان ١٩٣٢ ترجمه الى اللاتينية A. Vaschalde وطبعة ثانية أيضاً في لوفان عـام ١٩٥٣ ٠ وطبعة ثالثـة في دير مار أفرام السرياني ـ هولندا ١٩٨٥ ٠ ونشر نص الباب الثالث : الأرض ـ بالسريانية ـ مع ترجمة بالفرنسية A. Hjelt في Helsingfors عام ١٨٩٢ ٠ وكتب عـن المـادة الجغرافيـة في الكتـاب J.P.N. Land عام ١٨٨٢ في أمستردام في مجلة هولندية ص ١٦٤ ـ ١٩٣ ، وحلـل الأب F. Martin أجزاء من الكتاب ونشر قسماً منه في :

Journal Asiatique sér. 8, Tom II, Paris 1888, pp. 401-490.

وأيضاً في نفس المجلـة Ser. 9, Tom 12 عـلـق T. H. Weir على مخطوط محفوظ في :

Library of the Hunterian Museum, Glasgow, pp. 550 - I, Paris 1898.

وفي الأدب السرياني وبعد مؤلف مار يعقوب يوجد مؤلف آخر بعنوان تفسير الأيام الستة للعلامة مار موسى ابن كيفا ٩٠٣ + وفيه أيضاً دراسات حول الخلقة والشمس والقمر والكواكب والطير السابح والماشي والهوام وفي العناصر الأربعة وفي ما هو موجود ويفعل في منطقتي الجو في المنطقتين العليا والوسطى ٠ ومن المؤكد أن مار يعقوب والآباء السريان الآخرين في مؤلفات كهذه قد نسجوا على منوال الآباء اليونان واللاتين مثل باسيليوس وأمبروسيوس اللذين تركا مؤلفات بهذا الاسم ٠

٣٦ـ انظر هنا ص ٢٤٧ ٠

وجاء الباب الأول من الكتاب على شكل سؤال وجواب بين المؤلف وقسطنطين أحد التلميذين اللذين خرجا مع مار يعقوب من الرها الى دير مار يعقوب في كيسوم ثم مطران حمص فالرها(٣٧) • ويرى هناك « أخوة » أيضاً طرحوا أسئلة عليه مثل قسطنطين(٣٨) • وهناك شبه كبير بين محاولات مار يعقوب الرهاوي ومار أفرام السرياني لاستخدام التحليل العلمي في الكتاب • فخلط الماء والتراب يظهر علاقة الهواء والماء والتراب في الكون • وتغطيس الاناء الزجاجي ذي العنق الضيق في الماء هو ابراز الصراع بين الهواء والماء اللذين يحاولان دخول حيز ضيق • ان المعلومات الواردة في الكتاب لها أكثر من فائدة • فدراسة علم الحيوان ، والعلوم الطبيعية والجغرافية والفلك وعلم التشريح تعطي فكرة عن مكانة هذه العلوم في الحياة العلمية في بلاد وادي الرافدين وتغني قاموس اللغة السريانية بكلمات سريانية علمية ربما لم تكن معروفة قبل عهد مار يعقوب. والمؤلف يؤكد أن : « العلة غير المخلوقة ، بل خالقة كل شيء التي تدعى ، بل هي الله »(٣٩) هي السند والأزر في الكتابة ويظهر جلياً أن المصدر الأهم الذي اعتمد عليه هو سفر التكوين وبقية أسفار العهد القديم ثم أسفار العهد الجديد • وكتابات الآباء ، وفي بعض الأحيان يستعين بآراء الفلاسفة غير المسيحيين •

ويبقى المقال السابع « في الانسان » الدرة التي توج بها بحثه اللاهوتي • فالعالم وجد بسبب والسبب الرئيس هو الانسان الذي أعطاه كرامة أعظم من كل الحقائق ولم يقل له « ليكن » بل « لنصنع » وعلى صورته ومثاله خلقه • ودور الثالوث الأقدس واضح من قوله تعالى « لنعمل الانسان على صورتنا كشبهنا » فهو يتحدث بصيغة الجمع وليس بصيغة المفرد • والانسان روح وجسد • أي مركب وغير بسيط ، منظور وغير منظور • أما الجسد فهو مسكن منظور لطبيعة النفس غير المنظورة ، والانسان يُرى وكأنه عالم صغير ضمن هذا العالم الشاسع والتشابه كبير بين العالمين ولكل منهما طبقات مختلفة عليا ومتوسطة وسفلى • الجسم يشبه قصراً مرصوصاً مشيداً بثبات على دعامتين متينتين ومؤلف من خمسة أدوار ، واحد فوق الآخر ، ففيه الأرجل والأفخاذ والبطن والرقبة والرأس. ويبقى جميلا جداً أن نكمل المسيرة مع المؤلف في كيفية ربط هذه الأدوار الخمسة (ص ٢٠٧ ـ ٢١٦) ويعدد مار يعقوب اثنتي عشرة ميزة منحها الله

٣٧ـ اللؤلؤ ص ٢٩٥ •
٣٨ـ هنا ص ٦ •
٣٩ـ هنا ص ٦ •

للانسان لكي يتميز بها عن سائر الحيوانات على الأرض . أما العقل فهو « الانسان الداخلي » الذي خلقه الله على صورته وشبهه .

النفس هي « نسمة الحياة » التي نفخها الله في آدم الترابي . ومن هنا جاءت عبارة « وصار الانسان نسمة حية » والاتحاد بين النفس والجسد هو رمز الى اتحاد الله مع هذه البشرية بل « هكذا سبق الله الخالق ، واتخذ رمزاً ودليلا على اتحاده مع جسد ذي نفس ، باتحاد صورته مع الجسد الحي » أي أصبح الاله المتجسد ، ويقتبس مار يعقوب أقوالا من كتابات اللاهوتي الكبير غريغوريوس أسقف النيصة ، بهذا الصدد . وفي تعريف كلمة النفس السريانية ܢܦܫܐ يقول : « هو جوهر مخلوق حي ذاتي الحركة » . وهنالك فرق بين العقل والنفس ، فالعقل هو العين القابلة للنور والمرشدة للنفس بواسطته ترى النفس ما ترى ، وتسمع ما تسمع ، وبه تتذوق وتشتم وتمس .

يطرح مار يعقوب سؤالا مهماً في القسم الأخير من هذا البحث . لماذا الانسان في العالم ؟ وقبل أن يجيب عليه ينطلق في رحلة موفقة مع حياة الانسان منذ ولادته (داخل الرحم وخارجه) ونموه وبلوغه ، واتحاد النفس بالجسد ، وما أباحه الله له وفي نظره ان الكمال يبلغ ذروته بعد موته وفساده في القبر وانحلال وتلاشي أعضاء الجسد في الأرض وتبديد العظام في الهاوية .

ومن هنا قول بولس « يزرع بفساد ويقوم بلا فساد ، يزرع بهوان ويقوم بمجد ، يزرع بضعف ويقوم بقوة ، يزرع جسد نفساني ويقوم جسد روحاني .... »(٤٠) وقبل أن يكمل حديثه وافته المنية فختم قوله : « ان تحريراً كاملا من جميع الشهوات الجسدية والنفسية سيتم للأجساد البشرية في القيامة من بين الأموات وبتسميته دائين كبيرين هما الفساد والموت يكون قد أخرج وحرر جميع الأجساد التي ستقوم من بين الأموات من سائر الشهوات . » فالحديث كله يدور حول حرية الانسان وخلاصه من الشهوات !!



٤٠ـ ١ كورنثوس ١٥/٤٢ ـ ٤٤ .

المترجم :

ولد المطران مار غريغوريوس صليبا شمعون في بلدة برطلة القريبة من مدينة الموصل عام ١٩٣٢ · تلقن دروسه الابتدائية في بلدته ثم انضم تحت لواء معهد مار أفرام الأكليريكي في الموصل في عهد مديرها العلامة المطران بولس بهنام وأحد أساتذتها الربان عبدالأحدالبرطلي (قداسةالعلامة البطريرك يعقوب الثالث) وذلك في سنة ١٩٤٦ · تابع برنامج المعهد وتخرج فيه سنة ١٩٥٣ وقد حاز على دبلوم في اللاهوت والفلسفة واللغات . وشح بالاسكيم الرهباني في حزيران ١٩٥٤ مع زميله في الدراسة زكا عيواص (قداسة سيدنا البطريرك) وتعين مدرساً لمختلف المراحل الدراسية في المعهد المذكور · رسم كاهناً في عام ١٩٥٨ ·

استدعاه البطريرك يعقوب الثالث الى دمشق عام ١٩٦٠ وعينه سكرتيراً خاصاً له ، وسلمه رئاسة المحكمة البدائية الروحية في أبرشية دمشق البطريركية ، ومسؤولا ادارياً ومالياً للمجلة البطريركية الدمشقية منذ تأسيسها وحتى عام ١٩٦٩ · وتقديراً لمواهبه ومواقفه في الادارة والعمل رقاه الى درجة مطران في ٣ آب ١٩٦٩ · أولا كنائب بطريركي للقلاية البطريركية بدمشق ثم نائباً بطريركياً في الموصل الى أن انتخبته الأبرشية مطراناً شرعياً لها ·

اشترك في مؤتمرات مسكونية ، واجتماعات لاهوتية ، وندوات فكرية ووطنية منها :

في رودس سنة ١٩٦١ . والفاتيكان بصفة مراقب في المجمع الفاتيكان الثاني لدورتي ١٩٦٤ و ١٩٦٥ ، وفي أديس أبابا عام ١٩٦٥ ، ومؤتمر خاص بترجمة عربية موحدة للكتاب المقدس في برمانا عام ١٩٦٩ والبلمند عام ١٩٧٢ ، ومؤتمر خاص باللاجئين الفلسطينيين في قبرص ١٩٦٩ ، واجتماعات براورينتي في عام ١٩٧٦ و ١٩٧٨ ·

لـه :

١ ــ الزيارة الرسولية للكنيسة السريانية الهندية (٢٤٠ ص دمشق ١٩٦٤) ·

٢ ـ الممالك الآرامية (١٥٨ ص) سلسلة « دراسات سريانية » رقم /٤/ حلب ١٩٨١ ٠

٣ ـ الراعي والرعية (١٣٢ ص) سلسلة « دراسات سريانية » رقم /٨/ حلب ١٩٨٢ ٠

٤ ـ تاريخ أبرشية الموصل السريانية (٢٥٤ ص) بغداد ١٩٨٤ ٠

٥ ـ ابن العبري ذكرى وعبرة (اعداد وتنسيق) مطبعة شفيق بغداد ١٩٨٧ ٠

ومن مقالاته :

١ ـ آفاق المعرفة عند ابن العبري المجلة البطريركية الدمشقية ٢ ، ١٩٦٣ (ص ٤٨٥ ـ ٤٩٩ ـ ٥٣٥ ـ ٥٤٤) ٠

٢ ـ اللغة السريانية وآدابها وعلاقتها باللغة العربية المجلة البطريركية الدمشقية ٧ ، ١٩٦٩ (ص ٤١٢ ـ ٤١٩) ٠

٣ ـ رسالة الميلاد رسالة سلام المجلة البطريركية الدمشقية ٨ ، ١٩٧٠ (ص ٢٩ ـ ٣٣) ٠

٤ ـ الانسان سيد مصيره المجلة البطريركية الدمشقية ٨ ، ١٩٧٠ (ص ١٨٠ ـ ١٨٤) ٠

٥ ـ اللغة السريانية ماضيها وحاضرها مجلة بين النهرين العدد ١٩٧٣/١ (ص ١٣ ـ ٣٥) ٠

وترجم عن السريانية :

١ ـ القوانين السريانية المجلة البطريركية الدمشقية السنة ١٩٦٧/٦ (ص ١٤٨ ـ ١٥٣ ، ٢١٠ ـ ٢١٥ ، ٢٦٠ ـ ٢٦٤ ، ٣٧٥ ـ ٣٧٩ ، ٤٣٤ ـ ٤٣٧) ٠

٢ ـ اللغة الآرامية وأقسامها الغربية والشرقية المجلة البطريركية السنة ١٩٦٨/٧ (ص ٣٥ ـ ٣٧ ، ٨١ ـ ٨٦ ، ١٤٣ ـ ١٤٧ ، ١٩٨ ـ ٢٠٣ ، ٢٥٣ ـ ٢٥٨)

وتحت الطبع :

١ ـ تاريخ ميخائيل الكبير (بالعربية) ترجمة عن النص الأصلي في ثلاثة أجزاء ٠ وستتولى دار الرها بحلب نشرها قريباً ٠

وله مقالات أخرى ومحاضرات وعظات باللغات العربية والسريانية والانكليزية وبقي يشرف على باب الأخبار في المجلة البطريركية لمدة سبع سنوات ·

يمتاز بالنشاط والحيوية والصدق والاستقامة · ويولي الناحية الروحية اهتماماً كبيراً ويرعى أبرشيته رعاية أبوية وخاصة الشبيبة والجيل الصاعد وذلك من خلال فروع مركز التربية الدينية . وتشهد أبرشيته ازدهاراً دينياً وانتعاشاً روحياً ·

أما الناحية العمرانية فحدث عنها ولا حرج · لقد وضع خطة شاملة لانماء الأوقاف مدعماً بذلك صناديق الكنائس · وحقق حتى الآن جملة أوقاف في كنائس الطاهرة الخارجية والداخلية ومار توما في الموصل وكنيستي سنجار وكركوك · وبالاضافة الى الاصلاحات والترميم الجذري والأبنية الجديدة في كنائس الأبرشية قام بانشاء الصرح الحضاري والروحي المتمثل بكاتدرائية مار أفرام ودار المطرانية وقاعة مركز التربية الدينية الذي شيد على أرض مساحتها /٢٠٠٠/ م٢ في منطقة متميزة من مدينة الموصل ودشنها في ١٩٨٨/١٢/٢٤ · ويعتبر هذا الصرح واحداً من المآثر العمرانية الخالدة في تاريخ أبرشية الموصل السريانية الأرثوذكسية ·

سيؤول ــ كوريا الجنوبية
في ٤/آذار/١٩٩٠
عيد مار أفرام السرياني
وهي الذكرى العاشرة لرسامتي مطرانا على حلب



الفهـــرس العـــام

المقـال الرابع :

المقـال الخامس :

المقـال السادس :



المقال الأول

في الخلقة الأولى العقلية وغير الجسدية للقوات السماوية الملائكية

الكلمة الأولى : في العلة الاولى والخالقة ، الأزلية والقادرة على الكل

قسطنطين : لك أن تتحدث أيها المعلم ، بقدر ما تستوعبه طبيعة تفكيرنا ، تفكيرك وتفكيري الضعيف ، ولك أن تسمع وتقبل وتبحث الكتب الآلهية التي فيها الكفاية من البراهين ٠

ولقد اتضح لي هذا تماماً منذ أمد بعيد ، وحسبما أعتقد أن فيه الكفاية ٠ واذ أعترف بهذا ، أعرف أنك كتبت أيضاً عن الخلقة التي جيء بها الى الوجود منذ القدم ٠ والآن تحدث وسلم اليَّ ، عن كل ما فيها من بلبلة ونظام ، لكي تكون لي وللكثيرين الآخرين الذين سيعثرون عليها في الأجيال القادمة ، للاستنارة والفائدة ٠

يعقوب : انك يا محب الله قسطنطين تطلب ، كابن حبيب ووارث ، فوائد الكلام ٠٠٠ ولئن كانت قليلة لأن الأبناء الحقيقيين يؤثرون أن يرثوا فقط ما ينتقل اليهم من آبائهم مهما كان وكيفما كان ، ومثلما يستوجب على الآباء المرتبطين بحب أولادهم ، أن يتعبوا ويجمعوا بحسب طاقتهم ، وأحياناً أكثر من طاقتهم ، ليتركوا لهم بعد موتهم ، ارثاً من المقتنى والراحة لأمد أطول ، كذلك هو شأني بالرغم من أن ما سأورثه قليل ويسير ٠ وكما أن الأبناء ليسوا ملزمين بأن يكنزوا لآبائهم كما كتب(١) ، بل ان الآباء هم الملزمون بأن يكنزوا لأبنائهم ، ويتركوا ارثاً لهم ٠ كما اني على أتم الاستعداد لتلبية طلبك بكل رحابة صدر ، ولأن طلبك لم يكن محدداً ، ولم تعين نوع الخليقة التي أبدعها الخالق ، ولم تخبرنا عن أي منها تود أن تسمع ، وهل تقصد الخليقة المحسوسة أم العاقلة ؟ ، لذا كان الأجدر بك وأنت المتمكن من التحكم بكلماتك ، أن توضح عن أي من هذه ترغب في أن نتحدث ٠

---

١ ـ ٢ كورنثوس ١٢ : ١٤ ٠

قسطنطين : اني لعلى يقين ، أيها المعلم ، أن ليس من اللائق التحدث بكلام عام ومبهم من دون تمييز ، لذا فما أريده قبل كل شيء هو الحديث عن الخليقة العاقلة غير الهيولية والروحانية غير الجسدية ، وعن أوجه شبهها بصورة الخالق الذي كونها ٠

يعقوب : اني اعلم جيدا ، ايها الاخ محب العلم ، أن الحديث عن هذا او عن العلة الاولى الخالقة صعب وغير مدرك ، ذلك أن حديثنا ولئن دار حول الطبيعة المخلوقة وغير الازلية ، الا انها هي أيضاً غير منظورة ولا مدركة ، وهذا أمر يسمو عن معرفة وقوة وادراك كل الفقهاء المحصورين في هذه الظلمات والبيوت الطينية ٠ فكيف يمكن لمن هو في الظلام ومحدود ومحصور في بيت من الطين ، وليس بوسعه أن يرى أبعد من ذاته ، أن يتحدث عن النور ؟. قد يطلب هذا ممن هو بعيد عن الظلام لا ممن هو ملازم له ٠ كذلك هو الحديث بشأن الطبيعة المحررة كلياً من الطين والجسد معاً ، كما ومن كل ما هو محسوس ، أعني صفة الأجساد ، اذ كيف يمكن أن يخرج (الحديث) عن العقل البشري المغشى بالطين والظلام ، وهو ليس سوى قبس ضعيف ونصح يسير من عقل أولئك الذين سنتحدث عنهم ، وبالأخص ، الكامل ؟ أو كيف يسعى أن يدرك بذهنه ويتحدث بشفتيه عن الكائنات الشبيهة بالله ، وعن الأنوار الثانوية ، والصور والمثل الحقيقية للنور الأول ؟..

لكني الآن ، وتلبية لطلب الاخوة الذين يرومون الافادة ويرغبون في أن يسمعوا ويتعلموا ولن يعطوا الا لمرة واحدة ، أن نتحدث لهم عن الذي منه كان لهم ما كان ٠ وعن العقل البشري وخلقته وتكوينه واكتسابه قوة ليدردش عن هذه الأمور التي تتسامى عن كلمته ٠ وقد حاول أن يدردش جزئياً عن العقل الكبير والأول والأزلي والعلة غير المخلوقة ، بل وخالقة كل شيء ، التي تدعى ، بل هي الله ٠ واننا سنتكلم بما يتيسر لنا ، وبحدود عن العقول المخلوقة الثانوية التي هي أشعة من نور خالقها ، باعتبارها ناطقة ، متكلين على قوة ذاك الذي منه أخذنا قوة الكلام ٠ لذا خصصنا حديثنا المقال الأول عن الله العلة الأولى ، كأساس وبداية ٠ والمقال الثاني ، عن هؤلاء الثانويين متخذين العلة نفسها سنداً وأزراً في البداية وفي الختام ٠

قسطنطين : ان ما قلته جيد ، وأنا قانع به ٠

يعقوب : وأنا أقول : ان الله الأزلي والقادر على كل شيء ، وهو ملء كل شيء ، كان ولا يزال بدون بداية وبلا علة ٠ ويبقى هو هو دون تغيير أو نهاية الى الأبد ٠ وهو وحده يتمتع بالمجد والبهاء الكثير

باعتباره هو الحق وحده . ولا أدري بماذا أصف ، او كيف أعبر عن كونه كان وحيداً ، ومنذ أية أزمنة أو أجيال او اوقات . وكيف كان يتمتع وحده بعظمة مجده . فأنا عاجز عن أن أقول أكثر مما أُذن لي بقوله : انه هكذا كان حصراً منذ الأزل والى الأبد ، لا بداية له . ولِمَ ترى انتظر هذه الفترة بمفرده دون أن يوجد مخلوقات تسبحه وتنظر الى عظمة مجده بدهشة ، في حين أنه كان ولا يزال الخالق والقادر على كل شيء ؟ ان هذا الأمر لا يعرفه سواه ، وهو بعيد المنال عن خلائقه مما هو عمل يديه . ولهم أن يفكروا أو يقولوا : أنه خلق الكون عندما حسن لنعمته . ففي الوقت الذي شاء ، وجدت الخليقة فوراً . ذلك أن الله عندما يشاء أن يكون شيء ما ، تشكل هذه المشيئة بدء وجود ذلك الشيء ، ولا يشوب تفكيره أي ارتباك عندما يتحرك نحو ذلك الشيء . وبحسب التعبير البشري أقول : انها عملية تحويل شيء من العدم الى الوجود .

□ خلق الملائكة :

هكذا شاء العقل الأول والأزلي العظيم ، فوجدت المخلوقات الثانوية فوراً ، وهكذا تحرك وأشرق النور غير المنظور الذي لا يُدنى منه ، فأوجد للوقت الأنوار الثانوية ، التي هي أشعة النور الأول . وهكذا أيضاً تصرف الكلمة ابن العقل الوالد ، وبدون أي ارتباك . فوجدت المخلوقات الثانوية ، قويمة ومتكاملة وصوراً حية ناطقة للمثال الحي وواهب الحياة ، أعني الكلمة الذي خلقها . وقد أعطوا (الملائكة) جمالاً ثانوياً شبيهاً بالجمال الأول الذي لخالقهم . انهم صالحون بطبعهم ونازعون نحو الصلاح ومحبوه ، ومثالاً حسناً لمن هو وحده حي وواهب الحياة ، غير مخلوق وأزلي وغير مائت الى الأبد . هم مخلوقون منذ الأزل وهم الصورة الحقيقية لمن هو وحده أزلي غير مخلوق ، الذين ابتدأوا لكنهم لا ينتهون . انهم قديسو من هو وحده قدوس . وأطهار من هو وحده طاهر . قوات من هو وحده قوي . حكماء من هو وحده حكيم . مشاعل وأنوار من هو وحده المشعل والنور الأكثر اضاءة من الكل والذي يسكن في نور لا يدنى منه . العقلاء الذين يدركون ذهنياً فقط ، وذوو الفهم ، الذين يفهمون بالعقل فقط . غير المنظورين ، الذين ينظرون بذهنهم بدقة . غير المحسوسين اطلاقاً ، وبالفكر فقط يمكن تصورهم ، الذين ليسوا مادة ولا جسماً ولا شكل لهم أو صورة ، ولا يعرفون كماً أو نوعاً . ذوو طبيعة بسيطة غير مركبة . ومنزهون عن كل ما له علاقة بالأجساد . وهم في طبيعتهم متغيرون كمخلوقين . وفي

الوقت ذاته غير متغيرين ولا مائتين نظراً الى النعمة المعطاة لهم من قبل خالقهم ، لكي يكونوا هم هم غير متغيرين بالطبع ومتغيرين بالارادة ان شاءوا • انهم سريعو الحركة والتنقل ومدركون دقيقون ، يتالفون بسهولة مع بعضهم البعض او مع طبائع الأجساد الجامدة • دون أن يقطعوها أو تنقطع من قبلهم مثل الاجساد ، بسبب رقة وعدم مادية طبيعتهم • فانهم لا يحصرون في مكان صغير وضيق ، ولا يمتدون أو ينتشرون في مكان واسع ، فهم يصلون الى الكل بسهولة ، بسبب خفة طبعهم ودقته ، وبلمح البصر يطيرون الى جميع الجهات عندما يؤمرون ، انهم محدودون في الطبع والصلاح ، وليسوا في كل مكان في آنٍ واحد • في حين انهم ينفذون في كل شيء بخفة ودقة •

هذه هي الخليقة الأولى التي صنعها الله الخالق ، والتي ابتدأت ولا تنتهي • مخلوقة غير مائتة • عاقلة غير جسدية وشبيهة بالله خالقها بقدر ما يمكن للمخلوقين أن يتشبهوا بالخالق• فمن جهة خلقتهم واقتدار طبعهم ، فقد أطلقت العنان للكلمة لتتحدث ما في وسعها ، وأوضحت كل ما يمكن أو يوضح بكلمات بشرية •

□ معرفة الملائكة :

أما بالنسبة الى معرفتهم وأعمالهم ، فان الكلمة البشرية التي تستنير بوحيهم ، اذ يخترق شعاع نور المعرفة الوهاج ، الذهن الممتزج بطينة الجنس البشري : تؤكد أن هذه المعرفة ، هي معرفة ثابتة وراسخة نظراً الى ما لهم من سلطة ذاتية فاحصة تقودهم الى أن يدركوا أنهم مخلوقون ، جاءوا الى الوجود بقوة الله الخالق وأمره ، وهم يعرفون ويؤكدون ويعترفون ، بأن هذه هي ، بالنسبة اليهم ، أزليتهم وحياتهم وقوام طبيعتهم ، التي تشكل حاجزاً راسخاً غير متزعزع تصون أزليتهم عندما يشرق عليها شعاع نوره • كما انهم على يقين من أن لا حياة لأزليتهم ، ولا أزلية لحياتهم ، ولا ديمومة لطبيعتهم ، الا برعاية واشراق نعمته • فانهم يكتسبون قواماً وبقاء ثابتاً وتكويناً دائمياً غير متغير ، وقوة شديدة غير واهية : بامعانهم النظر الى نوره ، ويستمرون ثابتين غير متزعزعين في خدمته • فهذه هي معرفتهم • أقول هذا من وجهة نظر بشرية •

□ عمل الملائكة :

أما عملهم فمستمر ، وهو اطاعة آمر خالقهم ، فهم أبداً رهن اشارة مشيئته • وقد كتب في المزامير عن اقتدارهم وتنفيذهم آوامره

« خدامه وصانعي مشيئته »(٢) ٠ انهم الخدام الذين ينفذون ارادته ، والرسل الذين يوفدهم الى من يشاء ، من الذين هم عتيدون أن يرثوا الحياة(٣) ٠ هذه هي اهتماماتهم ورغبتهم وارادتهم المسالمة ٠ وأقول : انهم وجدوا ليتقبلوا الآمر باشارة منه ، ويسمعوا صوت كلماته ، كما كُتب(٤) ، وينفذوا الأوامر بسرعة وبدون ارتباك ٠ هذا هو عمل الخلائق العاقلة السماوية ٠ فانها منفذة لأوامر العقل الأول والخالق التي لا تتغير أبداً ٠ وهم يسعون تلقائياً الى كل عمل ، كبيراً كان أم صغيراً ، نظراً الى كلفهم واستعدادهم لارضاء الله الآمر ٠ فلئن كانت لهم سلطتهم الذاتية ، ولئن اتقدوا ، غيرة على انجاز كل ما هو عادل ، ولئن كانوا صالحين ومحبي الصلاح ، وعاشقي الفضائل مثل الله خالقهم ، الا أن أنظارهم موجهة دائماً نحو ما يؤمرون به ، أو يشار به اليهم بواسطة قبس منسلخ من نوره ، فيتآلفون معه ومع بعضهم البعض بوفاق سلمي غير مشكوك فيه ٠ اذ ليسوا متحدين بالطبع وحسب ، بل هم ، بالاضافة الى هذا ، متحدون بالارادة والفكر ، بعيداً عن كل تناقض أو شك ٠ وهذا ما يجعلهم يحتفظون بنظامهم ويصونونه ، اذ يتقيد كل منهم بالنظام المعطى له دون تشويش أو تذبذب ٠

فمعرفتهم اذن وأعمالهم هي كالتي أوضحتها حتى الآن ٠ أما بالنسبة الى تنظيماتهم وتسمياتهم العامة ، فليس لها خصائص ذاتية ورئيسية مثلما للبشر ، اذ ليست بحاجة اليها ٠ هذا ما سُلم الينا في الكتب المقدسة الموحى بها من قبل الروح ٠

☐ مراتب الملائكة :

اننا سمعنا وقرأنا أن هذه الكائنات تسمى ملائكة ٠ وسنبدأ بالحديث عن الرتب الأدنى والأخيرة والأقرب الينا ٠ ثم نشرع بالصعود رويداً رويداً نحو الأعلى والأرفع ٠ والرتبة الأخرى هي رتبة رؤساء الملائكة والرئاسات والسلاطين ، والعروش والسادات والقوات ، والكروبيم والسرافيم ٠ هذه هي الرتب التسع ٠ في حين أن بعض القديسين الناطقين بالأسرار ، رتبوها ثلاث طغمات متميزة فقط وحددوها بثلاثة محافل أي رئاسات ٠ وهناك تقسيم آخر ، ونحن نميل اليه ، وهو : ملائكة

---

٢ ـ مز ١٠٣ : ٢٠ ٠
٣ ـ عب ١ : ١٤ ٠
٤ ـ مز ١٠٣ : ٢٠ ٠

ورؤساء الملائكة ورئاسات · والرتبة الثانية والوسطى تشمل السلاطين والعروش والسادات · أما الرتبة الأولى والاسمى والأقرب الى رؤى الله، والأدنى استنارة بأشعة النور والمعرفة فهي : القوات والكروبيم والسرافيم ·

هذه هي رتب العقول المقدسة · وعلى هذا النحو تقوم خدمتهم لِما يوعزون به باشارة من الآمر · حيث يستمد المتقدمون الشعاع المنبثق من النور الأعظم والعقل الأول · ويستوعبونه هم أولاً شيئاً فشيئاً ، ثم يوصلون أشعة المعرفة الى من يليهم ، كلما وحينما يؤمرون بذلك · أما التسميات العامة والشاملة والسائدة ، فهي لتمييز الرتب التي سبق تنظيمها · ولكن من أجل الاختصار وتجنباً للاسهاب ، دعاهم فقهاء العبرانيين وحكماؤهم ، بالملائكة ، باعتبارهم مرسلين ومأمورين · ذلك أن السعاة المرسلين من قبل سلطان ما لتنفيذ أمره ، يدعون ملائكة · ومن هذا المنطلق فانهم يدعون خداماً بدلاً من ملائكة · أما الرتبة الأعلى من هذه ، وقد سموها رؤساء الملائكة · وبغية اختصار الكلام عينه ، فقد اعتدنا نحن البشر ، في مختلف الشعوب ، أن نطلق كلمة « رؤساء » على الذين يقامون رؤساء على آخرين ، فنقول : رؤساء عشرة ، رؤساء خمسين ، رؤساء مئة ، رؤساء ألف ، رؤساء ربوات ، رؤساء فرق ، وحروب ، ورؤساء جيوش ، ومن هنا أطلقوا تسمية رؤساء الملائكة بدلاً من تسمية زعماء التي نطلقها نحن على البشر · فكلمة الرئاسات مغايرة هي الأخرى لتقليدنا · لأننا اعتدنا أن نطلق لفظة رئاسة على الكليات والجزئيات · وكذلك الأمر بالنسبة الى السلاطين ، حيث نقول : سلاطين مختلفين ، كباراً وصغاراً ، أما العروش أو الكراسي فقد دعوا كذلك باعتبارهم مصدر راحة وتكريم · فالكرسي عندنا هو رمز للراحة والكرامة · وقد سموا الرتبة السادسة ، السادات · لأننا اعتدنا أيضاً أن ندعو سادة ، أولئك الذين يتمتعون بالسلطة والكرامة لدى السلطان · فانهم باسم سيدهم ، يصيرون موضع تكريم واجلال · وكذلك الأمر بالنسبة الى الرتب الملائكية ، فهم يستمدون تسميتهم من الملكوت · أما القوات ، فانها مثل رؤساء القوات ربما استمدت التسمية من كثرة الجند وقوتهم ، وبحق دعيت قوات · وقد جاء عنها بأنها المقتدرة كما سلم الروح المرنم(٥) · وأطلقوا اسم « كروبيم » على تلك الرتبة السامية والأقرب الى الله ، أخذاً عن اللفظة العبرية · اذ أرادوا أن

---

٥ ـ أي المزمر ، انظر مز ١٠٣ : ٢٠ ·

يشيروا الى وسع معرفتهم ، واستنارتهم النقية والمبهرة ، الأكثر كمالاً وغنى ، والاسمى من بقية الرتب الأدنى • لذا سموا بالعبرية « كروبيم »(٦) • وهي مستعملة حتى في الأشياء المادية المصنوعة بمهارة وعناية كبيرة ، وفي كل ما يكون متقنا بصنعه مطابقاً تماماً بالشكل للأشياء الطبيعية ، إما بمهنة النجارة ونحت الخشب والحجر ، أو بالرسوم المموهة بالذهب والفضة والنحاس ، أو بالاقمشة المطرزة والثياب المنسوجة بأنيار كثيرة وألوان متنوعة ، كما يطلعنا « بصلائيل » ، في حديثه عن مثل هذه الأعمال(٧) • أما السرافيم فيبدو أنهم سموا كذلك باللغة العبرية ، وكما ذهب الحكماء الروحيون ، لأنهم أشد حرارة والتهاباً وتبديداً للمادة الشريرة ، مثلما يفصل الجوهر الأول • وأكثر استنارة من الرتب الأخرى التي هي دونهم ، وبامكانهم اضاءة وتطهير الآخرين ـ نظراً الى الاستنارة الزائدة والوفيرة التي يستمدها الأولون من النور الاول والأعظم ـ وقد يكون هذا السبب في أخذ السرافيم جمرة من المذبح وتقريبها من فم أشعيا النبي ، كما كتب(٨) •

هذه هي التسميات العامة لهذه الرتب التي طرقت مسامعنا ووردت في الكتب الالهية • وما علينا الا أن نأخذ بها فقط ، ونتمسك بها باحكام• علماً بأن هنالك بعض القديسين الملهمين شبهوا احدى هذه الرتب بالحيوانات ، وربما لأنها ظهرت لهم شبه حيوانات(٩) • كما تصور بعض الشيوخ رتبة أخرى شيوخاً ، لانهم تراءوا لهم بالجسد شبه شيوخ ، كما كتب يوحنا الرائي في رؤياه ، حيث يقول: « أربعة وعشرون شيخا »(١٠) • ولجميع هؤلاء تسمية شاملة وفاعلة وأصيلة واحدة هي : الملائكة • كما أن تسمية « القوات » تشمل جميعهم ، وكما هي الحال بالنسبة الى جميع القوات التي هي في خدمة الملوك الأرضيين ، هكذا هي أيضاً بالنسبة الى القوات السماوية والملك السماوي ـ فهي تسمى قوات سماوية(١١) لملك سماوي ، وجنودا سماوية(١٢) وروحية وغير هيولية ، تمييزاً لها من القوات الأرضية والجسدية ، وهي أيضاً قوات روحية غير جسدية ، أرواح عاقلة ، جماهير الخدم القديسون المستنيرون الأنقياء الذين هم في خدمة اللاهوت الخالق والمعتني ومدبر الكل • ان جميع هذه

---

٦ ـ تعني ذو حكمة ومعرفة •
٧ ـ خروج ٣٦ : ١ •
٨ ـ أشعيا ٦ : ٦ •
٩ ـ حزقيال ١ ، رؤيا ٤ •
١٠ـ رؤيا ٤ : ٤ •
١١ـ لوقا ٢ : ١٣ •
١٢ـ رؤيا ١٩ : ١٤ •

التسميات العامة التي تطلق عليهم وردت في الكتب المقدسة ، اذ ليس للعقل والكلمة البشريين ، كما ذكر أعلاه ، أن يضيفا تسميات أخرى تلائمهم ·

وكذلك الأمر في ما يخص تسميات طغماتهم ، فانها مسلمة الينا من قبل الروح · أما بخصوص كثرتهم وعدم امكانية تعدادهم ، فالروح أيضاً قرب ذلك الى مفاهيم البشر بقوله(١٣) : ان عددهم كعدد الكواكب التي لا حصر لها ، فقيل عنها(١٤) ، انها آلاف آلاف وربوات ربوات · بينما هي أضعاف مضاعفة لما قيل · وقصد - بهذا - عدم امكانية ادراكهم ، وعجز النطق البشري وعدم الحاجة الى معرفة العدد أكثر مما حُدد(١٥) · فليس بمقدور آية أمة أو لغة في العالم تحديد عدد أكثر أو أفضل من « ربوات ربوات » ، مهما ابتكروا من تسميات أو أسماء أعداد ·

فبالنسبة الى خلقة وطبيعة تلك الكائنات السماوية والروحانية وغير الجسدية، والى معرفتهم وعملهم، والى رتبهم وتنظيمهم وتسمياتهم العامة ، وكثرة عددهم غير المدرك ، فقد أوضحت ذلك كله بما فيه الكفاية وبحسب طاقتنا · فهذا ما عليَّ أن أقوله ، وما عليك أن تسمعه وتقبله ·

□ هل الملائكة متغيرون أم ثابتون ؟

وتتجه الكلمة الآن الى محاولة البحث عن نوعية سلطات ارادتهم الذاتية ، فيما اذا كانت قابلة للتغيير أم غير قابلة للتغيير البتة ؟ وهنا لا بد من وقفة ، حباً بالبحث والعلم وزيادة للفائدة · فأقول : انه بناء على خضوعهم وحصر ارادتهم بالله ، يبدو أنهم غير متغيرين ، ومتزعزعين اطلاقاً ، في ارادتهم كما في طبعهم · وهم لا ينحرفون البتة عن النظر نحو خالقهم · بيد أني أريد أن أبدي رأياً مغايراً لهذا الرأي بعض الشيء · فأقول : انهم قد يتغيرون بل وينحرفون بسهولة ، لأن لهم سلطاناً ذاتياً ليتحركوا نحو ما يريدون · وأيضاً من جهة ذاك الذي سقط منهم وصار متغيراً ومنحرفاً عن مقامه ، ومضاداً لله خالقه ومتمرداً عليه ، لذلك دعي بالعبرانية « شيطاناً » ، فهذا ، اذ نظر الى عظمة ومجد طبعه ،

١٣- مزمور ١٤٧ : ٤ ·
١٤ - دانيال ٧ : ١٠ ·
١٥- قورلس الأورشليمي ، التعليم ١٥ ، رقم ٢٤ ·

وما حصل عليه من قوة وحدة وذكاء ، وبحسب ما جاء عنه في الأسفار الالهية(١٦) ، من أنه خلق للخدمة الى جانب الكروب في جبل الله المقدس، وكان يضيء من خلال الحجارة النورانية ، مثل كوكب الصبح ، أكثر من سائر الكواكب العاقلة التي تستمد النور الالهي: ابتلي بمرض الكبرياء، بارادته وفكره فتمرد على الله وعاداه ، وكان يقول : من مثلي ؟ ومن هو الاله الذي يشبهني · من يضارعني بالعظمة والقوة ، وهل هناك إله آخر غيري ؟ واذ استكبر قلبه بسبب جماله ومعرفته ، أخذ يفكر بتمرد وكبرياء قائلا : اني أصعد الى السماء فوق السحب وأصير مشابها للعلي(١٧) · واذ كان يفكر جدياً بهذا ، تولد فيه الاثم والتمرد على الله خالقه · ففسد جماله ومعرفته ، وفسخ من جبل الله ، وقذف به بعنف من بين الأحجار النورانية بسبب كثرة إثمه ، وصار ظلاماً ، وحرم نظرة الملائكة واستمداد النور والمعرفة الآلهية ، وطرح الى الأرض كمتمرد وضد الله ، ودعي شيطاناً وشريراً ، فبسبب سقوطه هذا وانقلابه من النور الى الظلام ، وانتقاله من الخير الى الشر ، ومن عبادة الله الى التمرد والعصيان ، فاني أجزم بأنهم متغيرون ومنحرفون ومهزوزو الارادة ، وربما الطبع أيضاً ·

اذن واحد فقط هو الكامل أبداً · وغير متغير بطبعه ، ذاك الذي لا بداية له ولا يطرأ تغيير على طبيعته · أما الذين كان لوجودهم بداية ، فلا غرو أن يكونوا متغيرين بطبعهم · فلدى تأملنا بهذه النتيجة الحتمية نجزم بأنهم متغيرون بالطبع باعتبارهم مخلوقين ·

واذ رأى أولئك الآخرون ، سقوط ذاك وخضوعه للظلام وحرمانه المعرفة بسبب تغيره وتمرده ، أصبحوا أكثر رسوخاً وثباتاً وحذراً · وكثيراً ما يحدث مثل هذا الأمر بيننا · فان الكثيرين يتعظون ويرجعون الى الصواب خوفاً من التأديب الذي يحل بالآخرين · فنحن لا ننعت هؤلاء بالمتزعزعين أو المتغيرين ، بل بالعكس انهم غير متغيرين ولا منحرفين ، ومن الأصح أن نصفهم بما لا يحتمل الطعن ، بأنهم صعبو المراس · فهم لا يستسلمون أو تفتر عزيمتهم ، نظراً الى ثبات أحداقهم نحو النور مرسلهم وخالقهم ومضيئهم ومدبرهم وحافظهم · ويتناول البحث أيضاً ، أولئك الذين لهم سلطان الارادة الذاتية ، شأنه في ذلك شأن سائر الأمور الأخرى ·

١٦- حزقيال ٢٨ : ١٦ ·

١٧- أشعيا ١٤ : ١٣ - ١٤ ·

فهل ان الشيطان المارد ، منذ الوهلة الأولى لخلقته ، قد تأمل عظمة طبعه ، فأشاح نظره عن خالقه وابتلي بمرض الكبرياء فتمرد وأظلم وصار غريباً عن الله وعن صنفه ، أو ان ذلك قد تم بعد فترة طويلة من خلقه ؟ وهل مكث فترة في المقام والرتبة الملائكية والاستنارة الآلهية ، أم انه تغير وسقط منذ البداية ؟. نجيب : ان هذا الأمر قد حجب عنا ، وهو أسمى من أن يدركه الطبع البشري ، فهو أسمى منا ، فلا يليق بنا أن نجتازه • وباعتقادي ، فان هذا ليس حتى من شأن الذين نتحدث عنهم أنفسهم • وان ما يعرف حق المعرفة هو : اذا كان الله قد ربط بسلطانه الخاص(١٨) ، الأزمنة والأوقات التي تحدد مسيرة الجنس البشري ، بدوران الشمس ، وحجب المعرفة والعدد حتى عن العقول المستنيرة ، فكيف نجرؤ أن نقول ، انهم يمتلكون معرفة عدد وفترة الزمن الذي تحدد مع خلقتهم ، قبل أن يخلق الله هذه الخليقة المحسوسة ؟. لذلك فليس بوسعنا أن ندرك أو نتحدث عن الفترة ما بين خلقتهم وسقوط ذاك • ولا عن المدة التي بين سقوط المتمرد وحتى حسن لله أن يخلق هذه الخليقة المنظورة والانسان • فان موسى العالم بأسرار الخالق ، لم يشر بكلمة موجزة كانت أم مسهبة الى الخليقة العاقلة ، وان جلّ ما أوحى به الروح العالم بكل شيء ، في الكتب المقدسة ، هو كونهم مخلوقين كعقول مقدسة وغير هيولية • أما متى خلقت أو بأية مدة سبقوا الخليقة المحسوسة ، فهذا ما لم يطلعنا عليه البتة • لذلك لا يجدر بنا ولا يتطلب منا أن نتفحص هذا الأمر • فليس كل الأمور هي من شأننا ، وحتى من شأن الملائكة الشبيهين بالله • فذاك هو شأن الله وحده ، فالسرائر هي لله فقط ، كما تقول الأسفار المقدسة الموحى بها من قبل الروح ، أما المعلنات فلنا ولبنينا وللجنس البشري كله(١٩) •

وهنا أود أن أتساءل عن الطغمات التي منها سقط ذاك وطرح وجرد عن مقام الطغمة الملائكية ، فأقول : ما الذي يمتلكه أولئك دونه ؟ وأجيب : ان هؤلاء بوسعهم أن يقتبلوا أشعة النور الآلهي دائماً ، وأن ينظروه ويعرفوه ، وأن يتمتعوا بلذة مجده وعظيم بهائه ، وأن يروا كل ما هو لنا • أما هو فقد حرم كل هذه ، ولا يجوز له أن يرى أحدها أو يشترك بها منذ اللحظة التي فيها انطفأ نوره • وليس له أيضاً أن يعرف أو يدرك ما لنا من أفكار ، باستثناء ما يحاول أن يعرفه عن طريق العرّافين المتشبهين به • أو ما سبق فعرفه عنا ، أو ما زرعه فينا هو

١٨ـ أعمال ١ ـ ٧ •

١٩ـ تثنية ٢٩ : ٢٩ •

بذاته من قبل ، وهو يتوقع أن يرى ثمار ذلك . فهذا ما يمتلكه كل من هذا وأولئك . وهذا ، أيضاً كل ما كان بوسع كلمتي الضعيفة أن توضحه وهو ما يمكن أن تعرفه أيها الابن العزيز ، محب الحق ، عن خلقة وطبيعة تلك العقول المخلوقة والمشابهة للعقل الأعظم والأول . وكذلك بالنسبة الى معرفتهم وعملهم ورتبهم وتنظيمهم وخدمتهم وقوتهم وسرعتهم واستنارتهم بالنور الأعظم والأول ، وثباتهم ورسوخ مقامهم وتواضعهم ، وعدم انحراف نظرهم عن خالقهم .

قسطنطين : هذه كلها أخذتها من حديثك ، وأعترف بأنها أشبعت درساً . وأود أن أضع ما كتب عنهم في الاسفار الالهية الموحى بها من الروح ، جنباً الى جانب مع حديثك ، آملاً أن أتمكن من استيعابها بالاستناد الى حديثك يا موجه ومرشد تفكيري الضعيف .

يعقوب : بعون الله ، سأعمل ما في وسعي من أجل ارضائك ، وسأسرد الكلام تباعاً وبصورة مفصلة بمقتضى ما جاء في الأسفار الآلهية . وأوضح خاصة مزايا أولئك القديسين غير المتغيرين ، وتلك التي لذاك المتغير الفاسد ، كما هو مفصل وموضح أيضاً في الكتاب المقدس الموحى من الروح .

☐ مزايا الأرواح :

ففي السفر المقدس الذي كتبه موسى : لم ينبس الروح ببنت شفة واحدة عن خلقة الكائنات المقدسة ، في حين أنه يتكلم عن المتمرد الشرير الذي ستعط ، والذي كنّاه ، نظراً الى شره ، بالحية في كلامه الرمزي عن الفردوس . حيث قال(٢٠) : « وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الاله ، فقالت للمرأة : أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟ فقالت المرأة للحية : من ثمر شجر الجنة نأكل ، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله : لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا . فقالت الحية للمرأة : لن تموتا ، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر » . بمثل هذا الكلام يتحدث الكتاب عن ذاك الذي خلق صالحاً كسائر العقول الصالحة عابدة الله ، والذي بارادته صار شريراً ومعادياً لله ، ولذلك سمي شيطاناً(٢١) . وأظهر عظم شره ، وتعاليه على الله وحسده للانسان .

٢٠ـ تك ٣ : ١ ـ ٥ .

٢١ـ وردت كلمة (شيطان) مقلوبة في النص ، وذلك من باب الاحتقار .

ولذلك يسمى ثلاباً وحاسداً ومبغضاً للنـــاس . فنعتـــه اذن بالحية كان عادلاً وملائماً . فاذا كان البشـــر الناطقون والمخلوقون على صورة الله ، لم تراع كرامتهم ، بل شبهوا عدلاً بالبهائم غير العاقلة(٢٢) ، فكم بالحري ذاك الذي خلق صالحاً وانقلب شريراً بارادته ، أن ينعت بالحية التي هي أكثر شـــراً وحيلة وضرراً مـــن سائر الحيوانات على الأرض . انه حاذق كمحتال ومضل ، وشرير لكونه تعالى على الله ، وضار قاتل الناس لأنه حسدهم وأضلهم ، وعمل على حرمانهم مـــن سعادة الفردوس ومتعته .

□ الملائكـــة في التـــوراة :

وكتب أيضـــاً في سفر موسى نفسه(٢٣) : لمـــا كان يعقـــوب في حران « رأى حلماً واذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء ، وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليهـــا ، وهوذا الرب واقف عليها » ، بهـــذه الكلمات يتنبأ بصورة رمزية عما كان عتيـــداً أن يكون من تدبير المسيح حيث شبهه بمـــا رأى في الحلم ، مظهراً كرامـــة تجسد الله وتأنسه ، عندما ينزل ويظهر على الأرض ، وسوف تكون قوات الملائكة القديسين الذين يدركون هـــذا ، خـــداماً ومبشرين للنـــاس ولبعضهم البعض في نزوله وصعوده . ولمـــا صعد يعقـــوب من حران ، والخوف يساوره من أخيـــه عيسو ، يقـــول الكتاب المقدس(٢٤) « فرفع يعقوب عينيه ورأى جيش الله ولاقاه ملائكـــة الله » ، واذ رآهم قال : « هـــذا جيش الله فدعا اسم ذلك المكان محنايم » . وقـــد أراد الله مـــن هـــذا النظر ، ألاَّ يخـــاف يعقوب عيسو أخاه . وجاء في المزامير(٢٥) : « ان جيشاً من ملائكة الرب تحيط بخائفيـــه ... والخ وتنجيهم من الشرور » . واذ تأكد يعقوب من مغزى ما رأى ، دعا اسم ذلك المكـــان « جيش الله » ، لأنه رأى هنـــاك القـــوات الملائكية القديسين الذين كانوا يحيطون به ، مثل جيوش لجبة . وما زال العبرانيون يدعون ذلك المكان محنايم ، وقـــد أقاموا فيه مدينـــة شهيرة ومعروفة ومحصنة ، التجـــأ اليها داود النبي عندما هرب من أمام وجـــه ابنـــه أبيشالوم(٢٦) .

وقـــد روى الروح الموحي في سفر خروج بني اسرائيل مـــن مصر : ان الله عندما أرسل موسى الى مصر لينقذ اسرائيل من عبودية المصريين ،

٢٢ـ مزمور ٤٩ : ١٣ .
٢٣ ـ تكوين ٢٨ : ١٠ ـ ١٣ .
٢٤ـ تكوين ٣٢ : ٢ .
٢٥ـ مزمور ٣٤ : ٨ .
٢٦ـ ٢ ملوك ١٧ : ٢٤ .

لقيه ملاك الرب وهو في النزل وأراد قتله ، يقول(٢٧) : « فأخذت صفورة حجر صوان وقطعت غرلة ابنها ومست رجليه وقالت انك عرس دم لي » فانطلق عنهـا الملاك لانهـا قالت « عرس دم من آجـل ختـان ابني » ٠ وقد آراد بهذا الكلام آن يشير الى المتمرد وضد الله ومبغض البشر الذي حاول أن يقتـل موسى لئلا ينجو اسرائيل ٠ ولم يقصد أياً مـن الملائكة القديسين المدعوين خـداماً وصانعي مشيئته ٠ ويجب ألا نستغرب مـن تسميته ملاك الرب ، لأننـا نجـد أولئك الأعـداء يدعون ملائكة الرب وأرواحاً من الله في أماكن عديدة من الكتاب المقدس ٠ فالملاك الذي قتل أبكار المصريين ومن رافقه مـن المهلكين ، دعاهم الروح ملائكة ومرسلين أشـراراً ٠ اذ قال : أرسل اليهم حمى غضبـه(٢٨) ، أرسل حمى الغضب والضيق بواسطة ملاك شرير ، وقد كتب عن هـذا : ان الله لم يسمح له أن يدخل بيوت العبرانيين ويهلك(٢٩) ٠ وعندما كان موسى يقيم خيمة الشهادة ، سمع الله يأمره قائلاً : وتصنع كروبيم(٣٠) ، مشيراً بذلك الى الكروبيم القديسـين ، العقـول الطـاهرة والمستنيرة الذين يرضـون خالقهـم بخدمتهـم ٠

وفي سفر التثنية يقـول موسى(٣١) : « اني أنصب تخـوماً للشعوب كعـدد ملائكة الله » ٠ وهو هنـا يدعو رؤساء الملائكة ، ملائكة الله الذين أقامهم الله بعـد الطوفان رؤساء ومتسلطين على كل شعب مـن الشعوب حينما ميز البشر عن بعضهم البعض بتقسيمهم أمماً وشعوباً ٠ وفي السفر نفسه وبذات لهجـة التكريم ، يقـول موسى(٣٢) : « لتبتهج معه السماء وليسجد له جميع ملائكة الله » ، معلناً بهذا أن جميع تلك العقول السماوية وقوات الملائكة كانوا عتيدين أن يفرحوا معها عندما سيدخل ابنه البكر الى أرض البشر ، فيرونه بالجسد ويعرفون أنه هو رب المجد فيسجدون لـه ٠ أما أولئك فبسبب نزوله الى الأرض ، وأما هؤلاء فلصعوده الى السماء ٠ فعن طريق المعرفة المتشعبة يكشف عن حكمته الفائقة للرئاسات والسلاطين في السماء ، كقول بولس ٠ أما موسى العظيم والحكيم فلم يأت على ذكر القوات العلوية وغير الهيولية ، في أسفار الشريعة ، بأكثر من هذه الكلمات ٠ وفي قصة آيوب البار ، وبأسلوب متقن وحكيم ، وبقدر

---

٢٧ ـ خروج ٤ : ٢٤ ـ ٢٦ ٠
٢٨ ـ مزمور ٧٨ : ٤٩ ٠
٢٩ـ خروج ١٢ : ٢٣ ٠
٣٠ـ خروج ٢٥ : ١٨ ٠
٣١ـ تثنية الاشتراع ٣٢ : ٣٨ ٠
٣٢ـ هكذا ورد في الأصل ، ونجد الكلام في المزمور ٩٧ : ٧ ، وعبرانيون ١ : ٦ ٠

ما يستوعبه فهم السامعين • جاء قوله(٣٣) : « وكان ذات يوم أن جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم ليمثل أمام الرب فقال الرب للشيطان : من آين أتيت ؟ فأجاب الشيطان الرب ••• ثم قال له : هل جعلت قلبك على عبدي آيوب لأنه ليس مثله في الأرض ، رجلَ كامل ومستقيم يتقي الله » • فسلمه الله اليه ليضرب أولاده وبناته وممتلكاته وأخيراً جسمه • واستناداً الى ما كتب باحكام وبأسلوب شعري كما نفعل نحن ، نعلن للجميع ، آنه بسماح من الله تمت تجربة أيوب ••• ويقول على لسان اليفاز(٣٤) : « الى ملائكته ينسب حماقة ، فكم بالحري سكان بيوت من طين الذين آساسهم في التراب ••• » • ونحن أيضاً مثل آولئك مبنيون من ذات التراب ويسحقون مثل العث ، وينحنون أمام الزوابع ، وبين الصباح والمساء يُحطمون • هذا ما قاله الروح بفم اليفاز(٣٥) : « اذا كان الله لم يأتمن كلياً عبيده الملائكة ولم يمنحهم ، لدى خلقتهم ، كمالا في الثبات وعدم التغيير ، ولم يعصمهم عن الانحراف والخطيئة ، فكيف يمكن للبشر ساكني الطين ، ألاّ يخطئوا أو يذنبوا ؟ » هذا ما طرحه اليفاز أمام آيوب الذي قال : ان الرب ضربني دون ذنب ، ثم أردف يقول له(٣٦) : « فهل لك من مجيب ؟ آو الى أي من الملائكة القديسين تلتفت ؟ » . وقد أراد أن يوضح له : أن ليس من انسان يستجيب لك وأنت تكتئب • لا ولا أحد من الملائكة القديسين يلتفت اليك لكونهم مخلوقين ، لا تتوقع آن ترى الله غير المنظور ليتحدث اليك ، لأن الغضب يقتل الجاهل ، والحقد يقتل الساخر • ويتحدث اليفاز ثانية الى آيوب وبنفس اللهجة ، متخذاً الملائكة القديسين مثالاً ، ليؤكد أن لا انسان بلا ذنب أو خطيئة فيقول(٣٧) : « هوذا قديسوه لا يأتمنهم والسموات غير طاهرة بعينيه ، فبالأحرى مكروه وفاسد الانسان الشارب الاثم كالماء » • ويذكر الروح المجاهد الملائكة على لسان اليهو وهو يبدي اشمئزازه من الانسان الآثم ، فيقول(٣٨): « أيضاً يؤدب بالوجع على مضجعه ومخاصمة عظامه دائمة ، فتكره حياته خبزاً ، ونفسه الطعام الشهي ، فيبلى لحمه عن العيان وتنبري عظامه فلا ترى ، وتقرب نفسه الى القبر وحياته الى المميتين ، ان وجد عنده مرسل وسيط واحد من آلف ليعلن للانسان استقامته ••• » •

٣٣- أيوب ٢ : ١ - ٣ •
٣٤- أيوب ٤ : ١٨ - ٢٠ •
٣٥- أيوب ٥ : ١ •
٣٦- أيوب ٥ : ٢ •
٣٧- أيوب ١٥ : ١٥ - ١٦ •
٣٨- أيوب ٣٣ : ٢١ - ٢٤ •

يوضح هكذا أنه سواء كانوا ملائكة قديسين أرسلوا من قبل الله من أجل من سبب الغضب ، أم كانوا أبالسة متمردين ، يؤمرون أحياناً بسبب الغضب اذا ما كان الذي قد سبب الغضب يرجع سائلاً الله التوبة ، فانهم لا يقوون على المساس به ، لان الله قد ترحم عليه فمنحهم عنه ، هذا ما يقوله بالنسبة الى من يخطىء فيتوب الى الرب • أما بالنسبة الى الأثمة الذين يرفضون معرفة الرب ، ولا ينتصحون بالكلمة فيقول(٣٩) : « أما فجار القلب فيدخرون غضباً ، لا يستغيثون اذا هو قيدهم ، تموت نفسهم في الصبا وحياتهم بين المأبونين • ينجي البائس في ذله ويفتح آذانهم في الضيق » • بهذه الكلمات يوضح جلياً متى ينجو الانسان لما يستغيث ، ومتى لا يستجاب ولا ينجو • وفي حديثه الى أيوب ، يقول عندما تراءى له ، يقول الله(٤٠) : « عندما صنعت الكواكب مجدني ملائكتي بصوت عظيم » • وقد عني بهذا أنه : عندما فوجىء الملائكة القديسون بخلق النور المحسوس وكواكب السماء ، الأمر الذي لم يكن قد رأوه بعد ، أخذتهم الدهشة من هذا المنظر الجديد العجيب ، فمجدوا الله الخالق • وعندما يتحدث عن الحوت الضخم في الماء أي التنين ، سواء المحسوس أو العاقل (ابليس) يقول(٤١): « ليس له مثيل على الأرض » • من وضع لسخرية ملائكتي ، وهو يريد أن يقول : اذا كان ذلك المحسوس في الماء تسخر منه الملائكة وهي تراه يغتاظ من حيوانات البحر الصغيرة ، وتنهشه دون أن يتمكن من نيلها ، فكم بالأحرى ذاك التنين الأعظم الذي يتحدث عنه الروح(٤٢) ، التنين العاقل والمتمرد ، الذي مع كل جبروته ، هو موضوع هزء وسخرية البشر الناطقين الذين يستهزئون به عدلاً وحقاً •••

□ الملائكة في المزامير :

وبلسان موسى ، يأتي الروح الموحي ، الى ذكر الملائكة القديسين الذين خلقوا كائنات طاهرة ومستنيرة شبيهة بالكائن الأعظم والأول ، والنور الأزلي القدوس الأكثر طهراً ، ويوجه مرتل الروح داود الملك ، الكلام عن الانسان بصيغة تعجب وتساؤل فيقول(٤٣) : « من هو الانسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده وتنقصه قليلاً عن الملائكة وبمجد وبهاء

٣٩- أيوب ٣٦ : ١٣ - ١٤ •
٤٠- أيوب ٣٨ : ٦ - ٧ •
٤١- أيوب ٤١ : ٣٢ •
٤٢- مزمور ١٠٤ : ٢٧ •
٤٣- مزمور ٨ : ٥ - ٦ •

تكلله، تسلطه على أعمال يديك » . ان هذا الكلام ينسب حرفياً للانسان، وروحيا للمسيح الذي صار انساناً من اجل خلاصنا . وقد وصف الانسان بأنه أقل قليلاً من الملائكة ، لأن عقله مجبول بالطين ، ومختلط بالمادة الكثيفة ، في الوقت الذي هو قرين للعقول السماوية ، وهو مثلهم صورة الله وشبهه . وعن المسيح ، كلمة الله ، يقال أنه نقص قليلاً من الملائكة ، لأنه صار انساناً حقاً من أجلنا ، وتشبه بنا في كل شيء ما عدا الخطيئة . اذ قبل بارادته كل ما هو لنا . وهـذا ما يعلمنا اياه أيضاً بولس الالهي اذ يقـول(٤٤) : « الذي وضع قليلاً عـن الملائكة هو يسوع ، من أجـل ألـم موتـه » . وفي مزمور آخـر يقـول(٤٥) : تكـلم الله و « ركب على كروب وطـار وهف على أجنحـة الرياح » . وفي مزمور آخـر(٤٦) : « يا جالساً على الكروبيم ، أشرق » و « هو جالس على الكروبيم تتزلزل الأرض »(٤٧) ، فانه استمد هذا مما اعتدنا عليه بالنسبة الى المطايا . ومما جاء في ناموس موسـى الذي قال : ان الكروبيم هم مركبـة الله . حيث وضعهم في قدس الأقداس فوق غطاء قبة الشهادة وتابوت عهد الله الخالق القـوي الذي ليس بحاجة الى ايـة مركبة ، بل هو حامـل الكل بقـوة كلمتـه ، وربما كان يشـير رمزياً الى حادثة نزوله الى الأرض وتدبيره الخلاصي الفائق الوصف بين البشر . وفي اشارة الى صعوده ، يذكر بتجلة في مزمور آخر ، أولئك الذين يأمر بعضهم البعض (الملائكة)، معبراً عنهم ب « فتـح الأبواب » كمـا هي الحال بالنسبة الى المأمورين بفتـح الأبواب أمام ملوك الأرض حيث يقـول : « ارفعـن أيتها الأرتاج رؤوسكن وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات فيـدخل ملك المجد »(٤٨) . فهؤلاء الذين سبقوا فوقفـوا على السـر لدى نزوله ، وقـد رافقوه في صعوده أيضاً ، لهم سلطان الأمر . أما الباقون الذين لم يقفوا على السر، فيسألون قادتهم قائلين : مـن ملك المجد هذا ؟ فيجيب أولئك على الفور وبكل استعداد ولياقة قائلـين : انه الرب القـوي الجبـار ، القوي في القتـال » . ثم يأمرون السائلين ذاتهم ويقولون : ارفعن أيتهـا الأرتاج رؤوسكن ، وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات ليدخل ملـك المجـد . ثم يسأل أولئك ثانيـة بدهشة قائلين : ومن هو ملك المجد هذا ؟ ، فيوضح الآخرون بشكل أقوى : انه رب الجنود الذي هو ملك المجد .

٤٤ـ عبرانيون ٢ : ٩ .
٤٥ـ مزمور ١٨ : ١١ .
٤٦ـ مزمور ٨٠ : ١ .
٤٧ـ مزمور ٩٩ : ١ .
٤٨ـ مزمور ٢٤ : ٧ .

وفي مزمور آخر يتحدث عنهم وعــن خلقتهم بوضوح أكثر فيقــول : « بكلمه الله صنعت السموات وبنسمة فيــه كل جنودها »(٤٩) • مظهراً بهذا انهم مخلوقون ، وصنع الايدي ، ويعرفون بالقوات السماوية • وقد خلقهم كلمة الله الابن ، صانع الكل الذي يدعى ايضا ملك القــوات (اي ملائكهم) ، كما ان روح الله المساوي للاب وللكلمته هو الآخر خالق وصانع • وبهم ، يوجدون ويستمرون ويستنيرون • ويقول في مزمور اخر « جيش ملاك الرب حال حول خائفيــه وينجيهم »(٥٠) • وأراد بذلك : انه نظراً لكونهم صالحين وخدام الله ، فانه ، منة منه للبشر ولطفاً ، جعلهم حراساً لنــا ليحرسونا مــن الشياطــين والخصــوم الآخرين الذين يصادفــون في الخارج • وفي مزمور آخر ، اذ أراد أن يظهر حبــه لهــم كما هو لنــا ، وانتماءهم الى الله ، منحهم صفــة البنين ، فيقول : « لانه مــن في سماء السموات يعادل الرب ، من يشبه الرب مــن أبناء الله »(٥١) ، فانه قصد هنا طغمة الملائكة القديسين أو الرعود كما في نسخ آخرى • حيث ان اسم « السموات » قد أطلق عليهم مرات عديدة في الكتاب الالــهي • وفي مزمور آخر يتكلم عــن الانسان الذي يحرســه الملائكة القديسون ، وفي الوقت نفسه يشير رمزياً الى المسيح العتيد آن يتجسد ويصير انسانا ، ويحتمل كل شيء من آجلنا ، فيقول : « لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربه من خيمتك ، لأنــه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كــل طرقك . على الأيــدي يحملونك • • • »(٥٢) • وفي أحد المزامير يوصيهم الروح المرتل أن يسجدوا للمسيح الذي ظهر بالجسد وملك على جميع الشعوب ، وآدركوا تدبيره الحكيم من أجــل خلاصنا ، مــن كنيسة الذين خلصهم ونظروه صاعداً بالجسد عند أبيــه ، اذ يقــول : « اسجدوا له يا جميع ملائكته »(٥٣) • وفي مزمور آخر يوصيهم قائــلاً : « باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين ، قوة الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه ، باركوا الرب يا جميع جنوده خدامه العاملين مرضاته »(٥٤) ، مظهراً بهذا ، أنهم هم وحدهم من دون سائر المخلوقات ، قادرون أن يعملوا مرضاته ويسمعوا صوت كلامه ، وان يكونوا خداماً يعملون مرضاته كاملة ، باعتبارهم جنوداً سريعي الحركة بطبعهم • ومحررين من كثافة المادة الجسدية • وفي مزمور تال يتحــدث عنهم مشيراً الى سرعة طبيعتهم الهائلة وغيرتهم الوقادة ، لدى ممارســة أية خدمة ، أو تنفيــذ أوامر خالقهم ، فيقــول « الصانع ملائكته رياحاً

٤٩ـ مزمور ٣٣ : ٦ •
٥٠ـ مزمور ٣٤ : ٧ •
٥١ـ مزمور ٨٩ : ٦ •
٥٢ـ مزمور ٩١ : ١٠ ـ ١١ •
٥٣ـ مزمور ٩٧ : ٧ •
٥٤ـ مزمور ١٠٣ : ٢٠ ـ ٢١ •

وخدامه ناراً ملتهبة »(٥٥) ، فبقوله : « صنع » ، اوضح ان الكلام ليس عن طبيعتهم ، بل عن سرعتهم وغيرتهم فقط • فطبيعتهم ليست هذه النار او الرياح ، لانهم بغير جسد • وفي مزمور اخر ياتي على ذكرهم ، وهم واقفون الى جانب الله ، فيقول(٥٦) : « أمام الملائكة آرنم لك » و « اسجد في هيكل قدسك » و « اشكر اسمك » • وأراد أن يوضح بهذا ، ان جميع خائفي الرب يرنمون له آمام الملائكة القديسين ، ويسجدون له في الهيكل المقدس الى جانب أولئك الجنـود الروحيين ، ويشكرون اسمه القدوس المجيـد • وفي مزمور من أواخر المزامير ، يوصي الخليقة كلها العاقلة منها والمحسوسة بأن تسبح الله الخالق، بما يتلاءم معه ويناسبه من تنظيم• فيبـدأ بالسماء من فـوق ، أي مـن العقول السماوية ساكني السماء • فيحثهم قائلاً : « سبحوا الرب من السموات ، سبحوه في الأعالي ، سبحوه يا جميع ملائكته ، سبحوه يا كل جنوده »(٥٧) ، فانه يدعو الجنود الأولين والأقربين الى الله ، سماء بل أعالي ، نظراً الى وداعتهم ، وهم السرافيم والكروبيم الذين يستمدون أشعة النور الأولى والمستنيرة ، من اللاهوت ومن نظرية المعرفة الأولى الكاملة •

□ في سـفر الملـوك :

وفي سفر الملوك ، وعلى لسان داود المرتل الملك ، ذكر الروح الموحي، تلك العقول السماوية الشبيهة بالله ، بقـوله(٥٨) : « فجعل الرب وباء في اسرائيل من الصباح الى الميعاد فمات من الشعب من دان الى بئر سبع سبعون ألف رجل • وبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكها ، فندم الرب عن الشر وقال للملاك المهلك الشعب ، كفى الآن رد يدك • وكان ملاك الرب عنـد بيـدر أرونـة اليبوسي » • فبهـذه الكلمات يعلـن الروح عن قوة الملائكة وسرعتهم وغيرتهم الوقادة ضد الذين يأثمون في حق الله ويغضبونه • وحرصهم على خدمة وتنفيذ أوامر الله ، الذي يظن بعضهم أنه هو كان هذا الملاك • كما يعلن عن شفقة الله ولطفه بالبشر ، وسرعة ميله الى الرحمـة •

وقد فعل سليمان مثلما فعل موسى، فصنع كروبيم يظللون في القدس فـوق غطاء قبـة الشهادة ، مشيراً بذلك الى خـدمة ووداعـة الكروبيم القديسين ، تلك العقول الأولى والمستنيرة لقوات العلي »(٥٩) •

٥٥- مزمور ١٠٤ : ٤ •
٥٦- مزمور ١٣٨ : ١ - ٢ •
٥٧- مزمور ١٤٩ : ١ - ٢ •
٥٨- ٢ صموئيل ٢٤ : ١٥ - ١٦ •
٥٩- ١ ملوك ٦ : ٢٣ •

□ لـدى الأنبيـاء :

ويستشف من كلام ميخا النبي ، أنـه ، ومثلما هي عادة خدام الملك الأرضي ، بتأثير كلام الانسان ، يفيض رضى الله ويكثر تسامحه الى درجة أن يُغوى به أخاب الأثيم فيذهب الى الحرب ويقتل · فقد قال(٦٠) : « قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جنـد السماء وقوف لديه عـن يمينه وعـن يساره » ، وعبر بهـذا عن استعدادهم الدائم لخدمة وتنفيذ أمره · وعن صعود ايليا النبي الى السماء يقول : « وفيما هما يسيران ويتكلمان اذا مركبة مـن نار وخيل مـن نار ففصلت بينهما فصعد ايليا في العاصفة الى السـماء »(٦١) · وقـد كـان هـذا ليس لأن لهـم صـورة الخيـل أو المركبة ، أو صورة جسدية ، فهم كائنات غير هيولية ولا جسدية ، ولهم صورة العقل الأكبر خالقهم غير المنظور وغير المدرك ، بل لكي يجعـل له كرامة كتلك التي نبذها الملوك العتاة الصلفون والمتكبرون الذين كانوا يحملون بأبهة على الخيل والمركبات الذهبية · وقال عن اليشع : « وصلى اليشع وقال(٦٢) : يا رب افتـح عينيه فيبصر ، ففتـح الرب عيني الغلام فأبصـر واذا الجبـل مملوء خيـلاً ومركبـات ، نـار حـول اليشع » · قارن هـذا بما قاله داود(٦٣) : « جيش ملائكة الرب حال حـول خائفيه وينجيهم مـن كل شـر » · موضحاً أن خيولاً ومركبات نار محاطة بهـم لحمايتهم ، لكي يرى الصبي خيول ومركبات جيش الأدوميين وهي تحيط بهم ، وهم يحاولون أن يمسكوا بها · وفي سفر الملوك نفسه يقـول(٦٤) : « وكان في تلك الليلة آن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفـاً ، ولمـا بكروا صباحاً اذا هم جميعاً جثث ميتة » · وهذه أيضاً كتلك ، تظهر قوتهم وسرعتهم وغيرتهم الشديدة ، وحرصهم واستعدادهم لتنفيذ أمر سيدهم ·

وضمن الكلام الذي أودعه الروح الملهم سفر الملوك ، يأتي على ذكر تلك القوات السماوية والملائكية ، بل العقول الشبيهة بالله ، كما يتحدث عنهم أيضاً الروح النبوي ، على لسان آشعيا النبي(٦٥) ، بواسطة الرؤيا التي رآها · ويقـول : « في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسي عال مرتفع وأذياله تملأ الهيكل ، السرافيم واقفون فوقه لكل واحد

٦٠ـ ١ ملوك ٢٢ : ١٩ ·
٦١ـ ٢ ملوك ٢ : ١١ ·
٦٢ـ ٢ ملوك ٦ : ١٧ ·
٦٣ـ مزمور ٣٤ : ٧ ·
٦٤ـ ٢ ملوك ١٩ : ٣٥ ·
٦٥ـ أشعيا ٦ : ١ ـ ٣ ·

ستة أجنحة باثنين يغطي وجهه . وباثنين يغطي رجليه ، وباثنين يطير .
وهذا نادى ذاك وقال : قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل
الأرض » . ومن الضروري ايضاح ما قيل هنا . فبحسب اعتقادي أن
هذا الكلام يشير الى ما يلي : يقول ، في سنة وفاة عزيا الملك الذي تجاسر
أن يدنو من الله الذي لا يدنى منه ولا يرى ولا يدرك من قبل المخلوقين ،
ويسعى الى أمور غير مسموح بها له ؛ فيضع البخور ويصعد الذبائح مثل
الكهنة الهارونيين ، ويفكر بالعظمة على اعتبار أنه ملك . رأيت الرب
جالساً على كرسي عال ومرتفع مثل الذي به يملك الملوك ، وهذا معنى
قوله : لما مات ذاك الذي تجبر وتكبر وتجاسر بهذا المقدار ، دون أن يوبخه
أحد من الأنبياء ، تراءى الله الذي يجلس على كرسي عال ومرتفع ،
ومنه يستمد الجنود سلطاناً للجلوس على الكراسي : ليوبخ الذي مات
والذين لم يوبخوه . ويقول أيضاً : ان البيت كان ملء مجده ، كما كانت
السماء والأرض كذلك . وقصد من قوله ، ان السرافيم يحيطون به ،
توبيخ ذاك الذي تجبر اذ رأى الجنود يحيطون به وينفذون أوامره ..
ويقول : كان لكل واحد منهم ستة أجنحة ، باثنين يغطون الوجه ، وباثنين
يغطون الأرجل والخ . فهذا لا يعني أن لهم فعلاً أجنحة أو شكلاً جسدياً ،
بل كذا تراءوا للنبي . أما الأجنحة الستة فهي الاشارة الى الجهات الست
المليئة من مجد الخالق . وأراد باللذين يغطيان الوجه ، حجبهم بصمت
قدم الكمال الالهي الأزلي الذي للآب والابن والروح القدس . فالأجنحة
هنا تشير الى قدم العمل وسموه . وأراد باللذين يغطيان الأرجل أن
يشير الى السر الذي كان عتيداً أن يعلن في النهاية . وبذات الصمت
يحجبون هذا ويجلونه ، أما الأرجل فهي رمز الى خاتمة الأمور ونهايتها .
وبطيرانهم بجناحين ، يشيرون ، بصورة رمزية وسرية ، الى أن الكائنات
الدائرة في فلك (مركز) هذا كله ، دليل على عدم رؤية الله خالقهم .
وبقوله : « قدوس » ثلاثاً ، أراد أن يشير سرياً الى انحجاب وعدم ادراك
الثالوث الأقدس . وبقوله : السماء والأرض مملوءة من مجده ، عنى أن
السرافيم الأوائل وخدام المعرفة المتسامية المتكاملة هم المتسلطون ، لأنهم
هم أولاً يقتبلون قبس أشعة معرفة الله الأولى الطاهرة والمستنيرة والمقدسة
والفائقة بسطوعها ، وهم الذين ينفذون أوامرها ، وينقلون نور هذه
المعرفة الى الرتب الأخرى الأدنى ، ويدللون على معرفتهم الكاملة بفضل
موقعهم ومزاياهم .

ويكشف الروح النبوي ، بواسطه حزقيال النبي(٦٦) ، عن منظر جسدي شبه مركبة ارضيه ، وشبه حيوانات تحيط بها ، وعجلات تدور كالتي عندنا في الارض • فهذه التي راها مجتمعة وليس كل على انفراد، كانت تحمل سراً ، وترمز الى ما كان عتيداً أن يحدث في سر مخلصنا العظيم والممجد الذي تم في كنيسة المسيح المفتداة • ورأى حزقيال أيضاً ، ستة رجال حاملين بايديهم سلاح النقمة ، وبينهم آخر لابساً بوصاً ومتمنطقاً بنطاق اسمانجوني ، قد صدر اليه أمر ليضع سمة بين أعين أولئك الرجال الذين شعروا بألم من اجل آثام اسرائيل ، وذلك لكي يهلكوا بلا شفقة جميع الذين لم يوسموا • وهؤلاء كانوا ملائكة الرب ومنفذي أوامره وصانعي مشيئته بحسب ما يقول الروح المرنم(٦٧) ••• وكذلك الأمر بالنسبة الى الرجل اللابس البوص الذي أمره الرب ليملأ حفنته خمراً ويذرها على المدينة ، فجاء ووقف الى جانب المركبات ولم يرحل • بيد أن أحد الكروبيم بسط اليه يده وأخذ ناراً وألقاها في حفنة الرجل اللابس البوص• وهذا يشير الى أولوية الكروبيم وسموهم •

ويتحدث الروح النبوي بلسان زكريا النبي ، عن الملائكة الخدام الذين تراءوا له ويقول : فالراكب على فرس أحمر الذي كان يقف بين الأشجار الوارفة(٦٨)، والذي كان ماسكاً بيده حبل قياس ليقيس أورشليم، وكلم زكريا النبي(٦٩) ، والآخر الذي خرج للقائه ، وقال له أجر وكلم هذا الغلام(٧٠) • فانه يعلن بهذه الأحداث التي يتكلم عنها ، أن الملائكة هم منفذو ارادة الله • وهو الذي يرسلهم ليعلنوا لبني اسرائيل ، بواسطة الأنبياء حجي وزكريا وملاخي ، عن قرب دنو زمن تجديد أورشليم • وفي سفر دانيال ، كثيراً ما يأتي على ذكر الملائكة بصور مختلفة(٧١) : الروح النبوي ملهمهم ومرشدهم وقائدهم • فالفتيان الثلاثة الذين ألقوا في أتون نار متقدة ، وهم يباركون الله ويعترفون له بخطاياهم وخطايا آبائهم قائلين : مبارك أنت الذي تنظر اللجج وتجلس على الكروبيم ، باركوا الرب يا جميع ملائكته • باركوا الرب يا جميع قواته : يصفون الرب بالجالس على الكروبيم ، بحسب العادة المألوفة لدى العبرانيين وموسى وداود وسليمان ، ويطلقون اسم ملائكة وقوات على جميعهم سواسية ، لأن جميعهم اشتركوا بهذه التسمية ، وسائلوهم أن يباركوا

٦٦ـ حزقيال ١٠ •
٦٧ـ مزمور ١٠٣ : ٢١ •
٦٨ـ حزقيال ١٠ : ٢ ـ ٨ •
٦٩ـ زكريا ١ : ٨ •
٧٠ـ زكريا ٢ : ٢ •
٧١ـ دانيال ٣ : ٥٢ ـ ٥٨ •

الرب صحبة الخليقة كلها • فجميع الملائكة مرسلون ، وهم يرسلون الى الذين سيرثون الحياة كما كتب(٧٢) • وجميعهم جند جيش الملك خالقهم• والكتاب الالهي يسمي ملاكاً ، ذاك الذي نزل الى الأتون عند الفتيان ، وزجر عنهم السلهبة ، ولئن ذهب كثيرون من المفسرين الى أنه ملاك المشورة العظمى(٧٣) ، وربما هذا هو السبب الذي جعل الروح القدس أن يشبهه بلسان نبوخذ نصر، بابن الله(٧٤) • وكذلك الملاك القديس الذي قال عنه الكتاب المقدس ، بأنه نزل من السماء وهتف بقوة قائلاً : « اقطعوا الشجرة »(٧٥) فانه كان يتحدث عن نبوخذ نصر الملك ، بصفته أحد القوات السماوية • وكذلك ، الذي تحدث عنه دانيال لداريوس الملك(٧٦) : « ان الهي أرسل ملاكه وأغلق فم الأسود فلم تهلكني » • والرجل الذي جاء الى دانيال مأموراً مرات عديدة وفسر له الرؤيا كما أمر به(٧٧) ، وميخائيل الذي وُصف بأنه رئيس الأمة العبرية(٧٨) • والقديس الذي سمعه دانيال يتكلم(٧٩) ، والرجل اللابس كتاناً وحقواه متمنطقان بالمجد والكرامة ، وهو يقاتل ملك الفرس ووجهه كمنظر البرق وعيناه كمصباحي نار ، وذراعاه ورجلاه كعين النحاس المصقول ، وصوت كلامه كصوت جمهور ، وأخبر دانيال عن مملكة اليونان(٨٠) • وذاك الذي أمسك حبقوق بشعر رأسه وجاء به الى بابل عند دانيال(٨١) • هؤلاء جميعاً كانوا رؤساء ملائكة وملائكة خدام وصانعي ارادة الله خالقهم وقائدهم ، الذي قال عنه دانيال : « وضعت عروش وجلس القديم الأيام ، لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي ، عرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة ، نهر نار جرى وخرج من قدامه ، ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه »(٨٢) هؤلاء جميعاً هم مأمورو الله خالق الكل • وقد سماهم الكتاب المقدس ملائكة ، وان ألوف الألوف وربوات الربوات الذين رآها دانيال ، لا يحدد عددهم ، بل بالاحرى تشير الى عدم ادراك أو احصاء أعدادهم الهائلة والفائقة لكل عدد ••

هذه الخصائص والمؤشرات عن القوات الروحية والسماوية ،

٧٢ـ عبرانيون ١ : ١٤ •
٧٣ـ أشعيا ٩ : ٦ •
٧٤ـ دانيال ٣ : ٩٢ •
٧٥ـ دانيال ٤ : ١١ •
٧٦ـ دانيال ٦ : ٢٢ •
٧٧ـ دانيال ٦ : ١٦ •
٧٨ـ دانيال ١٢ : ١ •
٧٩ـ دانيال ١٢ : ٧ •
٨٠ـ دانيال ١١ : ٢ •
٨٢ـ دانيال ٧ : ٩ ـ ١٠ •

أودعها أسفار العهد القديم ، الروح موحي الناموس والأنبياء ، الذي يعصمهم دائماً ويعمل فيهم ويقودهم ، الروح الذي يدعى روح الله ، وهو صانع وخالق مع الأب ، ومساوٍ له وللابن في الأزلية والسرمدية ، أما أولئك فيدعوك الى أرواح الله بصفة موفدين وأرواح خادمة ...

□ في رسائل بولس :

وبنفس هذه الصفة يذكرهم في العهد الجديد ، الروح قائدهم ومرشدهم ، ليس فقط على لسان الرسل والمبشرين ، بل وعلى لسان كلمة الله العظيم يسوع المسيح خالقهم مع الأب والروح القدس ويقول عنهم الرسول الالهي بولس في رسالته الى أهل رومية هكذا : « فأنا متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ، ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا »(٨٣) ... وفي الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس يقول الرسول : « فاني أرى أن الله أبرزنا نحن الرسل آخِرين كأننا محكوم علينا بالموت ، لأننا صرنا منظراً للعالم وللملائكة والناس »(٨٤) . وفي نفس الرسالة ومن خلال حديثه عن السلطان الذي أعطاه الله للمؤمنين يقول هكذا : « ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة فبالاولى أمور هذه الحياة . فان كان لكم محاكم في أمور هذه الحياة .. ألا تعلمون أنّا ندين ملوكاً »(٨٥) . فالملائكة الذين ندينهم هم الشياطين المارِدين الذين سقطوا من الرتبة الملائكية . ويقول ايضاً في نفس الرسالة وهو يضع تشريعاً لتغطية النساء رؤوسهن « لهذا ينبغي للمرأة أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة »(٨٦) . وبنفس التصور يقول ، وهو يكتب الى أهل كورنثوس عن المحبة : « ان كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لي محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن »(٨٧) . وفي رسالته الثانية اليهم يقول : « ولا عجب فان الشيطان نفسه يغير شكله الى شبه ملاك نور . فليس عظيماً ان كان خدامه أيضاً يغيرون شكلهم كخدام للبر الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم »(٨٨) . فانه يدعو الذين يعلمون الايمان المسيحي المستقيم ، خدام البر . أما خدام ابليس فهم الهراطقة الذين يعملون ضد الايمان . وفي رسالته الى أهل غلاطية يقول:

٨٣- رومية ٨ : ٣٨ - ٣٩ .
٨٤- كورنثوس ٤ : ٩ .
٨٥- ١ كورنثوس ٦ : ٢ - ٣ .
٨٦- ١ كورنثوس ١١ : ١٠ .
٨٧- ١ كورنثوس ١٣ : ١ .
٨٨- ٢ كورنثوس ١١ : ١٤ - ١٥ .

« ولكن ان بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم به فليكن أناثيما »(٨٩) · ويقول لهم أيضاً : « لقد أعطي الناموس مرتباً بملائكة في يد وسيط »(٩٠) · فانه يدعو المسيح « الوسيط » الذي أعطى الناموس بواسطة الملائكة حيث صار بتأنسه وسيطاً بين الله والانسان ، وفي رسالته الى أهل افسس يقول عن المسيح : « وأجلسه عن يمينه في السماء فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى »(٩١) · فانه ، كما هو معروف ، فوق العروش والكروبيم والسرافيم ، هؤلاء الذين يعرفون بالخدام المتقدمين والأكثر سمواً · وفي رسالته الى أهل كولوسي يكتب أيضاً عن المسيح فيقول : « الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا · الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة ، فانه فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ، ما يرى وما لا يرى ، سواء كان عروشاً أم سادات أم رياسات أم سلاطين ، الكل به وله قد خلق »(٩٢) · وفي نفس الرسالة وفي حديثه أيضاً عن المسيح يأتي على ذكر الخدام فيقول : « الذي به أنتم أيضاً تنالون الكمال لانه رئيس جميع الرياسات والسلاطين » · ويواصل الكلام عن المسيح في الرسالة نفسها ويقول : « اذ محا الصك الذي علينا في الفرائض ، الذي كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً اياه بالصليب »(٩٣) ، ويضيف قائلاً : « إذ جرد الرياسات والسلاطين ، آشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه »(٩٤) ، فهنا يدعو الأبالسة الماردين خدام الشيطان الذين سقطوا من الرتبة الملائكية : رياسات وسلاطين ·

وكتب في رسالته الى أهل تسالونيكي : « لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء »(٩٥) · وفي رسالته الى طيموثاوس يكتب : « وبالاجماع عظيم هو سر التقوى ، الله ظهر في الجسد ، تبرر في الروح تراءى لملائكة كرز به بين الأمم وأُومن به في العالم رفع في المجد »(٩٦) · ويكرر ذكرهم كثيراً في رسالته الى العبرانيين ، ويقول في خلال حديثه عن المسيح : « صار أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم ، لأنه لمن من الملائكة قال قط أنت ابني أنا اليوم ولدتك »(٩٧) · وأيضاً : « متى أدخل البكر الى العالم يقول ،

٨٩ـ غلاطية ١ : ٨ ·
٩٠ـ غلاطية ٣ : ١٩ ·
٩١ـ أفسس ١ : ٢١ ·
٩٢ـ كولوسي ١ : ١٤ ـ ١٧ ·
٩٣ـ كولوسي ٢ : ١٠ ·
٩٤ـ كولوسي ٢ : ١٣ ـ ١٤ ·
٩٥ـ ١ تسالونيكي ٤ : ١٦ ·
٩٦ـ ١ تيموثاوس ٣ : ١٦ ·
٩٧ـ عبرانيين ١ : ٤ ـ ٥ ·

لتسجد له كل ملائكة الله • وعن الملائكة يقول : « الصانع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار »(٩٨) • وقال في الرسالة نفسها وهو يتكلم عن المسيح: « انه لم ياخذ قط من الملائكة لكن آخذ من نسل ابراهيم »(٩٩) ، وقد عنى بهذا ، ان ليس للملائكة خطيئة ولا جسم أو جسد لكيما يحررهم من الخطيئة أو ياخذ منهم جسداً • ولكن الخطيئة كانت لآدم والذين منه ، وكانت بحاجة الى معالجة • ومن آجل هذا اخذ من نسل ابراهيم نفساً وجسداً لكيما يشفي خطيئة النفس والجسد ، بجسد ذي نفس الذي آخذ • فانه خلص الانسان بكامله واقامه من السقطة • ويقول في الرسالة نفسها موجهاً كلامه الى المؤمنين : « قد أتيتم الى جبل صهيون والى مدينة الله الحي أورشليم السماوية ، والى ربوات هم محفل ملائكة، وكنيسة آبكار مكتوبين في السموات »(١٠٠) • هذا ما قاله وكتبه بولس عن الملائكة •

□ وفي أعمال الرسل :

وجاء عنهم في سفر أعمال الرسل : « ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم ، وفيما كانوا يشخصون الى السماء وهو منطلق اذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض وقالا : آيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون الى السماء • ان يسوع هذا الذي ارتفع عنكم الى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً الى السماء »(١٠١) • وضمن حديثه عن الرسل الذين كانوا في السجن ، يقول لوقا الانجيلي : « ولكن ملاك الرب في الليل فتح آبواب السجن وأخرجهم قائلاً : اذهبوا قفوا وكلموا الشعب في الهيكل بجميع كلام هذه الحياة »(١٠٢) • وفي حديثه عن الشماس الشهيد اسطيفانس يقول : « ان اليهود الذين كانوا ينظرون اليه رأوا وجهه كأنه وجه ملاك »(١٠٣) • فقال عنه وهو يوجه كلامه الى اليهود : « لقد اقتبلتم الناموس بواسطة الملائكة ، غير أنكم لم تحفظوه(١٠٤) • وفي حديثه عن الشماس المبشر فيلبس يقول : « ثم ان ملاك الرب كلم فيلبس قائلاً : قم واذهب نحو الجنوب على الطريق المنحدرة من أورشليم الى غزة التي هي برية • فقام وذهب »(١٠٥) •

٩٨ـ عبرانيين ١ : ٦ ـ ٧ •
٩٩ـ عبرانيون ١١ : ١٦ •
١٠٠ـ عبرانيون ١٢ : ٢٢ ـ ٢٣ •
١٠١ـ أعمال ١ : ٩ ـ ١١ •
١٠٢ـ أعمال ٥ : ١٩ ـ ٢٠ •
١٠٣ـ أعمال ٦ : ١٥ •
١٠٤ـ أعمال ٧ : ٥٣ •
١٠٥ـ أعمال ٨ : ٢٦ •

وفي حديثه عن كرنيليوس قائد مئة يقول : « ان هذا رأى ظاهراً في رؤيا نحو الساعة التاسعة من النهار ، ملاكاً من الله داخلاً اليه وقائلاً له : يا كورنيليوس • فلما شخص اليه ودخله الخوف ، قال ماذا يا سيد • قال له صلواتك وصدقاتك قد صعدت تذكاراً أمام الله ، والآن أرسل الى يافا رجالاً واستدع سمعان الملقب بطرس »(١٠٦) ، واستطرد قائلاً : فلما انطلق الملاك الذي كان يكلم كرنيليوس ، نادى اثنين من خدامه وعسكرياً تقياً من الذين كانوا يلازمونه وأخبرهم بكل شيء ، فأرسلهم الى يافا الى سمعان بطرس ، وقد قال له الروح : قم اذهب معهم الى بيت كرنيليوس• ولما سأله بطرس عن سبب استدعائه ، أجاب كرنيليوس: « كنت أصلي في بيتي واذا رجل قد وقف أمامي بلباس لامع وقال : يا كرنيليوس سمعت صلاتك وذكرت صدقاتك أمام الله ، فأرسل الى يافا واستدع سمعان الملقب بطرس »(١٠٧) ، ويقول سمعان وهو يقص على التلاميذ في أورشليم ما صنعه الله بواسطته في بيت كرنيليوس : « فقد أخبرني أنه رأى ملاكاً في بيته »(١٠٨) • هذه الأحداث كلها التي أوردها الكتاب ، أشار بها الى الملاك الذي ظهر لكرنيليوس •

ولما كان في السجن ، يقول عنه الكتاب المقدس : « كان بطرس نائماً بين عسكريين مربوطاً بسلسلتين ، وكان قدام الباب حراس يحرسون السجن واذا ملاك الرب أقبل ونور أضاء في البيت فضرب جنب بطرس وأيقظه قائلاً : قم عاجلاً فسقطت السلسلتان من يديه ، وقال له الملاك تمنطق والبس نعليك » •• وكان يجهل أن ما جرى بواسطة الملاك كان حقيقة • وظن أنه يرى رؤيا •• فخرجا وتقدما زقاقاً واحداً وللوقت فارقه الملاك ، ثم قال سمعان : « الآن علمت يقيناً أن الرب أرسل ملاكه وأنقذني من يد هيرودس الملك »(١٠٩) • بهذه الكلمات يشير الكتاب الى عظمة اقتدار الملائكة لدى تكليف الله أياهم لمساعدة المؤمنين •

ويذكر الانجيلي كذلك في سفر أعمال الرسل ، الشياطين الماردين وأعداء الله والانسان ، أولئك المساوين بالطبع للملائكة القديسين ، الذين تمردوا فسقطوا من الرتبة الملائكية • فيروي عن بولس ، أن الشياطين كانوا يخرجون من الناس بأمره ، « فشرع قوم من اليهود الطوافين المعزمين أن يسموا على الذين بهم الأرواح الشريرة باسم

١٠٦- أعمال ١٠ : ٣ - ٤ و ٧ - ٩ •

١٠٧- أعمال ١٠ : ٣٠ - ٣٢ •

١٠٨- أعمال ١١ : ١٣ •

١٠٩- أعمال ١٢ : ٦ - ٨ •

الرب يسوع قائلين : نقسم عليك بيسوع الذي يكرز به بولس »(١١٠) ·
وقال عن بولس وهو يمثل امام قائد مئة في أورشليم متهما من قبل اليهود، وقد علم أن الاتهام صدر عن الصدوقيين والفريسيين ، « ولما علم بولس أن قسما منهم صدوقيون وآخرون فريسيون صرخ في المجمع : ايها الرجال الاخوة أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم · ولما قال هذا حدثت منازعة بين الفريسيين والصدوقيين وانشقت الجماعة ، لأن الصدوقيين يقولون انه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح · وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك »(١١١) · ويقول الكتاب المقدس عن بولس أيضاً : « واذ كانوا في نوء عظيم ·· قال : وقف بي هذه الليلة ملاك الاله الذي أنا له وأنا أعبده ، قائلاً : لا تخف يا بولس ينبغي لك أن تقف أمام قيصر »(١١٢) · فهذه الأحاديث عن الملائكة ، قد سطرها كلها لوقا الالهي والانجيلي في سفر أعمال الرسل ···

□ وفي الانجيل :

وفي الأناجيل المقدسة أيضاً ورد ذكر الملائكة وأحداث عنهم منها :
« فلما دخل زكريا الى هيكل الرب ، وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا وقت البخور ، فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور · فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف · فقال له الملاك : لا تخف يا زكريا لأن طلبتك(١١٣) ··· فيقول زكريا للملاك : « كيف أعلم هذا · فأنا شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها ؟ فأجاب الملاك وقال له : أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا »(١١٤) · و « في الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من عند الله الى مدينة اسمها ناصرة ، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف ··· فدخل اليها الملاك وقال : سلام لك أيتها الممتلئة نعمة ··· ثم يقول الملاك : لا تخافي ··· فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجلا ؟ فأجاب الملاك وقال لها : الروح القدس يحل عليك ··· فمضى من عندها الملاك »(١١٥) · و « يوسف رجلها اذ كان باراً لم يشأ أن يشهرها ، أراد تخليتها سراً · ولكن فيما هو مفكر في هذه الأمور اذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً : يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك ···

١١٠- أعمال ١٩ : ١٣ ·
١١١- أعمال ٢٣ : ٦ - ٨ ·
١١٢- أعمال ٢٧ : ٢٣ ·
١١٣- لوقا ١ : ٩ - ١٣ ·
١١٤- لوقا ١ : ١٨ - ١٩ ·
١١٥- لوقا ١ : ٢٦ - ٢٨ و ٣٤ - ٣٥ ·

فلمـا استيقظ يوسف مـن النوم فعـل كمـا أمره ملاك الرب »(١١٦) ٠
ويقول أيضا : « وكان في تلك الكورة رعاة يحرسون حراسات الليل على رعيتهم واذ ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم ، وظهر بغتة مـع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين ٠٠٠ »(١١٧) و « لمـا انصرف المجوس ظهر ملاك الرب ليوسف في حلم قائلاً : قم خـذ الصبي وأمه واهرب الى مصر »(١١٨) ٠٠٠ « ولما مات هيرودس اذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر قائلاً : قم وخذ الصبي وأمه واذهب الى أرض اسرائيـل »(١١٩) ٠٠٠

وفي حادثة تجربة ابليس لالهنا ، يقول الانجيل : « ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له : ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى آسـفل ، لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكتـه بك ٠٠٠ » ثم يقول: « وتركه ابليس واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه »متى(١٢٠) ٠

ويرد كثيراً في الأناجيل المقدسة ، ذكر الملائكة القديسين والشياطين الماردين الذين سقطوا من الرتبة الملائكية ٠ مثل لجأون الذين دخلوا أحد الرجال(١٢١) ، وكالذين كانوا في مجنونين وطلبوا أن يسمح لهم بدخول قطيع خنازير(١٢٢)، ويقول السيد المسيح في تفسيره لتلاميذه مثل الزوان « الزارع الزرع الجيـد هو ابن الانسان ، والحقـل هو العـالم والزرع الجيد هو بنو الملكوت ، والزوان هم بنـو الشرير ، والعدو الذي زرعه هو ابليس والحصاد هو انقضاء العـالم ، والحصادون هم الملائكة ٠ فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكون في انقضاء هـذا العالم ، يرسل ابن الانسان ملائكته فيجمعون مـن ملكوته جميـع المعـاثر وفاعلي الاثم ويطرحونهم في أتون النـار ، ويميزون الأشرار عن الصـالحين(١٢٣) ٠ وقال أيضاً : « انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لأني أقول لكم ان ملائكتهم في السموات في كل حـين ينظرون وجـه أبي الذي في السموات » متى(١٢٤) ٠ وفي تأنيبه للصدوقيين قال : « ففي القيامة لا يتزوجون ، بل يكونون مثـل ملائكة السموات »(١٢٥) ٠ ويقول أيضـاً « وينظرون ابن الانسان آتيـاً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير ، فيرسل ملائكته ببوق

١١٦ـ متى ١ : ١٩ ـ ٢٠ ٠
١١٧ـ لوقا ٢ : ٨ ـ ١٣ ٠
١١٨ـ متى ٢ : ١٣ ٠
١١٩ـ متى ٢ : ١٩ ـ ٢٠ ٠
١٢٠ـ متى ٤ : ٥ ـ ٦ و ١١ ٠
١٢١ـ مرقس ٥ : ٩ ٠
١٢٢ـ متى ٨ : ٣١ ٠
١٢٣ـ متى ١٣ : ٣٧ ـ ٤١ و ٤٩ ٠
١٢٤ـ متى ١٨ : ١٠ ٠
١٢٥ـ متى ٢٢ : ٣٠ ٠

عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الاربع الرياح من أقصى السموات الى أقصاها...(١٢٦) و « متى جاء ابن الانسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع معه جميع الشعوب »(١٢٧) . ويقول الانجيلي عن المسيح : « ان ملاكاً ظهر له من السماء وهو يقف الى جانبه ويقويه »(١٢٨) . واذ كان في الصراع كان يصلي بحرارة وقال لسمعان الذي استل السيف : « أتظن انني لا أستطيع الآن ان أطلب الى أبي فيتقدم لي أكثر من اثني عشر جيشا من الملائكة »(١٢٩) . وفي نهاية مثل الخروف الضال ومثل الأرملة التي فقدت أحد دراهمها العشرة ، يضيف فيقول : « هكذا أقول لكم ، يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطىء واحد يتوب »(١٣٠) . ويقول عن لعازر المسكين : « فمات المسكين وحملته الملائكة الى حضن ابراهيم »(١٣١) . وفي سياق حديثه مع نثنائيل قال : « الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الانسان »(١٣٢) . وفي كلامه عن بركة بيت حسدا . يقول الانجيلي : « ان ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركة ويحرك الماء »(١٣٣) . وعندما قال المسيح للآب : أيها الآب مجد اسمك ، فجاء صوت من السماء مجدت وأمجد أيضاً . والجمع الذي كان واقفاً وسمع قال قد حدث رعد ، وآخرون قالوا قد كلمه ملاك(١٣٤) . وقال المسيح لبيلاطس : « لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم الى اليهود(١٣٥) . ويقصد بخدامه هنا ، الملائكة القديسين . كما قيل عنهم انهم خدامه الذين يعملون مشيئته .

وعن النسوة اللواتي آتين الى قبر المسيح ، يقول الانجيليون : ان ملائكة قديسين ظهروا لهن . لبعضهن ظهر اثنان ، وللبعض واحد فقط . وقد تكون الثياب البيضاء التي ظهروا بها اشارة الى استنارة طبعهم(١٣٦) .

بمثل هذه الكلمات المدونة والمسموعة بقدر ما يمكن أن تستوعبها المقدرة البشرية ، بخصوص ذكر القوات الملآئكية الروحية والسماوية الشبيهة بالله ، والتي أودعها الكتب المقدسة : الروح القدس ملهمهم

١٢٦ـ متى ٢٤ : ٣٠ ـ ٣١ .
١٢٧ـ متى ٢٥ : ٣١ ـ ٣٢ .
١٢٨ـ لوقا ٢٢ : ٤٣ .
١٢٩ـ متى ٢٦ : ٥٣ .
١٣٠ـ لوقا ١٥ : ١٠ .
١٣١ـ لوقا ١٦ : ٢٢ .
١٣٢ـ يوحنا ١ : ٥١ .
١٣٣ـ يوحنا ٥ : ٤ .
١٣٤ـ يوحنا ١٢ : ٢٨ ـ ٢٩ .
١٣٥ـ يوحنا ١٨ : ٣٦ .
١٣٦ـانظر متى ٢٨ مرقس ١٦ ، لوقا ٢٤ ، يوحنا٢٥

وقائدهم ومرشدهم. وقد اتضح جلياً من الكتب الالهية ، أنهم مخلوقون . أما بالنسبة الى زمـن خلقهم وفترة أسبقيتهم في الخلق عـن سائر خلائق العالم المنظور ، أو لماذا لم يخلق العالم المحسوس واياهم سوية ؟ ولم فترة زمنية بينهم ؟ ولماذا لم يتحدث موسى عـن خلقتهم ، وهو يتحدث عن خلقة هذا العالم ؟. لقد ظلت هذه الأمور محجوبة عنا دون أن توضح ، وأعتقد أن هذا يصح أيضاً على الملائكة. لأنها خاصة بالله وحده . وما علينا سوى الأخذ بما كتب عنهم(١٣٧) . وقد سبق وقلت ؛ يكفينا أن نفكر ونقول : ان المعلنات لنـا ولبنينا ، أما السرائر فلله الخالق والعـارف بكل شيء ، ولكلمته الصانع وروحه القدوس الخالق والضابط الذي يعرف كل شيء ، ويستقصي كـل شيء حـتى أعمـاق الله ، له المجـد والعـز والسلطان ، الآن وكـل أوان والى أبـد الآبـدين آمـين .

انتهى المقال، في القوات الروحية المعروفة بالخلائق السماوية غير الجسدية .



١٣٧ـ تثنية الاشتراع ٢٩ : ٢٩ .

المقال الثاني

في تكوين السماء والأرض وما فيهما وما معهما

هـذه هي الخليقة الثانية • وهي جسمانية وهيوليـة ، متكونة مـن أربعـة عناصر مختلفة هي : التراب ، والمـاء ، والهـواء ، والنـار •

ان العلة الأولى الخالقة وصانعة الكل والقـادرة على كـل شيء ، تتحرك نحو الخلق لطفاً منها ، وان ما دعا الله ليخلق الكائنات ، هو صلاحه الوافر • وانه تعالى الخالق والصانع أبـداً ، والقوي والقادر على أن يفعل ما يشاء ، والحكيم العليم بما يجب أن يكون • أوقف بحـر نعمته عن الفيضان لما رأى ذلك مناسباً ، وصد قوة اقتداره الخلاق القادر على كل شيء ومنـع ارادته عن الخلق • ولمـا حسن لمشيئته ، ورأت حكمته العارفة بكل شيء أن الخلق صار أمراً ضرورياً ، فيكشف عن بحر صلاحه، أظهر قـوة اقتـداره ، وأعلن معرفة حكمته ، بعـد مرور عصور طـويلة لا يتصورها البشـر • وباعتقادي ، كان له أن يمتنع عـن خلق أي مـن الكائنات ، بعد خلق تلك العقول التي أبدعها العقل الأعظم على صورته ، تلك الأشعة الساطعة الثانوية التي أصدرها النـور الأول ، تلك القوات الروحية والسماوية وغـير الهيولية أو الجسدية ، ذلك الجمـال السني والنموذجي الذي يفوق الكل ، تلك الصور المطابقة لصورة باريها بمقدار ما يسمح به للمخلوقين ، خـدام مشيئة خالقهم النشيطين • وبعد هـذه الخليقة البسيطة والمشابهة لله ، القوية والسريعة ، الفاقاة والروحية ، القريبة الى خالقها والمنتسبة اليه بشكل ما : شاء أن يخلق خليقة أخرى مغايرة له وبعيدة عنه • خليقة محسوسة وكثيفة وجسدية وكثيرة التغيّر، فتحرك نحو خلقها لكونه صالحاً ، وبصفته قوياً وقادراً على كـل شيء • حرك ارادته لتنفيذ العمل ، وكحكيم عارف بكل ما يلزم ويتطلب ، فانه أغنى هـذه الخليقة منـذ اللحظة الأولى ، لتأتي كافية من كل النواحي للذي كان عتيداً أن يخلق من بعدها •

لذلك ، فان الكلمة الخالق ، لكونه صالحاً وقوياً وحكيماً ، والابن الوحيـد لله الآب العقل الأعظم ، خالق وصانع الكل ، الذي هو أيضاً اله

حق ، وابن اله حق ، وحكمة وقوة أبيه ، ويمينه وذراعه القوية ، وشعاع مجده ، والصورة الكاملة لصلاح ابيه : جاء بخليقتنا هذه المحسوسة والجسدية بلحظة ؛ من عدم الوجود الى الوجود ، وفي اطار ما يستوعبه العقل من الكتاب الالهي الموحى به من الروح • أقول بتحفظ ومسترشداً الروح : ان الله الخالق والعلة الأولى ، بكلمته وروحه المساويين له في الأزلية والسرمدية والقوة والارادة والسلطة والعمل ! أبدع هذا العالم المنظور والمحسوس والهيولي بهذه الصورة العظيمة ، وهذا الجمال العجيب البديع ، من سماء وأرض وما يتوسطهما وما فيهما وما معهما •

فقد قال الروح الملهم عن هذه الخليقة ، على لسان موسى(١) : « في البدء خلق الله » او كما ذهب مترجمون آخرون : « في البدء صنع الله السماء والأرض » • ولكن ليس هناك اختلاف في المعنى بين خلق وصنع • ولا يختلف الأمر عما نتداوله نحن البشر ، وكلتا الكلمتين توضحان للسامع والقارىء الذي من أجله قيل ودوّن : ان هذه الخليقة لم تكن موجودة اطلاقاً • بيد أن الله خلقها وصنعها وأوجدها وثبتها، وبلحظة جاء بها بكل ما فيها من منظر وكيان ، كما ترى الآن منظورة ومحسوسة بكل ما فيها من تغيير وتنويع وخصائص متباينة ومدهشة ، التي وجدت فيها وعليها والى جانبها • والكتاب ، لم يقل أكثر من « خلق الله السماء والأرض » ، لأنهما معروفتان وظاهرتان ومنظورتان ويعترف بهما كل واحد • فكل واحد وحتى السذج الذين لا يتقصّون الأمور ، يرون السماء والأرض أكثر من كل الأشياء الأخرى ، ولكن خلقة هذه الأشياء مع السماء والأرض سوية ، أمر ظاهر ومعترف به ولا جدال فيه ، أعني بها التراب والماء والهواء والنار ، العناصر الاربعة التي منها رُكب ويُركب كل ما في العالم من أجساد ، واليها تعود وتنحل •

□ مفهوم الخلق :

أبدع الله هذا العالم وما فيه من جمال مدهش يفوق الوصف وباشارة من ارادته ، وبلمح من قوته الهائلة ، فوراً ، وبلحظة زمن واحدة غير متجزئة وخاطفة •

هذا ما أستطيع أن أعبر عنه بكلمات بشرية ، معترفاً بعدم وجود أية كلمة أو لفظة تعطي المعنى الملائم لكلمة صنع وخلق • فالله ، باعتباره

---

١ ـ تكوين ١ : ١ •

خالقاً قوياً وصانعاً ماهراً ، أبدع مادة جسمانية ، كافية لجميع متطلبات أعماله الكثيرة والعجيبة ، ومختلف الطبائع الجسدية ، وتباين الأصناف التي لا يشبه بعضها البعض والتي لا يحصى عددها · وكلها مهمة وضرورية ومفيدة ، ويشهد لها الخالق بأنها حسنة ·

□ أصل العناصر الأربعة :

ولكي ينظر الانسان ويدرك أنها قد خلقت وأعدت له ، وجدت أربعة عناصر رئيسية وقوية وعامة · هي: التراب والماء والهواء والنار ، منها يتركب هذا العالم وكل ما يرى فيه ويُحس به ، أي كل الأجسام المنظورة التي تقع تحت الحس · ويجب أن نفهم ، أن هذه المادة ذات المتغيرات الأربعة ، أي العناصر الأربعة التي خلقها الله بلحظة ، كانت مختلطة وغير متميزة ، وان عناصرها أيضاً كانت غير متميزة ، فكان الماء مختلطاً مع التراب دون تمييز ، ككتلة من الطين معجونة ومجبولة ومغربلة ومتمازجة من التراب والماء، ومعهما الهواء والنار · ومثل قلاع مستدير مركب ومختلط من الحصى الرملي والتراب والماء والتبن · هذا هو التصور الذي يتخيله العقل الفاحص · وكانت العناصر الأربعة مع بعضها البعض ، كرة واحدة مستديرة وكثيفة ومتلاحمة · ولم تكن المياه نقية وخالية من التراب بحيث يمكن أن يخترقها شعاع ما ساطع ، أو يسمح للنظر أن يخترقها كما هي عليه الآن في صفائها · ولم يكن للتراب قوام تام وثابت بحيث يلمس بكثافته وحقيقته · وبنفس الصورة ، لم يكن الهواء نقياً وخالياً من الماء ، كما لم يخل الماء منه ومن النار ، ولم يخل أيضاً الهواء من النار ، ولا النار من الهواء كلياً : غير أنها كانت مختلطة ومغربلة مع بعضها البعض ، مثل سبيكة خليط من فضة ونحاس ورصاص · يصنعها الطماعون الجشعون والغشاشون الذين يغشون الفضة والذهب · وحينما يحاول الصيّاغ تصفيته من ذلك النحاس الممزوج به غشاً ، لا يسعهم الا أن يمزجوا هم أيضاً رصاصاً ويلقوا به في نار شديدة الحرارة · وبهذه الطريقة وحدها يستطيعون تنقيته · وهذا ما ينبغي أن نتصوره قبل كل شيء بالنسبة الى عناصر المادة الاربعة المخلوقة حديثاً ، فقد كانت ممزوجة ولكن لكل منها خصائصه التي خصه بها الخالق ، تقوده قسراً الى المكان الذي خصصه له الخالق من الخليقة الأولى ، وهذا ما جعله أن يكون متميزاً عن الأخرى ·

☐ تشبيه :

واليك تشبيهاً نسبياً بحدود ما يستطيعه الكلام ، ومثالاً يشير رمزياً الى ما نحن بصدده ، اذ لا يمكن تقديم تشبيه مطابق له تماماً · ولكن من الضروري ان نبرهن على هذا بالمقارنة ما آمكن ذلك ، ليهتدي السامع والقارىء الى فهم آعمق ··· فلكي يبرهن الانسان على هذا ، عليه أن يأخذ إناء من الزجاج النقي مستديراً وكروياً ، ويلقي فيه سوية وبنفس المقدار ، زيجا وعسلاً نقياً وماء وزيتاً ، فيشاهدها بكل يسر ووضوح ، تتفاعل كل بحسب خاصية طبعه ، حتى يستقر في المكان المناسب له · حيث يترسب الزيج وفوقه العسل ، والماء فوق العسل ، والزيت فرق جميعها · واذا شاء الذي يحمل الاناء أن يقلب عاليه سافله ، بقصد تغيير أمكنتها ، فانه يلاحظ على الفور تفاعلها الطبيعي والقسري والذي لا مداهنة فيه اطلاقاً حتى يأخذ كل مكانه كالسابق فيطوف الزيت فوق جميعها ويليه الماء ويأتي العسل في الوسط ، والزيج أسفل الكل · وان شئت فخذ كذلك إناء زجاجياً واملأه بالماء وأغلق فوهته ، فسوف تلاحظ للحال تفاعل الهواء داخل الماء ، حيث يجزئه آجزاء كثيرة ويتصاعد في داخله كنخيوط رفيعة حتى يرتفع فوقه نهائياً ، ويتحرر من الاشتراك معه · والآن أفرغ الاناء الى النصف ، وألق فيه قليلاً من التراب الناعم ، وخضه بالماء حتى يختلطا تماماً ويفقد كل منهما شكله الطبيعي ، واذا تركتهما مدة ساعة واحدة ، ترى كيف آنها تنفصل هي بذاتها عن هذه الخلطة ، ويأخذ كل منها مكانه الطبيعي · فيستقر التراب في الأسفل ، وفوقه الماء ، في حين أن الهواء يرتفع فوق كليهما · وهذا هو شأنها حيثما وجدت وأمتزجت سواء في الينابيع أو المستنقعات أو الأنهار أو الجداول الصغيرة ، حيث يرسب التراب في الاسفل ، وفوقه الماء ، والهواء فوق كليهما · واذا أردت أن تشاهد النار تتفاعل لتستقر في المكان المخصص لها ، ولئن كان هذا غير ممكن في مثل هذا ، لكنك تستطيع مشاهدتها وهي تقوم بتفاعلها الطبيعي لتنفصل عن شركة الثلاثة الأخرى، وتنتحي المكان الذي خصصه الخالق لها · بالتوهجات والأبخرة المتصاعدة من القدور والمراجل المستعرة ، والأبخرة الرطبة المتصاعدة من الأرض والتي تسخن بالشمس ، وبالروائح والأدخنة المتصاعدة من الحرائق ، بكامل منظرها وهي تتصاعد من اللهب والمواقد والكوانين ، فتمزق الهواء وتخترقه بالسنتها النارية الملتهبة · وان شئت أن ترى هذا بصورة سهلة ، يمكنك أن تلاحظ حركات النار نحو الأعلى ، في إناء الزجاج نفسه الذي

لاحظت فيه حركة التراب والماء والهواء ، حيث تصب فيه ماء ساخنا بدلاً من الماء البارد ، فتشاهد وهجها يتصاعد فوراً الى الأعلى فوق الهواء الذي في داخل ذلك الاناء ·

☐ خصائص العناصر :

فبهذه البراهين والتشابيه تدرك ، ولو يسيراً ، أن الله خلق طبيعة خاصة لكل من هذه العناصر الأربعة ، تجعله ينحرف الى المكان المخصص له من الخالق ، بموجب الخصائص التي أعطيت له · فمن خصائص التراب ، الجمود والكثافة الداكنة ، وما أعطي من صلابة ونقل وبرودة، واليبوسة الشبيهة بالتي للنار التي خلقت لتكون داخل ووسط وأسفل الكل وتحيطها المياه من الأعلى ومن الخارج ومن الجهات الست · ولتشبه بصورة ما ‹‹ ›› (٢) أي النقطة الصغيرة البيضاء التي تشاهد في وسط صفار البيض الذهبي ، فمثلما يحيط الصفار بتلك النقطة من جميع الجهات ، هكذا تحيط المياه الأرض من جهاتها الست ، بسبب وزنها وبرودتها وكثافتها النسبية · ويحيط بالماء من الخارج ومن فوق ومن سائر الجهات أو الجوانب : الهواء الأكثر رقة ونقاء وسرعة وصفاء ولطافة ، المجرد من كل خاصية اللون : مثلما يحيط البياض الأصيل والجميل بصفار البيضة · وقد خلق الله خارج هذا وفوقه ، ما هو بمثابة قشرة البيضة الرقيقة واليابسة والصلبة التي تحيط بالبيضة ، ألا وهو النار الساخنة والمضيئة والمنيرة والسريعة والأكثر مرونة من الكل ، وذات يبوسة كالتراب ، لتحيط من الخارج والداخل بالعناصر الثلاثة الأخرى التي ذكرناها · الهواء والماء والتراب ، لكي توضع هذه العناصر الأربعة مع بعضها البعض ، من الداخل والخارج ، بشكل كروي مستدير، فالتراب في الماء وتحته ، والماء في الهواء وتحته ، والهواء في النار وتحتها · هكذا كونت وخلقت هذه العناصر من قبل الله صانعها ، متحركة ضمن بعضها البعض · وكل يتحرك نحو المكان المخصص له · فالتراب يتحرك بالماء نحو الداخل والأسفل ، والماء يتحرك بالتراب من فوق ومن الخارج، والهواء يتحرك في الماء من فوق ومن الخارج ، والهواء يتحرك في النار من تحت ومن الداخل · وهكذا ··· فاما أن تنجذب نحو الأسفل ، تلك التي خلقت لتكون في الأسفل ، أو أن تقفز نحو الخارج ، تلك التي خلقت لتكون أعلى من التي تحتها ·

---

٢ ـ كلمة يونانية

□ مقارنة بين الخليقتين الأولى والثانية :

هذه هي الخليقة الثانية التي أبدعها الخالق ، وهي ، نظراً لما فيها من تغيرات عديدة، بعكس تلك غير المنظورة والعاقلة، خليقة القبول المنيرة والمضيئة والروحية والسماوية والشبيهة بالله ، فتلك غير محسوسة ولا جسمانية • أما هذه فمحسوسة وجسمانية ، تلك لطيفة ورقيقة وتدرك بالعقل فقط ، أما هذه فكثيفة وثقيلة وهي ترى بالعين المجردة أو بأية حاسة أخرى • تلك غير متغيرة وثابتة ومستمرة بلا فساد ، أما هذه فقابلة دائماً للتغيير والتحوير والفساد • تلك ابتدأت ولن تنتهي ، أما هذه فابتدأت وسوف تنتهي ، أو بحسب تعبير الكلمات المقدسة السرية : يطالها تغيير كبير ثابت لا يطرأ عليه تعديل(٣) • ويشهد الكتاب على أن تلك خلقت في بدء التكوين • أما هذه فلم يذكر حتى متى أبدعها خالقها • تلك بسيطة وذات عقل فريد • أما هذه فمنقسمة أربعة أقسام منذ بدايتها ، وتزدحم فيها الأضداد • وهكذا تبدو هذه الخليقة الثانية ، غريبة ومتباينة في مزاياها • بعكس تلك الأولى ، فهي وحدة بعنصر واحد •

□ (عنصر التراب) :

وسوف أبدأ الكلام بالعنصر الأقرب الينا ، الذي نطأه ونقف ونسير عليه ، أعني به الأرض أي التراب ، وبتعبير آخر ، المدر هذا القلاع الذي نجلس ونتدحرج عليه ، فهو العنصر الأول للمادة التي خلقها الله في الخليقة الثانية المتغيرة • وهذا العنصر هو جسم جامد وكثيف ، صلد وصلب ، فيه ألوان متنوعة وأشكال متباينة وروائح ومذاقات من كل نوع • وهل أصل العقل والبرودة ، وسبب الكوارث وصانع المهالك ، ومصدر الظلام الدامس البغيض المقيت • وبسبب هذا دعاه المانويون(٤) الهاً أزلياً شريراً : هؤلاء الذين لا اله لهم ، وهم أشرار وأولاد الشرير ، كما أن آباءهم المرقيانيين(٥) وأجدادهم الأوائل هم الآخرون دعوه كذلك • ويقول فالنتينينس(٦) أنه في حرب مستمرة مع الشمس الاله الصالح وواهب الحرارة • وكان بودي أن أبين حقيقة الشر بكلمات قليلة وموجزة ، اذ ليس بمقدوري الاسهاب في الأمر • الا ان الوقت ليس وقت جدال ، ولا الموضوع هو موضوع البحث هنا.

---

٣ ـ رو ٨ : ٢١ •

٤ ـ ماني ٢١٥ ـ ٢٧٦ م مؤسس المانوية يقول بمبدأي الخير والشر والنور والظلام •

٥ ـ مرقيان ت ١٥٥ م مبتدع له « كتاب المتناقضات » •

٦ ـ [illegible]

ان الأرض هي مصدر جميع العطور والأبخرة التي تعطي روائح يستنشقها الأحياء .. فاما أن تكون عطرة أو كريهة . وهي أصل مختلف المذاقات التي تتذوقها الأفواه والمرىء فاحصة الخصائص . وفيها أنواع مختلفة مما يحتاجه الناس في استعمالاتهم . كالحديد والنحاس والتصدير والرصاص والزجاج والفضة والذهب والالكترون والجواهر والأحجار الكريمة والثمينة ، والعقيق والبلور ، والياقوت والفيروز واليشب

[illegible] أي الجمرة ، والسمانجوني ،

[illegible] وحجر [illegible]

والكرستال وحجر الماس والحجر الأصم. [illegible]

والمغناطيس، وغيرها من مواد الحجر والكحل والزرنيخ [illegible] والعفص والمغرة

والتوتيا والزاج ، [illegible] مع مواد أخرى متنوعة ، وبرادة الحديد ،

والزيوت التي تنساب من خصوبة هذه ، المعدة وهي ضرورية لمهنة الطب وسواها من المهن ، ومستلزمات الانسان ، مثل الحناء والقير والكبريت والنفط وكثير غيرها موجودة في هذا الجسم كما يروي خبراء المعادن . وبواطن الأرض (الجيولوجيون) والذين يشقون الترع والقنوات. فما يتصاعد من الأرض ، ليس فقط الأبخرة والعطور الذكية والطيبة والمفيدة ، انما تتصاعد أيضاً أبخرة كريهة لا تحتمل ومهلكة للبشر ، حتى ان وهج النار وألسنتها التي في داخل الأرض ، لا تستطيع الدنو منها كما يقال . كما يوجد فيها كذلك مختلف الأشياء ، ليس فقط ما هو ضروري

ومفيد كما يقول الأطباء مثل المغرة والرواسنج أي [illegible]

والكثير غيرها ، بل توجد أيضاً روائح كريهة وقاتلة أخرى ومنها سم الموت مثل الزرنيخ والقطران وصدأ النحاس ، وكثير غيرها لا حاجة لذكرها . ومن هذه الأشياء يصنع بعض الأشرار الأثمة الذين لا اله لهم ، أدوية قاتلة ومهلكة ويعطونها لاخوتهم ..

ويوجد كذلك في تراب الأرض أشياء أخرى وخصائص غير التي ذكرت. تختلف في اللون والرائحة والطعم واللمس ، مثال ذلك الأشياء التافهة والكلسية والمرة والمالحة وكثير غيرها لا نعرف أسماءها . واذا قربت منها

الماء ، نتج ما يسمى [illegible] ، وملح حلو وملح مر ومواد أخرى

كثيرة . وبتأثير هذه يكتسب الماء مزايا مختلفة ، فيختلف طعم الماء باختلاف

طعم المكان ، لأن كلاً من هـذه الأشياء ذو طبيعة خاصة • نها طعم خاص ومادة خاصة ولون خاص • فالماء اذن يختلف بالطعم والنوعيـة وأحيانا في اللون • فمياه الأرض المفحمة هي غير ميـاه الجبـال أو السهول ، وهـذه بدورها غير مياه الصخور والصحارى • ويختلف التراب أيضاً في قوة انمائه وتغذيته ، ففي بعض الأمكنة ينمي ويأتي بثمر كثير ، وفي غيرهـا لا ينمـي ولا يثمر • كذلك الأمـر بالنسبة الى الأحجـار الموجودة في التربـة • فهي الأخرى مختلفة الأنواع والألوان والروائـح والملمس والمنظر ، فيقـال ان هناك حجر الماس الذي لا ينكسر ، وحجر الصوان والرخام ، وحجر الرحى . والمرمر ، وحجارة بيضاء وحمراء وسوداء وخمرية ، ولينة وقاسية ، وتلك المستعملة للتبييض ، وشفافة ولماعة ، ومنها ما لا يصلح لشيء أبداً • ومواد أخرى كثيرة ليس بمقدور العقل البشري حصرها أو حصر أنواعها •

وما أكثر الاختلافات في تكوين الأرض وطبيعتها • فهناك جبال وعرة يصعب تسلقهـا ، في الوقت الذي تمزقهـا كهوف وشقوق غائـرة يصعب اجتيازها ، ووديان واسعة وأفجاج • وهضاب وروابٍ ووهاد• تسود قسماً منها بقاع وصحارى شاسعة وصعبة الاجتياز • وقسم آخر صالح ، تنبـع فيه جداول المياه ، وتشـكل مصدراً للينابيـع والعيون والأنهـار . وتنمي الأشجار والغابات والمروج ، وقسم منها قحل وجاف لا يصلح لانماء أي شيء • قسم آهل ويصلح لسكنى الأحياء • وقسم آخر لا يصلح للسكنى مطلقاً لعدم اعتدال مناخه وصعوبة تحمله من قبل الناس والحيوانات على حد سـواء ، اما بسبب البرودة الشديدة أو نظراً لحرارة الشمس المحرقة • وبالاضافـة الى كل ما ذكر ، هناك أخاديـد طويلة وعميقـة ، وشقوق ووهاد مرعبـة وعميقة الأغوار ، سواء تحت الجبال أم تحت البقاع والصحارى • لأن هذا العنصر وحده دون (العناصر) الأخـرى ، له طبيعة ملائمـة لتكوين هـذه الأشياء ، نظراً الى كثافته وصلابته • والأغـوار التي فيها ليست فارغـة بل ملأى دائماً نظراً الى طبيعة المياه التي تحيط بالأرض وتكوّن الينابيع عندما تندفع نحو الأعلى في أمكنة عديدة • ويحدث أحياناً مثل هذا من اتحاد الهواء الخفيف اللين وطبيعة النار المحرقة مع الماء ، أو من الماء والنار ، أو الهواء والنار سوية ، لذا توجـد شقوق وأخاديـد مملوءة بماء شـديد الحرارة لقربها من عنصر النار ، وحينما يندفع الهواء أو الماء نحو الأعلى فوق سطح الأرض ، يكوّن ما يشبه الأخاديد المملوءة ماء ، وسواء اذا كان الهواء مصدر تلك الينابيـع أو المـاء ، فهي صالحة لعـلاج أجسام البشـر والحيوانات ، وبخاصة علاج الأمراض الناجمة عن البرد ، وذلك في حـالة

استحمام المرضى في ينابيع من هذه المياه الساخنة ، أو تعرضهم باستمرار للحرارة المتصاعدة منها ٠

وفي أماكن كثيرة تندفع النار وترتفع فوق سطح الأرض ، وتشاهد بوضوح في الجو وعن بعد كبير ولا سيما في الليالي ٠ كما هو موجود في جبال فريجينا وكريت وخاصة جبال صقيلية ٠ ولما كان هناك أخاديد في الأرض مملوءة ماء كما ذكرنا ، فلا بد من أن يبرز أمامنا سؤال ملح هو : ما مصدر تغذية العناصر التي تحتويها هذه الأخاديد ؟ أي الماء والهواء والنار ٠ حتى انها تستمر مليئة دون أن تنضب ، في حين ان الينابيع تتدفق بصورة دائمة بما في داخلها منذ تكوين الأرض وحتى الآن دون أن تتوقف أو تنضب ؟ ٠ نقول عن الأخاديد المملوءة ماء وهواء ــ املا أن يؤخذ الرأي بعين الاعتبار ــ ان أخاديد الماء تتغذى تدريجياً من ماء البحار التي تحيط بالأرض ، حيث تتدفق من أماكن في البحار الأكثر ارتفاعاً بالنسبة الى مدار الأرض ٠ صوب تلك الأخاديد فلا ينقص ماؤها ٠ أما بالنسبة الى الأخاديد المملوءة هواء ، فان هذا الهواء يأتيها من أماكن بعيدة عن طريق مداخل فيملؤها تدريجياً من الهواء الذي على سطح الأرض ، أما الأخاديد التي تملؤها النار ، فاذا كان لا يوجد عنصر النار على سطح الأرض كما هو الحال بالنسبة الى الماء والهواء : فان المرء يقع في حيرة وهو يتقصّى مصدر النار التي تغذي هذه الأخاديد تدريجياً ٠ لم تفرغ ولم تنقص فان النار التي فيها ٠ وبالعكس فاننا نسمع حكايات من بعضهم حول نار تندفع وترتفع رغم مرور الزمن من هواوين في جزيرة صقيلية وتنتشر فوق سطح الأرض فتحرق وتبيد مناطق كثيرة ٠ واذ ليس هناك شيء أكيد عن مصدرها ، نقول مع بعض الشك ، ربما تتأتى من بلاد الحبشة الحارة حيث يتساوى الليل والنهار ، لكونها معرضة دائماً لأشعة الشمس وتحدث فيها الحرائق من جراء شدة حرارة الهواء الآتية من الشمس ، فتحوله الى شرارة وتحرق حتى الأرض ٠ وهناك أيضاً مداخل تمتلىء بتوهجات محرقة ، وبذلك تبقى محافظة على حرارتها التي تدفع بها الأمام ، مثل مواقع انفجار هذا العنصر الناري في الجهات الشمالية من الأرض وليس الجنوبية ، وتكثر المواقع التي تنفجر منها المياه الحارة في بلاد فلسطين وشمالها ٠ ولم يذكر أحد أن مياهاً حارة أو ناراً تنفجر فوق سطح الأرض ، سواء في البلدان العربية الخصبة ، أو في مصر أو في بلاد الحبشة أو الفرس ، أو موريتانيا أو قيصرية أو ليبيا ، أي القسم الجنوبي من المسكونة ٠ واذا تأملنا الموضوع نستطيع أن نقول : ان مداخل الأخاديد النارية تقع في الجهة الجنوبية ، في حين تقع منافذها في الجهة الشمالية ٠ ونضيف الى ما قلناه ، ما سمعنا من بعضهم عن وجود نبع

ماء حار حارق ، ينبع من مكان ضحل لا يتعدى عمقه القامة في بحر جزيرة كمه هلا · ولما اكتشفه أهل الجزيرة ، عزلوا الماء الحار عن ماء البحر بواسطة أنبوب من رصاص ، وجعلوا له مصباً ليستغل للاستجمام وعلاج أجساد البشر ، ويروي آخرون عن وجود منفذ للهواء الحار في منطقة ما في حمص تسمى عوتار · فعندما تهب رياح من الجنوب ينفجر بقوة عن توهج حارق بحيث لا يستطيع أحد الدنو منه · وهذا برهان على ان منفذ ذلك الهواء الحار هو في الجنوب · وربما يوجد في المنطقة ذاتها ما يغذي أخاديد النار فلا تنقص أو تتوقف أو تكف عن الخروج من منافذها · فمن لا يشك بهذا الكلام فليأخذ به · أما من كان لا يزال الشك يساوره ولم يقتنع بما قيل ، فلتضف هذه الى أمور أخرى كثيرة غير معروفة وغير مدركة ، وتعزى فقط الى معرفة الخالق العليم بكل شيء · ذاك الذي أوجدها ، وحسن له أن تظل هذه الأمور محجوبة وغير مدركة من قبل عقلنا البشري الضعيف · ومن الامور التي لا تزال موضع شك وغير مدركة لدى جميع الناس ، أهمية وجود أخاديد للهواء والنار في باطن الأرض · أما بالنسبة الى أخاديد الماء فالأمر معروف وهو تكوين ينابيع وأنهار لفائدة الناس كما أراد الله أن يكون · والحق يقال ، ان الله لم يخلق أخاديد للهواء والنار عبثا دون أن تكون لها أية فائدة للجنس البشري أو الحيوانات ، لأنه تعالى خلق كل شيء حسناً ، وبحكمة وصلاح ولضرورة ما ، ولم يخلق شيئاً لا جدوى فيه · بهذه القضايا التي ذكرت ودونت هنا وطرحت للتأمل ، لم يبق شيء للحديث عنه ، أو لم يسمع عنه أو يعرفه الكثيرون ·

لا أدري ما أسمي العمل الجبار العجيب ، الذي قد لا يصدقه الكثيرون ، الذي خلقه الله وجعله واقعاً وحقيقة ، في أماكن كثيرة من أعماق الأرض الخفية ، التي لا يعرفها الانسان ولا يراها · وقد شهد عليه بعض الكتاب وعلماء الطبيعة والمنقبون ، الى جانب شهادات نخبة من ذوي الاختصاص والسمعة ، الذين ظهروا في الكنائس عبر التاريخ · أضف الى هذا : علماء كثيرين من المدنيين الذين يروون ويؤكدون أنهم شاهدوا بأم أعينهم أشياء تبرهن على ما نحن بشأنه ، سأثبتها فيما يلي : هناك حالة طبيعية كما يبدو في تراب بعض الأماكن في اعماق الأرض ، وهي قابليته على التغيير الى تراب ليّن ، واذا ما تبلل بالماء الذي كان فيه أصلاً ، جعل منه حجراً صلباً وجامداً وصخرة لا تتبلل ولا تثلم · ومن الصعوبة كسرها حتى بالحديد · ويؤكد صحة هذا ، أن ثمة فعلاً خليقة مثل هذه في الأرض ، ما قاله العلامة أوسابيوس القيصري . الذي ولئن كان اختصاصه في شؤون غير هذه ، الا ان كلامه يؤخذ بعين الاعتبار ،

فهو يذكر في مقدمة تاريخه محاولا تأكيد ما قاله الكتاب عن ارتفاع ماء الطوفان فوق كل جبال الأرض خمسة عشر ذراعاً(٧) ، ويقول(٨) : « تأكيداً على أن مياه الطوفان ارتفعت فوق أعلى الجبال ، يقول : لقد تحقق لدينا هذا نحن الذين نسطر ، من مشاهدة مختلف أنواع السمك التي وجدت يوماً ما في أعلى قمم جبال لبنان · وذلك عندما كان البعض يقطعون الحجر من الجبال للبناء ، وجدت أنواع مختلفة من أسماك البحر التي غرقت بالطين في أعماق البحار وتصلبت وكأنها ساخنة وذابلة ومتحجرة ، الأمر الذي جعلها أن تبقى حتى الآن · يشهد على صحة هذا ، النقارون الذين يعملون في قطع الحجارة ، الذين يجهزون حجارة صغيرة للبناء من صخور جبلية · وكنت منذ مدة قد سمعت قصة ساورني الشك فيها ، فكلمت بشأنها أحد هؤلاء النقارين بصورة جدية ، فأكد لي بالقسم، القصة التي سمعتها وأطلعني على حقيقتها بالتفصيل · وقال ، بينما كان يقطع حجراً في جبل حران ، شوهدت داخل حجرة قطعت من صخرة خالية تماماً من أي مدخل أو عرق : عظام رسغ رجل منظمة ، وفوقها ضلعان · واذ كانت الصخرة مرنة · كانت ضربة العامل خفيفة بخلاف المألوف بحيث لم تتأثر تلك العظام ، فأخرجت سليمة دون كسر أو تلف · أنا الذي أكتب هذا ، وقفت شخصياً على هذه القصة بل الشهادة عمن رآها بأم عينه ·

وزيادة في تأكيد كلامنا هذا وايضاحه ، نورد حديث أحد العلماء الحرانيين ذائعي الصيت الذي كان يدافع بشدة عن القضاء والقدر من الكواكب السبعة ، والذي يشمل كل ما يحدث في هذا الكون ضد العالم ولفش الرهاوي أحد أتباع برديصان(٩) ، وكان يحاوره ضد القدر محاولاً تسفيهه ببراهين من الطبيعة · فأجابه ذلك الرجل بتأهب تام قائلاً : ان ما تتحدث به عن أمور غريبة تحدث أحياناً في الكون ، فأنا قد رأيت بعضاً منها وسمعت عن بعض آخر · ولكي تعلم بأني لست مخاصماً الحرانيين فسوف أقول ما سمعته ، ويشهد عليه الكثيرون ممن شاهدوه في جبل «نشوك» ܓܒܠ ܢܫܘܩ هذا، بينما كانوا يقطعون حجراً، فاذ نزلوا الى عمق بعيد في المقطع ، وجدوا جسد انسان وجثة كلب · انه أمر يصعب تصديقه، ولكن أنا بأم عيني رأيت ذلك مع كثيرين غيري· أما خصمه فقال : انه رأى مكاناً ينبع منه ماء من أعماق الأرض فينساب

---

٧ ـ تكوين ٦ : ٢٠ ·

٨ ـ التاريخ الكنسي ١ ، ١٦ ، ١٢ ، وفي جمهرة الآباء اليونانيين ، المجلد ١٩ ، الحقل ١٥٤ ·

٩ ـ برديصان مبتدع وفلكي سرياني مواليد الرها ١٥٤ ـ ٢٢٢ · له كتاب « شرائع البلدان »·

ثم يتوقف في مكان ما داخل الأرض ، ويجمد ويتصلب ويكوّن حجارة ، وكان الناس يستخرجونها دون ان تموع ، وكانت تشبه المرمر ذات الالوان المختلفة ، فقد استحالت ليونة الماء وصارت بصلابة الحجر ، ويقول علماء الطبيعة ، كثيراً ما يحدث مثل هذا في خصائص عنصر التراب • إما تلقائياً أو من جراء برودة طبيعة الماء الشديدة ، أو من خصائص التراب الأخرى غير المعروفة لدينا •

وهناك أشياء أخرى مشابهة لهذه ، تقوم عليها براهين كثيرة على أنها من تلك النوعية • وتوجد في سواحل وأخاديد التلول والوديان العميقة صخور كبيرة صلبة وغير قابلة للكسر والانحلال ابداً • فانها ترى كأجسام مجبولة ومركبة من التراب والرمل والأحجار : مكونة باختلاطها كتلة واحدة ، وترى الى جوانبها أصداف حلزونية ومواد أخرى ملتصقة بها ومتماسكة معها وكأنها من صلب الصخر غير منفصلة عنه ، وتوجد أيضاً في قيعان الأنهار ، صخور أخرى تكونت من نفايات مياهها ، وهي صلبة وغير قابلة للكسر ، لكي بمثل هذه الأمور وما شابهها تتأكد تلك الخاصية الموجودة في عنصر التراب ، التي ولئن دوناها هنا مشفوعة بالشواهد ، الا أننا ما زلنا نجهل حقيقتها وعلة تكوينها • ترى هل هي رطوبة الماء أو يبوسة التراب أو البرودة أو الحرارة؟ بالاضافة الى ما تناوله الحديث هنا ، فلا تزال أشياء أخرى كثيرة في عنصر التراب مجهولة لدينا • وقد أوجزت الكلام نظراً الى اختلافات خصائص عنصر التراب وتنوع الألوان والأشكال والأشياء الأخرى التي فيه • ونظراً الى ما يحوم من شكوك حول الأخاديد التي في الأرض •

أما بالنسبة الى كبر حجم الأرض ، وقياس وكمية هذه الكتلة الترابية ، أي بالنسبة الى انتفاخ وكثافة هذا القلاع الصلب الصلد والثقيل والبارد، فليس من شأننا أن نؤكد على وجه الدقة كم وكيف هي• وليس هذا من شأن الضعفاء وغير الكفوئين أمثالنا • وأعتقد أنه ليس حتى من شأن العقل أو الكلام البشري • لكنه شأن من قاسها بمعرفته لدى خلقته أياها(١٠) • الذي قال عنه الكتاب الالهي متسائلاً : « من أمسك فحم الأرض ، من كان بكفه المياه » • واسمعوا ما يقوله الكتاب المقدس وبخاصة ملهمة الروح النبوي : « وقاس السموات بالشبر وكال بالكيل تراب الأرض ووزن الجبال بالقبان والأكام بالميزان • من قاس روح

١٠ـ أمثال ٣٠ : ٤ •

الرب ، ومن مشيره »(١١) • نفهم من هذا ، أننا لا نجرؤ على أن نقول شيئاً بالنسبة الى قياس وكبر الأرض • واننا نطرح جانباً كل ما افترضه أو جزم به العلماء الذين شطوا اذ تجرأوا وحاولوا معرفة ما يفوق ادراكهم ، اعتماداً على غزارة علمهم • أما نحن فاذ نتحدث بمثل هذه الأمور ، فلكي نعرف فيما اذا كانت صادقة أم كاذبة • انها ، والحق يقال ، لن تكون صادقة لأنه اما ان تكون قد انقص منها أو اضيف اليها• ولا يسعنا الا ان نبدي اعجابنا بعمل الله ، ولا نتجاسر فنتدخل ، مثل اولئك، لمعرفة ما هو فوق طاقتنا، أو معرفة مدى اقتداره الظاهر باعماله•

لقد قسم بعضهم محيط الكرة الأرضية هندسيا الى ثلاثمائة وستين جزءا متساويا ، مثلما فعل علماء الفلك الذين قسموا كرة السماء كذلك الى ثلاثمائة وستين جزءاً ، وقسموا كل جزء وقالوا : انه يساوي تسعين ميلاً ، وكل ميل سبع غلوات ونصف ، وكل غلوة اربعمائة ذراع • أي ان قطر الكرة الأرضية من الغرب الى الشرق ، ومن فوق الى أسفل دائريا ، اثنان وثلاثون ألفاً وأربعمائة ميل • وكذلك الخط الذي يمر في وسطها من جانب الى الجانب الآخر ، سواء من الغرب الى الشرق أو من الجنوب الى الشمال • أما محيطها فيساوي ثلث هذه الاميال جميعها أي عشرة آلاف وثمانمئة ميل ، في حين جعل آخرون كل جزء خمسة وسبعين ميلاً فقط ، ومحيط الكرة الأرضية سبعة وعشرين ألف ميل ، لكي يجعلوا الخط الذي يمر في وسطها من أحد جانبيها الى الجانب الآخر ، تسعة آلاف ميل • هذه هي تقديرات الذين تجرأوا وحاولوا معرفة مساحة هذا العنصر • ومهما يكن من الأمر ، سواء كانوا صادقين أم كاذبين ، وسواء أكان نقصان في تقديرهم أم زيادة ، فان عظمة هذا العمل ، موضوع حديثنا ، ليست بقليلة ، فهو يثير اعجابنا باقتدار الخالق سواء من جهة ضخامته أم مساحته •

☐ الأسبقية بين العناصر :

آ ـ فالعنصر الأول الذي كونه الله الخالق من مادة جسمانية ، باشارة من ارادته وكلمة قدرته ، هو الأرض أي التراب ، الذي تجرأنا وأطنبنا الحديث عنه ، في حين أوجزنا في أمور كثيرة لا سيما في ما يخص القياس ، علماً منا بأنه مهما أطلنا الحديث ، فان الكلمة تبقى عاجزة عن تقديم كل ما يستحقه من الكلام • فمن يستطيع ، يقول الروح(١٢)،

١١ـ أشعيا ٤٠ : ١٢ ـ ١٤ •

١٢ـ مزمور ١٠٦ : ٢ •

أن يستقصي قوة الرب ، او من يتحدث عن عظم اقتداره او يستمع الى كــل تسابيحــه ؟

ب ـ أما العنصر الثاني الذي يلي التراب ٠ والأكثر مرونة وليــونة ورقــة منه ٠ وأكثر صلابه وقسوة وثقلا وكثافة من عنصر الهواء : فهو العنصر المعروف بـ « المــاء » ويعرَف ، بانــه جسم رطب ومرن وقابــل للذوبان وشفـّاف وذو كثــافة معتدلة ، وبرودته معتدلة ، فهو أقــل مما للتراب ٠ وهو ذو لون واحد وطعم واحد ، ويعكس جفاف التراب ، وهو ســهل الاختلاط معــه ويذيب عسره وصلابته نظراً الى مرونته وقابليته للذوبان ، ليس فقط مع طبيعة الأرض أي التراب ، بل أيضاً لأنه سريع الاختــلاط والامتزاج مــع العنصرين الآخرين : أي الهــواء والنــار ٠ فبالنسبة الى الهواء فانه يمتزج بــه كالدخان ، على هيئة خيوط بخارية رفيعة ، أما بالنسبة الىعنصر النار فانه يختلط به داخل الشقوق الملتهبة٠ هذا هو عنصر المــاء الذي منذ البدء ، كان يحيط بالأرض من فوق ومن أسفل ومن الجهات الست كما ذكرنا أعلاه ٠ فقد كان دائماً يتفاعل ليفصل وينقي طبعــه مــن طبيعة التراب العكرة والخشنة والثقيلة ٠ هــذا هو العنصر الثاني للمادة بعــد التراب ٠

جـ ـ أما العنصر الثالث الذي يلي الماء ، فهو عنصر الهواء ، والذي يحيط بالمــاء بنفس الصورة ، من فــوق ومن الخارج ومن الجهات الست كما أسلفنا ، وهو العنصر الكروي الثالث الذي ، بسبب طبيعــة الهواء النقية والمرنة والرقيقة ، وبسبب سرعته ورقته وصفائه ، كان يتفاعل هو الآخر بصورة مستمرة من آجل تنقية ذاته بشكل تام من طبيعة المــاء الكثيفة والثقيلة ٠ لذا يجب أن يوصف ويعرَف بكونه جسما رفيعاً صافياً نقياً ومرناً ، وأكثر شفافية من سائر الأجسام ٠ لذلك فان النظر يخترقه بسهولة دون أي معوق ٠ ويراه متفاعلاً مع الأجسام التي تدور في فلكه ، بسبب قابليته للذوبان ومرونته ، ويسمح بأن تمتزج به وتنتسب اليــه وتصير كأنها منه ٠ ولا يتقبل فقط خصائص مجاوريه المضادة ، أي برودة المــاء وحرارة النــار حيث يكون بارداً حينــاً وحــاراً حينــاً آخر ، بــل بالاضافة الى هذا ، فهو يتقبل بسهولة وبكل تناغم ، ذات هذين العنصرين أي طبيعتهما ، لكي تمتزج وتذوب فيــه الى درجة الاعتقاد بأنها واياه شيء واحــد ٠ لــذا يُعتقد بأنه على ثلاث هيئات ٠ فانه يبــدو وكأنه عنصر صافٍ نقي وجاف بالنسبة الى الأرض التي يجاورها ويحتك بهــا بعيداً عن عنصر الماء ٠ ولا يمتزج به شيء سوى ذرات رمل دقيقة ويسيرة جاءته من التراب لتمتينه وحصره في الوسط ٠ وهو مثل الزق محصور ،

كما حدد الخالق ، خارج العنصرين المحصورين داخله: أي التراب والماء ، ونظراً الى ثباته خارجهما فهو لا يزحف ، اذ لا يجوز أن يكونا فوقه أو خارجه ، ولا أن يكون هو تحتهما او داخلهما ، لكنه ثابت ومرصوص بصورة دائمية • وبتعبير اخر ، انه يحيطهما كجسم صلب وصلد بأمر خالقه فلا يخترقانه ، ويسميه الكتاب المقدس ، الجلد او السماء • بالاضافة الى هذا ، هناك طبقة ترابية أخرى تمتزج وتذوب بها طبيعة الماء ، ويكونان وإياها شيئاً واحداً مركباً ومتماسكا وغير منفصل ، وهو رطب وبارد نسبياً ، وكثيف وأكثر صلابة من العنصر الذي يليه • أضف الى هذا طبقة الهواء الثالثة المركبة ، كما يعتقد ، من امتزاج الهواء والنار بنسبة متساوية، وهي قابلة للاحتراق ، جافة وسريعة وخالية من الرطوبة كلياً • ويسمي اليونان هذه الطبقة أثيراً ، أي الهواء الملتهب • وهذا هو العنصر الثالث •

د ـ وعنصر المادة الرابع هو طبيعة النار وحدها المحيطة بالعناصر الثلاثة الأخرى من الداخل والأسفل ، بمقتضى اشارة خالقها ، لئلا تتبدد وتتلاشى ، وتكوّن مجتمعة كتلة واحدة مستديرة مثل بيت مبني من مختلف المواد ، كالحجارة واللبن والخشب والقرميد • فهذا عمل واحد مركب من أسس وزوايا وسقوف بحسب معرفة ومهارة بانيه • وهذا العنصر هو جسم محصور وحار وسريع ومرن • ونيّر ويضيء جميع الأجسام • وهو ولئن يدخل في تركيب الأجسام ويتغلغل فيها ، الا أنه لا يسبب لها أي ضرر من الداخل • ولكن اذا جاءها من الخارج ، فانه يبيدها ويلاشيها تماماً • هذا هو عنصر المادة الرابع الذي خلقه الله لتركيب وتقويم كل الأشياء المادية التي كان عتيداً أن يبدعها •

وهذه هي الخليقة الثانية التيكوّنها في بدء العالم المنظور والهيولي، والتي تقول عنها توراة موسى : « في البدء خلق الله السماء والأرض » ، هذا هو الشيء الذي أتى به الله من عدم الوجود الى الوجود ، بقصد تكوين هذا العالم ، وهو المعروف بين أعمال الله بالمادة ، وهي أربعة عناصر أي أربعة أجزاء مختلفة هي : التراب والماء والهواء والنار •

هذا كل ما في وسع كلمتي الواهنة أن تقوله عن الخليقة الجسمانية التي أبدعها خالق الكل ، وهي مادة واحدة ذات جواهر أربعة وعناصر أربعة مختلفة ومتفرعة عنها • وقد باشرت بالحديث من الأدنى الى الأعلى فبدأت بعنصر التراب الأدنى ، وانتهيت بالعنصر الناري الأعلى ، وقد تحدث كتاب توراة موسى عن الخليقة بصورة ملائمة ، وليس هذا فقط،

بل تحدث أيضاً عــن تنظيمها وتكوينها بصورة أكثر ملائمة ٠ وقد رأيت من الضرورة أن أعقب ولو بكلمات هشة ، على ما جاء في الكتاب ، مستمداً قــوة وزخماً لكلماتي المتلعثمة ، من قــوة وحقيقة ونقاء ذلك الكتاب ٠

يقــول الكتاب(١٣) : « في البــدء خلق الله السماء والأرض » ، فهو يسمي العناصر الاربعة التي تحدثنا عنها ، سماء وارضاً ٠ معطياً كرامة للسماء بذكرها في الاول ، لمكانتها الأولى عند البشر لأنها بمثابة مسكن لله كما يتوهم البسطاء ، وتجزم به بعض الكلمات في المزامــير ٠ وقــد علق هــذا الوهم في أذهان الناس لأنهــم اعتادوا أن يروا السادة يسكنون في الأدوار العليا ، والعبيد في الأدوار السفلى ٠ وحيث أن الكتاب يميل الى الايجاز ، لذلك اقتصر على ذكر كلمتي السماء والأرض ، دون أن يأتي على ذكر أسماء المــاء والهواء والنار ، علمــاً منــه بأن الذين يقرأون سيدركون أن هذه خلقت واياهما سوية ٠ فقد حصر الروح الملهم العالم كلــه وما فيه بهذين الامرين الرئيسيين ٠ ثم يعود فيما بعد ليتحدث عن أرض أخرى ذكرها في بدء كلامه فيقول : « كانت الأرض خربة خالية » ، أي لم تكن منظورة ولا مكوّنة « وعلى وجــه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجــه المياه » ٠ في بدء الكلام لم يأت على ذكر الميــاه ، ولم يتحدث عن تكوينها ، لكنه أشار الى أنها والتراب كانا سوية في مقدمة الكائنات ، ولم تكن الأرض منظورة لأنها كانت مغمورة بالمياه من كل الجهات، فكانت مخفية في أعماق غمر المياه ، وأردف قائلاً : انها كانت غير منظورة وغير منظمة ، ليوضح جلياً أنها لم تكن موجودة عندما كانت مغمورة بالمياه ، وانها لم تكن معدة لعيش الكائنات الحية عليها ، أو صالحة لنمو وتغذية النباتات والأشجار والجذور والأعشاب والزروع ٠ هذا ما تشير اليــه عبــارة : « غــير منظمــة » ٠

ويقول : « وكانت ظلمة على وجه غمر المياه المحيطة بالأرض » ، ذلك لأنهــا كانت مختلطة بالهواء الذي فوقهــا ، وكانت ما تزال واياه جسماً واحداً ٠ مغطاة بالظلام الدامس ٠ اذ لم يكن هناك بعد هواء نقي يخترقه شعاع مضيء ولا حرارة لتطرد الظلام ، اذ لم يكن عنصر النور قد تنقى بعد بصورة كاملة ، من الماء والهواء اللذين تحتــه ٠

ولهذا فان الظلام كان يغطي الغمر الذي كان يغطي بدوره الأرض فيحول دون رؤياها ٠ وكان روح الله الخالق ، مانح الحياة ونافخ النسمة،

١٣ـ يبدأ المؤلف من هذه الفقرة شرح آية آية ، وعبارة عبارة ، من الفصل الأول من سفر التكوين ٠

ومكمل جميع الكائنات ، الذي أعطى التنفس والحركة والحس لكل حي: يرف على المياه ليمنحها والارض التي في داخلها ميزة التوليد · وهذا ما قاله الكتاب الموحى به من الروح ، أخذاً عما هو مالوف لدينا نحن البشر ، ولا ينبغي للانسان ان يستغرب من استعمال الكتاب تعابير وتشابيه بشرية ، بل آن نعبر عن اعجابنا ونقر بأن هذا يستحق الثناء حقاً ، فان روح الحق قد ينجلي حتى عند من هم ضد الحق ، فانهم اذ يتحدثون ويكتبون عن الحق مستشهدين بكلام الحق ، يكون الحق قد رسخ اكثر بشهادتهم · وقد ورد في كتب الكلدانيين الذين يريدون أن يقولوا : آن السماء والارض والشمس والقمر وسائر الكواكب هي أزلية غير مخلوقة ، وهي آلهة وأرباب ، وهم سادة هذا العالم ومولون اياه اهتمامهم ·· ان هذه قد خلقت برفرفة روح الاله ، وهم يحتفظون من حيث يدرون أو لا يدرون بظلال تشابيه ونماذج تتوافق مع ما نقول به ، فهم يقولون : « في البدء كان كل شيء ظلاماً ومياهاً قبل ان يكون هناك آلهة أو بشر · وكان الروح يرف فوق المياه ، فخلقت هذه كلها ، وصنعت لهم سماء وأرضاً وأبراجاً لبيوتهم وحدوداً لمملكتهم وجهات لمسيرتهم ، ووضعت نهاراً وليلاً وصورت تماثيل في الأبراج ، وجعلت هيئة للأرض ، وأمكنة في السماء ، وخلقت بيل أولاً وبعده مارود سيداً للآلهة ، ومن ثم البقية · وجعلت من الشمس والقمر سلاطين على الليل والنهار » · وهكذا جاء الكلام مطابقاً لكلام الحق ، حتى من أعداء وآضداد الحق · فانهم هم أيضاً تحدثوا بكلمات مقتضبة وموجزة عن السماء والأرض وما فيهما ، كما هو الآمر في كتبنا ، موضحين جلياً بذلك أن الخليقة ليست كما كان يعتقد الملحدون الضالون ، غير مخلوقة ، بل هي من صنع الله خالق الكل ، كما تبين كتب روح الحق ·

فاذا كانت هذه العناصر مختلطة وغير منفصلة عن بعضها البعض وصافية بصورة تامة ، فكيف يمكن أن تكون لكل منها اذن خصائص نقية موجودة فيه ، فللمياه صفاؤها ، وللهواء نقاؤه ، وللنار ضياؤها وحرارتها ؟...

يقول الكتاب : فأمر الله وقال : « ليكن نور فكان نور » · وشرح بكلمات يسيرة ما أراد الله أن يكون ، قائلاً : « ليكن نور » ، وللحال أضاف دون أن يجزم وعلى وجه التقريب : « وكان نور » ، مظهراً بكلماته العابرة هذه : ان ذلك العمل قد تم على الفور دون آي ارتباك ، وقد أشار بصورة رمزية وسرية الى من وجه اليه ذلك الأمر ، ولا بد

أن يكون الكلام قد وُجه الى من هو قادر على تنفيذ الأمر عملياً ، حيث صدر الأمر بأن يكون نور ، وللحال كان نور · ومن المعروف أنه قصد بهذا ، كلمته الخالق الذي هو حكمته وقوته وذراعه ، الذي قال(١٤) : « كنت معه عندما خلق السموات، ومنح القوة للرعود في العلى، والجمال للينابيع التي تحت السماء ، وجعل أسس الأرض راسخة مرصوصة » · قال هذا بصفته أقنوم الحكمة ·

ان هذه الكلمات الموحى بها من الروح القدس توضح : أن الله وجه كلامه الى حكمته وكلمته الخالق ، لدى قوله « ليكن نور » · ولقد كتبت هذه لكي ينبعث منها لنا شعاع معرفة حكمة الله واعماله · وما كان يعنيه بعبارة : « ليكن نور » هو تكوين هذه السموات وتصفية عناصر الهواء والنار ، وتكوين النار في الهواء ليضيء ما هو فوق المياه ، ويبعث شعاعاً مضيئاً الى أعماق الغمر فتصفى المياه · ويشير اعطاؤه قوة للرعود في العلى ، الى ثبات الجلد داخل الهواء ، أما اعطاؤه اسساً محكّمة للأرض فلا يشير سوى الى توطيد الأرض وتثبيتها ، اذ كان الماء المتجمع فوقها عتيداً أن ينحسر وينفصل عنها · وهكذا قال : « وأمر الله أن يكون نور· وللحال تنقى طبع النار ، وأظهر النور المنبعث من ذاته · وأرسله الى صفاء الهواء الذي تحته ، فالنور يتولد من النار منذ بدء تكوينها ، تماماً مثلما أن الظلام الحالك هو وليد جسم عنصر التراب المادي · على هذه الصورة وجد النور ، فأنار كل ما هو تحته ، من هواء وماء وتراب ، بمقتضى أمر الخالق ·

« ورأى الله أن ذلك حسن » وبهذا يقدم له الكتاب المقدس شهادة ثناء ، وفصل الله بينه وبين الظلام وليد الأرض وظلها · ففي اللحظة التي ظهر فيها هذا ، تولد فيها ذاك ، فصار وضعه وتكوينه معاكساً له · ولهذا قال الكتاب « وفصل الله بين النور والظلام ، ودعا الله النور نهاراً والظلام دعاه ليلاً » وهذا ما عناه الله بقوله « ليكن نور » · ان هذا الأمر حرك عنصر النار نحو البقاء وهو يفصله عن الهواء ، ويبرز النور الذي كان مطبوعاً فيه منذ بدء تكوينه · وهكذا دون أول أمر يصدر عن الله الخالق وعرفناه · وكتب أيضاً « كان يوماً واحداً » ·

وقال الله « ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصلا بين مياه ومياه » فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوقالجلد·

---

١٤ ـ أمثال ٨ : ٢٧ ـ ٣٠ ·

ودعا الله الجلد سماء ، ورأى أن ذلك حسن • وكان مساء وكان صباح يوماً ثانياً » • كان الأمر الأول القائل « ليكن نور » صادراً الى طبيعة النار ، ذلك العنصر السامي المخلوق ، لينفصل ويتنقى وينجلي نوره فيضيء كل ما هو تحته وفي داخله • اما الأمر الثاني هذا ، موضوع البحث ، فانه صدر الى طبيعه عنصر الهواء ، لكيما هو الآخر بتنقيته من الماء الذي تحته ، ويصفو يتطهر بصورة تامة، يقوى ويثبت مستقراً خارج نطاق عنصر الماء • ويحيطه التراب الذي يتخلله ، ويشبه الى حد ما هواء كثيفاً ومضغوطاً كما هي الحال بالنسبة الى الهواء المحصور في الزق دون أن يكون له منفذ ، فانه يشبه الجلد ، يمكن أن يشعر به الذين يلمسونه• من هذا العنصر أمر الله أن يكون جلد متين وسليم ، يثبت ويوطد فوق المياه وخارجها بعد تنقيته كلياً • ويكون فاصلا بين المياه التي تحته ، وبين تلك الممتزجة في الهواء الرطب الذي يسبب الرعود فوقه • والذي منه تتكون ، بأمر الخالق ، الطل والأمطار والبرد والثلوج والجليد ، وهو الذي يرطب ويحفظ كل ما يدور في الهواء الجاف النقي • أي الناس والحيوانات والطيور والنباتات والأشجار والزروع والجذور ، كي لا يصيبها ضر فتحترق بالأثير المحرق الملتهب الذي هو تحت الشمس • أو بكتلة هذا النور (الشمس) المحترقة والمحرقة • فالجلد الذي أمر الله بتكوينه بين المياه التي على الأرض وبين الهواء المائي الذي فوقه وليد هذا النور ، والذي سماه الكتاب ماء نظراً الى رطوبته وطراوته ، وهو يُرى بلون أزرق فيروزي مشوب بالأسود ـ الأبيض ، ويعرف لدى الجميع بالسماء • نحن لا نرى شيئاً آخر في الفلك الذي ندور فيه ، النقي الصافي الشفاف ، الا ان منظر الهواء في عمقه يشبه بلونه العميق، لون غمر البحار الأسود العميق • على هذه الصورة كون الجلد بأمر الخالق • وفصل ، كما قال الله ، بين الماء المنسكبة والمحيطة بالأرض ، وبين تلك التي فوقها ، والتي كانت مختلطة بالهواء وقد جعلت واياه طبقة ترابية ثابتة ، تتوسط الهواء النقي ، وهذا المحرق الملتهب المعروف بالأثير ، وهكذا دعا الله هذا الجلد سماء ، كما جاء في الكتاب • ورأى الله ذلك حسناً • وكمل اليوم الثاني •

ونعلق على هذا الأمر كما علقنا على الأمر الأول فنقول : اننا ننسب عبارة « قال الله ليكن جلد » الواردة في الكتاب ، الى الله الآب خالق الكل ، وهي موجهة الى الابن الوحيد المساوي له في الأزلية والسرمدية والقوة والارادة والخلق ، بصفته حاذقاً ، حكيماً ، عالماً ، خالقا مبدعا ،

قوياً قادراً على كل شيء • أما عن عبارة « صنع الجلد » أو كما هو مدون « دعا الله الجلد سماء » ، والتي هي بديل عن ابدع وخلق ، فنقول : انها تنطبق تماماً على الابن بصفته حكمة وقوة الله الآب • وهو ، كما يقال ، يمينه وذراعه أيضاً • وما قيل من أنه به خلق الكائنات وأبدع العالمين هو حق • وهو الذي كون هذا الجلد وأبدعه ، أي خلقه بحيث تعلوه السماء • فقد كتب في المزامير(١٥) « بكلمة الله خلقت السموات ، وبنسمة فيه كل قواتها » • على هذه الصورة كون هذا الهواء البالغ النقاوة حول المياه وحول الأرض وفي داخلهما ، بأمر الكلمة الخالق لكي يُرى جلداً ويدعى سماء • وهكذا رأى الله ذلك حسناً ، فسر به وفرح كما كتب ، اذ أعده بصورة ملائمة للمسكونية وليعيش الحيوانات فيها • وسهلا لاستنشاقها بمرونته ونقائه • فهذا الهواء النقي الصافي الذي نعيش فيه يدعى سماء ، نظراً الى غمق لونه المائل الى السواد • لذلك فالطيور التي تحلق وتسبح به مثل السمك في الماء ، تسمى طيور السماء ، ليس فقط من قبل عامة الناس ، بل ومن قبل الكتاب المقدس أيضاً • نظراً الى عمقه واتساعه الهائل ، فان هذا الجسدي (الانسان) الضعيف لا يستطيع أن يتفحصه أو يخترقه برمته لكي يرى الهواء المائي الرطب الذي فوقه • ادعى أحد امكانية اختراقه بسبب صفائه وشفافيته ورقته ، حتى الوصول الى ذلك المائي ، قلنا : ان عمق هذا وذاك الذي نراه فوقنا كلون أسود . أبيض ، هو ما دعيناه نحن البشر وندعوه سماء • وهو يدعى كذلك في كل لغة ولدى كل شعب ، وكما قلت ، اننا نشاهد ما هو باد لنا من فوق والذي اعتدنا أن نسميه سماء ، ولا يجب أن يعتقد انه شيء آخر أكثر من كونه عمق الهواء الذي يعلونا •

ومثلما تحدثنا عن الهواء أي السماء ، لنتحدث أيضاً عن أمور أخرى تتبادر الى الذهن بغية تنوير من يطلع عليها • فنبدأ بالحديث عن هذا التكوين المسمى سماء ، ومن ثم عن كل ما نراه يدور فيه • فنقول : ان لفظة « سماء » ليست آرامية أي لغة بين النهرين ، لكنها مستعارة ومأخوذة من لغة العبرانيين(١٦) ونستعملها منذ زمان بعيد وكأنها من لغتنا • وهذا ما لا يعرفه الكثيرون من المتكلمين أو القراء أو الكتاب • ولكونها مقتبسة فلا فرق بين مفردها وجمعها • وأما من حيث المعنى فتستعمل

١٥- مزمور ٣٣ : ٦ •

١٦- كثيرا ما أخطأ المؤلفون القدامى بشأن أصل اللغات وقدمها فظنوا أن العبرية أقدمها •

جمعاً ومفرداً عندنا وعندهم سواسية فنقول عن المفرد سماء وكذلك نقول سماء عن الجمع · وليس بوسعنا أن نغير هذه اللفظة لأنها دخيلة كما قلت وليست من خصائص لغتنا · أما بالنسبة الى العبرانيين أصحاب اللغة الأولى التي تكلم بها آدم فيستعملونها مفرداً وجمعاً شفهيا وتحريرياً · ففي المفرد يقولون « شوما » وفي الجمع « شومابيم » · وقد ترجع هذه اللفظة في اسمها وتركيبها الى كلمة « ماء » · فمفرد الماء عندهم هو «مو» والجمع « مابيم » · وهذا يتناسب وصياغة هذه الكلمة من منظر الجو الأبيض ـ الأسود والماء الذي فوقه المختلط بالهواء والمكون واياه شيئاً واحداً يحمل لوناً أزرق سماوياً · وهو الذي ندعوه سماء ، وهو مركب من الهواء والماء · وهذا هو مفهوم اللفظة المركبة عند العبرانيين · أما عند اليونان الذي يهتمون هم الآخرون بمثل هذه الأمور ، فتسمى هذه اللفظة « اورانوس » ويعطي مفهومها عندهم معنى الحد الأعلى ، ونحن نعرّف السماء اما بالحد الأعلى كمفهوم اللفظة اليونانية ، أو انها جسم مركب من الهواء والماء كاللفظة الأخرى المستعملة أعلاه · أو انها هواء مضغوط وكثيف ومكين وثابت وصاف ونقي ، وهو منتشر فوقنا وغائر وعميق ولونه أسود ـ أبيض ، ويستقر تحت الهواء الرطب والمختلط كما سبق وقلنا · أما بالنسبة الى طبيعة وقوام السماء وتكوينها ومضمون اسمها ، فقد أوفينا ، كما أعتقد ، حق ذلك من الكلام · أما بالنسبة الى ما نراه يحدث في هذا الجو أي السماء ، فسنوضح ذلك تدريجياً على قدر المستطاع ·

نلاحظ مرات عديدة تكوين سحب كثيفة بغتة . في أعلى هذا الجو النقي الصافي ، دون أن تحتوي على أبخرة رطبة ، وتوهجات ترتفع من الأسفل ، قليلة كانت أم كثيرة ، لكنها تثقل وتذوب من جراء ذوبان وجريان ذلك الخليط الرطب الذي فوقه ، نقول : حينما تشب ، بأمر مدبر الكل ، ريح شرقية أو جنوبية ، تظهر في البداية وكأنها حبات الماس ، ولكن بعد أن تزحف نحو الغرب أو الجنوب تدريجياً وتتكاثف السيول الرطبة تأتيها اضافات من هنا وهناك ، فتكبر وتشاهد بصورة واضحة ، وتغطي منظر السماء كله ، كما انها تُرى بسهولة عندما تتبدد وتأخذ بالتلاشي وتغيب عن الأنظار ببطء ، ويبتلعها الفضاء وتصير كأنها لم تكن بعكس تركيبها الأول · وعندما يأمر المدبر ، وتهب بغتة رياح شمالية وتسوقها نحو الجهة الجنوبية ، يلاحظ نشوء السحب في الجو من الهواء الرطب والمائي الذي هو فوق هذا الهواء الجاف الصافي الذي

يحيط بنا ، ويشاهد نشوء السحب من الهواء الرطب والمختلط • كما يشاهد تلاشيها بنفس الكيفية •

ويتكون نوع آخر من السحب في الصيف ، عندما تهب رياح غربية فوق القمم العالية ، فيرتفع الهواء الى اعلى قمة في سائر الجبال الأخرى حتى طبقة الهواء الرطب المائي • وأنا شخصياً رأيت بام عيني مرات عديدة ، تكوين مثل هذه في قمة جبل في منطقة انطاكية حيث كنا نسكن• فكانت تتكون في أعلى طبقة الهواء الى الغرب من تلك القمة العالية على بعد غلوتين أو ثلاث ، من الجبل • وكانت تظهر خفيفة أو كثيفة ، أو كراحة يد الانسان بحسب تعبير الكتاب(١٧) وعندما كانت الريح الغربية تقودها نحو القمة تدريجياً • كانت تكبر وتظهر بوضوح أكثر ، وغزارة حتى تغطي الجبل كله وتبلله أحياناً بالمطر الخفيف الذي تحمله• وعندما تحركها الريح نحو الجهة الشرقية، تأخذ بالتلاشي في الجوتدريجياً كلما ابتعدت عن القمة وعن الهواء الرطب • فتصبح كلياً كأنها لم تكن• ولكي يتفهم الناظر أكثر نقول : بالنظر الى رطوبة الهواء الذي في القمة العالية ، فانها كانت تتكون وتشاهد بكثافة ودكنة • وعندما تبتعد عنها، كانت تتناقص وتتلاشى •

وتوجد مع السحب في الجو أي الجلد ، بروق نارية مضيئة ورعود مرعبة وصاخبة • وهي تحدث بأمر الخالق الذي خلقها على هذه الهيئة • فعندما تصطدم الخصائص المضادة الواحدة بالأخرى في الجو ، خاصة أثناء الخريف أو الربيع ، مثل البرودة والحرارة : تتكون صواعق محرقة وقاتلة ومهلكة • كحمى غضب المدبر الذي ينزل لتأديب الخطاة ، أو لتحذير الآخرين كي لا يخطئوا • وفي الليالي ، تظهر في الجو شهب نارية مضيئة ، وتتطاير في مختلف الجهات كسهام طائرة ، ويسميها الكثير من السذج ، كواكب سيارة • ويحدث مثل هذا أحياناً ولا سيما عندما يريد الله المدبر أن يجري تغييرات في سلطات الشعوب ، وتكون بمثابة تأديب أو تخويف للكثيرين الذين يخشون مثل هذه المناظر • وقد تكون علامة يعطيهاالخائفيه كما كتب(١٨) لئلا يهربوا من أمام السهام • أو بأنواع أخرى خفيةقضى تعالى بعدم استقصائها • وتظهر كذلك علامات أخرى مخيفة وراءالشمس في الشرق تحمل أشعة مضيئة وتنبعث منها شبه جداول بيضاء كأضواء

---

١٧ ـ ١ ملوك ١٨ ، ٤٤ •
١٨ـ مزمور ٦٠ : ٦ •

ساطعة . لبعضها شكل المكاسح . وللبعض الآخر شبه الرماح او شبه ديدان طويلة ، كما يوجد في مؤخرة البعض ما يشبه الكواكب ، ويظهر غيرها آو تحتها آو الى جانبها وكأن لها شعراً . وبناءً على هذا فان اليونان يدعونها مذنبات [illegible] أي شعرة وملتحية ودودية ،

وهي تقف وتُرى في هذا الجو أي السماء . وتتحرك في جميع أجواء الفلك خلال أيام معروفة ، كما يحسن للمدبر القابض على زمام هذه القضايا كلها . وبارادة المدبر أيضا تصاحبها أحياناً في الليل أشعة مضيئة تشبه لهيب نار المواقد ، وتقف في احدى الجهات دون آن تتحرك من مكانها الى اي اتجاه ، وتظل هكذا بضعة أيام . وقد يكون حدوث هذه الظاهرة من قبل الله لتخويف الناس . أو علامة حدوث أمر ما في المستقبل .

لقد تحدثنا بايجاز عن البروق والرعود والعلامات النارية والأشعة المضيئة التي تظهر في الجو .

أما بالنسبة الى السيول التي تنزل من الجو ساقطة على الأرض فنقول : ان السحب التي تتكون من رطوبة الهواء المائي المختلط بالماء ، كما سبق وذكرت ، تتجلد بواسطة الرياح التي تهب عليها ، وتمتزج الأبخرة الكثيفة بعضها بالبعض ، فتصير أكثر كثافة وتكبر وتكوّن قطرات كبيرة الى درجة ان رخاوة الهواء لا يعود بامكانها أن تحملها ، فتنزل ماء كالاسفنج الذي يعصر ، مكونة طلاً ومطراً ورذاذاً ناعماً ورقيقاً ،وأحياناً، أمطاراً غزيرة ومتواصلة ، وحينما ترتفع تلك السحب الى الأعلى ويكثر تحتها الهواء البارد وترافقها رياح شديدة ، تحدث فيها بروق ورعود وتتكون فوراً قطع البرد أو برد دقيق . واذا لم تكن عالية الارتفاع ، وكانت خالية من هبوب الرياح تماماً ، فيتكون منها آنذاك اما ثلج مصحوب بالبرد الشديد القاسي أو مطر ثلجي هادىء ورقيق غزير المياه ، اذا كانت برودتها قليلة .

وبالاضافة الى ما سبقنا فتحدثنا ، نتحدث الآن عن السيول الحلوة والساخنة التي تنزل من الجو في أثناء الصيف ، والتي تتكون في الربيع من النباتات الحلوة والغرسات والأشجار ذات الطعم الحلو اللذيذ ، والجذور والزروع والأعشاب . وفي نهاية الصيف والخريف ، تتصاعد الى الجو من الثمار التي نضجت بحرارة الشمس : عطور كثيفة ومنعشة

جداً وطيبـة ، وتتكاثف وتنضج أكثر بالحرارة المخزونة في الجو الذي تتساقط منه مادة حلوة عسلية تشبه قطرات ندى لينة تسمى المن الأبيض الذي يستقر على أوراق الأشجار على مثال المن الذي انزل الله الذي يعنى بشعب اسرائيل في البرية · وعندما يأمر الله أن تتصاعد من الغبار الذي على الأرض ، أبخرة عكرة ممتزجة بذرات التراب ، وترتفع الى الأعلى حتى تصل الهواء الرطب المائي فتختلط به · يشاهد تراب خفيف ينزل مع المطر ويستقر على الحجارة وأوراق الأشجار ، كما تروي قصص كثيرة مدونة · وقد رأيت بأم عيني كيف ان الله صنع مثل هذا من أجل تأديبنا وتبكيتنـا بسبب خطايـانـا وآثامنـا · ولا يـزال هنـاك بعـض الناس الأحياء الذين رووا ، كيف شاهدوا ثلجاً أحمر نازلا من الجو أي السماء · ومعروف ان هذا تكوّن بالكيفية التي ذكرناها · ويقولون : لما سقط على ثلج آخر سقط قبله ، استمر لونه متميزاً عن ذاك أياماً كثيرة · وحينما يشاء الله المدبر آن يؤدبنا بسبب آثامنا ، يأمر ، فتتصاعد توهجات وروائح سمجة وأبخرة متأتية من أعشاب ضارة وأشياء أخرى من الأرض لها خصائص ضارة ، فتختلط هذه بالرطوبة التي تسبب الرذاذ ، فتنزل على الزرع والقمح في الربيـع ، مطراً ضابطاً يشبـه الغرين ، ويتساقط على السنابل اليانعة والحديثة النمو والغثة التي لم تسمـن بعد ، ويهلك الزروع كي لا تأتي بالقوت · اذ يغطيها وأوراقها وقصبات سنابلها · ولما يجف يصير ذات لون فاسد مثل أدران الزعفران والجدري· ومن المعروف أن العشب يكون مريضاً في عرف الشعوب اذا صار لونه مثل هذا ، فهو كالمرض الذي يطرأ على أجساد الناس ويعرف لدى الأطبـاء باليرقان أي

واذ تحدثنا بصورة عابرة عن السيول الرطبة الساقطة من الجو ، يجب ألا يغيب عن بالنا الكلام عن تحركات الهواء المرن والقابل للذوبان، والرياح التي تتكون بسببه · فليعلم جميع الذين لا يعلمون : ان جوهر الهواء أي طبعه شيء ، وطبع الرياح شيء آخر · ولضرورة البحث تدعو الحاجة الى اعادة تحديد وتعريف الهواء فنقول : هو جسم رقيق شفاف ومرن ، بل هو أكثر لطافة وشفافية من سائر الأجسام · أما الرياح فليست هواء ، بل هي حركات الهواء الى هذه الجهة أو تلك ، وانتقاله ومروره من مكان الى آخر · وليعلم جميع الناس ، السذج منهم وغير المثقفيـن ،

والذين يقراؤن أو يسمعون ، بأن الذي يتحرك هو شيء اخر غير حركته وجريانه ، مثلما ان المياه هي شيء اخر غير حركتهاوجريانها الذي يشاهد، أما في الأنهــار أو الجداول والقنــوات والروافــد ٠

أسماء الرياح :

تتكون تلك الرياح أي النسائم حيث يوجد الهواء ، ومن الهواء ذاته عندما يتحرك وينساب ويتنقل من مكان الى آخر ويتموج كتموج الميــاه، ويدفع بقوة الأجسام الأخرى التي تصادفه ، بشكل أو بآخر ٠ كما يروي علماء الطبيعة ويشهد العديد من الناس الذين شاهدوها ٠ فان الرياح تتحرك بالهواء مــن الجهــات الأربع كمــا نلاحظ ٠ مــن الشرق والغرب والجنوب والشمال ، وكثيراً ما يدعونها بأسماء تلك الجهــات ٠ ويسميها جميع الناس رياحاً ويعتبرونهارئيسية ٠ وهذا أمر معروف لدى الجميع٠ فقد اعتدنا أن نقول : رياحاً شرقية وغربية أو جنوبية وشمالية ٠ كمــا يطلق الناس على الأنواع الثمانية الأخرى من الرياح ، توجد بين الرياح الأربع الرئيسية التي عرفناها ٠ فلكل ريح رئيسية نوعان مــن الرياح الأخرى تحيط بها من جانبها وتهب بشكل منحرف ومن الزوايا مثل الريح الرئيسية ٠ ولكل من الشعوب تسمياته وأسماؤه أطلقها عليها متخذأاياها من أمكنة شهيرة أو جبال معروفة ٠ اذ لم تكن لها تسميات طبيعيةمعروفة، مثل الرياح الأربع الرئيسية ٠ ولكي لا تبقى مصادرها غامضة نقول : أن الشرقية والغربية أخذت مــن شروق الشمس على الأرض في الشرق وغروبها في الغرب ٠ وأخذنا تسمية الرياح الجنوبية كما فعل غيرنا من الشعوب من قدماء العبرانيين أصحاب اللغة الأقدم ، حيث أطلقوا عليها هذه التسمية مأخوذة من مدينة تيمن التي شيدها أبناء تيمن ، أو مــن أولئك المنحدرين مــن ابن اسماعيل(١٩) أو المنحدرين من ابن قاطورة ، أو من ابن عيسو(٢٠) ، حيث دعي الثلاثة باسم تيمن ٠ وهي تقعجنوب المكان الذي سكنه العبرانيون ٠ وهكذا يبدو ان هذه الريح سميتجنوبية عند العبرانيين وعندنا نحن الآراميين ، أما الشمالية فلا ندري لماذا سماها قــدماء الآراميين كذلك ٠ هكــذا سمى الناس الرياح الأربع الرئيسية ٠

أما الجانبية والمنحرفة ، فان تسمياتها تؤخذ كما قلت ، من البلدان والأمكنة التي تهب منها ٠ مثال ذلك : رياح ما بين النهرين ، أو الرهاوية

---

١٩ ـ تكوين ٢٥ : ١٥ ٠

٢٠ ـ تكوين ٣٦ : ١١ ٠

أو ريح أرمنية وريح مؤذية وريح صحراوية · وتسميات أخرى كثيرة ومتنوعة ، بحسب ما اعتاد كل واحد أن يسمي · وقد ورد ما يشبه هذا في الكتب الالهية ، وفي كتابات الأقدمين ، حيث أخذت تسميات الرياح من الأمكنة · كتلك الواردة في المزامير ، في قوله عن الله(٢١) · « أهاج شرقية في السماء وساق بقوته جنوبية وأمطر عليهم لحماً مثل التراب وكرمل البحر طيوراً ذوات أجنحة » · وكتلك التي وردت في المزامير أيضاً(٢٢)· « ومن البلدان جمعهم من الشرق ومن الغرب من الشمال ومن البحر » · ومن المعروف ان صاحب المزامير استعمل كلمة البحر تعبيراً عن الجنوب حيث اعتاد العبرانيون أن يستعملوا كلمة « بحر » بدلا من « الجنوب » لأن البحر يقع في الجهة الجنوبية من بلادهم · وكذلك ما جاء في أعمال الرسل(٢٣) « هاجت عليها ريح زوبعية يقال لها اوروكليدون » أي مع موج من جهة اوروس · وجهة اوروس هي التي تقع جنوبي الشرق وتجاوره اذا ما انحرفت قليلا · وقد أوردت الكتب التاريخية وبخاصة اليونانية ، قضايا كثيرة أخرى مثل هذه · وأرى من الضرورة بمكان الاشارة هنا الى تسميات الرياح الثماني الباقية أي النسائم ، كالتسميات التي وضعها قدماء اليونانيين ، بعد تسميتهم للأربع الرئيسية ·

فيجب اذن أن نضع ترتيباً مناسباً ومتسلسلاً لهذه الرياح الاثنتي عشرة كما فعل اليونانيون · وها اني أتحدث عن الأربع الرئيسية التي سبق ذكرها· والى جانب الثماني الأخرى التي سنتحدث عنها، وهي بحسب الترتيب : الشرق ثم اوروس وتقع الى جنوبه وتهب شتاء من جهة شروق الشمس ، والثالثة أورنتوس ، والرابعة الجنوب ، والخامسة ليباناتوس، والسادسة ليبا ، السابعة الغرب الذي سماه بعض قدماء الكتاب زوفاروس، الثامنة يافوكوس · التاسعة ترافياس ، العاشرة الشمال ، الحادية عشرة قباقياس ، الثانية عشرة والأخيرة افيلوتيس ، وهي من شروق الشمس صيفاً · هذه هي الرياح العامة في العالم بأسره التي تهب لدى تحرك الهواء وتسمى بأسماء الجهات التي تهب منها ·

وتهب رياح أخرى كثيرة ومتنوعة · منها ما يهب من جبال عالية مغطاة بالثلوج وتستمر طوال الصيف ، وأحياناً تنحرف في سيرها نظراً

٢١ـ مزمور ٥٨ : ٢٦ ـ ٢٧ ·
٢٢ـ مزمور ١٠٧ : ٢ ـ ٣ ·
٢٣ـ أعمال ٢٧ : ١٤ ·

الى وضع الجبال المنحرف · وغيرها تتحرر من الأرض وتندفع صاعدة بشدة ، او انها تتصاعد من هوة عميقة · واخرى سريعة تسبق حدوث الرعود المخيفة · وهذه كلها وقتية · فقسم منها يتكون في الصباح وتكون هادئة ، في حين يهب قسم آخر عصراً فقط ويكون سيرها مستقيما · وقد تكون هادئة أو عاتية · ويكون سير بعضها دائرياً ، ويسميها الكثيرون زوابع وأعاصير · وكثير من هذه الأعاصير الشديدة والعاتية والمهلكة ، يعزى الى غضب الله · فهي تدمر حتى الأبنية العالية والراسخة ،وتقتلع النباتات من أصولها ، وتحطم الأشجار الضخمة بقوة عاتية غاضبة · وقد حدث مثل هذا في أيامنا وشاهدنا بأم أعيننا ما خلفته من رعب ومخاوف في نفوس الذين سمعوا ولم يشاهدوا ، تفوق الوصف · وكانت تقلع الأشجار الضخمة وكأنها تقلع نبات السعد من الأرض وتدور بها في الجو ثم تلقي بها على الأرض · وكانت تتدحرج الصخور الكبيرة العسيرة التدحرج مثل الحصى الناعم ، وتجرف كل ما يصادفها كالهشيم اليابس : حيوانات كانت أم نباتات ، خشباً كانت أم حجارة · وكادت تطيح حتى بالأبنية وتسويها مع الأرض لو سمح المدبر واللطيف بالعباد أن تصطدم بها ·

وهناك تغييرات أخرى للرياح وهبوب الهواء · فبعضها باردة بحسب أبخرة الأرض وبرودتها ، وتكوّن الجليد والصقيع والجليد الخفيف المرشوش على الأرض كالرماد ، وأخرى ساخنة وشديدة الحرارة بقدر ما تكوّنها الشمس من حرارة الهواء ، وهي تنعش الحيوانات والنباتات، وتربي الزروع والبقول وسائر النباتات على الأرض · وقد تتحول هذه أيضاً الى ضارة وقاضية على كل شيء اذا شاء المدبر ، اذ يأمر أن تهب حارة أو باردة أكثر من المعدل ، تلك التي تحول الماء حجراً وتجمد الأنهار الكبيرة وتمنع جريانها ، وتقضي على ما فيها من الأسماك · وتقتل الحيوانات والطيور والدبابات التي على الأرض · وتيبّس الأشجار والنباتات حيث تقضي على ما فيها من طبيعة الانماء ، أو عندما تكوّن في الهواء رياحاً مهلكة تولد الأوبئة ، حيث ينتشر الوباء عندما تستنشقها الحيوانات أو البشر فيموتون ·

☐ أهمية الهواء في الطبيعة :

ولئن تحدثنا عن تحركات الهواء كثيراً ، الا أننا نعود للحديث عنها ثانية لتكون أكثر فائدة لمن يقرأها ، ويتناول الحديث التعقيب التالي :

لماذا اقتضت الضرورة أن يتحرك الهواء بصورة مستمرة ولا يكون مستقراً مثل الارض ، ويقتصر على رقته وقابليته للذوبان واستنشاقه ؟. بهذا الصدد نجيب : ان لتحركه ورقته وذوبانه فوائد جمة • وهي ضرورية جداً لجميع الكائنات الجسمانية :

أولاً : لو لم يخلق متحركاً وقابلاً للذوبان ورقيقاً ، لما تمكنت الأحياء من استنشاقه بسهولة •

ثانياً : لو لم يخلق رقيقاً وقابلاً للذوبان ومتحركاً ليبتعد عنا ويفسح لنا المجال لنواصل سيرنا ، ويملأ الحيز الذي نتركه كلما انتقلنا من مكان الى آخر ، لما أمكننا أن نتحرك • لأننا وجميع الأجسام الأخرى نتحرك بواسطته ، مثل الأسماك في الماء الذي يتراجع تدريجياً وبسهولة ليملأ الحيز الذي تتركه لئلا يبقى فارغاً • على هذه الصورة كون الله هذا العالم وهيأه بيتاً كبيراً للانسان الذي كان مزمعاً أن يخلق فيما بعد • ليس فيه مكان فارغ تماماً دون أن يكون فيه جسم ما من أحد العناصر الأربعة • أو أجسام أخرى مركبة منها • مثل الزق المنفوخ الذي صنع ، كما أسلفنا ، بصورة لا يمكن أن يكون فيه مكان فارغ وهو منعقد وليس بامكانه أن يسع أكثر مما وضع فيه الى جانب الهواء • فاذا صادف وان تحرك ما في الزق ، فان الهواء الذي في داخله يتحرك ويفسح له المجال ليتحرك داخله بسهولة ويملأ الفراغات التي يتركها داخل الزق • هذا ما يجب أن نفهمه ولا شك ، عن هذا الزق الكبير الذي تنحصر فيه كل الكائنات الجسمانية التي تحتاج الى مكان تتحرك فيه• وهذا هو ما ندعوه جلداً متيناً وثابتاً بصورة متكاملة وسليمة • وليس فيه مكان فارغ ، كما لا يمكن أن يستقبل شيئاً أكثر مما حصر فيه منذ البداية ، الأمر الصادر عن القوة الخالقة • ومما لا ريب فيه ، ان أي مكان في هذا الكون، زق الأشياء الجسمية ، لا يوجد فيه سوى جسم واحد • أما التراب أو الهواء أو النار ، أو جسم ما متكون من هذه ، فلا [يعطي] أحدهما مكاناً لخدنه ، حيث لا مكان فارغ في هذا الكون ، الا اذا كان هناك تبادل متعادل وعادل من حيث القوة والمرور • أي عندما تتبادل الأمكنة مع بعضها البعض ، ثم تنفصل عن بعضها البعض وتتراجع دون أن يكون هناك غالب ومغلوب • ويمكن مشاهدة هذا بالعين ، اذا أخذنا اناء فارغاً ذا فوهة ضيقة مثل الابريق أو الكوز أو قلة زجاجية ، وغطسناه بالماء بقوة ، نشاهد الماء والهواء يتفاعلان في مدخل الاناء الضيق ، فالهواء يحاول الخروج منه ، في حين أن الماء يحاول دخوله ، وكل واحد يحاول احتلال مكان الآخر • وكذلك عندما نلاحظ الحجامين وهم يضعون حجاماً

على أجسام الناس حيث لا يوجد ولا يمكن ان يوجد مكان اضافي أو فارغ، وعندما يتنقل جسم النار الرفيع داخل الحجامة حيث لا مجال لدخول الهواء الرقيق والقابل للذوبان ، لذا كان لا بد أن ينتزع حالا المكان الفارغ داخل الاناء ليدخل ويملأ اللحم الطري الذي تغلغل بواسطته ٠

وهكذا نرى أن ليس في هذا الكون ، مكان خال ٠ وان حركة الهواء وذوبانه ورقته أمر ضروري ٠ وبوسعنا أن نعرف أيضا أهمية حركة الهواء من المياه الراكدة في مكان ما دون أن تتحرك ٠ فانها تأسن وتصير غير عذبة وصالحة لشرب الناس والحيوانات ٠ فكذلك هو الأمر أيضاً بالنسبة الى الهواء اذا استقر ولم يتحرك فانه يفسد ويصبح كريهاً ومسبباً للمرض وغير صالح لاستنشاق الناس والحيوانات ٠ فيسبب ضيق النفس والاختناق ، ومرض الكآبة وضغطاً في قلوب الذين يستنشقونه ٠ أما اذا تحرك باستمرار ، وكوّن رياحاً ونسائم منعشة ، وجذب بتحركه البرودة المتكونة من بحار الأرض والرطوبة المعتدلة المتصاعدة من أبخرة المياه ، وحرّك الأشياء المختلطة به ، وغيبها بالحرارة التي ازدادت به اذ كان هادئاً وجعلته سبباً للمرض وضيق القلب ، وطرد الروائح الكريهة التي أفسدته ، والأمراض التي ولدتها هذه الروائح بواسطته ، فيصبح آنذاك منعشاً ومقبولاً وطيباً ، وشافياً ومقوياً لأجساد البشر والحيوانات، ويحركها بحركته، كما يحرك النباتات والأشجار وأوراقها٠ وعندما يكشفها ويحركها ويتغلغل بينها يغذي وينمي ثمارها ويجعلها لذيذة وذات نكهة طيبة ٠ وعندما يحرك الطيور التي تسبح فيه كما يسبح السمك في الماء ، يبدو سهلاً وسريعاً وقابلاً للاختراق ٠ فلو لم يتحرك لثقل وتعسر ، وبجهد جهيد تتمكن أجنحة الطيور من اختراقه ، ولا سيما الطيور الكبيرة ذوات الأجسام الضخمة ٠ فمن هذه الأشياء وأمثالها تبدو ولا ريب ، ضرورة حركة الهواء والرياح والنسائم التي تتحرك بواسطته ٠ وبالعكس فان سكونه المكثف وعدم حركته يسببان أضراراً وأمراضاً ٠

وللهواء تغيرات أخرى في تحريكه للرياح والنسائم ، كما يروي الخبراء العارفون اذ يقولون : ان الرياح في هبوبها على البحار ، تختلف عن التي تهب على اليابسة ، والتي تهب على الجبال ، غير التي تهب على السهول ٠ فهي تختلف في النوع والخصائص والاعتدال ٠ فالتي على ساحل البحر والأماكن الرطبة ، غير التي تهب على الأماكن الجافة والصحراوية ٠ وغيرها هي تلك التي تهب في البلدان الشمالية الباردة ،

وتختلف عن التي تهب في الجهة الجنوبية الحارة كبلاد الهند والحبشة ٠ وان الحديث عن كل التغيرات والانواع والخصائص المختلفة والمتباينة التي يشير العلماء الى وجودها او احتمال وجودها في عنصر التراب او طبيعة الهواء : هو حديث طويل عريض يفوق الطاقة والعقل ٠ والآن لنسترسل بالحديث دون تحديد ، ونحاول جمع مختلف الاسماء والألفاظ والكلمات الكثيرة ، مما يخص هبوب الرياح ، ونلاحظ أن الله الخالق قد جعل من الهواء محركاً لمختلف الأشياء والأمور الأخرى المرعبة والمثيرة للعجب وغير مدركة وفائقة للوصف ٠ والتي قد تكون أحيانا في خدمتنا ، وأحياناً أخرى لتأديبنا ، وذلك بمقتضى ما يحسن لحكمته وتدبيره العجيب وعمق أحكامه غير المدركة ٠ والشيء الوحيد الذي يجب أن نعرفه هو أن نكتفي بالقول : ان كل ما صنعه حسن وجميل كما ورد في الكتاب المقدس ٠ فالله لم يأت بشيء عبثاً او غير صالح ٠ وانه لمن الضروري ولا شك أن الخالق يتحرك فيأمر بتكوين الأسباب الطبيعية الصحيحة والحقيقية لهذه الأشياء حيثما وكيفما شاء ٠ وهذا ليس من شأننا ولا يقع تحت ادراك العقل والمعرفة البشرية ٠ وهذا هو شأننا أيضاً كما أعتقد ، بالنسبة الى الطبيعة المخلوقة الناطقة برمتها ، والأمور الأخرى العديدة غير المدركة ٠ فهذه كلها ننسبها الى معرفة حكمة ذاك الذي أوجدها بهذه الصورة ، والذي يدبر الأمور بحسب معرفته وبما هو لصالح الجنس البشري ٠

فمن أجل معرفة الخليقة الثانية الجسمانية والهيولية والتي تقع تحت قوى الحواس ، وأعني بها المادة المركبة من أربعة عناصر هي : التراب والماء والهواء والنار ، ومن أجل معرفة الاختلاف في خصائص كل واحد منها والفصل بينها ٠

ومن أجل تكوين وتثبيت السماء والأرض وما يتوسطهما ، وهو الجزء المكمل لهذا الكون الواسع ، والجمال العجيب الرائع الذي يمجد خالقه ٠

ومن أجل تصفية طبيعة عنصر النار المخلوق والمرتفع ، وظهور النور المنبثق منه واستنارته ٠

ومن أجل تصفية وتطهير طبيعة الهواء ، ذلك العنصر الموجود داخل النار وتحتها ٠

ومن أجل الجلد المتين والثابت الذي كوّن من هذا العنصر وفيه ، وفصل بين المياه على الأرض وبين التي اختلطت بطبيعة الهواء ، وقد

اعدت لتكون محطة متوسطة في الهواء الذي فوقنا الرطب والطري ومرطب حرارة الاثير الذي فوقه ، ومكون السحب ·

ومن أجل امور أخرى مدهشة خلقها الله بامره وارادته وقدرته وتدبير حكمته ، في طبيعة الارض وطبيعة الهواء الذي نتنقل فيه ، والذي هو فوقنا ·

من اجل كل ذلك تحدثنا أيها الأخ العزيز محب العلم والحق ، على قدر ما أوتينا من قوة وارشاد الروح المرشد وواهب المعرفة والحكمة ·

□ كل ما في الكون من صنع الله :

ولما كان كلامنا عن هذه الأمور لا يفي بالغرض ، كان من الضروري أن نشفعه بكلام من الكتب المقدسة الموحى بها من الروح لتكون برهانا له ومصداقا · ولكي تشهد وتعلن بكلمات وتعابير مقتضبة : ان السماء والأرض وما يتوسطهما هي أعمال عظيمة وجليلة لله العظيم الحكيم الماهر والخالق القوي والقادر على كل شيء · فلنفعل اذن هذا ، ونهيىء كلامنا للختام كما يقتضي ويتطلب الواجب · فبعد شهادة موسى الرجل الشهير والعجيب والمستحق التصديق التي تقول : « في البدء خلق الله السماء والأرض » ، أرى من الضرورة أيضا اقتباس شهادات بينة من رجلين آخرين او ثلاثة ممن لهم كلمة مقبولة ، دعما لكلامنا · ليس من أجل استنارة وتثبيت وتقوية فكر القراء فحسب ، بل لأمر أهم ، ألا وهو بطلان وتبكيت الذين يهذون ويتجاسرون على القول : ان هذا الكون ، اما ليس مخلوقا او انه أوجد ذاته بذاته ، أو انه كون من قبل سبعة آلهة هي الكواكب المدبرة التي تتحرك في السماء ·

وقبل كل شيء نورد شهادة الرجل الكبير والشهير المدعو قلب الله الملك والنبي داود الذي اراد ان يعلم العباد كيف يمجدون الخالق · قال(٢٤) : « السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه · يوم الى يوم يذيع كلاما ، وليل الى ليل يبدي علما ···»(٢٥) « للرب الأرض وملؤها ، المسكونة وكل الساكنين فيها ، لانه على البحار اسسها وعلى الانهار ثبتها···»(٢٦) « بكلمة الله صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها »··· الرب « (٢٧) صنع السموات ··· جلال وبهاء أمامه ···

٢٤ـ مزمور ١٩ : ١ ·
٢٥ـ مزمور ٢٤ : ١ ـ ٢ ·
٢٦ـ مزمور ٣٣ : ٦ ·
٢٧ـ مزمور ٩٥ : ٥ ـ ٦ ·

قوة ومجد في مقدسه ··· من القدم أسست الأرض والسموات هي عمل يديك ، هي تبيد وأنت تبقى وكلها كثوب تبلى وكرداء تغيرهن فتتغير »[٢٨] « بسط السماء كالخيمة ··· الجاعل السحاب مركبته الماشي على أجنحة الريح » ··· « [٢٩] المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع الى الدهر والأبد » · ويقول عن الله أيضاً[٣٠] « أسست الأرض وجعلتها ثابتة » · وفي وصيته بالشكر لله يقول[٣١] : « الصانع السموات بفهم ··· الباسط الأرض على المياه » · فبهذه الكلمات يشهد داود على عظم عمل الله ·

أما سليمان ابنه ووارث ملكه فتحدث بما يشبه تلك وقال[٣٢] : « الرب بالحكمة أسس الأرض ، آثبت السماء بالفهم ، بعلمه انشقت اللجج وتقطر السحاب ندى » · ويقول وهو يتحدث بشخص الكلمة الخالق الذي هو حكمة الله الخالق وقوته : « لما ثبت السماء كنت هناك أنا · لما رسم دائرة على وجه الغمر ، لما ثبّت السحب من فوق ، لما تشددت ينابيع الغمر ، لما وضع للبحر حده فلا تتعدى المياه تخمه ، لما رسم أسس الأرض كنت عنده صانعاً »[٣٣] · أما أرميا النبي الدي تقدس من بطن أمه فيقول : « صانع الأرض بقوته مؤسس المسكونة بحكمته وبفهمه بسط السموات »[٣٤] · ويقول زكريا النبي : « وحي كلام الرب على اسرائيل ، يقول الرب باسط السموات ومؤسس الأرض »[٣٥] · هكذا وبهذه الكلمات يشهد رجال الله هؤلاء الملهمون ، على ما صنعه الله خالق الكل ·

بعد هذه الشهادات الموحى بها من الروح والتي جاءتنا على ألسنة البشر ، نرى من الضروري والمناسب ايراد شهادة الله الخالق نفسه عن نفسه ، وقد جاءت في حوار الله مع الرجل الصديق أيوب ، حيث قال[٣٦]: « أين كنت حين آسست الأرض ؟ » ، ثم يسأله[٣٧] : « من يحصي الغيوم بالحكمة ؟ » · وهكذا يكون كلامنا المتعثر تعثر كلام الأطفال ، أيها الأخ العزيز ومحب الحق، قد تمكن ، بما أعطي من قوة ، من الحديث عن الخليقة الثانية الجسمانية التي خلقها الله الصانع · وهكذا أيضاً

٢٨- مزمور ١٠٢ : ٢٦ - ٢٧ ·
٢٩- مزمور ١٠٤ : ٢ - ٥ ·
٣٠- مزمور ١١٩ : ٩٠ ·
٣١- مزمور ١٣٩ : ٥ - ٦ ·
٣٢- أمثال ٣ : ١٩ - ٢٠ ·
٣٣- أمثال ٨ : ٢٧ - ٣٠ ·
٣٤- ارميا ٥١ : ١٥ ·
٣٥- زكريا ١٢ : ١ ·
٣٦- أيوب ٣٨ : ٤ ·
٣٧- أيوب ٣٨ : ٣٧ ·

أطلعنا الكتاب المقدس بكلمات مقتضبة ويسيرة ، على كيفية تأسيس السماء والأرض • وهذا كان الأسلوب الملائم ، الذي كان عتيدأ أن يتحدث عن تشييد صرح ملكي عظيم ، واذا به يختصر ويختتم الحديث بعبارة واحدة هي : تم بناء الصرح الملكي دون أن يتطرق الى كيفية انشائه وتزيينه • فقد حفظ هذا الحديث آخر •••

وهكذا زينا خاتمة كلامنا بشهادات حقيقية عن العمل العظيم الذي أنجزه الله القوي والخالق : من رجال عظماء وذائعي الصيت وممن يستحقون التصديق ، كهنة وملوكا وأنبياء • أولئك الذين تكلموا بروح الله الذي خلق كل شيء بقوته ، وحرك بحكمته عباده لكي يتحدثوا عن عظمته ويخبروا عن خليقته • ذاك الذي له المجد والعزة والسلطان من جميع أعماله ومن أجلها ، الآن وكل أوان والى أبد الآبدين • آمين •

* * *

المقال الثالث

في الأرض الظاهرة بفضل انحسارها عن المياه وظهورها يابسة بأمر الله لسكنى البشر

وفي البحار والخلجان والجزر والبحيرات وما فيها من أنهار ·
وفي الجبال الشهيرة والعظيمة وفي الزروع والعروق والأشجار التي أمر الله أن تنبت فيها

ان الأبنية التي يقيمها الناس في هذا العالم ، اما أن تكون دور سكن خاصة أو مدناً عامة أو هياكل وغيرها من أمثال هذه المشاريع المفيدة ، والمساكن الصالحة للناس · فاذا كان البناء دور سكن للناس ، فانهم سيولون اهتمامهم قبل كل شيء وفور انجاز البناء والتسقيف : بتنظيم وترتيب وتزيين كل ما هو ضروري من الداخل · أي أرضيته ، وتسييع جدرانه وتزيين سقفه ، وانجاز وضبط كل المستلزمات الأخرى التي يحتاجها الساكن· أما اذا كان المطلوب بلدة ، فان البنائين يولون اهتمامهم، فور انجاز بناء السور والدور السكنية ، بتسقيف الشوارع والأماكن العالية ومجاري المياه ، وانجاز كل ما هو ضروري ومفيد ولائق بسكنى الأهالي · ويخبرنا الكتاب المقدس ، بأسلوب بشري ، وبكلمات موجزة ومقتضبة عن عظمة عمل الله الخالق ، ويقول : « في البدء خلق الله السماء والأرض(١) » اذ جاء بها من العدم الى الوجود ، معلناً أن الله الحكيم قد أتمّ بناء هذا العالم وجهزه بيتاً كبيراً ومدهشاً لسكنى الانسان الذي كان مزمعاً أن يخلقه فيما بعد ، على صورته وشبهه(٢) · انه لعظيم في جماله ، وعجيب بترتيبه وتناسق تكوينه · وبعد أن قال الله كلمته في الأرض التي لم تكن في البدء منظورة أو مكونة ، قال كلمته أيضاً في النور : « ليكن نور »(٣) وكان نور، وجعل الخالق جلداً في وسط هذا الفضاء(٤)، وظلل أفلاكه بالمياه كما قال الروح المرتل(٥) ، وفصل بين مياه ومياه ،

---

١ ـ تكوين ١ : ١ ·
٢ ـ تكوين ١ : ٢٦ ·
٣ ـ تكوين ١ : ٣ ·
٤ ـ تكوين ١ : ٦ ·
٥ ـ مزمور ١٠٥ : ٣ ·

وجعله مكاناً مضيئا ومسكنا متقنـا ومناسبا شبه صـرح ملكي : لسكنى الانسان الملك ولجميع الحيوانات التي خلقت لخدمته · وبهذا كشف عن عظيم اقتـدار وحكمة الله المبدع ·

☐ دور كلمـة الله في الخلـق :

وهنا أيضا يقدم لنا الكتاب : الله الخالق . كموجد ومنظم ومؤسس لكل ما سبق وخلقـه ، حيث يخبرنا ، بان الله الخالق عنـدما اراد ازالة ما كان يستر الارض عن الأنظار ، وأن تجتمع المياه تحت السماء في مكان واحد ، وتظهر اليابسة : أوعز الى كلمته الخالق بصيغة الأمر ، كمـا ذكر سابقا ، نظراً الى المساواة في الارادة والعمل والكمال وذاتية الأزلية والقوة والسلطان : فكان كذلك · وقد ألقى الكتاب المقدس ، ولا سيما الروح ملهمـه ، الأضواء على الكلمـة الآمرة والفاعلة والخـالقة ، التي نطق بها الله الخالق والقادر على كل شيء ، ونفذت دون تأخر · فقـد كتب وسلم الينـا من أجـل أن ندرك نحـن وجميع ذوي العقل الراجح والباحث الذي يستنير بالروح ، ثم تابع كلامه الذي أعلن فيه عـن عظمة وقـوة الكلمة الخالق ، يمين الأب وقوته ، وقال : « لتجتمع الميـاه تحت السماء الى مكان واحد ولتظهر اليابسة ، ودعا الله اليابسة ارضاً ومجتمع الميـاه دعاه بحاراً ، ورأى الله ذلك أنه حسن »(٦) ·

وهكذا وبهـذه الكلمات الموجزة والمقتضبة يخبرنا الكتاب المقدس عـن المساواة في الارادة والعمـل لدى الله الأب العقـل العظيم الخلاق ، وكلمتـه وابنه الوحيد الخالق ، فان الآب آمر أن يكون ، والابن ، مـن حيث قـوته ومساواته للآب بالسلطان ، نفذ الأمر · وان آمر الآب هـذا الصادر الى الابن المساوي له بالطبع ، لا يشير الى كونه عبداً أو خادماً ، بل الى كونه ابناً مساوياً في الكرامة والارادة · ومثاله مثـل العقل الذي يصدر أمره الى كلمته · ولا يمكن للعقل البشري الاعتيادي ، أن يدرك هذا الا على هذا الشكل ، فيقول : ان لكليهما ارادة واحدة · أما اذا قال أحـد أن ارادة العقل الوالد للكلمة هي غير ارادة الكلمـة ، فمـع أن ذلك كاذب ومرفوض ، فهو يبرهن على جنون العقل الذي يقول به · اذن فأمر الآب للابن « لكن » ، لا يعني شيئاً سوى مساواتهما في الكرامة والارادة ·

يقـول : « لتجتمع الميـاه تحت السماء الى مكان واحـد ولتظهر اليابسة » · ان هذا الكلام الموجز يولد كثيراً من الشكوك ، ويحتاج الى مزيد مـن البحث · فلا بـد من أن نتساءل مستقصين فحواها : الى أي مكان أمر الله أن تجتمع الميـاه ؟ فبمقتضى هـذا الأمر لم تكن المياه على

---

٦ ـ تكوين ١ : ٩ ·

وجه الارض ، حتى اذا انحسرت منها المياه وجفت ، ظهرت اليابسة خالية من الرطوبة · ان الأرض كانت محاطة بعمق غمر المياه ، كما يحاط الجنين بالمشيمة داخل الرحم ، حيث كانت تحفظ ذاتها بصلابتها وكثافتها وبشكلها الكروي وثقل طبيعتها · فلم يكن فيها مرتفعات أو أعماق ، ولا جبال أو سهول مختلفة عنها ، ولا كهوف أو وديان · ولم تكن مائلة الى هذه الجهة أو تلك ، ما خلا ميلها العام نحو جميع الجهات على حد سواء · وهو الناشيء عن كرويتها واستدارتها · لكنها كانت على مستوى واحد مع المياه التي تغمر سطحها · فلم يكن فيها شق في الداخل ولا بروز في الخارج · فعليك أن تعلم هذا أيها السامع محب الحق والباحث الفطن ·

□ الخلقة في سفر التكوين :

ان الكتاب بقوله : « غير منظورة » قد حتم بانها لم تكن مكونة · والحق يقال ان سطحها كان مائلاً الى كل الجهات لأنها كانت كروية ومستديرة ، واذ لم تكن جاهزة تماما ، لم تكن بعد صالحة لسكنى الناس · وذلك ، اولا : لأنه لم يكن بالامكان ازاحة المياه عن سطحها ما دامت مستديرة بهذا الشكل · ثانياً : لم تكن لتصلح اطلاقاً لسكنى البشر والحيوانات ، وهي بهذه الصورة غير منظورة ومغمورة بالمياه . كما لم تكن لتصلح حتى لنمو الأعشاب والأشجار ما لم تصبح مسطحة بعد انحسار المياه عنها مثل سهول البر · وكما نعلم ان الأرض التي تقع في أسفل الجبل تكون صالحة للزراعة لأنها تميل ميلاً مناسباً نحو احدى الجهات ، وتستقبل من سفوحها سيولاً رطبة ومياهاً ونسائم منعشة · هكذا كانت في المياه سابقاً ، اذ لم تكن منظورة ولا جاهزة · أما كونها غير منظورة فلأنها كانت محجوبة بغمر المياه ، وأما كونها غير جاهزة فلأنها مستديرة وكروية · لذلك قال الرب الخالق : « لتجتمع المياه تحت السماء من وجه الأرض · ولتظهر اليابسة » فتكون منظورة وجاهزة وصالحة لاستعمال وسكنى البشر والحيوانات عليها ، ولانبات وتوليد الزروع والجذور ، ولتغذية وتربية النباتات والأشجار المثمرة · هذا ما سلمه الينا الكتاب عن الله الخالق ، وللفور غيّر الكلمة الخالق ، بايعاز من القادر على كل شيء ، شكل الكرة المستديرة والسطحي ، وجعل الأرض تتحرر من المياه ليس بتحديد استدارتها ، فتخرج خارج حدود الكروية ، فتغير الجبال والمرتفعات العالية وحسب ، انما داخل الحدود النائية أيضاً والشقوق الباطنية والأغوار العميقة والشاسعة لاستيعاب المياه التي أمرت أن تجتمع على مساحة الأرض ، بحيث أن القسم الذي برز عالياً من الأرض صار منظوراً ، والقسم الذي غار نحو العمق

وغمر ، أعد مكاناً ، كما أمر للمياه التي كانت عتيدة أن تتحول الى القسم المرتفع • وبموجب الأمر الصادر اليها ، فان المياه انحسرت وتجمعت على وجه الأرض المرتفعة واستقرت في الأمكنة المنخفضة • أما الأرض التي برزت فانها تخلصت بعد فترة وجيزة من الرطوبة ، وظهرت يابسة بموجب الأمر الالهي الصادر اليها ، فأضحت في الوقت ذاته جاهزة ، حيث ظهرت فيها جبال عالية ، وكهوف وصخور ناتئة واغوار ووديان وسهول وفجاج وأراض خصبة ما بين الجبال ، وروابٍ وهضابات مرتفعة نحو الأعلى ، وأمكنة صالحة ومناسبة لسكنى البشر • هذا كل ما وضحته بايجاز الكلمة في حديثها عن الارض ، واذ كانت غير منظورة وغير جاهزة ، وكيف انها بأمر من الله الخالق أضحت بغتة منظورة وجاهزة •

يستوجب هذا برهانا مقنعا للسامعين ، لذا سنخصص له جزءاً من الحديث على قدر الامكان ، ليحثوا الخطى نحو ادراك هذه الأمور عن قناعة • فليأخذ مثلا أي انسان عاقل ومفكر وفطن ، قطعة من العجين بمقدار ما تسع كلتا يديه ، وليعجنه ويصنع منه كرة مستديرة ، ثم يضغط بيده على الكرة العجينة اللينة ليجعل لها شكلا آخر مغايراً لكرويتها الحقيقية • بحيث تصبح طويلة نوعاً ما ومسطحة قليلاً عن دائريتها ، ويكوّن فيها بأصابعه أماكن غائرة نحو الدخل ، وأخرى بارزة قليلاً ومرتفعة نحو الأعلى • على هذا النمط يجب أن يفهم المرء تغيير شكل الأرض • حين ظهرت فيها ، باشارة قوة الخالق ، مرتفعات وأعماق ، على أثر صدور الأمر بانحسار المياه عنها ، فبرزت متكاملة •

□ التجمعات المائية :

يقول : « لتجتمع المياه تحت السماء من وجه الأرض الى مكان واحد » • فبقوله « مكان واحد » أراد أن تجتمع المياه كلها في جانب الأرض المنخفض ، ويرتفع الجانب الآخر ليكون يابسة ، ولم يقصد أن تكوّن بحراً واحداً أو متجمعاً واحداً ، كما هو معروف ، بل قصد أن تأخذ المياه جانباً واحداً من الأرض كما قلت ، وتترك الجانب الآخر لليابسة ••• ويقول : « واجتمعت المياه تحت السماء في متجمعاتها » • فانه قال متجمعات ܟܢܘܫ̈ܐ بصيغة الجمع لا المفرد ܟܢܘܫܐ •

ثم أضاف قائلاً : « ودعا متجمعات المياه بحاراً » وهذا ما يبرهن على أن متجمع المياه لم يكن واحداً ؛ ولم يحصر الله المياه في بحر واحد • بل في

بحار وبحيرات ومتجمعات كثيرة ، وفي أنهار مختلفة كبيرة وصغيرة ، ويشهد على صحة هذه الأمور ، كل من الكتاب المقدس ، والعمل المنظور ، وان وجود البحار المتعددة والمختلفة في المعمورة ، أمر واضح ومعروف ·

وفي مقدمتها البحر المتوسط(٨) الكبير والغزير بالمياه ، وبحسب تعبير الكتاب ، هذا البحر الشاسع الذي يتدفق(٩) من جهة المسكونة الغربية من مجمع المياه العام ومصدر كل المياه ، ذاك الذي يسميه اليونانيون أوقيانوس (المحيط)(١٠) · وكأن سابقاً يبدأ من منفذ ضيق من ناحية جزيرة كاديرا(١١)، ومن أعمدة هرقل نتوءان بارزان عند مدخل جبل طارق الواقعة ازاء أراضي اسبانيا Hispania وفي منتصف المسكونة وباتجاه الشرق ، يعرض وينتشر ويتوسع ويسيطر على مساحة من الأرض نحو خمسة آلاف ميل طولاً أو يزيد ، وأربعمائة ميل عرضاً ، وتنتهي جهته الشرقية عند جبل أمنون Amanon الذي أقيمت الى جانبه مدينة أنطاكية Magna Antiochensium · وعند بلاد قيليقيا وسورية وفينيقيه وفلسطين Palestina, Phœnisia, Syria, Cilicia . هذا أول بحر في المسكونة البشرية ·

وفي بحر أدريلي هذا خلجان، منها الذي يسمى Sikelicos, Turrenicos, Aigupticos, Kreticos, Atlanticos · (ܛܘܪܢܝܩܘܣ ܘ ܣܝܩܠܝܩܘܣ ܐܛܠܢܛܝܩܘܣ ܘܩܪܝܛܝܩܘܣ ܘܐܓܘܦܛܝܩܘܣ) وخليج قيليقيا Kilikios وكثير غيرها · أما الخلجان الموجودة في جهته الشمالية ، فمنها Italicos (ܐܝܛܠܝܩܘܣ) المدعو Ionios (ܝܘܢܝܘܣ) الذي يمتد بين ايطاليا ومقدونية Makdonia, Italia وذلك المسمى Aigaios (ܐܝܓܐܘܣ) الذي يمتد بين الأدا وتراقية Tracia, Ellada وداخل تراقي و Ellespontos (ܘܐܠܣܦܘܢܛܘܣ) الذي يتفرع من هذا ويمتد بين تراقية وبيتونية Bitunia, Tracia ويختلط ببحر Pontos (ܦܘܢܛܘܣ) ، أو كما يسميه بعضهم Euxeinos Pontos . (ܐܘܟܣܝܢܘܣ ܦܘܢܛܘܣ) · وفي الجهة

---

٨ ـ وباليونانية Adrias · وباللغات الغربية Adriaticus .
٩ ـ مزمور ١٠٥ : ٢٥ ·
١٠ـ Oceanus :
١١ـ Kadeira .

الجنوبيـــة يوجـــد خليـــج Sortismajor (ܣܘܪܛܝܣ) الكبـــيرة Sortisminor (ܣܘܪܛܝܣ) الصغيرة ·

وفيه خمس جزر كبيرة وهي Kurnos, Sardo, Ciprus, Kreta, Sicilia (ܩܘܪܢܘܣ ܘܣܪܕܘܢܘܣ) صيقليا وقريطي وقبرص · والجزر Peloponneros, Kersonesos (ܦܠܘܦܘܢܢܣܘܣ ܘܟܪܣܘܢܣܘܣ) ܘܐܪܘܢܣܘܣ وكثـير غـيرها ·

أما الجزر الصغيرة فهي: رودوس Rodos, Kios, Samos, Euboia, Ithake (ܘܩܝܘܣ ܘܣܐܡܘܣ ܘܐܘܒܘܝܐ ܘܐܝܬܩܐ) ܘܐܡܠܐܣ وكثير غيرها ، لا نذكر جميعها تجنباً للاكثار من الأسماء ·

والبحر الثاني الذي تركه المبـــدع الحكيم الضابط الكل ، في هـذه المسكونة ، هو المعروف بـ Euxeinos Pontos أو ܐܘܟܣܝܢܘܣ ܦܘܢܛܘܣ الذي سبق ذكره عندما قلنا ان خليج الدردنيل Ellespontos | ܐܠܠܣܦܘܢܛܘܣ الذي في البحر المتوسط يختلط به · فهو يمتد من الغرب الى الشرق طولاً · ويبتدىء من بلاد Musia (ܡܘܣܝܐ) بالقرب مـن ترافية ، ويمتد طولاً حتى بلاد Kolkida (ܩܘܠܟܝܕܐ) بالقرب من جبال قفقاسية Caucasia ويبلغ طوله نحو ألف وثمانمئة ميل ، وعرضه قرابة ثلاثمائة ميل · وتقع الى شماله بحيرة لاتصغره كثيراً ، تدعى Maiotis (ܡܐܝܘܛܝܣ) التي تصب فيها روافد كثيرة من أنهار كبيرة في Sarmatia (ܣܪܡܛܝܐ) وفي البلدان الغربية Hunni Alani (ܘܐܠܐܢܝ ܘܗܘܢܢܝ) ، ولكثرة هـذه المياه ، فانها تصب في بحر Pintor (ܦܢܛܘܣ) ، وهو بدوره يصبهـا في البحـر المتوسط نظراً الى صغر حجمـه اذ يقـع في جنوبـه ·

أما البحـر الثالث الذي وضعـه الخالق المبـدع في المسكونـة ، فهو والمعـروف (ܗܘܪܩܢܝܐ) (Mare et Hyrcanorum et Caspiorum) أو (ܟܣܦܝܐ) ، الذي لا تختلط به أي من بحيرات المسكونة ، والذي

يمتد هو الآخر من الغرب الى الشرق طولاً · من الحدود الشرقية لأرمينيا والبانيا Armenia, Albania وحتى الحدود الغربية لبلدان ܡܡܣܢܝܐ

ويبلغ طول امتداده قرابة الألف وثمانمئة ميل · أما عرضه ووسطه فقرابة ستمائة ميل · يصب فيه من الجهة الشرقية النهران الكبيران Oxos Iaxartes (ܐܘܟܣܘܣ ܘܐܝܟܣܪܛܣ) اللذان تنصب فيهما جميع روافد المياه الآتية من جبال (ܗܡܘܕܐ ܘܐܡܘܢܝܐ) ، ومن الشمال ، النهر الكبير المسمى Ra (ܪܐ) الذي يصب فيه مجرى مياه الأنهار ومجاري مياه الجبال الشمالية الكبيرة، في بلاد Segthe, Turci, Sarmatari (ܣܩܘܬܝܐ ܘܛܘܪܩܝܐ ܘܣܪܡܛܝܐ) ، وكثير غيرها من الأنهار التي تنبع فيها بصورة مستمرة فتولد رطوبة كثيفة ، وتأتي من جهة الأرض الشمالية · ونظراً الى كثرة المياه التي تصب فيه وتريد في ملئه ، ينعدم فيه وجود الجزر · وبالكاد ظهرت فيه جزيرتان صغيرتان منذ بدء العالم وحتى الآن ، وهما غير صالحتين للسكنى ·

أما البحر الرابع ، أكبر جميع بحار الأرض المأهولة ، فهو المسمى بحر Erutra (ܐܪܘܬܪܐ) أي الأحمر · الذي يمتد في جهته الشمالية الخليج المدعو العربي Arabicus الذي اجتازه بنو اسرائيل لدى خروجهم من أرض مصر ، والخليج أي البحر المسمى بحر العيلاميين Elamitus الذي يتفرع من العربي وينحدر من غرب البحر الأحمر نحو الشمال ، من المكان الضيق عند بلاد الحبشة Aetiopia حتى برية فاران Pharan حيث اجتاز بنو اسرائيل · ويبلغ طوله نحو ألف وأربعمائة ميل ، وعرضه من الجنوب نحو أربعمائة ميل ، ومن الشمال قرابة مئتي ميل وربما أقل · أما خليج العيلاميين أي الفرس Persos ، فيبلغ طوله نحو ألف وأربعمائة ميل اعتباراً من البحر الأحمر نحو الجنوب حتى بلاد بابل Babylonia حيث يقع النهران الكبيران دجلة والفرات Euphrates, Tigris . أما عرضه من الجنوب الى الشمال فقرابة سبعمائة ميل ·

أما البحر الأحمر الكبير (Marc Rubrum) الذي لا يقاس ، فهو ممتد من خط طول الأرض المسكونة مئة وثمانين من الغرب الى الشرق ، وخط مئة واثنين من بلاد الحبشة حتى بلاد الصين Terra Sinarum في أقصى شرق

المسكونة ، ويبلغ طوله من الغرب الى الشرق نحو ثمانية آلاف ميل . وعرضه من الجنوب الى الشمال قرابة ألفين وسبعمائة ميل في بعض الأمكنة • ويوجد في هذا البحر خلجان كثيرة وكبيرة ، وجزر لا تحصى ، وفيه جزيرة كبيرة قبالة الهند Indiac تدعى Taprobane . ܛܦܪܘܒܐܢܝ تبلغ دائرتها نحو أربعة آلاف ميل • وجزيرة جافة بالقرب من الصين تدعى Kersonesos (ܟܪܘܣܘܣ ܢܐܣܘܣ) اي الجزيرة الذهبية •

ويمتد بحر الأحمر هذا الى نحو نصف المسكونة ، فهو يمتد عرضا نحو الجنوب من المكان الذي يتساوى فيه الليل والنهار ، نحو تسعمائة ميل • أما البلاد الواقعة جنوب سواحله الجنوبية فتعرف ب «المجهولة» من قبل الناس وهي غير صالحة للسكنى على الاطلاق •

ونظراً الى كبر هذه الخلجان البحرية وعددها ونوعيتها ، أرى من الضروري أن نتحدث عن خصائص ومذاق مياهها التي كوّنتها هي الأخرى حكمة المبدع بأحسن اتقان ، ففي الوقت الذي جعل الله جميع المياه التي أعطاها لاستعمال البشر ، عذبة ولذيذة باستثناء مياه البحار • فهي غير صالحة للشرب اذ جعلها الله المبدع مالحة ، وهو الحكيم والقادر على كل شيء، فان الله كوّن أديم الأرض كله ، وذلك بحسر المياه وجعلها يابسة فصارت عذبة ولذيذة باستثناء بعض المواضع المعروفة ، اذ جعلها مالحة ، لكي تدر على الناس بالملح للتمليح والنكهة •

أما بالنسبة الى أرض قيعان البحار ، وتلك التي تقع على سواحلها من الخارج ، فانه لم يجعل فيها تربة حلوة وقابلة للتبلل بالماء ، بل رملاً منثوراً غير قابل للتماسك ، انه مالح ومتين وصلب ولا يتبلل البتة برطوبة الماء • ولهذا فان الله جعل المياه المتجمعة في البحار مالحة وغير صالحة للشرب • وهي أبداً صافية نقية لا تتعكر أو تتغير على الاطلاق ، لدى تحركها أو هيجان أمواجها ، حتى حين يأمر الله البحار أن تهيج وينقلب سافلها عاليها • يقول المرتل « وترتعد الجبال بقوته »(١٢) • وكما يبدو فان الله الصانع جعل مياه البحار مالحة ، ليس فقط لأجل تقوية الأرض بملوحتها ، بل أيضاً لتحول دون أن تأسن وتصير ذات رائحة كريهة ، باعتبارها متجمعة وواقفة في مكان واحد ولا ••• التي في الأنهار عندما تستمر بأشعة الشمس المحرقة ، فان الله أمر أن تكون صافية نقية وشفافة

١٢_ ٤٥ : ٤ •

لتسهل الرؤية أمام السباحين الباحثين في أعماق المياه ليميزوا ما يضرهم فيستعملوا ما يقيهم • لكن الله لم يجعل هــذه الملوحة والخاصية الكريهة في طبيعة مياه البحار ، بل بطبيعة الرمل القوي الذي تستقر فيه • ويعرف هذا من المياه التي تنبع من شقوق الأرض ، فانها تنفض عنها فوراً الملوحة التي ليست من طبيعتها، وتكتسب بسهولة عذوبة وخاصية طبيعتها العذبة •

واذ تحدثنا بهذا المقدار عن البحر والبحار ، علينا أن نضيف قليلاً ، فنتحدث عما فيها من جزر • وكما أسلفنا ، فان الله خلق فيها جزراً كثيرة كبــيرة وصغيرة ، لا لسكنى النـــاس فحسب • بل لأجــل أغراض أخرى ، ومستلزمات ضرورية • خلقهـــا وأكثر منهـــا في طول البحـــار وعرضها ، **أولاً :** (وهذا أمر هام ونافع جداً للبشر) فانهم عندما يجوبون في الخلجان الكبيرة الواسعة ، وتثور عليهم زوبعة ما ، يقصدون احــدى تلك الجزر القريبة منهم • واذا اشتد الشتاء يشتون فيها فينجون • **ثانياً :** (وهي منفعـــة ليست أقـــل أهمية) • لكي يأخذوا منها المـــاء والخشب وبعض الاحتياجات الأخرى • لذلك ربط الله البحار الطويلة العريضة ، بواسطة هذه الجزر المتواجدة واحدة تلو الأخرى ، ذات التربة الحلوة والتي تنبع منهـــا ميـــاه عـــذبة وتنبت زروعاً وأشجاراً • ولم يقتصر الله على تكوين الجزر في بحار المسكونة الهادئة فقط، بل وفي المحيط الخارجي غير الهادىء الذي لا تصلح سواحله غير الآمنة للتجواب • فهناك جزر أخرى في هـــذا البحـــر الغربي أي المحيط • الى جانب جزيرة غاديرا التي عنـــد مدخل البحر الأدرياتيكي ، منها ما يمكن للناس أن يدنوا منها ويجوبوا فيهـــا ، ومنها ما لا يمكن الدنو منها على الاطلاق، كتلك التي تقع مقابل Africa (ܐܦܪܝܩܐ) والتي تدعى Tiggitane (ܛܝܓܝܛܐܢܣ) فهنـــاك جزيرتان همـــا Eruthia, Paina ܐܪܘܬܝܐ ܘ ܦܐܝܢܐ وقبـــالة ليبيـــا

Libya توجـــد جزيـــرة Keren (ܩܐܪܢ) وأخـــرى Autolalas (ܐܘܛܘܠܠܐܣ) وست جزر تعرف بجزر السعداء ، وتدعى Macaron الأولى لا يدنى منهـــا ، تلك التي يسميها الوثنيون جزيرة هـــيرا Heras ثـــم Plouiarqa, Kapraria, Kanaria, Pintoaria (ܘ ܦܠܘܐܝܪܩܐ
ܘ ܩܦܪܐܪܝܐ ܘ ܩܢܐܪܝܐ ܘ ܦܝܢܛܘܐܪܝܐ)
والتي في الأدرياتيكي ، وقد سبق الحديث عنها ، وكثير غيرها •

أما في البحر المعروف بـ Euxeinos Pontos . ܐܘܟܣܝܢܘܣ ܦܘܢܛܘܣ

فنظراً الى صغره ، تظهر فيه جزر كثيرة وصغيرة فوق المياه ، وصخور ناتئة كثيرة ، الامر الذي يصعب على من يرومون آن يجوبوا فيه ، رفع سواري سفنهم في الرياح والتجواب ، ويوجد في البحر الأحمر ، حوالي جزيرة Taprobane (ܛܦܪܘܒܢܐ) الكبيرة ، مجموعة جزر صغيرة يبلغ عددها نحو ألف وثلاثمائة وثمانٍ وسبعين ·

ومنها كبيرة نوعا ما ، ولها تسعة عشر اسما Ouaggana, Kanathra (ܐܘܓܢܐ ، ܟܢܬܪܐ) واحدة للطيور ، واحدة للماعز

Monake, Ammine, Narqos, Philicos, Eirene, Qalindadis, Arna, Bassa. Balaka, Alaba, Goumara, Zaba, Bizaia, Negadiba, Sosoara

ܡܘܢܟܐ، ܐܡܝܢ ، ܢܪܩܘܣ ، ܦܝܠܝܩܘܣ ، ܐܝܪܢܐ ، ܩܠܝܢܕܕܝܣ، ܐܪܢܐ ، ܒܣܐ
ܒܠܟܐ، ܐܠܒܐ ، ܓܘܡܪܐ ، ܙܒܐ ، ܒܝܙܝܐ ، ܢܓܕܝܒܐ ، ܣܘܣܘܐܪܐ .

فقد أبرز الله هذه الجزر لتظهر وتشاهد في البحار التي كونها في المسكونة مولياً عنايته بالجنس البشري ، لأن كل ما عمله حسن كما يشهد الكتاب ، ولم يعمل شيئاً عبثاً دون جدوى · فقد أودع للجنس البشري كل ما يحتاج اليه ويساعده ، مثل هذه البحار التي على وجه المسكونة ، تكون عضداً للناس على سد حاجاتهم الضرورية ، التي يتبادلونها عن طريق تجواب البحار من بلد الى آخر ·

وبامكاننا الوقوف على هذه الأمور بوضوح من الكتاب المقدس أيضاً ، الذي يتحدث عن سفن حيرام ملك صور ، وسليمان ملك اسرائيل ويقول : منذ كذا زمان كانت تصل من بلاد الافريقان ، أو من بلاد سبأ والهند ، وهي تحمل بضاعة من الحاجيات الضرورية(١٣) · من جهة ثانية فان الله أوجد البحار لتقوى بها الأرض وتتثبت وتترسخ · لذا فقد رفع المرتل ترتيلة مجد لله الخالق بقوله : « لأنه على البحار أسسها وعلى الأنهار ثبتها »(١٤) · ولكي تنضح منها جداول المياه في أغوار الأرض وشقوقها ، وتنبع الينابيع في الجبال والوديان والسهول لشرب الناس والحيوانات والطيور والزروع والنباتات والأشجار · وفي هذا الصدد ، رتل الروح لله قائلاً : « المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع

١٣- انظر ١ ملوك ٩ : ٢٧ - ٢٨ ، و ١٠ : ٢٢ ·   ١٤- مزمور ٢٤ : ٢ ·

الى الدهر والأبد ، كسوتها الغمر كثوب . فوق الجبال تقف المياه ، من انتهارك تهرب ، من صوت رعـدك تفر ، تصعد الى الجبال ، تنزل الى البقاع الى الوضع الذي أسسته لها ، وضعت لها تخماً لا تتعداه ، لا ترجع لتغطي الأرض ، المفجر عيوناً في الأودية ، بين الجبال تجري ، تسقي كل حيوان البر ، تكسر الفراء ظمأها ، فـوق طيور السماء تسكن ، من بـين الأغصان تسمع صوتاً »(١٥) .

لقـد تطرقنا بكلامنا الواهن والمتلعثم تلعثم الأطفال ، الى الحديث عـن البحر ، عمل اقتدار الله الخالق ، وعـن الخلجان ومجمعات الميـاه المختلفة التي أمر الله بأن تتكوّن مـن المجمع المائي العام ، ووضعها على وجه المسكونة لتساعد الانسان وسائر الخليقة . وبهذا نكون قد تحدثنا جزئيـاً وبايجاز عـن عظمة ووفرة وعمل وقوة وحكمة الخالق المبدع . والخالق نفسه الذي كوّن البحر وخلقه ، نحدث عن عظمته وامتناعه عن امتثال أمر خالقه ، وهو يوجه كلمة تأديب الى اسرائيل قائلاً : « اسمع هذا أيهـا الشعب الجاهل والعديم الفهم الذين لهم أعين ولا يبصرون ، لهم آذان ولا يسمعون ، إياي لا تخشون ، يقول الرب : أوَ لا ترتعدون من وجهي أنا الذي وضعت الرمل تخوماً للبحر فريضة أبدية لا يتعداها فتتلاطم ولا تستطيع وتعـج أمواجـه ولا تتجـاوزها »(١٦) . هكـذا تظهر لنـا كلمـة الله ، عظمة البحر المدهشة وقوته وبأسه وكونه عبـد ورهن اشارة مكوّنـة ومـدبره .

فمن الكتاب المقدس ، ومما سبق وتحدثنا به ، تظهر أهمية ووجوب وجود هـذه البحار الكبيرة على وجـه هذه الأرض المأهولة . كما يبدو أيضاً أن حكمة وعناية الخالق لم تكوّن البحار المذكورة فحسب ، بـل كوّنت الى جانبها بحيرات كبيرة وصغيرة عديدة . كما كـوّن الله على الأرض غدراناً ومستنقعات ، سداً لحاجة البشر وعوناً لهم ، في مختلف الأقطار والأمصار . فمنها يُصطاد السمك طعاماً للناس ، وفي البحار يتنقل الواحد الى الآخر لغرض سد حاجاتهم . ومن البحيرات ما يشكل حصوناً وملاجيء للناس شأن المدن وتنقذهم من الأعداء الغزاة . ومنها ما يستثمره الناس لأغراض متنوعة كثيرة ، نعرض عـن ذكرها لئـلا يطـول الشـرح .

ومع ذلك أرى من الضرورة التحدث عن بعض البحيرات وما فيها مـن فعاليات . وبخاصة الشهيرة منهـا . سواء بالنسبة الى كبرها أو

١٥ـ مزمور ١٠٤ : ٥ ـ ١٢ .

١٦ـ ارميا ٥ : ٢١ ـ ٢٢ .

الفعاليات التي تجري فيها ، فنذكر أسماءها والأقطار التي تقع عليها ·
وفي‌مقدمتها البحيرتان‌اللتان‌تزودان‌النيل Neilos, Kolon (ܣܣܟܘܐ)
وتلك التي تزود نهر Astapus (ܐܣܛܦܘܣ) الذي يختلط بالنيل ·
ويضاف الى هذه ، البحيرات التي يكوّنها النيل مثل بحيرة مريوط
Mareutis بالقرب من الاسكندرية الكبيرة Asphaltites Alexandria
(ܘܣܦܣܢܠܐ) التي يكونها نهر الأردن · والاخرى الكثيرة السمك
التي يكوّنها الأردن Jordanes نفسه ، وتسمى جنارث Chenareth
(ܓܢܣܪ) والى جانب هذه ، تلك التي يكوّنها نهر أورناطيس
Ornates ، وتلك التي يخلفها نهر دجلة بعد فيضانه ، وتدعى شوشتار
وشوشأن Shushan, Shushtar ، وكذلك بحيرة أرسطيا Aristia الكثيرة
السمك في أرمينيا الكبرى (Armenia Magna) ، ولا أرى حاجة لذكر
أسماء جميع البحيرات فأسبب ضجراً للقارىء والسامع بسبب كثرة
انتشارها الواسع في أقطار المسكونة كانتشار الأنهار · وأعتقد أن ما كتب
هنا عن البحيرات يفي بالفرض ·

والى جانب البحار والبحيرات ، وفّر الله المبدع للمسكونة ، أنهاراً
كثيرة تنساب فيها ، تنبع من آغوار الأرض والبحار وتنساب على وجهها ،
ومنها ما ينبع من الجبال مما تخلفه الأمطار والثلوج ، فتروي الأراضي
الواسعة التي لا ماء فيها · الا أن فائدتها للبشر لا تقتصر على ري الأراضي
العطشى ، بل ان الناس يستغلون العديد والكبيرة منها خاصة للتنقل ،
شأن البحار والبحيرات ، حيث يسافرون بواسطتها الى بعضهم البعض ومن
قطر الى آخر بقصد التجارة ، ومنها ما يمنع الأعداء من غزو الأماكن
الآهلة ، فتساعد بذلك المستضعفين وتنقذهم شأنها شأن الحصون والمدن ·
ومنها ما هو كبير وعريض جداً بحيث يكوّن بحيرات ، مثل جيحون Gihon
أي النيل الذي يغمر ويحصّن القطر المصري و Istros (ܐܣܛܪܘܣ)
في بلاد أوربا الغربية و Indos (ܘܐܢܕܘܣ) أي‌فيشون Pishon Gagges
(ܘܓܢܓܣ·) التي تروي بلاد الهند · Laxartes Oxos
(ܘܐܟܣܘܣ ܘܐܝܟܣܪܛܝܣ) التي تنساب من بلاد الشيريين Serium
ܣܪܝܐ ܘܪܐ Ra (ܪܐ) الذي‌يزوّد‌الأقطار‌الشمالية‌الكثيرة‌المياه

بصورة مستمرة نظراً الى كثرة الثلوج · وكذلك دجلة والفرات المجاوران اللذان يغمران ويحصنان بلاد ما بين النهرين Mesopotamia ، ويرويان بلدان الآشوريين والكلدانيين والعيلاميين Assyri, Chaldaei, Elamiti .

والى جانب هذه ، هناك أنهار أخرى كثيرة وكبيرة · فقد أحصى الجغرافيون القدماء أربعين نهراً كبيراً ، ويوجد غيرها من الأنهار الصغيرة ما لا يحصى · وهناك أنهار ونهيرات وروافد وغدارن ووديان ، منها ما يجري باستمرار ، ومنها ما يجري في الشتاء فقط ·

أضف الى هذا القنوات ومنافذ المياه ومجاريها التي يصنعها الناس المهرة وبابتكار عقولهم ، لغرض سد حاجاتهم ، ليس فقط لشرب الناس والحيوانات والنباتات والزروع ، والضروريات الأخرى التي تناولها الحديث والتي يسعفهم بها عنصر الماء هذا ، بل ان الماء يخدم الناس في شؤون آخرى كثيرة : فهو يسيّر الأرحاء ، ويقدم خدمته كعبد في غسل العيون والاستحمام ، وفي صناعات متنوعة ، والبناء وأعمال الناس وغيرها من الشؤون التي لا يمكن أن يعيش الانسان بدونها ، والتي لا تتم الا بمساعدة الماء · هكذا جعل الله المعني ، الأرض التي كونها بارزة لترى تنظيمه البحار والبحيرات والأنهار التي شقها فيها وأسال فيها مياهاً لخدمة البشر ، وجعل ازاء هذه ، كما سبق الكلام ، فجوجاً وأغواراً ملأى بالمياه ، وأماكن تسرق المياه ، بواسطة عروقها ، من الأمطار والرطوبة في الشتاء ، فتكون طبيعتها كالاسفنج اللين الذي يمتص المياه ، تتكون سيولاً ونزوزاً ومروجاً منبتة للأعشاب ، وهذه كلها تكرس لخدمة الجنس البشري ·

ان الأرض والمياه وكل الخليقة الجسمانية ، تخضع للانسان ، ولكن ليس بارادتها ، بل ، كما يقول الكتاب ، بارادة وأمر ذاك الذي استعبدها على أمل الحرية · وهكذا يكون الله الخالق والمبدع والمعني ، قد أعطى الناس من عنصر الماء كل هذا العون والعطايا الضرورية ، تاركاً لهم على وجه هذه الأرض التي أعطيت لسكناهم ، جزءاً منها لاستخدامه · وبهذا ظهر خالقاً ومعنياً بخليقته · وهنا أيضاً يكون كلامنا كعادته متلعثماً تلعثم الأطفال ، وهو يدور عن البحار والبحيرات ومجمعات المياه والأنهار والينابيع ونزوز المياه ، والحاجة الماسة اليها ، للبشر والحيوانات والطيور وكل حي على الأرض ، وعن سقي النباتات والأشجار والزروع والعروق وكل نبتة على الأرض ·

□ أبعـاد ومساحة الكرة الأرضيـة :

أما عن مساحة وحجم الأرض التي ظهرت من المياه يابسة ، وجهزت لسكنى البشر ، ولتجوال الحيوانات والطيور والدبابات ، فاننا ، واستناداً الى ما سمعناه مـن القدماء الذين مسحوا الارض وكتبوا عنهـا بوسائل ابتبزها عقلهم الشبيه بالله ، وسلموها الينـا خطياً ، فنقول : ان الذين اولوا اهتمامهم بهذه الارض المأهولة وساحوا فيها وكتبوا عنها ، قالوا : ان طول هـذه الارض التي ظهرت مـن المياه وجهزت من قبل الله لسكنى البشر ، من الغرب الى الشرق يقدر بنصف مساحة الكرة ، وفي العرض مـن الجنوب الى الشمال ، سدس مساحة الكرة ، لتأتي الأرض المسكونة طويلة ، فيبلغ طولها ثلاثة أضعاف عرضها · فقد كتبوا عن طولها بأنه يبلغ مـن الغرب الى الشرق مئـة وثمانين خطـا ، وهي نصف الثلاثمائة والستين خطاً التي للكرة الأرضية · والعرض من الجنوب الى الشمال هو ستون خطـاً فقط ، وهي سدس الثلاثمائة والستين خطـاً · فيكون طول الارض المأهولة التي ظهرت من المياه ، قرابة ثلاثة عشر ألف وخمسمائة ميل ، وعرضها أربعة آلاف وخمسمائة ميل · وانهم يقيسون طولها من المحيط الغربي ، أي مـن خليجه الذي لا تطأه قـدم ، والذي هو خارج جزيرة غاديرا التي تقـع على خط طول خمسة في أقصى حـد المسكونة الغربي الذي يقال ، منـه تبتدىء بلاد اسبانيا وأعمدة هرقل ، حتى بلاد الصين الواقعة شرقي الهنـد وهي مكان غـير معروف وغير آهـل · أما العرض ، فيبدأونه مـن المكان الذي تستوي فيـه كرة السماء ولا تنحرف لا جنوباً ولا شمالاً حيث يتساوى هنالك الليـل والنهار طـوال السنة ، حتى جزيرة تولي الشمالية الواقعة في المحيط الغربي ، وعلى خط طول ثلاثين وخط عرض ثلاثـة وستين · وكتب القدماء عـن قطبي الأرض المأهولة ، فقالوا انهما غير مكتشفين وغير صالحين للسكنى، وهذا ما حسن لله أن يفعله لدى ابداعه اياهما ، حيث جعلهما غير صالحين للسكنى ولا تطأهما قدم ، اما لخلق فيهما مناخاً غـير معتدل كي لا يصلحا للسكنى · أو باحاطتهما بشقوق وأغوار جبليـة ووهاد سحيقة وأراضٍ غير صالحة للمشي · أو لكثرة ما فيهما مـن الحيوانات المفترسة والحشرات الفتاكة والقـاتلة · ويقسم هؤلاء الكتّاب الأرض المأهـولة الى ثلاثـة أقسام ويسمونها ، أوربا Europa ، وليبيا Libya ، (افريقيا) وآسيا الكبرى Asia Magna .

فأوربا عندهم هي الأرض الواقعة الى الشمال من البحر المتوسط حتى المحيط الشمالي ·

وأطلقوا اسم ليبيا على الأرض الواقعة جنوبي هذا البحر حتى المكان المحترق تحت الشمس والأرض المجهولة التي تقع الى جنوبها ·

ويطلقون اسم آسيا على الأرض التي تبتدىء مـن الحدود الشرقية للقسمين الأولين حتى نهاية شرق المسكونة ·

وأما شمال آسـيا فأرض مجهولة وغـير صالحـة للسكنى نظراً الى برودتها الشديدة ·

ويوجـد في شرق آسـيا أرض مجهولة أخرى ، كساها الله بالأغـوار والوهاد السحيقة والشقوق ، فلا تصلح هي الأخرى للسكنى ·

كما حـدد الله أرض أخرى مجهولة وغـير آهلة ، ومنع البشر مـن الوصول اليها خشية تيهانهم وهلاكهم ، أو أن يقتلوا بالحرارة الشديدة والعطش ، أو تهلكهم الوحوش والحشرات الخبيثة ، وتقع هـذه الأرض جنوب البحر الأحمر ، قبالة كل من آسيا وافريقيا برمتهما جنوباً · وقبالة بـلاد الحبشـة والتـي تعـرف بـ Esperiois Nuktadeis .

(ܐܣܦܪܝܘܣ ܢܘܩܛܕܝܣ)

وفي جهـة المسكونة الغربيـة ، والى الشمال من أوربا قبالة بلدان اسبانيا وفرنسا وألمانيا Germania, Gallia, Hispania ، كوّن الله سيولاً جارفة عنيفة آتية من البحر الكبير ، لا يمكن السيطرة عليها أو ركوبها ، ومنع الله المدبر البشر الأشقياء مـن التنقل فيها عبثاً ودون طائل ، وسعيا وراء حتفهم ، الأمر الذي لا يجوز ·

وفي شمال اسبانيا ، وفي بحر الأوقيانوس = المحيط (ܐܘܩܝܢܘܣ)

بالقرب من اليابسة ، كوّن الله جزراً صالحة للسكنى ممكن الوصول اليها، وهـي Alouiona, Lournia (ܐܠܘܝܘܢܐ، ܠܘܪܢܝܐ) اللتان تسـميان Bretanicas (ܒܪܛܢܝܩܣ) ·

وتوجد قبـالة المانيـا وفي نهـاية المحيط الشرقيـة ، جزيرة تدعى Scandia (ܣܩܢܕܝܐ) Kimbrike (ܘܩܝܡܒܪܝܩܝ) الكبيرة وهي جزيرة قاحلة · هكذا قسم القدماء المسكونة ، وبهذا المقدار يحددون وضعهـا وضخامتهـا ·

□ أهم الجبـال وما فيها مـن معـادن :

وحيث أن الله كوّن في المسكونة جبـالاً كبيرة وعالية وجعلها بمثابة أحزمـة أو حدود تقسم البلدان ليسكنها البشر · وقـد قسمها النـاس بدورهم الى (ܠܐܦܪ̈ܟܝܐ) ولايات مختلفة وأقطار متعددة · لذا كان علينا أن نتحدث عن هـذه ، لكي نتعرف على تنظيم أرضية هذا البيت الكبـير الذي شيده الله للانسان الذي كان مزمعا أن يخلقه على صورته · وننقلها بصورة أو أخرى الى أفكار وأفهام الذين سيقرأون أو يسمعون. ليعطوا المجـد لله دائمـا ، وهم يبدون اعجابهم بعظمة عمل الله وعنايتـه وحكمته ومجال صنائعـه · بوصفه خالقاً قـوياً وقادراً على كل شيء ، ومنظما حكيماً لكل أعماله . ومعنياً وحافظاً لكل ما خلق ·

فقد كوّن الله المبدع والحكيم في هذه المسكونة جبالاً ضخمة وقوية ، شهيرة وعاليـة ، بامكانها أن تغير كميـة السحب في أعاليها ·

ففي أوربا وفي الجانب الشرقي من نهاية المناطق الاسبانية ، توجد جبال كبيرة وعالية تعرف باسم (البيرينية) (Pyrene - Porene ܦܘܪܐܢ) وتستعمل مفرداً ومؤنثاً · وفي ولايات المانيا الألبية Alpes - Alpia توجـد مئات الجبال التي تنبع وتنضح منها روافد نهر Istro (ܐܣܛܪܘܣ) العظيم الكثيرة · وتدعى جبـال Soudeta (ܣܘܕܝܛܐ) . وأخرى تـدعى Melibocos Abnoba (ܐܒܢܘܒܐ ܘܡܠܝܒܘܩܘܣ .) و Asciburgius ، وفي جبـال Sarmatia التي تـدعـى Sermatici ، والأخرى التي تسمى Peinaia ، ثمة ثمانية جبال عاليـة ·

وفي ليبيـا (افريقية) في المنطقـة المسـماة Tingitane تينجيتاني ، والاطلس الكبـير والأطلس الصغير ، والجبل المدعو جبل الشمس ، وهي واقعة في ساحل الأوقيانوس الغربي، وجبل ديور والجبال المسماة فوكري·

وفي المنطقة القيصرية ، دوردوس ، زالاكوس ، تهاراقي ، سينابي ، بربـور أو بـدرون ، مادينوبالوس ، كـاراس ، فورايئـوس ، بالوا ، والجبال المدعوة بوزارا ·

وفي منطقة الافريقيين: أودوس ، وجبال تاميّس ، وجبال سيرناگاس،

مامبـــاروس ، وآساليكوس ، بليـــوس ، زوكابابار ، وجبــل جوبيتر ، وتيتريبي ٠

وفي منطقة السيرينيين : جبال ثلاثة : قيليا ، تيتيس ، بيكوليكوس ٠

وفي منطقة الاحباش ، ثمــة جبال ممتدة مــن الشمال الى الجنوب طــولاً على امتداد منطقــة الأحباش حتى تمر عبر البحيرة الكبرى التي يشكلها النيل ويغذيها ، وهذه الجبال تدعى جبال الأحباش ، وطولهــا أكثر مــن الفــين وثلاثمائــة ميــل ٠

وفي المنطقــة عينهــا ، الى الشــرق ، جبــال أخرى ، كارباوس (كارباتوس) وجبال اليفاس الى شمال خط الاستواء ، جبال فيلي قرب البحيرة في موقع خط الاستواء ، وجبــل ماستي الذي يبعد شرقاً خمس درجات عن خط الاستواء ٠

وفي أراضي ليبيا كلها الواقعة من الحدود الغربية لأرض الأحباش وحــتى الأوقيــانوس الغــربي ، جبــال شــهيرة وعظيمــة هي : ما يسمى بجبل آكوي الآلهة (أو : تيدنوكيما) ، ماندروس ، ساكايولا ، كافاس ، أوزاكــارا ، جرجــيريس ، روزاديروس ، وجبــل تــالا ، أروالتيس ، أرانكاس ، وما يسمى كارامينكي فارناكس ٠

وفي المنطقة الخارجية للأحبــاش المسماة ، أجيسمبا ، ثمــة جبال عظيمة وشهيرة ومعلومة : جبل تادكتيروس الواقع تحت خط الاستواء ، يــدن ، زافــار ، أنيسكي ، بارديتوس ، والجبــل المدعو جبــل القمر ٠

هــذه الجبال هي في ليبيــا ، القسم الثاني المأهول من الأرض ٠

أما في آسيا الكبرى ، أي في القسم الثالث المأهول مــن الأرض ، فثمــة جبــال شهيرة ومعلومة ٠

ففي منطقة آسيا نفسها ، جبل يسمى ايدا ، سبليئوس ، تيمنوس ، دنيديموس ، سبيبلوس ، تمولدس ، ميسوجيس ، كادموس ، فينكس ٠

وفي غلاطية : جبل أوليفاس ، والجبل المسمى نوبيس ، سيليناروم (غيــوم السماويات) ٠

وفي منطقــة قبادوقيــا ، جبــال عظيمة هي : جبــل أرجيئوس ، أنتناوروس أي سيگوش ، سكورديسكوس ٠

وبين سيليسيا وقبادوقية ، جبل كبير يسمى ثاوروس (طوروس)، وبين سوريا وسيليسيا ، جبل آمانوس · وفي سوريا ، جبال ببريوس ، كاسيسوس ، ليبانوس ، مسانير ، جبل حرمون ، هيبوس ، الزادادموس ·

وتختص بلاد ما بين النهرين بالجبال التالية : جبل مازيوس ، الذي يسمى ايشوما ، وجبل سنجار · وبين سوريا وما بين النهرين أي آشور ، قبادوقية وارمينية ، حتى بلاد الماديين ، من الغرب الى الشرق ، يمتد الجبل الكبير المسمى طوروس الذي يربط هذه المناطق ·

وفي بلاد الماديين جبال عظيمة هي : زاغروس ، يازوتيوس ، أورونيتيس ، كورونوس ·

وفي البلاد المسماة بالعربية (السعيدة ـ الخصبة) ، جبال شهيرة وعظيمة ، في الثغر البحري جبل هيبوس ، كابايانا ، والجبل المسمى بالأسود ، بريدنوتوس ، سياكروس ، والجبال المدعوة التوأم (Didymi) ، والجبال السود المسماة آرابي · وفي وسط البلاد ، ما خلا الجبال المذكورة ، ثمة أخرى هي : زاميس ، ماريتا ، والمسمى كليماتس أي السلَّم (سكالا) ، وجبال أخرى كثيرة لا أسماء لها ·

وثمة جبال في الكرمانيين وهي : الجبل المدور المسمى سميراميس، وجبال عديدة غير مسماة ·

وفي ماطية أي آسيا ، ثمة هذه الجبال الشهيرة والعظيمة : الجبل المدعو هيبيسي ، وأخرى سيرواني والمسماة قوقاتية ، وجبل كوراكس · وفي سيكيثيا : جبال سارماطية ، وأخرى يقال لها آلاني ، وأخرى ريميسية ، اضافة الى جبل آوروسوس ، والمسماة اسبيزئية ، وأخرى باسم تايبري ، وسويبي ، وآتاريني · وبين سيكيثيا الداخلية والخارجية يمتد طولاً حتى الأرض المجهولة الجبل المسمى عماوس · وفي سيكيثيا الخارجية وفي منطقة سيروم تمتد جبال الأوزاسيين والكاسيين ، والايموديين التي تتصل في منطقة سيروم بالجبال المسماة آينبي ، ايتاغوروس ، آتوروكوراس ، والجبال المسماة ازميري ·

وفي منطقة أريا يقوم جبل باغوس ، ويمتد عبر المنطقة المسماة جردوسيا ، جبال تدعى باربيتاني ·

وفي بلاد الهند ، في المنطقة التي بين نهر الكنج ، تقع جبال شهيرة هي : أبوكوبي ، جبل ساردوليكس الذي منه يستخرج الحجر النفيس المسمى باسمه ، بيتيكو ، أديسارتوس ، ايندوس ، اوكسينتوس ·

والمسماة آرفي · وفي الهنـد عبر الكنج ، جبل يسمى بيبيريوس ، وذاك المسمى مائياتدروس ، والمسماة داباسي · وفي المنطقـة التي في بـلاد سيروم (الصين) يمتد جبل عظيم يدعى سيماتينوس ·

وفي جزيرة تايروباني جبـال شهيرة هي الجبال المـدعوة غاليبي وماليئا · والجبل الذي ينبع منـه أنهـار جزر ، أوناس (سوآناس) ، وينساب منه آزانوس وباراسيس ·

ان كل ما شرحناه عن الجبال التي وضعها الله في الأرض المسكونة ، انمـا اقتبسناه مما كتبـه الأقدمون ·

أما بشأن تقسيم البلدان والمناطق التي في المسكونـة ، فلنـا أن نقتبس قليلاً من كتابات الأقدمين · فنقول : ان هـذا التقسيم يقوم على أساس تقسيم العائلات البشرية الى شعوب مختلفة ، او على أساس الحكام الذين يسيطرون عليها من حين الى آخر ، فقد قالوا : توجد في آوربا وهي القسم (القـارة) الأول مـن العالم مناطق منفصلة هي : الجـزر البريطانية الواقعـة في الأوقيانوس ، هيبريتا والبيون ، وثلاث مناطق ، اسبانيا ، بيتيكا ، لوزيتانيا ، تراكونيس ، وأربع مناطق غاليا السلتية (سيلتا غلاطية) : اكويتانيا ، لوغودونيا (ليون) بلجيكا ، ناريونيس ، ثم جرمانيـا ، ريتيـا مـع فنديليسيا ، وايطاليـا وجزيرة سيرنوس (كورسـيكا) ، جزيرة سـردينيـا ، وجزيرة صـقليـة ، وسرماتيـا ، كيرسونيسوس ، تاوريكا ، لاريجيس ، ميتاناستي أي المهاجرة ، داقيا ، ميزيا العليا ، وميزيا السفلى ، تراقيـا ، كيرسونيسوس ، مقدونيـة ، أبيروس ، أخائية ، بيلويونيسوس وجزيرة كريت ·

وتسجل تحت اسم ليبيـا المناطق التالية : موريتانيا ، قيصرية ، افريقيا ، سيرينايكا ، مصر ، ليبيا ، أثيوبيا ، جنوبي مصر ، أثيوبيـا الخارجية ، التي تدعى أجيزيميا ·

أما في آسيا ، القسم الثالث من العالم ، فاننا نميز الولايات والمناطق التاليـة : بيثونيا ، آسـيا ، لوقية ، غلاطيـة ، بمفيلية ، قبادوقيـة ، أرمينية الصغرى ، قيليقيـا ، سرماطية ، فولكيس ، ايبريا ، البانيـا ، أرمينية الكبرى ، جزيرة قبرص ، سوريا ، اليهودية أي فلسطين ، العربية الصخرية ، بين النهرين ، العربية الصحراوية ، بابل ، أسوريا أي آثور ، ميـديا ، شوشان ، فارس ، فرتيـة ، كرمانية الخربة ، العربيـة الخصبة السعيدة، هرقانيا ، مارجياني ، باكتريياني ، سوكدياني ، ساقي ، سيكتيا

في جبـل عيماوس ، سيريقي ، أي بلاد السيرقيـين ، آريا آي هريـو ، باروباليسدا ، درانجياني ، أراقوسيا ، جـد روسيا ٠

وأقسام بلدان الهند هي : الهند التي هي ضمن نهر الكنج ، والهند التي هي عبر نهر الكنج ، وبلاد الصين ، وجزيرة تابروباني ٠ هـذا عن تقسيمات البلدان أو مناطق المسكونة التي بـين الجبـال ٠

ويجب ألا نغفل عن الكتابة عن الفوائد التي يجنيها الناس من هذه كلهـا ، سدأ لحاجاتهم الضرورية ٠ ذلك أن الله المبـدع والمعني بالجنس البشري لم يأت شيئأ عبثـأ لا جدوى فيه ، لا الجبال ولا الصخور الضخمة والناتئـة ولا الكهوف ولا الوديان العميقـة ، ولا الشقوق والأغوار التي شق بها الله الجبال ، ولا الصحاري الجرداء القاحلة العطشى التي لا تنبت ، ولا أي من الخصائص التي خص بها الله الأرض ، ولا الأشياء التي يعتقد أنها ضارة لا نفع فيها « فجميعها حسنة وصالحة وضرورية ومهمـة للبشر بشكل أو آخر ، ولئن كانت فوائدها لم تعرف لحـد الآن ٠ الا أن الكثيرين يعرفون الفوائد والمنافع التي يجنيها الناس مـن الجبـال ولو أن حديثنا لا يشـمل هنـا جميعاً ٠ فما الحديد والنحاس والذهب والفضة ، وهـذه المعادن الأخرى الا من الجبال والأحجار وتراب الأرض الحقير ٠ مـن أين الزجاج الصافي ؟ ان لم يكن من الرمل الصلب المتين والجاف الذي لا يتبلل بالماء ٠ من أين الأبنية السليمة الراسخة للناس ؟ أليست مـن الحجارة ؟ مـن أين الكلس ٠ أليس مـن التراب البري الجاف الذي لا ينمي ، ومـن الأحجار الجبسية ؟ أوليس مـن الأحجار السوداء وغيرها تصنع الأرحـاء لطحن القمح ؟ وينحت الناس جبباً في الصخور لخزن الماء والخمر والزيت٠ ومن الحجارة أيضاً تصنع الأجران والأحواض والمعاصر ومذاود الحيوانات، والجبوب والأواني لحفظ السمن ولغيرها مـن الاحتيـاجات الضرورية ، وتؤخذ الحجارة للبنـاء ، وأعمدة المرمر التي تزهو بألوان مختلفة وتزين الهياكل وقصور الملوك ، وكثير غيرها مـن الأمور المفيدة الجيدة ٠ ويطول الشرح لو جمعنا وثبتنا هنا كل فوائد الحجر ٠ وتعتبر الجبال والصخور والحجارة داخـل الأرض بمثابة أربطـة وأحزمة في أسس بنيانها ، وهي كالعظام بالنسبة الى اللحم ٠ فهي تحمله وتستقر داخله ٠ أو كالشرايين والأوردة التي تشد الجسم كلـه كالجبال لئـلا يتهرا ٠ هكذا هي الجبـال والحجارة بالنسبة الى الأرض ، فانهـا تشدها وتقوي تربتها لئلا تتشتت وتتبدد ٠ من هنا تبدو أهمية تكوين الأحجار في طبيعة الأرض ٠

وكذلك الأمر بالنسبة الى الجبال التي منها وفيها الحجارة ، كما تبدو عناية المبدع الحكيم الذي أبدعها · فمنها حصون منيعة للناس المستضعفين ، ومنها ملاجىء من الأعداء القابعين على الحدود · كما ذكرنا أعلاه · ومنها ما أبدع ليكون مجرى ملائماً لجريان الينابيع والأنهار ، بمقتضى حكمة الخالق الذي أعلن(١٧) للملأ بأنه كان مع الله عندما ثبت ينابيع المياه · يقول الروح(١٨) : « المفجر عيوناً في الأودية وبين الجبال تجري ، تسقي كل حيوان البر تكسر الغراء ظمأها ، فوقها طيور السماء تسكن · من بين الأغصان تسمع صوتاً » · اذن خلقة هذه الجبال كانت ضرورية من أجل انسياب المياه وتدفق الينابيع والأنهار· وكذلك الكهوف والصخور الناتئة وقمم الجبال العالية ، والشقوق والمغاور التي تحتها ، ضرورية · يقول الروح(١٩) : « الجبال العالية للوعول ، والصخور ملجأ للوبار » · وكذلك الوديان والغدران الرطبة الباردة ، والأفجاج السحيقة في الجبال ، هي الأخرى ضرورية لانماء الغابات وتكثير الخشب ، ومن أجل مساكن آمنة للحيوانات وربض الوحوش فيها · ويقول(٢٠) : « لدى شروق الشمس تتعافى وتربض في مرابضها » · والجبال أيضاً ضرورية لاحتواء الثلوج في الشتاء والتي تستعمل للعلاج في الصيف · أما الأمطار فتتكون وتسقط من السحب على الجبال والسهول · فالتي تسقط على السهول تنفذ تدريجياً · بري الأرض وتغذيتها وما فيها من زروع ونباتات التي تجذب الرطوبة حتى من الأبخرة التي ترتفع الى الأعلى بفعل حرارة الشمس · فهي تصعد الى الجو لتعود فتسقط مرات عديدة من أجل الري· أما الامطار المتساقطة على الجبال ، فتبتلعها الفجاج والأغوار والتجاويف الموجودة فيها · ثم تنساب الى داخلها وتتجه نحو أسفلها ، وتكون مصدراً عذباً للشرب عن طريق الغدران التي تتكون منها · وبنفس الكيفية تحفظ الثلوج طوال الشتاء فوق قمم الجبال العالية ، حيث تحول البرودة دون ذوبانها · وتتحول في الربيع الى مستودعات لري السهول وما فيها · وتنبعث منها خلال الصيف نسائم باردة ورياح منعشة الى جميع الأمكنة والسهول المحيطة بها · ومن هنا أيضاً تبدو ضرورة وجود الجبال على الأرض · فمن جميع هذه الأمور وغيرها يمكن الوقوف على أهمية وجود الجبال على الأرض ·

والشيء نفسه نقوله عن الخصائص والأشياء المختلفة الموجودة في الأرض ، والخلجان المتنوعة والجزر التي كونت في بحار الأرض ، التي

١٧- أمثال ٨ : ٢٩ - ٣٠ ·
١٨- مزمور ١٠٤ : ١٠ - ١٢ ·
١٩- مزمور ١٠٤ : ١٨ ·
٢٠- مزمور ١٠٤ : ٢٢ ·

تجنى منها للبشر فوائد هامة وأحجار كريمة ومختلف الأطعمة اللذيذة ، وهي تهبهم الجواهر ليحتفظوا بها• مثل خلجان الهند ذات الأرض الصخرية غير الرملية الخالية من أغوار الماء • فالذين ينزلون الى عمقها يستخرجون منها الجواهر • وهنا سيدور الحديث عن هذه الأمور وغيرها مما أبدع ونظم الله الحكيم المبدع والمعني بالأرض ، الى جانب تكوين وترسيخ الجبال في الأرض • وفصل الفسح التي تتوسطها ، وتقسيم بحار الارض وبحيراتها • والجزر التي تركت بادية فيها ، يضاف اليها عمل هام آخر لله في الأرض المأهولة ، ليس أقل شأناً مما سبقه • ان جميع الذين يهتمون ببناء وتنظيم مباني المدن على الأرض ، يتحاشون عن فكر ثاقب وتأمل عميق ، البناء فوق أرض منخفضة أو مستوية أو مسطحة باستقامة واحدة، وليس لها ميلان الى جهة ما • ويبنون في أماكن مرتفعة ومائلة الى احدى الجهات • لكي تنصرف بسهولة ، المياه التي تأتيها من الأمطار وفضلات أخرى كروائح الرطوبة القذرة التي تتجمع فيها من الساحات والشوارع ، عن طريق قنوات مناسبة ومنافذ تحفر بصورة صحيحة في الأرض المائلة • وكذلك الذين ينظمون الباحات لا يجعلونها مسطحة تماماً ، بل مائلة الى احدى الجهات لتنصرف منها المياه بسهولة دون تعب • وكذلك صانعو سقوف البيوت ، فانهم لا يسقفونها مستوية مستقيمة بل مائلة الى احدى الجهات لتنساب وتجري منها المياه • والذين يؤسسون الحدائق الخضراء ، فانهم يزنونها لتكون مائلة لا مسطحة ، لتسهيل جريان الماء فيها وريها بالمقدار الكافي • وعلى نفس المنوال ، فان الله المبدع والمنظم والمعتني بهذه الأمور كلها ، لم يزن الأرض التي نسكنها بشكل سطحي مستقيم ، بل انه جعل فيها ميولاً الى كل الجهات ، بالاضافة الى الميلان الموجود في استدارة كرتها، فالأرض ولئن تغيرت بأمر إلهي كما أسلفنا ، عن استدارتها الأولى ودائرتها الكاملة الصقيلة المستوية ، وتكونت فيها جبال وأعماق لتجمع البحار ، لكنها بالرغم عن ذلك ، لم تتغير على الاطلاق عن شكلها الكروي المستدير العام • فهي ليست مقعرة مثل اللفت ، أو رقيقة كاللوح أو مثل الفلق ، بل ما زالت مستديرة وكروية ، وعلى سطحها مرتفعات وأعماق تكونت ضمن شكلها الكروي المستدير ، وان ميلانها الناتج عن شكلها هذا المستدير ، يبدأ في منتصفها ومن أية جهة كانت ، ويتجه الى الجهات كلها • ولها أيضاً ميول أخرى تتجه بالتساوي الى سائر الجهات• فتتوافق مع بعضها البعض أحياناً ، وتختلف أحياناً أخرى • وبعبارة أخرى ، ليس هناك مكان ما في المسكونة صغيراً كان أم كبيراً الا ويوجد فيه ميلان ملحوظاً كان أم غير ملحوظ ، قليلاً كان أم كثيراً ، يشير الى أية جهة تنساب بسهولة المياه التي تزداد بهطول الأمطار • وقد جعل الله

المبدع الحكيم والمعني هذه الزيادة في الماء ، لكيما اذا فاضت عن الحاجة ، توجه الى الحقل او السهل صغيرا كان أم كبيراً ، وفي أية جهة كانت فتنساب بسبب ميلان الأرض ، أو انها توجه الى نهر قريب و الى جداول تؤدي بها الى نهر بعيد ، وهكذا تسلم الواحدة الى أخرى ، ولما تزداد هذه المياه تشكل جداول ، ويتجمع عدد من هذه الجداول وتختلط بأنهار صغيرة لتصب في نهر كبير مجمع من هذه المياه كلها ، ولا بد أن يقوم النهر بدوره بايصالها وصبها في البحر ، والبحر لا يمتلىء . وقد شبهه الروح بشكل ما(٢١) بخالقه ومبدعه ، فهو يغذي بالمياه ، الأرض المأهولة وما فيها من أنهار ، دون أن يفقد شيئاً وهو يعطي ، أو يزيد شيئاً وهو يأخذ ، وشأن الأرض هو شأن سائر الكائنات في خضوعها لله خالقها ، الذي منه تتقبل العطايا . انها مائلة نحو البحر بصورة دائمية وفي كل الأمكنة ، وترسل اليه الماء الفائض عن طريق الجداول والأنهار . ومنه تمتص المياه عن طريق تجاويف في باطنها ، من ينابيع تتغذى منه . فمن هذه الفعاليات الطبيعية ، والنظرية التي تطرق اليها الحديث عن طريق التشبيه ، يستنتج أن ميلان الأرض نحو البحر في جميع الجهات والأمكنة، كان ضرورياً لتنساب اليه جميع المياه الفائضة عنها .

☐ النباتات وفوائدها للانسان :

بهذه الطريقة تكونت الأرض ، وظهرت في المياه ، ونظمت لتكون صالحة لسكنى الانسان . والحيوانات التي تخدمه وتستعبد له . وهكذا رتبت وجهزت أرضية البيت بعد تثبيت أسسه وسقفه وتنظيمها . وبعد الانتهاء من تنظيم أرضية هذا البيت الملكي الذي شيده الله للانسان ، ذلك الملك الذي كان عتيداً أن يخلقه على صورته : كان من الأهمية بمكان الاعتناء بالحقل من أجل توفير وخزن طعام القاطن والذين تحت عبوديته . وقد فعل الله الصالح والمعني هذا وأنجزه بعناية كبيرة وسخاء وفير : بعد أن خلق الأرض والجبال التي فيها ، وتهدئة هيجان البحار . وقد رتل الروح ما ينسجم وهذا العمل قائلاً عن الله الخالق : « المثبت الجبال بقوته ، المتنطق بالقدرة المهدىء عجيج البحار وعجيج أمواجها وعجيج الأمم ، وتخاف سكان الأقاصي من اياتك ، وتجعل مطالع الصباح والمساء تبتهج ، تعهدت الأرض وجعلتها تفيض ، تغنيها جداً ، سواقي الله ملآنة ماء تهيىء طعامهم لأنك هكذا تعدها »(٢٢) . بهذا القدر كان

٢١ــ الجامعة ١ : ٧ .

٢٢ــ مزمور ٦٥ : ٨ ــ ١٠ .

اهتمام الله بالأرض بعد تكوينها · ليعد منها وفيها كل قوت ساكنيها . ويعطيها سلطاناً عظيماً وقوة دائمية ثابتة لا تزول ولا تحول ، لتعطي بسلطتها الذاتية قوتا جاهزا لجميع الذين يسكنونها حتى اقاصيها · حيث تمتلىء جداوله ماء فيروونها بغزارة ، ويتناول الروح أيضاً بكلمات يسيرة ، الحديث عن تكوين آرضية البيت وتجهيز قوت ساكنيه · فالكتاب المقدس الذي ألقى الاضواء الأولى على تأسيس البيت ، يتحدث بصورة مناسبة عن تجهيز القوت · هكذا · قال الله(٢٣) : « لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر يحمل ثمراً كجنسه ·· ورأى الله ذلك أنه حسن · وكان مساء وكان صباح يوماً ثالثاً » · من كلمات الكتاب المقدس هذه اليسيرة ، التي فيها يأمر الله الخالق طبيعة الأرض لتنمي تلقائياً عشباً يحمل بزراً كجنسه : تظهر لنا القوة الدائمة والثابتة التي أودعها الله فيها · وتكوين طبيعة النمو التي خلقت في كل ما ينمو · فقد أمر الأرض أن تنبت ، ومنحها قوة فاعلة وثابتة · كما أمر العشب أن ينمي بزراً كجنسه ومثاله · وان قوله : « يبزر بزراً كجنسه » لا يعني سوى تلك القوة التي للوالدين ليلدوا ما هو من طبعهم وصورتهم ليجعلوا لجنسهم تسلسلاً لا نهاية له ، فيبزر كجنسه ومثاله · فما ينمو مهما كان نوعه ، لا بد وأن يحمل بزراً مولداً يحافظ على جنسه ويسلسله لئلا يتلاشى وينقرض جنسه من الأرض · يظهر من هذا أن كل ما ينمو يحتفظ بطبيعة انمائه في ذاته ، وبالقوة التي تسنده · والبرهان على ما نقول هو عدم انتهاء مفعول هذا الأمر منذ بدء الخليقة وحتى الآن ، لكنه ما زال يعمل بتربة الأرض منذ البدء وحتى الآن ، لتنمي حالما تصلها الرطوبة · هذه الأشياء كلها التي وضعها الخالق في الأرض ، تمت بموجب الأمر الأول ·

ورب قائل يقول :

لقد أنبتت الأرض آنذاك بزراً مولداً بفعل ذاك الأمر ، ولكن الآن فانها تنبت بزراً ينحدر من ذاك · هذا الكلام صحيح ، لكن الكلام الأول هو الأصح ، وهو أن قوة الله الكامنة في هذا البزر هي التي تنبت · فهذا هو الأصح ، لأنها تنبت هي الأخرى بقوة أمر الله الأول المودعة فيها · ونقف على حقيقة هذا من تسلسل البزور · فاذا حفر أحد حفرة عميقة في الأرض الى عمق عشرة أو خمسة عشر ذراعاً ، وأخذ تراباً من أسفل الحفرة لم يزرع من قبل ووضعه على سطح الأرض ، فاذا سقط عليه

٢٣ـ تكوين ١ : ١١ ـ ١٣ ·

مطر بأمر الخالق ، فانه ينبت مثل التربة المزروعة ، ذلك أن فاعلية أمر الله الأول لا تدعه عقيماً وغير منتج • الأمر الذي لم يترك الشعراء (وهم غير حكماء) خارج نطاق الحق ، حيث جاء في شعرهم ما يشبه كلمة الحق ، فقالوا : « عندما يقترن المحيط بالأرض تصبح للحال صالحة للولادة ، فتلد أولاداً كثيرين »(٢٤) • ومن المعروف أن الأرض تعطي مما عندها بفاعلية آمر الله الأول ، عندما تختلط بها طبيعة الماء ، فهي لا تنبت بقوة البزور التي فيها •

★ ★ ★

ان هذه الفاعلية والأمر الصادر عن الخالق ، يفرضان على تربة الأرض في مختلف الأمكنة ، أن تنبت وتنمي أعشاباً وزروعاً وأشجاراً تتلاءم وخصائص الأرض ، واعتدال جو ذلك المكان • ففي كل بلد يعطي بسخاء مختلف المواد التي تصلح طعاماً لسكانه وتلائمهم • ففي بلادنا وما جاورها مثلاً ، أعطي للأكل الحنطة والشعير وغيرها من المواد القابلة للطحن ، ثم الكروم لصنع الخمر ، والزيتون لصنع الزيت . وأشجار أخرى متنوعة ليقتات ويتنعم بها الناس • وفي بلاد الهند التي حرم طبيعة أرضها من انبات مثل هذه آغناها بأنواع أخرى كثيرة ضرورية وهامة للطعام أفضل وأحسن • فنظراً الى صلاحية الأرض واعتدال المناخ ، أغنى أبناء تلك المنطقة بمادة الرز لطعامهم ، وغيرها من المواد الملائمة كقصب السكر لانتاج مشروب منعش بتذويبه بالثمر ، ومواد تستخلص من السمسم لتزودهم بما يحتاجونه من الزيت ، وأخرى قيمة ذات رائحة ذكية تصلح لعلاج أجساد البشر • وأعطى لبلدان سبأ والعربية الخصبة كالمواد التي أعطاها للهند • أما بلاد الحبشة المحرومة من المواد الموجودة عندنا ، فان الخالق الحكيم القادر على كل شيء ، وفّر لها بحكمة وعناية ، ومن طبيعة تربتها ، مواداً ضرورية مشابهة لتلك الموجودة في الهند ، اذ تلائم طبيعتها ومناخها • كذلك الأمر بالنسبة الى بلاد السرمطيين والهونيين (ܣܪܡܛܝܐ ܘܗܘܢܝܐ) الغربية الباردة • ففي الوقت الذي حرمت مما عندنا من المواد الغذائية ومما في البلدان الجنوبية الحارة ، فان الله المعني قد زود أبناء تلك البلاد لأكلهم وشربهم بمواد أخرى مختلفة أفضل وأدسم • وهكذا نلاحظ فاعلية ذلك الأمر الالهي في جميع بلدان هذه المسكونة ، اذ يحرك تربة الأرض

٢٤ـ انظر الآباء اليونان ، المجلد ٣٦ ، الحقل ١٠٢٩ •

لتنمي وتعطي قـوتاً كافياً وفيراً لجميع سكان المعمورة · بقـول الروح المرتل محدثا الله : « عـين كل احد تنظر اليك وتترجاك · لترزقها قوتهـا في حينـه · بفيض غزير كاف · ولكل ما يلائمه · ان القضاة يعرفـون آن الله هو مدبر الكل ·· تعطيها فتلتقط ، تفتـح يـدك وتشبع ارادة كل حي ، والكل لك ينظرون »(٢٥) ·· « لتعطيهم طعامهم في حينه ، واذ تعطيهم يقتاتون · واذ تفتح يدك يمتلىء الكل مـن طيبك »(٢٦) · هكذا يقيت الخالق كل خليقته · فمنذ البدء آمر هذه الأرض التي أعطانا ، أن تنبت تلقائياً وتعطي قوتاً بسخاء لجميع الذين على سطحها ، مثلما تعطي المرضعة حليبـاً من جسمها لرضيعها · اذن وكما يفهـم مما سبق ، أن تراب الأرض مذ تلقيه الأمر الأول من الخالق وحتى الآن ، هو الذي ينبت وينمي العشب والأشجار المثمرة ، وليس بمجرد تسلسل البزور ، وما زال ذاك الأمر ، قائماً فيه كي لا يضعف وينتهي ولا يعود يعمل وينبت · فهو الذي ما زال ينبت كلأ للبهائم وعشباً لخدمة الانسان ، « لاخراج خبز من الأرض ، وخمر تفرح قلب الانسان لالماع وجهـه أكثر مـن الزيت وخبز يسند قلب الانسان » كما قال الروح المرتـل(٢٧) · بـذاك الأمر الرباني الشامل لا يدع كمية من التراب مهما كانت قليلة وحيثما كانت ، دون أن تنبت بحسب قوتها وطبيعتها حتى ولئن كانت كلسية وبرية ، فانها تعطي أشجاراً غير مثمرة وجذوراً يابسة وهزيلـة · واذا كانت الأرض جبليـة وصخرية تغلب حجارتها التربة ، تنبت بحسب ضعفهـا عنـدما تصلها رطوبة · واذ كانت في أعالي الجبال حيث تتغلب خاصية البرودة ، فانها تخضع لذاك الأمر الرباني بقدر ما يجتمع فيها من رطوبة وحرارة · واذا كانت جزءاً مـن تراب الأرض ، آو في سـياج أو جـدار وامتزجت بالرطوبـة ، وأشرقت عليهـا آشـعة الشمس ، فان ذلك الامر الرباني لا يدعها الا آن تبدي مفعوله بقدر ما فيها من قـوة ·

ولنا أن نستمع هنا الى الكلمات اليسيرة التي قيلت عن حكمة سليمان الذي حاول حصر كل ما كان يجول في خاطره بكلمات قليلة · يقـول(٢٨) ان سليمان حصر في معرفته كل طبيعة وقوة النباتات والجذور من أرزلبنان وحتى الزوفا الذي ينمو على السياج » · ونفهم من هذا ، أن الله لا يـدع حتى تلك الحفنة من التراب التي على السياج ، الا أن تنبت اذا ما وصلتها رطوبة · وحتى تلك التي على صخرة أو على حافة صخرة صغيرة كانت أم

٢٥ـ مزمور ١٤٦ : ١٥ ـ ١٦ ·
٢٦ـ مزمور ١٠٤ : ٢٧ ـ ٢٨ ·
٢٧ـ مزمور ١٠٤ : ١٤ ـ ١٥ ·
٢٨ـ ٣ ملوك ٤ : ٣٣ ·

كبيرة ، فانها لا تحرم النمو بفاعلية الأمر الرباني ، اذا وجدت كمية قليلة من عنصر التراب ، أو شيئاً من الرمل الملتصق به الذي قد يكون قسم منه صخرياً • واذا لم تكن قادرة على انماء العشب ، فانها لا تعدم اظهار لون أخضر يشبه العشب ، واذا وجد تراب في قعر مجمع ماء واستحال الى حمأة أو طين ، وكانت المياه ضحلة بمقدار ذراع واحد أو ذراعين بحيث يمكن للهواء وحرارة الشمس أن يخترقاها ويجتمعا مع طبيعة ذلك الطين ، فانه يتحرك بفاعلية ذلك الأمر ، ويكتسب قابلية الانماء وينبت ما يناسبه . ويرتفع فوق سطح المياه مثل البردي أو أي نبات آخر يتلاءم والمكان واختلاف تربتها وطعمها • وهذا لا يحدث في المياه العذبة المتجمعة في أرض جيدة بفاعلية ذلك الأمر فحسب ، بل وحتى في مياه البحر المالحة • اذا وجدت تربة جيدة فوق الصخور التي في قعر المياه وفي أمكنة ضحلة حيث يتمكن الهواء وحرارة الشمس من الامتقاء فيها • فحتى هذا لا يعصى الأمر الرباني اذ يكتسب قابلية الانماء بحسب قوته • وكذلك الاسفنج وهو حيوان يشعر لكنه لا يتحرك من مكانه ، . فهو ينمو ويتفرع بين الصخور • وهناك أشياء أخرى تشبهه ، تختلف بمختلف طبيعة الأمكنة والبلدان • ففي بعض الأماكن تنبت Urticae pinnae .

(ܗܝܠ ܘܐܠܐܠܟܐ) التي تنبت شعراً • وفي بلدان أخرى ، ينبت

Coralium أو Kesta (ܩܘܪܠܝܢ أي ܟܣܛܐ) وتنبت الصخور التي في

قعر البحار ما يشبه أشجاراً نباتية ذات جسم لين وسهل القطع طالما هو في الماء ، ولكن اذا أخرج من الماء ولمسه الهواء يكتسب جسماً كالصخر يصعب قطعه حتى بالأقلام الحديدية المستعملة لقطع الحجر •

هذه الأشياء وما شابهها وما اختلف عنها ، تنبتها وتنميها تربة الأرض الطيبة في أماكن متعددة وأي مكان كان فعندما تجتمع مع طبيعة الماء وغيرها من العناصر ، لا ترضى أن تبقى عالة غير قابلة للانماء ، بل ان أمر الله الذي صدر منذ البدء الى الأرض لتنبت عشباً وحشيشاً يبزر بزراً كجنسه ، يحركها لتسرع الى الانبات ، لكي يدرك الجميع بوضوح ان مصدر قوة الأرض في الانماء لدى توفر الرطوبة ، هو ذلك الأمر الأول الذي يهمزها دائماً دون انقطاع • وعندما يضطرم فيها الماء وحرارة الشمس ، تجذب معهما الهواء فتمتزج ببعضها البعض فتنبت وتنمي فوق سطحها بزوراً لاستمرار بقاء كل الأنواع ، وأشجاراً تثمر ثماراً متنوعة تنقذ نوعها وتحافظ عليه • ومنها جهز الخالق والمعني بخليقته قوتاً جسدياً

للانسان هذا الملك الجسداني المحتاج الى القوت جسدياً ، ذاك الذي كان عتيداً أن يخلقه من تراب الأرض ، ومن ثم يرضع ويقتات منها بوصفه مخلوقاً مركباً مرتبطاً بالجسد ، كذلك هو الأمر بالنسبة الى الحيوانات الجسمانيـة التي كانت هي الأخرى عتيـدة أن تخلق مـن التراب لخدمة الانسان ، من أجل الحفاظ على نوعها بواسطة الزروع والثمار التي ينتجها بفعل القوة الطبيعية التي منحها الله الخالق للارض ·

هكذا أمر الله الخالق الأرض لتنبت عشباً يبزر بزراً · ونفذ الأمر على الفور وأنبتت الأرض عشباً ينمي بزراً من نوعه · وأشجاراً ونباتات ذات قوة طبيعية لتنمي كلا بنوعه ، ثماراً تحافظ على نوعـه · ويصير العشب مأكلا للناس الناطقين والبهائم غير الناطقة وللطيور وكل ما يدب على الأرض ، سواء كان رطباً أم أخضر أم يابساً · وكذلك الأشجار فهي لدى نضوجها ، تشكل غـذاء للناس والبهائم والحيوانات وطيور السماء وكل ما يدب على الأرض ·

وهكذا منحت الأرض الوالدة ، بأمر الخالـق قوة مولدة وأخرى مربية ، كما منحت هذه القوة لكل نوع يولد منها · لكي تستطيع أن تكون أمّاً مرضعة ومربية للمولود لتصل به تدريجياً الى الاكتمال ، كما أمر الخالق المعني · وقد أعطي البشر وجميع الحيوانات وطيور السماء والحشرات ، قوة الأكل بأفواههم وأيديهم · ليتغذوا بارادتهـم الحرة ويترعرعوا · وكل منهم تحركه الرغبة تلقائياً نحوه ·

وقد أعطى الخالق الأعشاب قوة طبيعية ثابتة لتغذي وتربي نفسها بنفسها عن طريق عروقهـا المتأصلة في الأرض ، حيث تمتص وتنتزع الغذاء من باطن أمها الأرض ، فالتربة النقية الناعمة تشكل بنفسهـا مع رطوبة الماء الراوية ، غذاء يكون بمثابة حليب أو أي مشرب آخر ، ويدخل فيها الهواء والنار ، فيتكون من هذه العناصر المختلطة بصورة متقنة وغير ضارة ، غذاء متبلا ممتازاً ومربياً · كالطعام الذي يُتبـل ويجهز صناعياً لتغذية الناس وتمتعهم · هكذا أعطيت قوة مغذية ومربية للاعشاب والزروع والجذور والأشجار والنباتات التي أنبتتها الأرض · فبعض منها يكتسب هذه القوة المربية في زمن قصير لا يتجاوز الشهرين أو الثلاثة فينمي نفسه بنفسه · وبعضها يحتاج الى الغذاء مدة ستةأشهر ليصبح أصلا لاعطاء البذور · وتطول مدة البعض الآخر على الأرض نحو تسعة أشهر حتى يكتمل · أما الأعشاب والزروع التي تدعى العروق

فتحتاج الى نحو سنتين لاكتمالها ، وبعضها يحتاج الى ثلاث سنوات . فهي تنبت وتترسخ في باطن الأرض في السنة الأولى ، وخلال السنة الثانية تكتمل ، ومن ثم تباشر باعطاء البذور . أما الأشجار فتحتاج جميعها الى أربع سنوات من التغذية والتربية لكي يقوى عودها وتترسخ في باطن الأرض . وقليل منها تبكر فتعطي ثمراً في سنتها الثالثة ، وغيرها تبدأ في الانتاج في السنة الرابعة كما جاء عنها في الشريعة الالهية « أن يقدموا قربان شكر لله الخالق من ثمارها في سنتها الرابعة ، ومن ثم يأكلون هم منها »(٢٩) ويتأخر البعض الآخر حتى السنة السابعة ليكتمل ويعطي ثمارها . هكذا أودعت قوة مربية من قبل الله ، في الارض وداخل الأرض ، بعد القوة المنبتة .

وهكذا نلاحظ أن النباتات العشبية الصغيرة التي تكوّن كلأ ، تعطي نتاجاً حينما تصلها حرارة الشمس صيفاً ، وفي نهاية الصيف تجف مع جذورها وعروقها داخل الأرض وتموت تماماً وتصير هشيماً يابساً لذا تسمى حولية حيث انها تنبت وتكتمل وتثمر ثم تجف وتصبح هشيماً يابساً خلال سنة واحدة . أما النباتات الجذرية ، فلا تموت ولا تجف ، بل تبقى حية داخل الأرض ، بعد موسم الصيف الذي فيه تنفض بذورها وأوراقها ، حيث تستمد غذاءها من جذورها وعروقها الأولى التي ثبتت واحتفظت بالحياة في باطن الأرض . وفي مطلع الربيع تستيقظ وتباشر بانشاء نباتات جديدة . وهكذا تتكرر هذه العملية سنوياً . كما في السنة الأولى ، فتكون بذلك أشبه بالأشجار الكبيرة الحية التي لا تجف، منها بالحشائش الحولية . أما الأشجار المثمرة ، فتكتمل وتعطي ثمارها في السنة الرابعة بعد أن تتغذى وتتربى داخل وخارج الأرض فترة ثلاث سنوات كما أشرت . وتلقح هذه الثمار وهي على أغصانها في الموسم الشتوي من السنة ، وتنضج في نيسان الموسم الربيعي ، وتترعرع كما في أحضار أمهات ملتفة بثياب ناعمة تحت أكناف أغصان الأشجار ، وبين الأوراق الغضة المنعشة خلال مواسم الصيف الحارة ، وعندما تنضج ثمارها تماماً تتساقط تلقائياً وارادياً وتلقي بها على الأرض دون عصيان ، ان صح التعبير . وكأنها تنادي الناس وتقول : هلموا والتقطوا هذه الثمار أو الأبناء التي ولدناها لكم ، فقد أعددناها لطعامكم وتمتعكم .

٢٩ـ اللاويون ١٩ : ٢٤ .

هكذا تعطي الأشجار ثمارها للبشر بحسب أمر الخالق ، ويلقي كثير منها بأوراقها بعد ثمارها ، وبعض الأشجار تعطي الثمار بسهولة ولطف ، في حين يشد البعض الآخر أوراقه لئلا تنتزع عنه • على هذه الصورة خلق الله الخالق المبدع الأرض والأعشاب التي فيها والزروع والجذور والأشجار والشجيرات ، وذلك في أول أمر أصدره اليها لتعطي بذوراً حفاظاً على نوعها ، وطعاماً وتمتعاً للناس ولجميع حيوانات الأرض • ونفذ الجميع أمر خالقها ، فأعطى كل منها بذراً كجنسه وشبهه حفاظاً على طبيعة نوعه التي خلقت فيه • فبعضها تحمل البذور في قمتها أو أغصانها لدى نضوجها ، كالكرنب والفجل والسلق والملوخيا والكراث وبعض أنواع البصل . والحنطة والشعير والباقلاء والعدس وكل المواد القابلة للطحن ، ومعها البقول والبقول البرية ، والشوكية ، ومنها ما تولد بذورها لحفظ نوعها داخل الأرض • مثل الكركم وبصل النرجس البري • وهناك أنواع أخرى من هذا القبيل • وأنواع تشبه البصل تسمى أبصالا ، وأنواع تزرع بجذورها في باطن الأرض وليس فوقها ، ومنها ما تعطي بذوراً من تحت الأرض ومن فوقها • مثل بذر الحرمل والكرات البري • ومن أمثالها أيضاً ، النعناع والتبل والقصب وغيرها كثير تحمل البذور في قمتها وترسل جذورها الى أعماق الأرض ، وتولد نباتات لحفظ نوعها •

وعلى نفس الغرار تنتج الأشجار ثماراً على أغصانها وتربتها وتسمن بذور ثمارها ؛ كل بنوعه ، لأنها تحمل في داخلها قوة لحفظ وانقاذ كيانها ، وذلك بمقتضى قرار الخالق الذي أمر الأرض لتخرج شجراً مثمراً يحمل في داخله بذره كنوعه وشبهه • فاذ خلق الله الأشجار المثمرة ، جعل البعض أن يغطي بذورها بطبقة شحمية سميكة حفاظاً عليها ، وهذا ضروري وحق للانسان الذي كان الله عتيداً أن يجعله سيداً لها ومالكاً • ليأكل ويتنعم بها • وأمثال هذه ، التفاح والسفرجل والكمثرى والتين ، المكسوة شحماً لذيذاً وطيباً • تقدمه للانسان كرامة له ، ويوجد في داخلها البذر حافظ نوعها • وتوجد داخل بذر الأثمار قوة طبيعية ثابتة بامكانها أن تحافظ بصورة تامة على الأنواع ، كل بنوعه • حيث تكوّن فيه الجذور والعروق والأعناق والأغصان والأفنان والأوراق والأثمار التي تحمل البذور في داخلها • وقد اعطى الخالق بذور بعضها أن تحتمي داخل طبقتين واقيتين للحفاظ الكامل على نوعها ، كالمدن المحتمية بسور وسوير ، مثل الجوز واللوز والفستق

والبندق وما شابهها ، فهذه تقـــدم للناس ما في داخلها من البذور حافظة نوعها تقدمة معتبرة قابلة للأكل ، وقد كوّنت داخل سورين ، اذ تحتمي داخل قشرة قاسية عفصية قبيحة غير قابلة للأكل ، وداخل جدار خشبي قاس غير قابل للاختراق ، يشبه العظم • هكـــذا وقى الطبع المبدع بكل أمان ، البذور حاملة هذه الأنواع ، وأعطاها بدورها مأكلاً طيباً للبشر • وقـــد سور كذلك بمهارة ، العنّـــاب والخوخ الشامي والخوخ الفارسي وما شاكلها : بغلافـــين ، الأول طري وشحمي ، والثـــاني عظمي قاس • وجعـــل الغلاف الأول الخارجي الطري مأكلاً لذيذاً للنـــاس • والداخلي الخشبي غير قابل للأكل على الاطلاق ، حفاظاً على البذر الطبيعي الذي وضعه في داخله • أما بذرة شجرة الزيتون الفاخر البهي ، فقـــد حفظها هي الأخرى بغلافين كالتي سبق الحديث عنهـــا • شحمية وعظميـــة أكثر قساوة ، وجعل ثمرتها مصدر دسم لكي « بالزيت يبتهج وجـــه البشر » ، وينمو لحمهم وعظامهم ، وتكتسب أطعمتهم نكهـــة ، ويستعمل للاضـــاءة والعلاج وحاجات أخرى مختلفـــة وضرورية • واذ جعـــل الرمان بذوراً طبيعية عديدة ، جمّل كل بذرة منها وأحاطها بطبقة طيبة شهية ، وضم جميعها تحت غلاف واحد طري ، حتى اذا ما نمت وكبرت مـــن الداخل ، ارتخى الغلاف ونما هو الآخر تدريجياً ليفسح لها متسعاً من المكان كبيت للسكنى • وقـــد جعل الله بذور هـــذا النوع كذلك طعاماً هنيئاً للبشر ، ولحفظ استمرارية هـــذا النوع وبالاضافة الى أجنـــاس الأشـــجار التي سبق ذكرها •

وأعطى الله الحكيم والقادر على كـــل شيء الانسان بوصفه معنيـــاً صالحاً بالجنس البشري : الكرمة وهي غرســـة صغيرة وأضعف الجميع • وأكرم بذرة هذه الكرمة بوضعه اياها تحت غلاف شحمي واحد ذي نكهـــة وشهي بمنظره وطعمه ، ويكوّن طعاماً لذيذاً للجنس البشري ، وخمراً يبهـــج قلب الانسان كما كتب(٣٠) • وحاجات أخرى قيمة وضرورية • ويوجد في داخل هذا الغلاف ، غلاف صغير عظمي صـــلب ومضغوط وذو أهمية كبرى ، أوجده ليظهر فيه كرامة وأهمية هذا العمل • ولأن الناس في هذا العالم ، اعتادوا أن يحفظوا بأمان تام واحتراز ، كل شيء ثمـــين وضروري ، لذلك استحقت بذور العنب الكرمة كل هذا الاهتمام والعناية مـــن الخالق المعني والحافظ • وبهذا نكون قـــد تحدثنا هنا عن كرامة وأهمية الأشجار ، وما فيها من بذور حافظة نوعها والأعشاب التي تنبت

٣٠ـ مزمور ١٠٤ : ١٥ •

على الأرض بأمر الخالق ، لتكون طعاماً وحاجات أخرى للناس والحيوانات والبهائم والطيور وكل ما يدب على الأرض • وبصدد ذكر الحنطة والكرمة والزيتون نقول : ان الله قد أعطانا من هذه ما هو الأكثر ضرورة لحياة البشر ، أعني الخبز والخمر والزيت ، وأعطى معها سائر المواد الأخرى ، مظهراً غزير صلاحه وعظيم صنيعه بالنسبة الى كل الأشياء الكبيرة منها والصغيرة •

وبحسب روايات بعض من كتبوا ، فقد خلق الله للجنس البشري أثماراً أكبر من التي عندنا في بلاد أخرى نائية ـ كالهند والحبشة وبلاد سبأ ـ ولكي نستطيع أن نستوعب هذا ، أوجد عندنا الطريج (السندي) الذي ينقذ ويحفظ بذره في ثمرته حفاظاً لنوعه ضمن غلاف شحمي كبير وثخين ودسم • ومن الأعشاب التي تنمو على الأرض ، ثمرة البطيخ الحلوة اللذيذة • كل هذه الثمار ، وغيرها كثير أعطانا الله من الأرض التي أمرها بانبات العشب الذي يبذر بذراً لجنسه ، وشجرة تصنع ثماراً تحوي بذرتها كنوعها وشكلها • وتلك التي أنبتت ، بأمر الخالق ، أعشاباً وبذوراً وجذوراً تبذر بذوراً ، كل لجنسه ، وأشجارا مثمرة ، يعطي كل منها الثمر الذي زرعه ، قوة طبعه بصورة طبيعية ثابتة ، وبامكانه أن يحافظ على تسلسل نوعه الخاص بحسب طبيعته • فكل بذرة تحمل داخل الثمرة ، سواء ثمرة الأشجار أم الأعشاب ، خصائص طبيعتها والقوة التي تحفظ نوعها ، واذا أراد الانسان أن يعرف الطبع بالنسبة الى هذه الأمور ، لا يسعه الا أن يقول : ان الطبع هو ما وجد في شيء ما بصورة دائمية ثابتة سماه الانسان قوة أو شيئاً ما مفيداً • فهو أبداً المصدر الأول لتكوين وتثبيت ذلك الشيء • ونظراً الى ما فيه من خصائص ، بامكانه أن يحرك أي شيء من أجل انبات نوعه ، وأن يحافظ عليه لئلا ينتهي أو يتغير • بهذه الكلمات يعرف الطبع ، وهي توضح قصد الله من قوله : « ليكن شجر مثمر » حيث عنى ذاك النوع من الشجر الذي يحمل بذرة بحسب نوعه • أي البذرة التي تحتوي على قوة انقاذ الذات وتثبيت طبيعة نوعه • ففي بذرة التفاح والسفرجل وما شابهها ، وفي بذور جميع ما ينبت على الأرض : توجد قوة تكوين الطبع الخاص لكل واحد منها • وهكذا أعطى الله الخالق المعني بالجنس البشري ، من الأرض كمن من مرضعة ، ما يكفي من القوت ويناسب البشر والحيوانات التي تعيش معهم على الأرض ، وطيور السماء وكل ما يدب على الأرض ، حيث يفتح يده فيشبع رغبة كل حي ، كما يرتل الروح ممجداً ، فيعطي الحنطة لاستخراج الخبز الذي يسند قلب الانسان ، والكرمة التي بها يفرح قلب

الانسان ، والزيتون لاستخراج زيت يلمع وجه الانسان • وان الكثيرين يثرون من هــذه المواد كما يفيد المرتل بقوله(٣١) « انهم أثروا مــن كثرة غلال الحنطة والخمر والزيتون » •

بالاضافة الى القوت والاطعمة التي هي قوام حياة البشر ، والتي جعلها الله المغني في الأعشاب والجذور ونباتات الارض والاشجار المثمرة منها وغير المثمرة، فان لهذه فوائد آخرى كثيرة وهامة • فمنها ما يستعمل لعلاج الاجساد وشفائها ، وما يصنع منــه روائح عطرة • فمــن عرف الأشجار وسيلانها يستخرج المر والميعــة Stillicidium أي لبــن شـجر المر(٣٢) • فهذه لا تفيد لعلاج أجساد البشر فحسب ، بل تدخل أيضاً في تحضير العطور • ويستخرج اللبان الذي تشبه رائحته البخور ، من آشجار بلاد سبأ • كذلك قصب القرفة Cinnamomum ذات الرائحة الزكية ، فهو قشرة شجرة ما في بلاد سبأ نفسها • ويستخرج من بعض الأشجار في مصر ، ما يشبه حليب البلسم الطيب الرائحة ، وسائل آخر مــن أشجار دفنــة أي الميعــة • ويستخرج سائل عسلي من بعض أشجار بلاد آشور . وهو ضروري لتركيب العطور الطيبة والعقاقير ، وكذلك ما يفرز مــن بعض الأشجار في جزيرة (ܚܡܘܗ) التي تدعى المستكة أي (ܚܠܐ) • والراتنج الذي يقطر من شجر البطم المر وبطم جلعاد التي يذكرها الكتاب المقدس في حديثه عن اندحار اسرائيل اذ يقول : « أليس بلسان في جلعاد أم ليس هناك طب ، فلماذا لم تعصب بنت شعبي »(٣٣) • ويقول عــن مصر « خذي بلساناً أيتها العــذراء بنت مصر »(٣٤) • وتلك التي تعصر حليباً ذا رائحة قوية تفيد في تركيب العطور والأدوية من جذور وعروق نبــاتات أرض آشور ، وتعامل بهــا الناس في حياتهــم ، وكذلك الزفت Colophonium (ܩܠܠܦܘܢܐ) المستخرج من الآرز • والعطر الذي اكتشف في أشجار الصاج في جبل لبنان• ووضع في متناول يد الجنس البشري ولفائــدته •

هذه الأشياء وغيرها وهبها الخالق بوفرة وسخاء ، من طبيعة الأشجار والجــذور وأعشاب الأرض • وسوائل آخرى متنوعــة في مختلف البلدان هامة وضرورية لحياة الناس لم نقف على أسمائها ، كالتي تدعى Gummi

---

٣١ـ مزمور ٤ : ٨ •

٣٢ـ اشارة الى المزمور ٤٥ : ٩ •

٣٣ـ ارميا ٨ : ٢٢ •

٣٤ـ ارميا ٤٦ : ١١ •

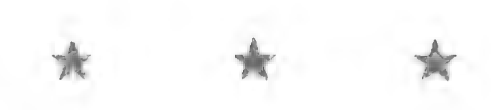
(ܡܘܡܘܡ) العلك وتستخرج من أشجار شوكية في مصر ·
وكالسائل المعروف ب الأمونياك (ܐܡܘܢܝܩ) المنسوب الى آمون
ملك ملوك مصر، لأنه يستورد من هناك· وكالحليب الذي يخرج من جذور
Panacis ، (ܦܐܢܩܣ) والسائل أي الافراز المعروف ب
Sarcocolla (ܣܪܩܘܩܘܠܐ) · وكالتي تدعى Tragacantha
(ܛܪܓܩܢܬܐ) أي الكثيراء ، وغيرها من السوائل الدسمة والطرية
التي تسيل من دسامة خشب الأشجار وتنضح على قشرة الجذع الخارجية ·
وأشياء أخرى ضرورية للبشر تستخرج من الجذور في باطن الأرض · والى
جانب هذا ، ظهرت صناعة الطب . وما ابتكره عقل البشر وذكاؤهم بهذا
الخصوص · فانهم يختبرون عن ذكاء ومعرفة ، عروق أعشاب الأرض
ويستخلصون عصارة غزيرة هامة ومفيدة من رطوبة أوراقها وقشورها ·
وفي حالة قلة الرطوبة في أوراق وجذور العروق أو الأعشاب أو الأشجار
بحيث لا يمكن استخلاص عصارة منها ، ابتكروا وسيلة أخرى ذكية ، انهم
يأخذون الأوراق والجذور والقشور ويغلونها في الماء حتى تذبل فيجففونها،
فتكون لها نفس الفائدة التي للعصارة · مثل العود الصيني أي الصبر .
وما يسميه الأطباء Acalia (ܐܩܐܩܝܐ) صمغ عربي ، وغيرها من
السوائل والعصارات والمسلوقات المفيدة المستخرجة من أعشاب الأرض
والأشجار والعروق ·

اضافة الى هذا ، هناك منافع أخرى كثيرة وضرورية للناس من
خشب الأشجار · فهم يصنعون من أخشابها سقوفاً لبيوت سكناهم ، وأدوات
لاستعمالاتهم الضرورية المختلفة ، سواء في البيت أم في الفلاحة أم في
صنع أدوات وأثاث مختلفة لاستعمال الناس مثل الطاولات والكراسي
والصناديق والدواليب والقصع المستعملة للطعام ، وكؤوس الشرب ،
وغيرها مثل التي يصنعها النجارون لضروريات الحياة كالمحارث والجراجير
والعجلات وغيرها من الأدوات المفيدة في استعمال الناس ما لو ذكر
بالتفصيل لعجزت عنه الكلمة من كثرة الالفاظ والأسماء · ومن أين مثلاً
عمل نوح الفلك لانقاذه من ماء الطوفان ، وأبناء بيته والحيوانات
والطيور وكل حي يدب على الأرض ، ان لم يكن من خشب الأشجار ؟
ومن أين صنع الناس الذين حذوا حذوه في الصناعة : السفن لتجواب البحار
الطويلة غير قابلة الاجتياز ، ان لم يكن من غنى أخشاب الأشجار التي

أعطاهم اياها من الأرض ، الخالق والمعني بحياتهم ، عندما أمر الأرض أن تخرج أشجاراً مثمرة • فقد قدم الله كل هذه المنافع الضرورية للبشر وكثيراً غيرها من الأشجار المثمرة، ومن ثمارها وأخشابها، فلم يترك الخالق الحكيم شيئاً عديم الفائدة كلياً ، حتى الثمار التي لا تؤكل • وحتى الأشجار المعروفة بـ Viscum (ܐܝܣܩܘܡ) ليست بدون جدوى ، فان الدبق الذي تفرزه يشكّل مصيدة يستفاد منها الصيادون لاصطياد الطيور بطريقة فنية خادعة. ومن هنا يسمي اليونان ذلك الصيد Viscarium (ܐܝܣܩܪܝܘܡ) وحتى ثمرة أشجار دفنه أي Styracis - daphnes (ܐܣܛܘܪܐ) الاستيرين الكريهة والمضرة ، يتخذ منها بعض الناس مصايد ، اذ يسحقونها ويلقون بها في أحواض المياه ليشرب منها السمك فيعمى ويسهل اصطياده• وكذا الحال بالنسبة الى بقية الأشجار والنباتات والجذور والأعشاب والبذور المضرة التي لا تؤكل • لذا فان كل ما صنعه الله هو حسن كما جاء في الكتاب المقدس • ويشهد جميع الحكماء وذوو العقل الراجح ، بأن الله لم يعمل شيئاً عبثاً دون أن يفيد العالم بشكل أو بآخر • حتى ولا الخريف Elleborus (ܚܪܒܩܐ) القاتل ، ولا تلك النباتات ذوات اللبن المضر ولا البصل البري ، ذلك العرق المحرق ، ولا Scammonia (ܣܩܡܘܢܝܐ) سقمونيا المميت • فهذه كلها وما شابهها ليست دون أهمية أو فائدة للبشر على الاطلاق ، واذ يعتقد أنها ضارة ومؤذية من ناحية • فاذا بها صالحة ونافعة من ناحية أخرى • حيث يوجد طريق الخير الى جانب طريق الشر ، كما جاء في الأمثال وفي علم الخير والشر • وهذا وارد في الكتاب المقدس أيضاً • فاذا تأملنا أعمال الله لا نجد شيئاً شراً أو عبثاً • خالياً من المنفعة • بل لا بد وأن يسد حاجة ما من حاجات البشر• فقد أوجدت الحكمة المبدعة ثياباً جميلة البشر من قشور الكتان ، وكذلك بالنسبة الى نبات القطن • ويصنع من قشرة نبات القنب ، الحبال وحاجات ضرورية أخرى • ولم تهمل همة البشر البردي أو أي نوع من الشجر والأعشاب التي تنبت في الماء مهما كان حقيراً ، دون أن تستخلص منه فائدة أو تسد به حاجة من حاجات الناس ، ولم تستخرج حذاقة المسيحيين الحكيمة والخلاقة(٣٥) مواداً ضرورية للذين يستنسخون فقط ، بل استخرجت منه أيضاً مواداً ضرورية أخرى • ولم يهمل عقل الناس الحكماء

٣٥ـ نوع من الشجر يصنع منه الورق •

الماهرين الخلاق ، أوراق الأشجار وسيقان الأعشاب وأوراقها والجـذور وقشرة القنب واعشاب الطوافة والهشيم اليابس ، الا واستخلص منهـا فوائد متعددة ضرورية للاستعمال والتداول ، ولكي يـدرك الجميع بأن الله الخالق لم يأت بشيء كبيراً كان أم صغيراً عبثاً لا نفع فيه أو غير حسن· بل ان جميع هـذه الحاجات والضروريات خلقت لأجل الانسان الجسدي المحتاج الى الأشياء الجسدية . ولكي تؤول الى مجد خالقه الحكيم والقادر على كل شيء والمعني الصالح بخليقته ، له المجد والعظمة على كل ما خلق الى أبـد الآبـدين ، آمـــين ·



المقال الرابع
في الأنوار التي خلقها الله في فلك السّماء

مقدمة :

ان الله الخالق والمغني بخليقته ، جمل تكوينها بكل ما هو ضروري ونافع ، ولم يهمل شيئاً مما عرفت حكمته ، انه من مستلزمات هذه الخليقة المحسوسة والجسمانية ، شأن الذين يبنون ويجهزون بيوتاً ملكية، فبعد أن ينجزوا الأبنية ، ويزينوا الجدران والاعمدة والسقوف وأرضية البيت ، ويهيئوا النوافذ التي منها يتسرب النور الى البيوت التي يسكنونها ، فانهم يولون اهتمامهم بتجميل البيت بما يزينه ويجمّله ، من قناديل وسواها من أواني الاضاءة • هكذا أيضاً الله خالق هذا الكون ومبدعه ، والمغني والمدبر بحكمته الانسان جبلته الذي كان عتيداً أن يخلقه ويبدعه على صورته ، ويقيمه سيداً على هذا البيت الكبير ، مبدعاً السماء الصافية العجيبة سقفاً له ، وزينه وجمّله بهذا الجو الرائع الصافي المنير بدلاً من النوافذ ، وجعل هذه الأرض اليابسة الفسيحة ملائمة للسكن وعيش الحيوانات ، ونظم فيه البحار والأنهار والينابيع بدلاً من القنوات • والى جانب هذا ، اهتم بوضع الأنوار فيه بمثابة قناديل، لتنير ليلاً ونهاراً أمام الملك الساكن والحيوانات التي تخدمه – هكذا سبق الله الخالق وجمّل وجهّز هذا البيت بكل المستلزمات، من أجل الانسان الذي كان عتيداً أن يخلقه صاحباً للمسكن • لذا فقد تابع الروح الذي نطق بلسان موسى قوله السابق قائلاً(١) : « وقال الله لتكن أنوار من جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين • وتكون أنواراً في جلد السماء لتنير على الأرض • وكان كذلك • فعمل الله النورين العظيمين ، النور الأكبر لحكم النهار ، والنور الأصغر لحكم الليل ، والكواكب ، وجعلها الله في فلك السماء لتنير على الأرض ، ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة • ورأى الله ذلك أنه حسن ، وكان مساء وكان صباح يوماً رابعاً » •

---

١ – تكوين ١ : ١٤ – ١٩ •

هـذا ما نطق به روح الله بلسان موسى الذي كتب عن تكوين هـذا الكون وابداعه • وموضحا أيضاً ابـداع الأنوار التي خلقهـا الله في فلك السماء ، وجعلها في هذا الكون ـ بيت الجنس البشري ـ بمثابة القناديل والمشاعل التي توضع في قصور المملكة •

ولما كانت هـذه الكلمات من روح الله ، استوجب ايضاحها واحدة فواحدة للذين سيقرأونها ، مميطين اللثام عن مفاهيمها الخفية والسرية ، أمام من يعنى بقراءتها من محبي العلم •

قال الروح : « لتكن أنوار في جلد السماء » • من هو ترى الذي قال « لتكن أنوار » ، ولمن قيل هـذا ؟. يجيب الفكر الباحث المستنير المدرك للحق فيقول : ان الله الأب خالق الكل الذي لا يُرى ، والعقل غير المولود أو المخلوق أو المدرك ، قال بصورة سرية آلهية ، لكلمته الخالق المولود منه أزلياً الذي لا بداية له • الاله الآب يقـول لابنـه الوحيد الاله القوي والقادر على كل شيء • ولقوته غير المدركة والقادرة على كـل شيء ، ولحكمته التي قالت[٢] : « كنت معه عندما خلق السماء •• وعندما وضع أسس الأرض كنت معـه » • فالله الآب وجـه كلامه الى كلمته الذي هو قوته وحكمته وذراعه ويمينه وشعاعه الأزلي وجوهره ، وهو قوي وقادر على كل شيء وخالق • وقوله : « لتكن أنوار في جلد السماء » كان موجهاً الى هذا الذي به صار كل شيء • وبغيره لم يكن شيء مما كان[٣] • قال الله الآب والده: « لتكن أنوار في جلد السماء » فبقوله « لتكن.. فيالسماء » أشار الى مكان وجودها الدائم • هذا ما قاله بصدد مكانها الذي كان يجب أن تنتظم فيه ؛ ثم تحدث عن الغاية من خلقها فقال : من أجل الفصل بين الليلوالنهار، ولتكونللآيات(للعلامات) والأزمنةوالايام والسنين• فقد أوكل الفصل بين الليل والنهار الى كلا النورين ، وحسن له أن يجعل النـور الأكبر لحكم النهار ، لأنـه الوحيد الذي يستطيع أن يصنع النهـار لدى وجوده فوق الأرض • والليل لدى وجوده تحت الأرض • وليس من شأن النور الأصغر أن يصنع نهاراً عندما يكون فـوق الأرض ، أو ليلاً عندما يكون تحت الأرض ، وجـل ما نستطيع أن نقوله عنه • هو ، أنه يضيء في الليل فقط • لأن نور النهار بكليته هو مـن النور الأكبر ، لذا كتب ، أن الله عمل نورين كبيرين ، النـور الأكبر لحكم النهار والنـور الأصغر لحكم الليل ، موضحاً بهذا عدم قدرة النور الأصغر على الانارة في النهار،

---

٢ ـ أمثال ٨ : ٢٧ و ٣٠ •

٣ ـ انظر يوحنا ١ : ٢ ـ ٣ •

لأن ذلك من صلاحية النور الأكبر ، وأحياناً لا يضيء النور الأصغر حتى في الليل • لذلك أضاف كلمته « الكواكب » لدى ذكر النور الأصغر بأنه لحكم الليل ، مشيراً الى أن الكواكب تضيء حينما لا يضيء النور الاصغر ليلاً • هذا ما أعلنه كلام الروح عن كون النورين هما للفصل بين الليل والنهار ، لذا فانهما يفصلان بانارتهما بين الليل والنهار ، ويظهران لكل من له حاسة النظر ، متى يكون الليـــل •

ثم يتابـع الروح حديثـه قائـلاً : « وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين » ، فاستوجب أن يشمل ايضاحنا هذا أيضاً • ولكن قبل أن نفعل يجب أن نسأل عـن أسماء الأنوار ليأتي الحديث وافياً وواضحاً •• ان الروح لم يتطرق الى هذا ولم يدرج لنا أسماءها في الكتاب المقدس ، لكنه اقتصر على القـول : النـور الأكبر والنـور الأصغر • مشيراً بهذا الى تمايزهما واختلافهما وخاصة بالنسبة الى حكم كل منهما • انهما الشمس والقمر كما اعتـاد الناس أن يسموهما • وعنهما قال : ليكـونا للآيات والأزمان والأيام والسنين • فقـد قال للآيات ، لأن الله خلقهما ليصنعا للبشر : آيات عجيبة ومثـيرة • بواسطة الأحداث التي تصادفها بين حـين وآخر ، كما يحدث للشمس مـن قبـل القمر عندما يجتمعان ويسـيران جنبا الى جنب ، اذ يقف القمر أمام الشمس ويحجبهـا عـن الناس • أمـا بالنسبة الى القمر فعندما يبتعـد عـن الشمس كثـيراً الى مسافة نصف الكرة ، ويكون ابتعـاد الواحد عـن الآخر من جهات مختلفة ومعاكسة ، يحرم من نورها • ويظهره لنا القمر ، النور الأصغر ، الى جانب هذا ، آيات أخرى بتغييراته وبأشكاله التي يشبه بعضها البعض ، التي تتكون بسبب الزيادات والتناقص التي تطرأ عليه بصورة مستمرة • وما خـلا هــذه ، فان الشمس والقمر يصنعان آيات أخرى متنوعـة ومدهشة • في السماء وفي الجو • فالشمس تكوّن قوساً مثيراً ومدهشاً يشبه نصف الكرة ، وآيات أخرى يكوّنها بواسطة السحب التي يدعوها عامة الناس قوس قزح • وهناك آيات أخرى في فلك السماء فوق هذه ، تدعى باللغـة اليونانية :

Lanceae, Docides, Pogoniae, Cometae, Trabes, Slopae

ܠܘܢܟܝܐ ܘܕܘܟܝܕܐ ܘܦܘܓܘܢܝܐ ܘܩܘܡܝܛܐ ܘܛܪܒܐ ܘܣܠܘܦܐ

ومن آيات القمر ، الطوق المستدير الذي يكونه في السحاب ، وغيره مـن التغييرات ، والأشعة المتباينة الألوان التي يكوّنها بواسطة الهواء الرطب ، وفي الزوايا الكثيفة أو الخفيفة التي يشكلها خـلال عملية اكتمال نوره أو تناقصه • وفي هذا الصدد أقول : هناك أمور أخرى يتشبث بها بعض من جربوا ، ممن يعتقدون أنهم علماء حاذقون ، ويعلنون عـن امكانهم

التنبؤ عن أمور مستقبلية · لكنهم واهمون في اعتقادهم هذا ، ويوهمون آخرين بأنهم يعرفون المستقبل ، لكن بالحقيقة انهم لا يعرفون ، ولئن يعطون بعض الدلالات عن امور قريبة الحدوث، عن الشمس والقمر مثلاً، وذلك بواسطة التغيرات الشكلية التي تحدث لهما في الجو الرطب أو الجاف الذي يقع تحتهما والقريب الى الرؤية ، واذ أدرك بعضهم هذا ، توهموا أنهم يستطيعون أن يعرفوا أموراً مستقبلية ، فينبئون بها · وأحياناً يؤكدونها ، لكن أقوالهم لا تتحقق دائماً ، لان الله المدبر يغير الأمور متى شاء عدة مرات خلال ساعة واحدة · ويكثر من الآيات المختلفة المدهشة ، في الجو وفي الأنوار نفسها والتي لم تعرف فيها من قبل ، بل لم تكن موجودة، ولم يشر اليها من قبل · فقد كتب ، ما كتب حق ، أن الله يعمل ما يشاء · وان الشمس والقمر لا يستطيعان أن يلزمانا على أن نؤمن بما يظهر فيهما أو منهما من اشارات سبق وأنبأ بها ذوو الاختصاص · فالآيات تحدث عندما يحسن ذلك لخالقها المدبر ·

□ الشمس والقمر وتحديد الزمان :

·· أما بالنسبة الى الأزمنة والأيام والسنين فأقول : ان كليهما (الشمس والقمر) وجدا من أجل تحديد الأزمنة بدورانهما حول هذه الكرة · فعندما تدور الشمس في كرة السماء باتجاه الغرب ، تكوّن في دورة واحدة يوماً بأربع وعشرين ساعة ، وبابتعادها عن الكرة باتجاه الشرق ، وبدورة واحدة حول الكرة ، تكوّن سنة بأربعة فصول ، وبمدة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع اليوم أي ست ساعات · وبابتعاد القمر عن هذه الكرة باتجاه الشرق ، وبدورة واحدة حول كرة السماء ، يكوّن شهراً قمرياً ، وتتم الدورة بـ ٢٩ يوماً وأكثر من نصف يوم · وقد اتخذ العبرانيون واليونانيون من اسم القمر مجموعة شهرية · وحددوا الأوقات بفترات دورانهما حول كرة السماء بابتعادهما عنها ··

أما الكواكب الخمسة المعروفة بالتائهة ، فان أحدها وهو المسمى (Crunos) كرونوس أي (Satarnus) المشتري ، يكمل دورته المعاكسة في المدار كله في مدة ثلاثين سنة · وأما المسمى زحل (Jupiter) أي بعل (Bel) فيكمل دورته في نحو ١٢ سنة · وأما المسمى المريخ (Mars) فينهي دورته في الفلك بأكمله في خلال سنة وستة أشهر · وثمة اثنان آخران يسميان الزهرة (Venus) افروديت وعطارد (Mercurius) ، فانهما يحددان الأوقات [كالشمس] على أساس الفترات السنوية · ويكملان دورتهما المعاكسة بالابتعاد عن مدار الفلك السريع أحياناً ،

أو بتقدمها أحياناً أخرى • فتصير هي الأخرى مثل الشمس والقمر بالنسبة الى تحديد الآيات والأزمنة والايام والسنين ، هذا ما يعنيه كلام الروح القائل : « وتكون للآيات والأزمنة والأيام والسنين » •

ثم قال : « وتكون أنوار في جلد السماء لتنير على الأرض » • فبعد أن يقول : وتكون أنوار في جلد السماء ، يضيف : « لتنير على الأرض » • وبهذا يظهر أن الأرض فقط بحاجة الى انارتهما وليس فلك السماء الموجودة فيه • ولا الله خالقها بحاجة الى نورها ، ولا خدامه المدعوون قوات سماوية ، حتى ولا المكان الذي وضعت فيه • هذه هي حقيقة هذا الكلام • لكنها خلقت لتنير الأرض ومن عليها من البشر والحيوانات الذين كان الله عتيداً أن يخلقهم على الارض • هذا ما قاله الله عن الأنوار التي خلقت في جلد السماء • وقال الروح ، وللحال « كان كذلك » • فعبارة « كان كذلك » يجب ألا نأخذها اعتباطاً ، دون ترو أو امعان ، كما يفعل بعض الوثنيين الغرباء عن معتقدنا فنقول معهم أن الأنوار تكونت من ذاتها فجائياً وتلقائياً ، أو أن نتساءل، من الذي أوجدها وثبتها في جلد السماء ؟ بل علينا أن نتأمل بدقة وامعان بما قاله الروح بعد قوله : « وخلق الله نورين كبيرين » • اذ لا يجب أن يؤخذ ما قاله أعلاه : « وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء » ، وقوله هنا : « وخلق الله نورين كبيرين » ، ببساطة وغباوة ودون ترو ، فنردد ما يقوله اليهود عشوائياً : انها دلالة وجود أقنوم واحد وليس اثنين كما يقتضي الكلام ولا شك • فعلينا أن نعتقد بأن الذي قال : « لتكن الأنوار » هو أقنوم ، والذي عناه الروح بقوله : « وخلق الأنوار » هو أقنوم آخر ، فلم يكن القائل والمنفذ أقنوماً واحداً • والا لما كان هناك ضرورة ليقول الروح : « لتكن الأنوار » ، بل كان يجب أن يقال : « لتُخلق ولا لتكن الأنوار » ، وأن يكتب الروح : « خلق الله الأنوار » دون أن يتطرق الى العبارات الأولى •

□ العالم هرمس وخالقة الشمس :

ومن المعروف أن الذي قال « لتكن الأنوار » كان الله الآب خالق الكل، قالها لكلمته الخالق والقادر على كل شيء ، المولود منه أزلياً والمساوي له في الجوهر والقوة والخلق • وهو الذي خلق الأنوار ، ويعرف مع الآب بالروح القدس • هو الذي خلق الكل وبغيره لم يكن شيء(٤) « بكلمة الله خلقت السموات وبنسمة فيه كل جنودها »(٥) • هذا هو مفهوم كلام

---

٤ ـ يوحنا ١ : ٣ •   ٥ ـ مزمور ٣٣ : ٦ •

الروح السري • وقد كتب بهذه الصورة ، لان اليهود ، نظراً الى جهلهم الطفولي ، لم يكن بمستطاعهم أن يسمعوا او يتحملوا وجود اقنوم اخر في اللاهوت ، واحد يقول « لتكن الانوار » وآخر ينفذ ، وهكذا يكون الحدث قد دُون معلنا من جهة ومكتوما من جهة اخرى • وبهذا يكون الكتاب قد أظهر الحق بجلاء ووضوح •

انه لأمر معقول جدا وبعيد عن الملامة ، أن لا نتوقع شهادة للحق ممن هم ضد الحق • أو أن يتحدث الغرباء عن حقائقنا ولا سيما الروحية منها ، الا أن الروح يضع أحياناً في أفواه الغرباء ما ينطقون به ، يكون سنداً للحق ودحضاً للكذب والضالين الذين يناهضون الحق ، فان هرمس الشهير مثلاً ، المصري الجنسية المعروف عندهم بأسم Trismegistus ، وكان اليونانيون يجلونه كثيراً ، كان يجيب سائليه بما يشهد للحق بكلمات ليست ببعيدة عن كلام الروح • فقد وجه اليه شخص يدعى أوزيريس Osiris سؤالاً حول تكوين الشمس • فدُون جوابه هكذا : « أتريدنا يا أوزيريس أن نتكلم عن تكوين الشمس أو كيف ظهرت ؟ » نقول : « انها ظهرت بعناية سيد الكل • فتكوين الشمس كان من قبل سيد الكل » • فكلامه هذا كانه كلام قديس • واذ أضاف السائل قائلاً : كيف تم ذلك ؟. أجاب بعد برهة : « ان رب الكل نادى للفور كلمته القدوس العاقل والخالق وقال : لتكن الشمس • وللحال ومع لفظه للكلمة ظهرت كنار ذات طبيعة الارتفاع نحو الأعلى • بيد أن ما هو أكثر سمواً ووضوحاً وفاعلية ، وأكثر بقاء ، أن نقول : انه حشر طبيعة في روحها وأثبتها في العلاء فوق المياه »(٦) • لا أعتقد أن أحداً يقول ان هذا الكلام يخالف كلام روح الحق الصادق • بل هو قريب منه جداً •

أما أنا فأقول : ان الشمس كونت بنعمة الله سيد الكل ، ومن قبل سيد الكل نفسه وبكلمته القدوس • واذ نادى سيد الكل كلمته القدوس : « لتكن شمس » ، رفع للفور الطبع الخالق بواسطة روحه ، كرة النار الوهاجة والفاعلة الى فوق المياه • وهكذا ، قال فظهرت الشمس • وهل من ينكر أن الروح ليس هو الذي نطق بلسانه وقال وكتب: « قال الله لتكن الأنوار » ؟. كما ونطق بفم المرتل داود وقال(٧) : « بكلمة الرب خلقت السموات وبنسمة فيه كل جنودها » • فالشمس والقمر والكواكب تسمى أيضاً قوات سماوية • أليس هو ذاته الذي أوحى بهذا الكلام الى هرمس المصري ، من أجل أن يشترك الجميع في الشهادة للحق واعلانه ، ومن أجل

---

٦ ـ انظر : Scott, Hermetica, tom. I, p. 547 • ٧ ـ مزمور ٣٣ : ٦ •

أن يتأكد الجميع بأن الله الآب وجه عبارة « لتكن الأنوار في جلد السماء » الى كلمته الخالق ، ومن ثم وكما كتب الروح ، نفذ الكلمة الخالق ومبدع الكل ، الاله القوي والقادر على كل شيء والمساوي لوالده في الجوهر ، فخلق الشمس والقمر النورين الكبيرين ، ومجموعات فائقة ومدهشة من الكواكب ، فتحركت باشارة منه في فلك السماء لتنير الارض وتفصل بين النور والظلام • وقد تم هذا بفعل الروح المساوي في الجوهر والقوة والخلق للأب المبدع وكلمته الخالق • على هذه الصورة جهز هذا الكون كما يُجهز بيت الملوك ، بالأنوار والمشاعل والقناديل ، قبل أن يخلق الانسان ذلك الملك الذي اتخذه مسكناً • ورأى الله أن كل ما عمل هو حسن كما سلم الينا الروح الملهم والعارف بالأمور الالهية •

☐ الشمس لانارة الأرض :

يقول الروح في خلقة الأنوار : « ان الله جعلها لانارة الأرض والفصل بين النور والظلام ، ولتكون للآيات والأزمنة والأيام والسنين » • بعد استمداد العون من الروح ، نقول كلمتنا ، ترى ما الذي كان يقصده الروح بقوله في اليوم الأول : ان الله قال : « ليكن نور وكان نور » ، وما الذي يقصده بقوله هنا : « لتكن الأنوار وخلق الأنوار » ؟ وهل من اختلاف بين نور ونور ؟. وازاء هذه التساؤلات نود أن نتحدث بالتفصيل التام عن الشمس وبقية الأنوار •

فمن المعروف أن الله عندما خلق في البدء السماء والارض ، خلق العناصر الأربعة في آن واحد ، التي منها تكونت السماء والأرض • وما فيهما • وخلقت في الوقت نفسه خصائص كل عنصر • فاذن خلق مع السماء والأرض ، الماء والهواء والنار وجميع خصائصها • ومن المعروف أن النور يتولد من النار ، أو انه صفة ثابتة فيها مثل الحرارة ، قابلة للتحرك فوق أو خارج العناصر • كالظلام الذي هو الآخر صفة كامنة في الأجسام القيّمة والصلبة والجامدة : كلياً في الأرض وجزئياً في الماء • فهذه خلقت منذ البدء مع العناصر ، ولم يخلق النور فيما بعد مع النار • والظلام المظلل مع الأرض • فالظلام الذي ظلل جسم الأرض ، ظلل جزئياً وبصورة شفافة • فاذن كان النور مع النار منذ البدء ، كما هو الظلام مع الأرض والماء • عندما قال الله : « ليكن نور » كما سلم لنا الروح ، لما قال : « ليكن » أي ليظهر وينجلي وينير ، وكما قال أحد ملافنة الكنيسة القديسين : « ان قوله ، ليكن نور ، يعني أن يتغلغل النور المنبثق

من النار الى هذا الوسط الذي كان يسوده الظلام »(٨) · هذا ما تعنيه عبارة : «ليكن نور» التي نطق بها الله في اليوم الاول · فقد قيلت لكي يفسح المجال أمام النور لينير حلله رطوبة المياه المنتشرة في الجو ، فيطرد بدخوله المياه التي على الارض ، الظلام المنتشر على وجه الغمر ، وحيث ان كل العناصر كانت في البدء متداخلة جزئيا مع بعضها البعض ، لم تكن الارض قد تنقت كليا من الماء ، ولا الماء مـن الهواء الممتزج به ، ولا الهواء من بخار الماء ، ولا طبيعة النار من الهواء الرطب الذي تجذبه اليها بواسطة الحرارة المرتفعة نحو الأعلى · لذا لم يكن نور النار كافياً أو متمكناً من اختراق الهواء الممتزج والرطب والقاتم ، لينير الظلام السائد على وجه غمر ميـاه الأرض ، لذلك قال الله الخالق المبـدع : « ليكن نور » أي أن يتسرب مـن النار فينير ما هو فوق مياه الغمر بعد تنقيته · فمثل هـذا النور كان يحيط الأرض من فوق ومن تحت ، ويكوّن أصباحاً وأماسي في الأيام الثلاثة ، شأن النار التي تنير عن بعد بفعل أشعة نورها ·

على هـذه الصورة اكتملت الأيام الثلاثة ولياليهـا ، أي بالنـور المنبعث عن النار ، حيث كان والظلام المخيم على وجه الماء يدوران باتجاه معاكس لدوران الأرض ، مكوّنـين نوراً للنهار وعتمة لليـل ، مع ظلال الأرض المسماة بالظلام · فهذا النور لم يكن سوى شعاع النار المرتفعة ، وكان ينير الجو قبل أن ينحصر ويتجمع بكرة واحدة متماسكة وثابتة · ولمـا حسن للخالق أن يكوّن في اليوم الرابع هـذه الكرة المضيئة والنقية المسماة شمساً ، وضع نوراً في فلـك السماء لانارة الأرض ، وهو النـور المنبعث من النار والذي صدر اليه الأمر لينير في اليوم الأول، وهو الشمس نفسها التي كوّنت في اليوم الرابع · وهكذا يتميز الواحد عـن الآخر ، مثلما يتميز شعاع النـار الذي ينير عـن بعد عـن مصباح ذي نور باهر ، موضوع في الوسط. فشعاع النور الذي ينتشر في البيت ويلقي فيه أضواء خافتـة ، هو غير المصباح أو السراج الذي يحمل النـور ، فكم بالأحرى طبيعة النار المنيرة ، فالنور الأول كان مجرد شعاع للنار ، أما الشمس التي خلقت في اليوم الرابع ، فلم تكن شعاعاً مـن نار ، بل لهـا طبيعة النار النقية والنيرة ذات الفاعلية العظمى كما سبق البيان عنها · هكذا كانت هيئـة الشمس التي خلقت كنور أكبر في اليوم الرابع ، كما قال الروح الملهم ، وفصل نهائياً بـين النور والظلام وبين الليـل والنهار · فلماذا اذن يقول الروح ، ان الأنوار خلقت في اليوم الرابع ؟ ان الجواب المناسب يحتفظ للنظرية العقلية لأنه من اختصاصها ·

---

٨ ـ لم نشخص هذا المؤلف ، ولعله باسيليوس !

ويتساءل بعضهم عبثاً عن النور والظلام أيهما سبق الآخر في الخلقة، هل النور أم الظلام ؟ نقول بهذا الخصوص : كانت الأرض والنار قد خلقتا سوية ، وان الارض خلقت منذ البدء كقول الروح : « في البدء خلق الله السماء والأرض » ، وتلك النار كانت النهاية الخارجية للسماء ، وقد خلقت معها خصائص كل منهما ، فمع الأرض خلق ظلها ، ومع النار نورها ، وظل الأرض هو الظلام ، فمن هنا يتضح عدم جدوى السؤال حول أسبقية النور والظلام أحدهما للآخر ، فلا نستطيع أن نقول ان النور سبق الظلام ، أو الظلام النور ، لأن الأرض والنار لم يسبق أحدهما الآخر في الخلق · بل ان جميعها خلقت وكونت في آن واحد بكلمة الخالق القادر على كل شيء ، ولئن أدرج الروح عملية الخلقة بترتيب ، مراعاة لما اعتاد اليه العالم ، ولضعف السامعين ، وقال : ان الأنوار خلقت في اليوم الرابع ·

□ طبيعة الشمس :

بعد هذا الحديث ، يجدر بنا أن نوضح جوهر أو طبيعة جسم كل واحد من الأنوار ، أي الشمس والقمر والكواكب ، بقدر امكانية الفكر الباحث ، وعن حجم وكبر وشكل أجسامها ، وبعدها عنا وعن بعضها البعض ، ومكان وجودها ووضعها من الكرة التي يسميها الكتاب جلد السماء · وبعد تأمل هذا الموضوع بشكل منطقي نقول : انها أجسام وليست مجردة عن الأجسام كما تشهد الحواس ، وكما يؤكد الرسول الالهي بولس الحكيم اذ يقول : « يوجد أجسام سماوية وأجساد أرضية »(٩) فانه يدعو الشمس والقمر والكواكب أجساماً أو أجساداً سماوية · ثم يتابع قوله : « مجد الشمس شيء ومجد القمر آخر ، ومجد النجوم آخر ، ونجم عن نجم يمتاز بالمجد »(١٠) فانه يدعو استنارة النور مجداً ، وهي تتفاوت من واحد الى آخر ، ولكونها أجساماً فانها صادرة عن العناصر الأربعة الأولى الهيولية التي هي بدورها أجسام · ولما كانت تلك العناصر الأربعة الأولى مستنيرة ومنيرة ، ولها مجد ونور يبعث أشعة وأضواء ، كان علينا أن نبحث هادفين ، من كل منها وبتمعن وتفكير عميق ، معتمدين ومسترشدين روح الله خالقها الحق والصالح ، لنعرف من أي من العناصر كوّن كل منها ، هل من عنصر واحد أو عنصرين أو ثلاثة أو من الأربعة ، مستشهدين بالطبيعة الموجودة في كل منها أو الأكثر

---

٩ ـ ١ كورنثوس ١٥ : ٤٠ ·

١٠ـ ١ كورنثوس ١٥ : ٤١ ·

قرباً اليـه · فالشهادة عـن الذي هو حار بطبعه ومنير ومحرق وميبّس (الشمس) ، تتحقق هكذا : ليس من المعقول والصحيح أن نقول انه من مادة التراب أو الماء أو الهواء ، اذ لا بـد من أن يكون ما قلناه سابقاً هو الصحيح ، وهو أن جسم الشمس أو جوهر قوامها ، نار نقية صافية وكثيرة الاستنارة وفاعلة ومحرقة · فقوامها هو من عنصر النار هذا ، ولا يشترك معه أي مـن العناصر الثلاثة الأخرى ، فما قلنـاه اذن صحيـح وحري بالتصديق · فان فاعليته في الحرق تشهد على أنـه نار مضطرمة تبعث الدفء الى الأرض بأضعاف مضاعفة أكثر من تنور متقد أو أتون ملتهب، وقـد تشتعل النار في بعض البلدان كالحبشة بمجرد حرارة وأشعة نور الشمس ، فتتلف وتحرق كل ما يصادفها ، وقـد شاهدنا مرات عديـدة بأم أعيننا أشعة ساقطة على صفحة ميـاه صافية باردة أو على فضـة مجليّة صقيلة · وان النار تضطرم وتلتهب وتحرق ، ليس فقط المـواد اليابسة القابلة للاشتعال بسرعة ، بل وحتى الرطبة منها · فهذه البراهين والشهادات تؤكـد كون الشمس ناراً ، وتشير في الوقت نفسه الى كبر حجمها الذي لا يتعدى في كل الأحوال حدود المنطق ، ولا يخرج عن نطاق التصديق · ومع هذا فمجرد كونها ناراً لا يكفي لكي تضرم الأرض وتحرقها بفعل حرارتها الشديدة· وهذا أيضاً يشكل دلالة على سعتها وكبر حجمها·

الحق يقـال ، انه ليس بامكان أي انسان معرفـة أو ادراك مدى حجمها ، ولئن تجرأ بعض البعيدين عـن الحق ، انسياقاً وراء اعتقـاد خاطىء ، على أن يجزموا دون تردد ويقدروا كبر وحجم الشمس ، النور الأكبر ، ب ٢٧ ضعف حجم الأرض · والذين لم يشاءوا منهم أن يبالغوا في كلامهم ، قالوا ان الشمس تكبر الأرض ب ١٨ مرة · لقد شط هؤلاء جميعهم في ما يخص حجم الشمس ، وانجرفوا وراء وقاحتهم ، فكتبوا عن حجمها ما كتبوا · بيد أن نخبة مـن جماعتنا قدروه عـن حكمة وفهـم ، فقالوا ؛ دون أن يشطوا عـن الحـق · ان كـرة الشمس تكبر الأرض ببضعة أضعاف · ولئن لم يدركوا تماماً حقيقة الأمر · هـذا هو جوهر حجم الشمس وضخامتها وشكل هيئتها · فهي ليست طويلة ولا ذات أربع زوايا ، ولا دائرية مسطحة أو رقيقة ، بل انها دائرية كروية من جميع الجهات ، متساوية تماماً في الطول والعرض والارتفاع ، ومـن جميـع جوانبها مثل جوهرة مستديرة صافية · هذا هو جوهرها ، وهذا حجمها ، وهذه هيئتها · وهذا كل ما استطعنا تحديده بالنسبة اليها · نكتفي بهذا الحديث البسيط عـن حجمهـا ·

ولئلا ينتقص مجدها او نقلل من حجمها ، رأينا أن نزين كلامنا بكلمات الروح ، خالق الانوار قاطبة . مع ابيه وكلمته الخالق • لذا كان علينا ان نضيف الى كلامنا بهذا الخصوص ، كلمات الروح السنية • ففي حين قال موسى ان الله خلق نورين كبيرين في جلد السماء لينيرا الارض ، النور الاكبر لحكم النهار : انشد داود المرتل عن السماء وعنه قائلا : « السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه »(١١) • وفي حديثه عن عظمة الشمس يقول : « جعل للشمس مسكناً فيها »(١٢) ، وفي حديثه عن جمال وبهاء السماء يقول : « وهي مثل العروس الخارج من حجلته ، يبتهج مثل الجبار للسباق في الطريق . من أقصى السموات خروجها ومدارها الى آقاصيها ، ولا شيء يختفي من حرها »(١٣) • بهذه الكلمات أشاد الروح بمجد وعظمة الشمس ، النور الاكبر • وهذا ما تحدثنا به •

□ القمر :

ولنا أيضاً أن نقول كلمتنا في القمر بكل دقة وامعان • الذي نبين على قدر الامكان ماهية مادته ، فهو الآخر جسم مثل الشمس ، يشهد على هذا عين الناظر والكلام الرسولي المذكور أعلاه • ولما كان جسماً فلا بد أن يكون من العناصر الأربعة ، اما من جلها أو من كلها • فمن عنصر التراب اكتسب في تركيبه ، البرودة المنعشة التي تتكون فيه لدى ظهوره فوق الأرض ، وفيه قليل من عنصر الماء ، وهي الرطوبة التي تظهر في الزروع والعروق والأعشاب وأثمار الأشجار ، وفيه قليل من طبيعة الهواء الرقيق الصافي ، كما يبدو من رقة جسمه وصفائه ، وفيه أيضاً قليل من النار ، كما يبدو من لونه الأحمر ، ومن استنارته وصفائه • فعندما يمعن المرء النظر في هذه الأشياء ، يقرر أن هذا النور الأصغر المسمى قمراً ، مركب من العناصر الأربعة ، التراب والماء والهواء والنار • وأذا سأل خصم مرتاب ، لا يدرك أعمال الله قائلا : اذا كان عنصر النار داخلا في تركيب جسمه ، فلماذا يقال انه يستمد النور من الشمس لخلو طبعه من النور ؟ فليعلم مثل هذا ، أنه يوجد على الأرض أجسام كثيرة يدخل فيها عنصر النار ولا تقوى على الانارة بفعل تلك النار التي فيها • فالنار مثلا توجد في الخشب والأحجار ومع ذلك فانها لا تنير ، وتوجد أيضاً في الحديد والنحاس والفضة ، لكنها لا تقوى على الانارة بذاتها ، غير أنها لو هذيت

١١- مزمور ١٩ : ٢ •
١٢- مزمور ١٩ : ٦ •
١٣- مزمور ١٩ : ٦ - ٧ •

وصقلت لاستطاعت أن تتقبل النور مـن الخارج ، اما من الشمس أو من النار فتضيء قليلاً · كذلك القمر الذي ولئن يدخل في تركيبه قليل من عنصر النار ، لكنه لا ينير من ذاته ، وكل عنصر أو جسم ، باستثناء النار، لا يقبل نوراً مـن الخارج ، لا ينـير بذاته ، لأن طبيعة الانارة الذاتية أعطيت للنار فقط من قبل المكوّن المبدع ·

وربما يقول الخصم : ان القمر لا يحتوي أي جزء من عنصر التراب، اذ لا يمكن أن يكون فيه تراب وهو بهـذا الشكل من الصفاء واللمعان · لأن التراب هو ضد النـور ، وهو مادة غشيمة وكثيفة ، غـير شفاف ولا براق ، ولكن ليعلم : أن هنالك أجساما كثيرة مركبة من عنصر التراب ، ليست فقط صقيلة وبراقة وقابلة لاستمداد النور من الخارج كما تبدو ، بل هي أيضاً رقيقة وشفافة مثل عنصر الهواء ، يخترقها النـور بسهولة دون عائق من الداخل ، كما يخترق الهواء دون عائق · لكل مـن الزجاج الصافي البراق والجبس (الكلس) النقي ، ولا سيما حجـر (كرسـتال) Crystallus (ܩܪܘܣܛܠܠܘܣ) مثـل هـذه الطبيعة الصافية ، يدخلها النور من أحد جوانبها الى آخر دون عائق ، مثلما يخترق النور الهواء دون عائق ، ومـن خلال هـذه الأجسام يمكن رؤية ما هو أمامها · فبواسطة هـذه الأشياء نعرف أن الله المبدع والخالق جعـل جسم القمر أكثر صفاء ونقاء ، منهـا ، وذا قابلية كبـيرة لاستمداد النـور وانارة الأجسام الأخرى ، بالرغم من وجود نـذر يسير من عنصر التراب الكثيف فيـه · فقد جمع الله المبـدع ما في كل من العناصر الأربعة مـن صـفاء وركب منها هذا النور · ويستطيع الباحث أن يجعل طبيعة الخشب جسماً صافياً نقياً يخترقه النور بواسطة الهواء باستمرار ، وتشاهد فيه عـن بعد أشعة مضيئة ، مثلما تشاهد في النار · ولنـا مثال في ذلك ، القطرة الصافية النقية التي يفرزها شجر اللوز في الصيف ، فهي مثل عرق يسيل من مادة الخشب الدهنيـة ، وهي صغيرة لا يتجاوز حجمها حبة عنب أو على الأكثر حبـة جوز · فلما يشرق شعاع الشمس على أحد جوانبها ، تبعث أشعة الى الجانب الآخر مثـل الشمس · وحيث انهـا مـن عنصر الخشب ، فهي تحتوي شيئاً من كل من العناصر الأربعة ·

مـن هنا يجب أن يوثق بالكلام الذي تحدثنا به عـن هـذا النور (القمر) ، بكونه مركباً من العناصر الأربعة ، وليس في طبيعته نور أو انارة ، وهو يستمد النور مـن الشمس عندما يسقط على وجهه المقابل لها ، مثل الماء الصافي والحديد الصقيل والفضة البراقة ، فيستنير وينـير

الاجسام الاخرى · هناك من يقول أن هذا النور ليس مركبا من العناصر الاربعه ، لكن من الماء والهواء فقط ، مجردين اياه من عنصر التراب ، وهذا ما يجعله بالرغم من كبر حجمه ، ان يسير في الفلك وكأنه طائر سريع ، وهو رطب باستمرار عكس يبوسة الأرض ، كما ينكرون علاقته بعنصر النار ، نظراً الى رطوبته وبرودته المضادتين لصفات النار من حرارة ويبوسة ، والى جوهر جسم وتركيب هذا النور : مثل هذه الاعتقادات المتباينة تدونت لدى بعض القدماء ، الا أن الحقيقة هي أن الله هو خالق وصانع الكل ·

أما بالنسبة الى كبر حجمه أو مساحة دائرته ، فقد قال قوم انها أربعة آلاف وخمسمائة غلوة ، مستندين بذلك الى فترات حدوث كسوف الشمس · وبالنسبة الى شكله ، أكدوا لنا أنه مستدير وكروي مثل شكل الشمس ، اذ لا تليق بالمجوهرات أشكال غير هذه ، لا أشكال طويلة ولا مسطحة ولا مربعة ، بل الشكل المستدير الكروي فقط ، لكي تنير كل الجوانب على حد سواء ، ما خلا الأنوار السماوية التي تبعث هي الأخرى نوراً الى جميع الجهات دون عائق أو مانع ·

أما بالنسبة الى البقع التي تشاهدها العين في جسم القمر الكروي وهو بدر ، أو العلامات السوداء أو المضيئة ، أو مهما شاء المرء أن يسميها فليسمها، فيقولون أنها أغوار تشبه الوديان الجبلية، لأن جسمه ترابي صلب وقوي لدخول عنصر التراب في تركيبه ، وهذا ما يكسبه اللون الأسود ، فجسمه كله لماع براق يلتقط النور باستثناء الأغوار العميقة التي تبدو سوداء بسبب الظل الذي يشكل هذه البقع السوداء في جسم القمر · هذا هو جوهر أو طبيعة كيانه ·

وبهذا نكون قد بحثنا وأوضحنا حجم وشكل كل من الشمس والقمر وجوهر جسميهما ·

□ الكواكب :

ومن الضرورة بمكان البحث في الأنوار الأخرى التي تسمى الكواكب، وجوهر أجسامها وما الى ذلك · ومن ثم كيفية الربط ، بصورة غير ارادية ، بينها وبين أحداث هذا الكون التي تؤثر في حياة الناس ، من ولادة ونمو وخصب وجدب ، وغنى وفقر ، وصحة ومرض وسائر ما يتعلق بحياة البشر ·

فقد توهموا (القدماء) في تقييمهم لهذه الكواكب وزعموا ، أنها آلهة غير مائتة ومدبرة لكل هذه الامور ، فقسموها وفصلوها عن بعضها البعض بصورة معاكسة ، فاحتفظ كل منها في فلك السماء بادارة ما وسلطات خاصة ومتنوعة وأماكن ومواضع معاكسة بعضها لبعض ، منها مرتفعة وأخرى منخفضة ، وحاولوا رصدها ولا سيما ما يخص فترات حركتها ودورانها في هذا الفلك العجيب ، عمل حكمة الله الخالق المبدع . واعتقدوا خطأ ، أنهم أدركوا الحقيقة الناصعة بالاستناد الى طول أو قصر الفترات المحددة لكل منها والتي رصدت وقررت وسجلت ، وقالوا من باب الحدس والمقارنة وليس من باب الحقيقة والواقع، أنهم رصدوها، فجعلوا موضع كل واحد من الكواكب التائهة ، اما في الأعلى أو بالقرب من الحافة الحادة العليا للفلك ، أو في الأسفل بعيداً عنها · وعليه فاما أن يكون ليناً ومتيناً أو حاداً نشيطاً سريع الحركة ، أقل بقليل في حركته من حركة الفلك الشديدة · وقد لاحظوا ، ان صح ذلك ، أن الكوكب المسمى Kewan (ܟܐܘܢ) أي المشتري Cronos (ܩܪܘܢܘܣ) يكمل دورته نحو الوراء حول كرة السماء في ثلاثين سنة دون أن يفترق عن حافتها سوى مرة واحدة فقط طيلة هذه المدة · هذا هو رأيهم حول هذا الكوكب الذي دونوه في كتاباتهم الفئة ، وزعموا أنه فوق كل الأنوار التي في أعلى فلك السماء ·

كذلك الأمر أيضاً بالنسبة الى الكوكب المسمى بيل اي زوس Jupiter (زحل) فقد اعتقدوا أو لاحظوا وقرروا ثم دونوا ، انه يدور حول كرة السماء بمدة اثنتي عشرة سنة ، في مسار يقع أسفل مسار (ܐܪܝܣ) ، وقالوا عن كوكب المريخ أريس Mars أنه يكمل دورته في سنة وستة أشهر ، موكدين أن مساره وحركته هما تحت الآخرين اللذين سبق ذكرهما · أما بالنسبة الى الشمس والكوكبين الآخرين أعني ذاك المسمى Belati (ܒܠܬܝ) أي الزهرة Aphrodite (ܐܦܪܘܕܝܛܐ والمسمى Venus (ܐܘܢܘܣ) ، فان موقعهما وحركتهما هي بحسب رأيهم تحت هذه الثلاثة · لذا حددوا مدة اكمال دورتها حول كرة السماء بسنة واحدة دون زيادة أو نقصان ·

هذا ما ذهب اليه القدماء ، أخذا عن الوثنيين ، في ما يخص مواضع ومسارات هذه الأنوار ، وقد قالوا بهذا مستندين الى فترة دورانها حول

هذه الكرة • لأنهم عجزوا عن الوصول الى الحقيقة ، ولم يفكروا في أن ينسبوا ذلك الى الله خالقها ، كما لم يدركوا أن هذه كلها هي من أعماله ، ولم تدرك عقولهم حقيقة مواضعها ومساراتها وحركتها ، لينطقوا بالصدق والحق ، واذ لم يضعوا هذه الحقيقة أساساً مناسباً ، فلم يتمكنوا من البناء عليها بصورة صحيحة •

لذا كان الأجدر بهم أن يدركوا ، أولا : أن الأولى (الفكرة) هي الأنسب ، فيتبينوا عظمة وقوة وحكمة الله خالقها من هذه الاعمال نفسها ، من ضخامتها واتقانها العجيب • ثانياً : أن يميزوا أن أعمال الله ليست آلهة ولا مدبرة لما في هذا الكون • ثالثاً : وهذه تلي السابقتين بالأهمية وهي أن يدركوا بما أعطوا من حكمة كبشر ، ان موضع الشمس في دورانها في السماء هو فوق جميع أنوار السماء قاطبة ، كما انها أكبرها وأسناها سواء بطبعها الرفيع أو كبر حجمها ، وهي بالنسبة الى المحسوسات كما هو الله بالنسبة الى المعقولات (ذوي العقول) • وهنا يقول قائل : اذا كان هذا هو شأن الشمس ، فانه سيكون كذلك ليس فقط بالنسبة الى نيرات السماء ، بل وسائر المحسومات الأخرى أيضاً ، ذلك أنه من الواضح أن الله أرفع وأسمى من سائر المعقولات ، التي فيه تستمد الرؤية والثبات • كذلك فان سائر المحسوسات ولا سيما تلك المنتظمة معها (الشمس) ، تستمد منها الثبات والرسوخ ، كما تستمد منها أيضاً ما تنير به ما هو تحتها على الأرض ، وهي في موقعها في السماء ودورانها أعلى من جميعها وجميع الأنوار الأخرى التي تليها في الموقع والمسار ، وكل منها يتحرك في كرة السماء ، في الفترة التي خصصها له الله خالقه دون أن ينحرف أو يتغير مساره • فهذه ليست آلهة ولا هي حية وناطقة وذات سلطان وارادة ذاتية • وقد توهم بعض اليونانيين والكلدانيين بأن لها سلطاناً على الحياة ، وهي التي تدير شؤونها ، معتبرين اياها آلهة ومدبرة هذا الكون وكل ما فيه • في حين أن الله خلقها للآيات والأزمنة كما قال الروح ، وبحسب مقولة الرسول بولس : « تضيئون بينهم كأنوار في العالم متمسكين بكلمة الحياة »(١٤) • وقد أولها المانويون الضالون بل الأكثر ضلالاً من الوثنيين ، بحسب مفهومهم الباطل الضال ، فقالوا : ان هذه (الأنوار) نفسها هي المتمسكة بكلمة الحياة • وهي تدبر وتنظم الامور من أجل حياة هذا العالم ، ان تأويلهم هذا باطل وكاذب وليس بحق • فعبارة « متمسكين بكلمة الحياة » لا تشير الى الأنوار ، بل الى المؤمنين الحقيقيين الموجودين في مدينة فيلبي •

١٤ـ فيليبي ٢ : ١٥ ـ ١٦ •

☐ الأنوار ليست عاقلة :

ومن الضروري أن نبحث عن المصدر الذي استند اليه هؤلاء الضالون في زعمهم أن هذه الأنوار هي حية وعاقلة وذات سلطان وارادة ذاتية ، وزادوا في ضلالهم حين جعلوها آلهة ومدبرة • فهؤلاء الضالون ، اذ رأوا الكواكب الخمسة التائهة تترك بحركتها محطات ، وخسوفات ، وتتمركز في كرة السماء أحياناً دون أن تتحرك ، لا الى الأمام مع الفلك ، ولا الى الوراء عندما تبتعد عنه باتجاه الشرق ؛ وأحياناً أخرى تسبق الفلك بحركتها باتجاه الغرب ، وأحياناً تبتعد عنه قليلاً باتجاه الشرق ، وأحياناً تغير اتجاه حركتها ، شأنها شأن العقلاء الذين يعيدون النظر في أمر ما • فعندما لاحظ أولئك الشقاة المعتوهون ، وبلا روية ، ما يحدث ، اعتقدوا أن الكواكب انما تفعل هذا من ذاتها ومتى شاءت ، فاعتبروها عاقلة وحية وذات ارادة ، لا بل آلهة ومدبرة • في حين أن هذه الحركة والحرية والسلطة الذاتية ليست سوى مخلوقة ، وضعها الله الخالق فيها لكي تتحرك نحو حركة الشمس التي تمدها بالنور والحركة ، كما خلقها الله المبدع هي الأخرى • فانها لا تتحرك بارادتها وحريتها الذاتية • مثال ذلك • لو صنع أحدهم آلة متقنة لرفع المياه لدى تشغيلها ، ووضع فيها بعض القطع التي يمكن أن تحركها بصورة مستمرة(أوتوماتيكياً) وبفاعلية تامة ومحكمة • فانها تنجز العمل تلقائياً • فالظاهر أن هذه (الآلة) عاقلة، لها سلطة وارادة ذاتية وتنجز كل الأعمال ، ولكن من الثابت والمعروف أن مهارة الصانع هي التي أبدعت تلك الآلة التي تعمل تلقائياً ، وليس للآلة نفسها أية سلطة وارادة ذاتية • كذلك الشمس ، قد خلقت لتصنع ما تصنعه بصورة مستمرة ، بواسطة الكواكب التائهة التي تنفذ بحركتها المعاكسة لها ، وبمقتضى ما خلقها الله مبدعها من أجله • فلا الشمس هي حية وناطقة وذات ارادة ذاتية ، ولا الكواكب التي تتحرك منها واليها لتكمل الآيات والأزمان ؛ والتي خلقت لتكتمل بواسطتها وبصورة مستمرة وثابتة ، فلا تتغير أو تحيد عما حتم الله عليها ، أو عن الناموس الكامل وغير المتغير الذي وضعه الله لها ، كما رتل الروح بلسان داود قائلاً : « ناموس الرب كامل يرد النفس ، شهادات الرب صادقة تصيّر الجاهل حكيماً »(١٥) ، لكي يعرفوا الخالق من أعماله العجيبة • هذه هي الارادة التي تحركها ، فما يؤثر فيها اذن هو ناموس الرب الذي وضع لها ، وشهادة الرب الصادقة المودعة فيها ، وليست ارادتها الحرة وسلطتها الذاتية أو العقلانية ، كما توهم المنطقيون الذين لا منطق لهم •

١٥- مزمور ١٩ : ٨ •

كما ان الكواكب التائهة ليست هي الأخرى عاقلة ولا مضيئة بطبعها كما ثبت ، بل تستمد النور من الشمس فتتحرك اما الى الأمام أو الى الوراء ، أي اما نحو الغرب أو نحو الشرق ، وهي بمجموعها تحت الشمس بموقعها ودورانها • وهذا نفسه يقال عن القمر أيضاً • فهو ليس ذا طبع منير ، بل يستمد النور من الشمس وينير جهتنا • وهذا ثابت منطقياً من جهة ، ومن البراهين العملية المستمدة من أحداث طبيعية من جهة أخرى ، ومنها • أولاً : الخسوف الذي يحدث له مرتين في السنة وبصورة مستمرة ، ففي كل ستة أشهر يحرم مرة من النور ويدخل في ظلام لفترة طويلة من اليوم ، عندما يكون بدراً وأكثر نوراً • ثانياً : من الاختلافات المرئية في شكل القمر ، أي في زيادة أو نقصان نوره •

فمن هذه الشهادات الواقعية يتبين أن طبعه خال من النور ، لذلك نقول : لو كان في طبيعة القمر نور ثابت لا يزول ، اذن لما أظلم واحمر كالدم وهو في حالة بدر عندما يصادف دخوله ظل الأرض ، ويقابل الشمس طولاً وعرضاً في الجهة العاكسة دون أن ينحرف الى أحد الجوانب، حيث يغيب كلياً عن مواجهة الشمس ، يظهر من هذا ان ليس للقمر نور طبيعي لينير نفسه بنفسه ، لكنه يستمده من الشمس ويعكسه علينا ، وهذا ما يفسر صيرورته مظلماً خالياً من النور لدى غياب الشمس عنه في ظلال الأرض ، ويعرف هذا من اليوم الأول لمولده ، كما هو مألوف لدى العامة ، عندما يبتعد عن الشمس ويُرى مساء في الجهة الخلفية في الغرب، ويضيء قليلاً كخيط رفيع من الجهة الغربية التي كانت فيها الشمس ، ومن الجانب المعاكس لها اذ ترسل اليه النور الذي يظهر فيه في المساء الأول ، وفي المساء الثاني يصبح كحلقة رفيعة ، حتى اليوم الخامس عشر يوم اكتماله • وعندما تتجه زاويتاه نحو الوراء باتجاه الشرق • أو كما يقال : كأنه يشير باصبعه ويطلق اليك صوته قائلاً : اني أستمد نوري من الغرب ، من الشمس التي تنيرني ، فيغطي النور الدائرة كلها في اليوم الخامس عشر وتغدو مستديرة كاملة كقرص الشمس ، وجهها المنير متجه نحو الشمس ، وكأنه ينظر اليك ويقول : ان نوري هو منها • ولما يقترب قليلاً من الشرق ويسقط عليه ظل الأرض ، وتنحجب عنه الشمس لئلا يستمد منها النور وهو يدخل حجاب الأرض بصورة معاكسة ومتوازية طولاً وعرضاً ، كما ذكرت أعلاه ، يسوده الظلام تماماً ، حتى يبتعد عن حجاب الأرض نحو الشرق • ولما يأخذ بالتناقص التدريجي يتجه نحو الجهة التي سقطت عليها أشعة الشمس في الشرق حتى يدخل مجدداً بين

أشعتها تماماً • فيشاهد نوره من الشرق حيث الشمس وليس من الغرب حيث كان يشاهد خلال مرحلة نموه • فهذه التغيرات والأشكال التي تظهر لنا جلياً ، تؤكد استمداده النور من الشمس ، وخلو طبعه منه • فليعلم الجميع وليشهدوا ان ليس هناك ما له نور طبيعي ثابت سوى الشمس ، النور الأكبر ، وطبيعة النار التي يتكون منها قرص الشمس المنير ، فلا القمر ولا تلك الكواكب غير التائهة الموجودة ضمن هذه الدائرة المعروفة والشديدة الحركة • وهي تتحرك بصورة دائمية ثابتة •

نكتفي بهذا المقدار من الحديث حول مواقع وجود الأنوار في فلك السماء وكونها ليست حية وعاقلة أولها سلطة ذاتية ، كما وليست آلهة تدير هذه الأمور كلها ، كما توهم المعتوهون ، ولا يوجد نور في طبيعة القمر والكواكب باستثناء الشمس لكونها من طبيعة النار ، ومنها يستمد الكل نوره فيضيء • وهذه جميعها هي تحت الشمس بموقعها ووضعها •

☐ مدى ارتفاع الشمس :

وحيث اننا تحدثنا عن ارتفاع الأنوار الواحد عن الآخر ، وعن مواقعها في فلك السماء ، وبيّنا أن الشمس هي فوق جميعها بموقعها ووضعها في أعلى السماء • لذلك تقتضي الضرورة أن نتحدث عن مدى ارتفاع الشمس • فنأتي برأي أحد القدماء(١٦) بهذا الخصوص ، لكي نقرب ذلك الى أفهام القراء ونحدده بشكل مناسب ومنظم ، فقد اتخذ برهاناً من الأرض حول مدى ارتفاع السماء الذي لا يمكن قياسه ، فقال : لو نصبت الأرض كلها بشكل عمود واحد لما أمكن الوصول الى أقصى السماء ، لذا فان موقع الشمس ليس في أقصى الارتفاع ، ولكن مما لا شك فيه أن الوسط الذي تدور فيه هو واسع ويفوق الوصف ، وان مواقع جميع الأنوار السماوية هي تحتها ، وهذه بدورها أعلى من موقع القمر ، والذي هو في موقع منخفض أكثر من جميعها • فيجب اذن أن نعلم هذا • ومثلما يحجب القمر الشمس عن أنظارنا ، يحجب عنا أيضاً جميع الكواكب التي تصادفه اذا ما واجهها • وانما يفعل هذا لأن موقعه ووضعه في فلك السماء أقل انخفاضاً منها •

١٦ــ لم نتمكن من تشخيصه ، ونظنه بطليموس !

□ حركة السيارات حول الأرض(١٧) :

ونضيف هنا الحديث عن حركتها حول الأرض طولا وعرضا ، أي حركة الشمس والقمر والكواكب الخمسة التائهة في كرة السماء • فان فلك رقيع السماء والكواكب الأخرى غير التائهة التي فيه ، تدور حول الأرض باتجاه الغرب بصورة ثابتة غير متغيرة ، فهي تشرق وتصير في منتصف السماء فوق الأرض ، وتغيب وتصبح تحت الأرض ، ثم تشرق ثانية ، وهكذا تعمل دون توقف كما أمر مبدعها الحكيم • فالشمس والقمر والكواكب الخمسة التائهة تدور في كرة السماء حول الأرض باتجاه الغرب ، بنفس القوة التي توجه الفلك نحو الغرب • ويبدو أن كلا منها يتحرك الى الوراء باتجاه الشرق بحركة مدهشة غير متغيرة ،عندما تبتعد عن حافة الفلك الثابتة بمقتضى ما نظمه الخالق ، ويتم هذا على طول الفلك من الغرب الى الشرق ، بابتعادها عن الفلك بصورة متساوية طولا وعرضاً وبشكل زاوية منحرفة • وتكمل نصف الكرة بارتفاعها نحو الأعلى غرباً ، والنصف الآخر عندما ينحرف مسارها هابطاً نحو الجنوب • وحينما تتحرك الشمس بمثل هذه الحركة المختلفة والمنحرفة وتصير وراء حافة الفلك ، فانها تكمل هذه الدورة السنوية بثلاثمائة وخمسة وستين يوماً ، وتتبادل خلالها بصورة مستمرة ، فصول السنة الأربعة المتساوية في الزمن ، وهي الربيع والصيف والخريف والشتاء ، وتتولد فيهامناخات ملائمة لحياة كل ذي جسد ، بموجب الأمر الصادر اليها من قبل الخالق عن طريق اليبوسة والرطوبة ، وتنبت في الأرض نباتات وتنمي الثمار وتنضجها ، وتعدل مناخ الجو بصورة لا تضر بحياتنا ، وهي لا تزال تسير على هذا المنوال الذي خططه الله لها منذ البداية ، ولا تحيد عنه يمنة أو يسرة ، ولا تخرج عنه شمالا أو جنوباً ، فلا ترتفع أو تنخفض أكثر من المقرر ، بل تسير في مسارها الأول دون تغيير سواء أثناءالشروق أو الغروب ، وهكذا تعيد الكرة بخفة عائدة الى مدارها كقول الكتاب(١٨).

أما القمر فيتحرك نفس الحركة المنحرفة والمتغيرة ، طولا وعرضاً ، فهو يتحرك الى الوراء مثل الشمس حيث يترك حافة الدائرة ويسير تجاه الشرق • ويكمل دورته الشهرية حول الفلك بتسعة وعشرين يوماًونصف، لكنه لا يسير بصورة متوازية مع مسار الشمس ، بل خارجه ، حيث يقطع

١٧ـ كما كانت الفكرة سائدة في العالم القديم بشان الأجرام السماوية •

١٨ـ الجامعة ١ : ٥ ـ ٦ •

نصف الكرة شمال مسار الشمس ، والنصف الآخر جنوبه ، ويتقاطع معها ويجتاز هنا وهناك أو يرتفع وينخفض أو يتجه نحو الشمال أو الجنوب. لكن مساره هذا يختلف بين شهر وآخر ، حيث يتقاطع ومسار الشمس في مواقع تختلف عن الأولى ولا يسير في نفس مساره دائماً · وكذلك عندما يبتعد عنها شمالا أو جنوباً قليلا أحياناً ، وكثيراً أحياناً أخرى · وهي نفسها تتحرك كالقمر حركات متغيرة ومنحرفة نحو الشمال والجنوب خارج مسار الشمس ، حيث تتحرك طولا وعرضاً والى الوراء نحو الشرق وتتقاطع في عدة أماكن مع مسار الشمس · وكذلك الكواكب الثلاثة التائهة أي المشتري وزحل وعطارد [illegible] تبتعد عن مدار الشمس كثيراً أحياناً وقليلا أحياناً أخرى · وكذلك الكوكبان الاخران الزهرة والمريخ ، [illegible] هما دائماً بالقرب من الشمس اما شرقاً من الوراء أو غرباً · وهذه هي نقاط ابتعادهما عنها · فالأول يقع في خط ثمانية وأربعين ، والثاني في خط ستة وأربعين ، وهما الاخران يتحركان نفس الحركة المتغيرة والمنحرفة طولا وعرضاً على حد سواء · ويتقاطعان مع مسار الشمس في مواقع مختلفة شمالا وجنوباً ، خلال ارتفاعهما وانخفاضهما، شأنهما في ذلك شأن القمر والكواكب الثلاثة الأخرى المار ذكرها · وبهذا نكون قد تحدثنا بما فيه الكفاية عن حركة النور طولاً وعرضاً ·

□ تغيرات تحدثها الشمس في الأرض :

والآن ، واستغراقاً منا في حب العمل ، نضيف فنتحدث عن التغيرات التي تحدثها الشمس ، هذا النور الكبير الاول ، في الآرض وما يسكنها في مختلف الأماكن والمناطق سواء كانت شرقي بعضهم البعض أم غربهم أم شمالهم أم جنوبهم ، وذلك بحكمها على النهار الممنوح لها من قبل خالقها · ومثلما قال الروح : ان الله أمر لتجتمع المياه من عن وجه الأرض وتظهر اليابسة ، لكي تصبح ملائمة لسكنى الجنس البشري ، وصالحة لتحرك وراحة جميع الحيوانات التي كانت عتيدة ان تخلق لخدمة الانسان ، وقد تم هذا من قبل الخالق المبدع كما سبق الحديث أعلاه · وظهرت المسكونة التي على الأرض تحت الجزء الشمالي من دائرة السماء ، الى الشمال من المنطقة الواقعة تحت منتصف الدائرة ، لكي يكون دوران قرص الشمس باستقامة نحو الغرب خلال السنة كلها لدى شروقها أو غروبها · وهذا يتم بحكمة الخالق الذي شاء أن يخلقها هكذا · فحدوث اختلافات الليل والنهار

هو لصالح الناس الذين يسكنون الأرض ، ونظراً الى ميلانها تحتهم وبزوغ أشعة الشمس فوقهم ، وانحجابها عنهم ، في مختلف مناطقهم ، رتبنا حديثنا على النحو التـالي :

□ اختـلاف النهـار :

نتحدث أولاً عن اختلاف النهار (نُهُر) بالنسبة الى عرض المسكونة واعتباراً مـن الجنوب الى الشمال · ومن ثم نتحدث عن الاختلافات التي تحدث طولاً · موضحين الاختلافات التي تبـدأ من الشرق الى الغرب ·

ففي المنطقة التي تقـع تحت منتصف كرة السماء كما ذكرت ، وهي المنطقة الواقعة جنوبي الحبشة ، يكون السكان فيها سوداً ومتفحمين أكثر من الفحم ، ومنطقتهم متفحمة لذا تعرف بـ « منطقة حرارة أشعة الشمس غير المعتدلة » · لأن الشمس تضطرم اضطرام أتون النـار وتحرقها على مدار السنة · سواء حينما تنتصب فوقها أو ترتفع نحو الشمال أو تهبط نحو الجنوب · وعندما تنتصب الشمس في وسط الكرة ، في المناطق التي يتساوى فيها الليـل والنهار ، أي في راس الفلك حيث وضعها الله المبدع منذ البداية لدى خلقته اياها في بداية برج الحمل بحسب مصطلح العامة ، أي في بداية فصل الربيـع في نيسان ، أو في بدايـة فصل الخريف ، أو في مطلع برج الميزان · ولكي أستخلص معلومات مـن الوقت زمن المناطق ، أقـول : تتكون ليال ونُهُر متساوية في الوقت أي اثنتي عشرة ساعة لكل منها ، لجميع سكان الأرض · فالذين يسكنون الأرض المتفحمة المشار اليها، التي بسبب انبساطها وعـدم ميـل كرة السماء فوقهـا دائماً خلال السنة ، تتساوى لديهم الليالي والنُهُر مدى أيام حياتهم ، حيث لا تطول النهر في الصيف عندما ترتفـع الشمس نحو الأجزاء الشمالية لكرة السماء ، ولا تقصـر الليالي · وفي الشتاء أيضاً عندما تهبط الشمس في مسارها نحو المناطق الجنوبية ، لا تقصـر النُهُر ولا تطـول الليالي ، لأن وضع كرة السماء هناك يكون باستقامة ، وقد وضع كلا قطبيها ، أي أركان الدوائر على استقامة واحـدة ، الواحد تجـاه الآخر ، نظراً الى وضع الفلـك المستقيم ، لا يعلو أحدهما على الآخر ولا ينخفض عنـه " واحـد فـوق الأفـق الجنوبي أي الخط الذي يفصل بـين السماء والأرض في الجنوب · وآخر فوق الأفق الشمالي · وكلما آشرقت (الشمس) وارتفعت من الشرق الى جميع أرجاء دائرة السماء ، سواء من الأجزاء الشمالية أو الجنوبية ، فانها تتجـه صعداً نحو الغرب مرتفعة الى السماء دون أن تتجـه نحو

الجنوب أثناء ارتفاعها عن الأرض · ولا تتجه نحو الشمال أثناء هبوطها الى ما تحت الأرض ؛ وعندما تكون الشمس في المناطق التي يتعادل فيها الليل والنهار ، أما في نيسان أو في ايلول ، فوق المستوطنين هناك ، تستقر في وسط السماء في منتصف النهار حيث تحجب عنهم الظل كلياً ، فيزول الظل في الشرق في الساعة السادسة ، في الوقت الذي لم يكن قد وصل بعد الى الغرب ولا الى الجنوب أو الشمال ، وحينما ترتفع الى الأقسام الشمالية في الصيف تظلل على الجنوب طوال أشهر الصيف الستة، من فترة التعادل في نيسان ، حتى التعادل في ايلول · ولما تهبط نحو الجنوب تظلل في الشمال طوال أشهر الشتاء الستة ، من فترة التعادل في ايلول حتى التعادل في نيسان ·

ومن هنا فان أبناء تلك المنطقة يسمون أبناء الظلال الأربعة · ان فترة التعادل بين الليل والنهار لا تتغير طوال السنة ، بالنسبة الى الذين يستوطنون المنطقة المحترقة الواقعة الى الجنوب من بلاد الحبشة · أما مستوطنو المنطقة الواقعة الى شمالها حتى أقصى شمال المعمورة ، فان النهُر والليالي عندهم لا تتعادل ، بل تتعرض لتغييرات كثيرة مختلفة كما أسلفت · وكلما ابتعد المرء عن منطقة تعادل الليل والنهار شمالا . فان الاختلاف يقوم على أساس ما يأخذه النهار من الليل أو الليل من النهار · فالذين يسكنون مدينة ماروي Mereos في وسط الحبشة – اني أبيّن التغييرات بالنسبة الى الأماكن الشهيرة – يكونون في يوم صيفي طويل مدته ١٣ ساعة ، وليل قصير مدته ١١ ساعة · أما أبناء مدينة سوايني Syenes في جنوب الحبشة ، فيكون يومهم في الصيف طويلاً ١٣ ساعة والليل قصيراً عشر ساعات · وفي الشتاء يكون النهار عشر ساعات والليل ١٣ ساعة · وفي مدينة الاسكندرية الواقعة الى الشمال منها ، يكون النهار في الصيف ١٤ ساعة والليل ١٠ ساعات ، وينعكس الأمر في الشتاء، حيث يكون النهار ١٠ ساعات والليل ١٤ ساعة ، والى الشمال منها ، في جزيرة رودس وأنطاكية سوريا يكون النهار الصيفي ١٤ ساعة والليل ٩ ساعات ، وفي الشتاء يكون النهار قصيراً ٩ ساعات ، والليل طويلاً ١٤ ساعة ، والى الشمال منها ، في مدينة أليسفونطس Hellesponto وروميه الايطالية ومدينة نيقية في بيثونية Bithynia ، ومدينة قيصرية قبادوقية ، يكون النهار طويلاً في الصيف خمس عشرة ساعة ، والليل قصيراً ٩ ساعات ، وينعكس الأمر في الشتاء ، فيكون النهار قصيراً ٩ ساعات ، والليل طويلاً ١٥ ساعة · وكذلك في وسط البحر المتوسط وغربي منطقة تراقيا Thracia ، يكون النهار الصيفي طويلا ١٥ ساعة،

والليل قصيراً ٨ ساعات • وفي الشتاء يكون الليـل طويلاً ١٥ ساعـة والنهار قصيراً ٨ ساعات، والى الشمال منها في منطقة السرامطة Sarmatac ( ) وفي مدينة ( ) على نهر Borysthen ( ) ، يكون النهار في الصيف طويلاً ١٦ Phanagoria

ساعة ، والليل قصيراً ٨ ساعات ، وفي الشتاء يكون النهار قصيراً ٨ ساعات والليل طويلاً ١٦ ساعة ، والى أقصى الشمال منها ، يكون النهار طويلاً في الصيف في جزيرة بتولي في المحيط الشمالي ٢٠ ساعة ، والليل قصيراً ٤ ساعات • وينعكس الأمر في الشتاء ، فيكون النهار ٤ ساعات والليل ٢٠ ساعة • واذا تقدم آحـد نحو الشمال منها ، أي الى الأرض المجهولة غـير المأهولة لعدم صلاحية مناخها ، في المحيط الذي لا يصلح هو الآخر للتجواب: لوجـد أن النهار في الصيف هناك هو ٢٣ ساعة ، والليـل ساعة واحدة • وينعكس الأمر في الشتاء حيث يكون فيـه النهار قصـيراً ساعة واحـدة ، والليل طويلاً ٢٣ ساعة وذات منـاخ قاس لا يطـاق • لذلك آمر الله ألا تستوطن تلك المنطقة لعدم صلاحية مناخها وعدم التوازن بين الليل والنهار، سواء كانت في اليابسة أو في المحيط الموحش وغير الآمن والذي لا يطاق • واذا رام أحـد الاقتراب أكثر نحو الشمال ، ان لم يكن فعلياً وشخصياً ، فبالفكر ، متأملاً طبيعـة الأعمال التي صنعها الله المبـدع ومكوّن هـذا العالم بحكمته ، يجـد مناخ تلك المنطقة ابتداء من مرور الشمس بفترة الاعتدال الربيعي ، الى أقسام الكرة الشمالية ، حتى عودتها الى الاعتدال في بدء فصل الخريف • يشكل طوال فترة الصيف ، يوماً واحداً أمده ستة آشهر • وعندما تمر الشمس بفترة الاعتدال التشريني ، نحـو الأقسام الجنوبية من الكرة ، تجعل الليل هناك بطول ستة أشهر، حتى تعود فترتفع من الجنوب وتصل الى اعتدال النهار في بدء الربيع وتجتاز نحو الشمال وتبدأ بتكوين نهار ذي ستة آشهر • ان الشمس تخلق مثل هذا الاختلاف بين الليل والنهار في تلك المنطقة ، بسبب ميل كرة السماء غير المتوازن ، وميل الأرض الشديد بالمقارنة مع ميل السماء ، حتى يستقر كل من قطبي هـذا الفلك ، الواحد فـوق الأرض بصورة مستقيمة ، والآخر تحتها ، ويكونان الواحد قبالة الآخر ، ويكون دوران الكرة كدوران حجر الرحى ، الى كل الجهات ، أي الغرب والشمال والجنوب والشرق ، وليس نحـو الأعلى والأسفل كدوران الآلة التي ترفع الميـاه •

الى هنا تحدثنا عن التغييرات التي تحدث في مختلف المناطق ، ولا سيما تلك الواقعة ، على عرض المسكونة مـن الجنوب الى الشمال • أي

من المنطقة التي يتعادل فيها الليل والنهار ، في بلاد الحبشة المحترقة ، حتى أسفل القطب الشمالي ، وكذلك التغيرات بين الليل والنهار الموجودة بين منطقة واخرى في عرض المسكونة · هذا كل ما استطعنا عرضه ·

اما بالنسبة الى الاختلافات الموجودة في المناطق الواقعة على طول المسكونة ، اي من الشرق الى الغرب : بين الليالي والنهر والاصباح والامساء والمشارق والمغارب ، التي تحدثها الشمس بين شعوب الارض ، ابتداء من بلاد الصين الواقعة شرقي الهنـد ، حتى الحدود النهائية لبلاد الاسبان الذين يستوطنون اطراف المسكونة الغربيـة ، فاننـا سنتناول الحديث عنها بصورة عامة شاملة ، وليس كلا على حدة ، تجنبا للاطالة وارهاق القراء والسامعـين ·

كان القدماء قد قسموا المسكونة الى مئة وثمانين خطا طولا مـن الشرق الى الغرب ، ووضعوا على كل منها مدينة مستقلة ، معينين موقعها من الخط طولا كان ام عرضاً · ومن المعروف أن مئة وثمانين خطا هي نصف الكرة الارضية ، مثلها مثل نصف كرة السماء ، ومجموع خطوط الكرتـين السماوية والارضيـة هي ثلاثمائة وستون خطا · فاذا قسمت هذه الخطوط الثلاثمائة والستون الى ٢٤ ساعة ، وهي دورة الشمس في ليل ونهار ، يكون نصيب كل ساعة بالتساوي ١٥ خطا · لذا فكل مدينة تقع نحو الشرق تزيد ١٥ خطاً عن التي في غربها · أي ان شروق الشمس عليها ، يسبق الأخرى بساعة كاملة مكونا فيها منتصف النهار كما يسبقها في الغروب مكوناً منتصف الليل قبل ساعة من المدينة الواقعة الى غربها · فالمدينة التي تبعد عن نظيرتها خمسة وأربعين خطاً شرقا ، تكون الشمس قد كونت فيها الصباح والمساء قبل ثلاث ساعات عن الأخرى ، والتي تقع غربي نظيرتها بتسعين خطاً ، تتأخر عنهـا الشمس ست ساعات بالمقارنة مع نظيرتها الى الشرق · أي بالنسبة الى الصباح والمساء ومنتصف النهار ومنتصف الليل · ويسبق شروق الشمس على بلاد الصـين البعيدة عـن المحيط الغربي وجزيـرة غاديرا Gadira الموجودة فيـه على خط مئـة وثمانين ب ١٢ ساعة ، وبنفس المـدة تسبقها بالمغيب · فيكون الصباح لدى المشارقة مساء لدى المغاربة ، وصباح المغاربة مساء لدى المشارقة ، وليل أولئك نهار هؤلاء ، وليل هؤلاء نهار أولئك · وكأن هؤلاء يعيشون تحت أولئك والعكس بالعكس · ولا أعرف كيف اعبّر ، وانا أنظر الى وضع الأرض وكرويتها وميلانهـا بالتساوي الى كـل الجوانب ، فأرى أرجلهم على الأرض تقـابل بعضها البعض ، أرجل هؤلاء تقـابل أرجل أولئك ، ورؤوس جميعهم متجهة نحو كرة السماء المستديرة التي تحيط

الأرض من جميع الجهات · هكذا نجد اختلافات بين الليل والنهار ، بين منطقة وأخرى في طول المسكونة وعرضها ، بسبب اختلاف شروق هذا النور الآكبر ، الشمس ، وغروبه · وبسبب ميلان كروية الأرض التي نقف عليها اللذان يجذبان اليها ثقل اجسامنا في حين نرفع قاماتنا الى علو السماء · لقد كان ضرورياً الحديث عن الانوار التي كونها الخالق المبدع في هذا الكون لانارة الأرض ، وربما هناك أمور أخرى لم نتطرق اليها لأنها لم تخطر على بالنا الضعيف القاصر المحدود المعرفة ·

□ في القمر أيضاً :

ونرى لزاماً علينا أن نتحدث عن القمر اضافة الى ما قلناه عنه سابقاً · فهناك بعض الكلام عنه يراود أذهاننا ، يجهله الكثيرون كما أعتقد · وقد لا يأخذ به السامعون بسهولة بعد كتابته ، لأن الناس لم يألفوا مثل هذا النمط من الكلام · فالفكرة التي ألفها الناس عن القمر هي : أن نور القمر يزداد في الأيام الخمسة عشر الأولى من دورته ، ثم يأخذ بالتناقص حتى ينتهي في الأيام الأخيرة من دورته · ولكن لدى التمعن بهذا ، وايضاح السبب الحقيقي لهذا الحدث الطبيعي ، نجد أن هذه الفكرة غير صحيحة · لأن النور الذي يستمده القمر من الشمس كما ذكرنا ، لا ينقص فيه أو يزيد مذ خلقه الله الخالق ووضعه في فلك السماء وحتى الآن · فهو لا يزيد في نمو القمر ، ولا ينقص عما هو في فترة تواريه ، بل هو بكليته في القمر دائماً ، مثلما استمده دون زيادة أو نقصان ، وبحالة متساوية في فترة نموه أو تواريه ، لكن النور ينعدم في القمرلدى تواريه عن الشمس بعد اكتماله ، فلا تشرق عليه ولا تضيئه طالما ان جسمه محجوب عنها بظل الأرض ، اما كلياً أو جزئياً ·

ويجدر بنا هنا ، أن نعزز بالبراهين والأحاديث ، الرأي الذي يفند آراء الكثيرين ويبطلها والذي طرحته سابقاً بصورة عابرة بسيطة دون برهان أو تحقيق ، ونفند به اعتقادات القدماء الذين بنوها على مجرد النظر واعتبروها حقائق ، فتوهموا أن القمر يزداد وينقص ، وان نوره يزداد هو الآخر في فترة نموه وينقص في فترة تواريه · فهذا كما قلت غير وارد وغير صحيح ، والصحيح هو : لما كان جسم القمر غشيماً مكوناً من العناصر الأربعة كما أسلفنا ، ومستديراً وكروياً ، ويستمد نوره من الشمس ، يسقط عليه النور دائماً من جانب واحد فقط ، وليس من

جانبيه ، لذا فان واحداً من جانبيه يكون منيراً وهو المقابل للشمس ، أما الجانب الاخر فلا بد أن يكون مظلماً لا نور فيه • مثال ذلك : اذا أضأنا سراجاً في البيت أو أشعلنا ناراً ، فان نوره يسقط على جانب واحد من عمود البيت فيكون هذا الجانب منيراً ، أما الآخر فيكون ولا شك مظلماً حالكاً ، واذا جلس أو وقف بعضهم بين السراج وذلك العمود ، سيبدو جانب العمود الساقط عليه النور مضيئاً أبيض • واذا انتقلوا الى الجانب الثاني من العمود ، أو نقل السراج الى ذلك الجانب بحيث يصبح العمود متوسطاً بينهم وبين السراج ، سيبدو الجانب الذي من جهتهم على غير ما كان عليه قبلا من الاضاءة عندما كانوا هم يتوسطون بينه وبين السراج، فهذا ينطبق تماماً على وضع القمر • فلنتصور هذا الكون بيتاً كبيراً يمثل البيت المشار اليه ، والشمس بمثابة السراج • والأرض ومن عليها بمثابة أولئك الذين توسطوا ما بين السراج والعمود ، ويكون القمر في موضع العمود الذي أشرنا اليه والذي يسقط عليه نور السراج • فلما يكون كلا النورين ، الشمس والقمر فوق الجهة الغربية في نحو الساعة الحادية عشرة يكون الوقت فيها نهاراً في اليوم التاسع والعشرين من الشهر القمري ، حيث تتسلط عليها أشعة الشمس ، ويكون جانبها الذي يسقط عليه النور نحو الأعلى باتجاه الشمس • والجانب الآخر الخلفي الذي يقابل الأرض وسكانها ، يكون مظلماً لا نور فيه • فلا يرون فيه النور البتة في هذه الفترة • ولا يخفى على المتبصر ، ان الناس لا يرون فيه نوراً ،ليس لأن نوره قد نقص ، فنوره لا ينقص أبداً ، بل لأنهم يقفون وراءه في الجانب الذي لا تشرق عليه الشمس ، لذلك لا يرون فيه نوراً •فالمعروف أن نوره مستمد من الشمس ، واذن يكون في هذه الفترة في الجانب المقابل للشمس ، وفي الجانب الخلفي المواجه لنا يسود الظلام ، لذلك لا نرى فيه نوراً ، وليس السبب هو انعدام النور فيه أو نقصانه ، بل لأن الجانب الذي سقط عليه النور ليس من جهتنا • وعندما يبتعد القمر قليلا عن الشمس شرقاً أو جنوباً ، في مساء اليوم الثاني من ميلاده ، ويظهر فيه بعض النور في الجهة الغربية من الشمس أو تحتها ، يتوهم الناس بأن زيادة ما قد طرأت على نوره، والحقيقة انه لم يضف اليه نور، لكنه نفس نوره الذي كان يرى فيه قبل فترة كما أشرنا ، شوهد في جزء منه عندما مال قليلا عند توسطه بيننا وبين الشمس ، وابتعد عنها باتجاه الشرق والجنوب ، وكلما يبتعد عن الشمس نحو الشرق والجنوب ويقف الى جنوبنا ، يظهر لنا من جانبه الغربي النور الذي استمده من الشمس ، والذي يأخذ بالاختفاء تدريجياً • أما جانبه الخلفي الحالك الظلام ، فانه يأخذ

بالاقتراب التدريجي من الشرق والابتعاد عن الشمس ، فيظهر لنا نوره ويتوارى الظلام حتى اذا وقف في الأفق الشرقي أي في الخط الذي يشكل حداً ما بين السماء والأرض في اليوم الخامس عشر من ميلاده ، يسطع حينذاك على الأرض مساء ، ويظهر لنا وجهه مغموراً بالنور ويختفي عنا جانبه المظلم نحو الشرق ، حيث نكون في هذه الفترة متوسطين للنورين القمر عن جانبنا الشرقي والشمس عن جانبنا الغربي • ومن ثم عندما يقترب من الشرق تدريجيا ويدنو من الشمس منذ اليوم الخامس عشر حتى اليوم التاسع والعشرين الذي يتهيأ فيه للدخول تحت أشعة الشمس، يبدأ نور وجهه بالتواري عنا تدريجياً ، ويقابلنا جانبه الخلفي المظلم حتى يتوسط بيننا وبين الشمس فيتوارى عنا كلياً • ليس لأن نوره قد نقص أو قل، بل لأن جانبه المظلم صار نحو الأسفل مواجهاً لنا ، وصار جانبه المضيء نحو الأعلى مواجهاً للشمس •

ولهذه الأسباب اعتقد بعضهم أن القمر يزداد وان نوره ينمو في الأيام الأولى من دورته • ويبدأ بالتناقص والتقلص في أيامه الأخيرة ، لأنهم لم يدركوا ويتبينوا السبب الحقيقي لما كانوا يشاهدون • فنوره لا يزداد أبداً ولا ينقص عما كان عليه منذ اليوم الأول لخلقته وحتى الآن • فنور القمر الدائمي هذا ، هو اذن مستمد من الشمس التي تنيره بمقتضى ما كوّنه خالقه • هذا وقد سبقنا وأوفينا الكلام حقه • وهذا ما كان يجب أن يُدرس عملياً وحرفياً بحسب رأيي الضعيف ، في ما يخص الأنوار التي خلقها الله في فلك السماء لتنير في أرض هذا الكون ، البشر والحيوانات والطيور التي فيها •

وقد تستخلص منهما نظرية • اذ من الممكن اتخاذهما رموزاً تشبيهية لأحداث جرت في هذا العالم • فهما بذاتهما يرمزان الى أمور أخرى أفضل وأسمى منهما • وسنتكلم عن هذا بعد استمداد عون الله وتوجيه الروح القدس المرشد الى كل ما يجب قوله ، ان ما كان يرمز اليهما حرفياً هو منارة الذهب التي أمر الله موسى واضع الرموز ، أن يصنعها ويضعها في الجانب الجنوبي من قبة الشهادة ، لتشير بوضعها في القبة الى وضعهما ودورانهما في الجانب الجنوبي من فلك السماء، وبانارتها للقبة تشير الى انارتهما للأرض• هذا هو الرمز الذي أشار به اليهما موسى • أما هما فيشكلان رمزاً بذاتهما وفاعليتهما• على الصورة التالية : ان هذه الشمس ، النور الأكبر المحسوس والبسيط في مادته ، ومنير سائر الأشياء المحسوسة ، تشبّه بالله

خالق الكل ، ذلك النور الأعظم والأول والمستحوذ على الكل . البسيط الذي لا يشاركه شيء ، والمنير والمحيي والمدبر والمعني بجميع الطبائع العاقلة والمحسوسة ، وبدون دفئه ومده بالحياة ، لما قويت المحسوسات على الحياة والنبات وبدونه أيضاً لا تقوى جميع هذه الكائنات على الاستمرار في الوجود ، لأنه خلقها بحكمته وقوته ويعنى بها ويمنحها الحياة نظرا الى صلاحه ، فمن هذه الناحية تشبه الشمس الله ، ومثلما ان حاسة البصر لا يمكن أن تطالها ، هكذا العقول لا يمكنها ادراك الله . أما الكواكب فهي الأخرى بسيطة ومكونة من طبيعة الهواء النقية الصافية ، وليس في طبيعتها نور ، لكنها تستمد النور من الشمس بسبب نقاوتها فتغدو مضيئة وتدور مضيئة حول الشمس التي تمدها بالنور . فهذه (الكواكب) تشبه القوات السماوية الملائكية البسيطة الذين لا جسم لهم ، لكنهم أنوار ثانوية عاقلة يستمدون النور من النور الأول والعقل الأعظم ، واليه يحدقون وتصوب أنظارهم ، كل بحدود اختصاصه . لأنهم كما كتب ، مقتدرون ويمتثلون أمره وهم خدامه وصانعو مشيئته(١٩) . فكما أن الكواكب استنارت وصار لها أن تنير بفضل الشمس أثناء حركة دورانها ، كذلك أيضاً الملائكة القديسون ، فانهم يستمدون من الله أشعة المعرفة المنيرة وينيرون البشر بصفتهم أرواحاً خادمة ، يرسلهم الله الى من هم عتيدون أن يرثوا الحياة(٢٠) .

والقمر هذا النور الأكثر انخفاضاً والأقرب الى الأرض ، والمركب كما سبق ذكره ، من العناصر الأربعة ، وهو يتحرك ويدور في فلك السماء، شأن سائر الكواكب ، تطرأ عليه تغييرات كثيرة وكبيرة ، فهو يتناقص ويصير طفلا ثم شيخاً ، وبعبارة أخرى ، انه يتغير الى عدة أشكال في حين انه هو هو ، انه يشبه الطبع البشري ، هذا المركب الأرضي والسماوي . المحسوس والعاقل ، الحيوان الناطق المفكر . فان هذا يتباهى كالأرواح غير الجسمانية أو الهيولية ، بما منحه الله من ذكاء العقل ، وسلطة ذاتية وحرية ولذة المعرفة والاستنارة ، وهو بذلك يشبه تلك القوات السماوية. فانه يتحمل آلاماً وتغييرات كثيرة بسبب طبعه الأرضي الهيولي كالقمر . فهو يولد ويترعرع ويكبر ويضعف وتدركه الشيخوخة ويعود الى الفساد، الى التراب الذي أخذ منه ، فهو في حالة تغيير مستمرة . فجماعة يموتون وآخرون يولدون عوضاً عنهم ، في حين ان الطبع لا يتغير ولا يزول . بل

١٩- مزمور ١٠٣ : ٢٠ .

٢٠- عبرانيون ١ : ١٤ .

يظل ثابتاً هو هو الى الأبد ، كالقمر خدن الكواكب ، حتى يطلقه المبدع الذي خلقه ، من هذا المسكن ، ويأتي به مسكن الحياة الأخرى ، حيـــاة أبناء جنسه الناطقين • هكذا القمر . هذا النور المتغير هو رمز وصورة شبيهة بالطبع البشري • وهـذه الكواكب النـيرة التي تحيط بالملـك ، الشمس ، هي رمز القوات السماوية الواقفين أمـام الله الملك خالقهم • والشمس ، هذا النور الأكبر هي صورة ورمز الى الله الخالق المحيي الكل •

هذا ما استطاع ضعفنا أن يتحدث به عن الأنوار التي خلقها الله وخصها لانارة الكون ، هذا البيت الكبير ، بما فيه من بشر وحيوانات غير ناطقة وطيور ، التي كان الله عتيداً آن يخلقها لتسكنه • وقد تطابقت معهم هذه النظرية بصورة رمزية، لكي ترتبط حياة هذه الكائنات المحسوسة ووجودها وبقائها ، بحرارة الشمس التي تشبه مـن هذه الناحيـة ، الله الخالق والمعني ومحيي الكل • والشمس بدورها هي رهن اشارة مبدعها الذي أوجدها ، شأن الطبيعة العاقلة الناطقة • فالأنوار الثانوية (الملائكة) يوجدون ويستمرون ولا ينتهون الى الأبد ، بعناية وتدبير خالقهم العقل الأعظم والنور الأول • وجميع هؤلاء الناطقين منهم وغـير الناطقـين ، المحسوسين والعقلاء ، السماء والأرض وكل ما فيها ، يخبرون سوية بمجد عظمته وقوته • وكذلك النُـهُر والليالي التي لا فم لها ولا قرار ، تذيع كلاماً وتعلن للبشر الناطقين معرفة الله الصانع وخالق الكل • كما قال عنه الروح المرتل(٢١) « السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه ، يوم الى يوم يذيع كلاماً » ليتعلم الناس كيف يعرفون الله الخالق ، و « ليل الى ليل يبدي علماً » للناطقين لكي يعرفوا الصانع من صنائعه ، « لا قول ولا كلام » لا يسمع فيه صوت يشير الى صانع الكائنات الكبيرة ، هـــذه العجائب المدهشة ، ويعلن عظمـة اقتداره الذي يفوق اقتدار أعماله • لكي يدركوه من أعماله ان شاءوا وتعقلوا • فلا يسحرهم جمال هـــذه الأعمال فيعتبرونها آلهة ومدبرة هذا الكون ، منحرفين بذلك عن معرفة الحق • يقول أحد الحكماء ساخراً من هؤلاء الضالين(٢٢) « ان الذين لم يدركوا المبدع من أعماله ، توهموا ان النار والرياح والهواء السريـع ودوران الكواكب والمياه المتجمدة وأنوار السماء ، هي آلهة مدبرة لهذا الكون • كان يجب على هؤلاء الذين سحرهم جمال هذه الأعمال فاعتبروها آلهـة ، أن يعرفوا كم هو خالقها أفضل منهـا اذ هو مصدر الجمال • فاذا

٢١ـ مزمور ١٩ : ٢ ـ ٤ •   ٢٢ـ الحكمة ١٣ : ١ ـ ٥ •

كانت قوة وفاعلية هذه الأعمال قد أدهشتهم ، فليتمعنوا اذن ويدركوا كم هي أعظم قوة ذاك الذي أبدعها · فان عظمة وجمال الكائنات تنم عن عظمة خالقها فيُرى فيها » · هذا ما قال بحق هذا الرجل الحكيم وخائف الله في عظمة وجمال الكائنات ، وفي عظمة وقوة وسمو جمال صانعها المتسامي عن المقارنة · وبهذا أعلن جهاراً أن أنوار السماء هذه ليست آلهة بل عمل المبدع الحكيم القوي ، الذي هو وحده الله المعني ومدبر كل ما خلق ·

وهنا نجمِّل كلامنا بكلمات الروح الحقيقية كخاتمة وسند له ، مؤكدين انها (الأنوار) مخلوقة ومصنوعة وغير أزلية ، بشهادة ما سبق ذكره وما جاء على لسان موسى القائل(٢٣) « قال الله لتكن الأنوار في جلد السماء ·· وعمل الله الأنوار لمعرفة المواقيت ·· ولكي تنير الأرض ·· وتفصل بين النهار والليل » · ويشهد الروح أيضاً بلسان داود فيقول : « صنع القمر للمواقيت والشمس تعرف مغربها ، فيجعل ظلمة فيصير ليل فيه يدب كل حيوان الوعر ، الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها ، تشرق الشمس فتجمع وفي مآويها تربض ، الانسان يخرج الى عمله والى شغله الى المساء »(٢٤) · ويشير الى كونها وجدت لتشكر الخالق وتظهر للمتأملين مجده فيقول(٢٥) : « احمدوا الرب ··· اله الآلهة ··· الصانع السموات بفهم ·· الباسط الأرض على المياه ·· الصانع أنواراً عظيمة ·· الشمس لحكم النهار ·· القمر والكواكب لحكم الليل ·· » ثم يوعز الى جميع الكائنات بالتمجيد فيقول : « سبحي الرب أيتها الشمس والقمر، سبحيه يا جميع كواكب النور »(٢٦) · وهكذا يعلن الروح بكلمة الحق ، ان أنوار السماء جميعها مكونة ومخلوقة ، وليس هذا فقط ، بل ان بعض الغرباء لم يبتعدوا كثيراً عن أشعة النور الحقيقي · فقد جاء في كتاب هرمس قوله : قال الله لكلمته « ليكن شمس » · فأظهر بقوله هذا انها (الشمس) وسائر الكواكب الأخرى مخلوقة · وقد خلقت من أجلنا ، ليس لخدمتنا فحسب ، بل لكي تسحرنا بجمال منظرها ، واعدادها الهائلة وأثرها في شكر الله خالقها ومجده · الذي له المجد والعزة والسلطان دائماً · الآن وكل أوان والى أبد الآبدين آمين ·

٢٣ـ تكوين ١ : ١٤ ـ ١٧ ·
٢٤ـ مزمور ١٠٤ : ١٩ ـ ٢٣ ·
٢٥ـ مزمور ١٣٦ : ١ ـ ٩ ·
٢٦ـ مزمور ١٤٦ : ٣ ·

المقال الخامس

في الحيوانات والزحافات التي أمر الله أن تحركها المياه وفي الطيور التي أمر فخلقت هي الأخرى من طبيعة المياه

مقدمة :

ان الله المغني ، لم يدع حاجة لخليقته الا وسدها • وكما سبق الحديث ، فان الملوك الذين يبنون مدناً ، لا يقتصرون على اقامة السور والأسواق والساحات ومتطلبات السكن فحسب، بل يهيئون أيضاً أنابيب متينة لمياه الشرب والغسل والاستحمام ، ويصنعون كذلك بحيرات قريبة من المدن لتربية الأسماك طعاماً لسكان المدن ولأجناس الطيور التي تنزع الى العيش حيث الماء والرطوبة ، لكي تكون هي الأخرى قوتاً ومتعة للبشر • هكذا هيأ (الله) هذه المدينة الكبيرة ـ العالم ـ نعمة منه للجنس البشري واحساناً كثيراً ، بعد الأشياء التي سبق وخلقها ، أعني السماء والأرض والجلد والهواء والبحار والبحيرات والأنهار والينابيع وغابات الأشجار والشجيرات المثمرة والحشائش والزروع والعروق والمروج ذات الأزهار الزكية الرائحة والمتباينة الألوان والخصائص • فلا البحار ولا الأنهار ولا طبيعة المياه ولا الهواء النقي الشفاف الذي يملأ ما بين السماء والأرض ، تبقى مجردة وخالية تماماً من أي جمال خاص يلائم كل واحد منها ، مثل الفائدة الكامنة في طبيعة كل منها لكي تستمر حياة السكان فيه • فقد منح المياه طبيعة تتميز بالثقل والرقة ، والهواء طبيعة خفيفة طائرة ، وكلاهما خلقا لخدمة وراحة البشر الذين كانوا عتيدين أن يصيروا سادة هذا العالم • لذلك قال الروح الملهم بلسان موسى في أعقاب ما سبق ذكره : ان الله الخالق أصدر أمره(١) : « لتخرج المياه زحافات ذات نفس حية، وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء » • وكان كذلك •

---

١ ـ تكوين ١ : ٢٠ •

□ تعابير الكتاب تقريب لمفاهيمنا :

هنا يتطلب الأمر تفكيراً وتأملاً واستقصاء ، حيث يتساءل العقل لماذا أمر الله أن تخرج المياه ما كان يريد اخراجه دون أن يفعل ذلك مباشرة بقوة سلطانه ؟ فهو لا يحتاج وسيطاً عندما يريد أمراً ما • فكل ما يريده يتم بمجرد اشارة من ارادته ، وقد كتب بهذا الخصوص : « لأنه قال فكانت وأمر فخلقت »(٢) • هذا ما يتساءله العقل الباحث عندما يساوره شك ويتأمل ويرى في كلمات الكتاب الموحى به من الروح ما يبدو خشونة • فتجيب الكلمة المدركة والعقل الثاقب ويقول : ان الله ليس بحاجة الى أية مساعدة من خلائقه • ولكن نحن هم الذين بحاجة الى أن نسمع وندرك بالطريقة التي ألفناها • كيف تمت أعمال الله كلها ، وكيف خلقت ؟ فما كان لنا ذلك ، أي أن نسمع وندرك لو لم تكتب قصة خلقها بالأسلوب الذي نفهمه وبالطريقة التي نتعامل بها ، فالروح الملهم اتبع أسلوبنا في سرد ما كتب لأجلنا ، وعلى مدى ادراكنا • ولم يكن بالامكان أن يستخدم أسلوباً آخر • فعندما قال الله : « لتخرج الأرض عشباً وأشجاراً » فانه لم يفعل هذا ليظهر حاجته الى مساعدة الأرض لكي يخلق ما يريد• لكنه فعل ذلك لكي نسمع نحن ونفهم وندرك بأنه خلق ما خلق باقتداره الفائق ، ولئن كتب عنه أنه « أمر الأرض » • فعندما يقول هنا « لتخرج المياه » لا يشير بذلك الى حاجته الى مساعدة المياه ليكون ما يريد • لذا سنقول هنا كلمتنا بهذا الشأن بكل وضوح وبساطة ، لنقف على ما يثيره الباحث المتسائل •

فالله لم ينطق بأية كلمة من هذه الكلمات ، ولم يكن العمل اعتباطياً• ولم يكن بحاجة الى أن يقول ثم يخلق • فمجرد التفكير بها كان كافياً ، لأن الفكر هو كمال العمل ، لا سيما وأنه لم يكن حتى بحاجة الى التفكير ، فالله لا يفكر ولا يتأمل الأفكار ليختار ما يحسن له ومن ثم يخلق • لكن بمجرد النطق أو الحركة أو الاشارة الأولى من الفكر الى ما يريد أن يعمله ، يتم ذلك العمل • حتى ان لفظة « الاشارة » لا محل لها هنا ولا أهمية لها ، ذلك أن الله لا يشير حتى اشارة لأنه منزه عن العيون والجبين والأيدي وعن كل الأعضاء • فاذن لا معنى هنا لكلمة اشارة • وكذلك أن ننسب الى الله الحركة الارادية هو الآخر أمر زائد ، فارادته ليست شيئاً متميزاً عن ذاته • وكذلك قولنا : انه بقوة سلطانه يفعل ما يشاء ،

---

٢ ـ مزمور ٣٣ : ٩ •

فهو الآخر زائد ولا قيمة له . فعندما يتأمل المرء بدقة يكتشف أن هذه الآمور لا تنسب الى الله ، فكل ما نطلقه عليه من كلمات وألفاظ ، انما هي لنا ، وهي مناسبة لاطلاقها علينا فقط . ولا تتناسب أن تطلق عليه أبداً ، ولا شان له بهـا . لكن ما الذي نفعله عندما نريد أن نتحدث عنه أو عن أعماله ! ليس بمقدورنا أن نتحدث أو نقول أو نُسمع الآخرين أو نسمع نحن من الآخرين ، الا بما اعتدناه من الكلام . فاننا نضطر الى استعمال الأسماء أو الأفعـال أو الألفاظ الأخرى عندما نتحدث عنـه . وهذا نفسه يفعله الروح . فانه يتعامل بنفس الكلمات التي نستعملها في سرد القصص . لذا فقد كتب هذا وكأنه يتلعثم معنا باعتبارنا أطفالاً ، فيوضح لنا ، وبأسلوبنا ما هو فوق ادراكنا . أما الواقع فليس كذلك .

وبنـاء عليه ، فان الله لم يقـل « لتخرج الأرض أو تخرج المياه » ، لكونه ليس بحاجة الى أن ينطق أبداً ، لكن الكلام أدرج بهذا الشكل من أجلنـا . فلو لم يكتب الروح هكذا ، آمر الله أن يكون كذا ، وقال الله ، ليكن كذا ولتخرج الأرض عشباً ، ولتخرج المياه زحافات ذات نفس حية ، ولو لم نسمع هذا بأسلوب ما ألفناه ورأيناه في كتابات الكتّاب وهم منا ، كيف كان لنا أن نعرف شيئاً عن الله أو عن أعماله ، وندرك أن كل ما نراه هو خليقة الله وليس أزليـاً . فلا نضلنّ مثل الشعوب التي توهمت بأن هذا العالم هو أزلي بذاته وسرمدي ولم يخلقه الله ، فقد اهتم موسى كثيراً ليطلع الناس على هذه الأمور . وان الروح الذي نطق فيه ، أراد خاصة أن يوضح للناس ويعرفهم بأن السماء والأرض وكل ما فيهما هي عمـل الله وليست أزليـة ، ولم تتكون تلقائيـاً ، كما أنها ليست سرمدية وغير مخلوقة كما أوهم الثلاب المارد البشر ليضلهم عن الله خالقهم . اذن ، هـذا كان سبب استعمال الكلمات بهذه الصورة . فقد قيل : « قال الله لتخرج الأرض ولتخرج المياه » لكي ندرك الله وأعماله بسهولة ، ونعرف بأنهـا به كانت وليست أزليـة ، وان الروح لا يقصد بقوله : « قال الله لتخرج الميـاه ... ولتخرج الأرض » ان الله أوعز الى خليقته لتساعـده في الخلق ، بـل ليظهر أن الله يصدر أمراً فيخلق ما يشاء ومتى شـاء دون جهد ، والكل يطيع أمره ، وليس من يعصي ارادته ، ويمكن تفسير عبارة « لتخرج الأرض ... لتخرج الميـاه » هكذا ، أن يكون في الأرض عشب وأشجار ، وتكون في المياه زحافات ذات نفس حية وطيور . فهذا هو العقل الممعن تجاه الفكر المتشكك الذي رأى في ما كتب أمراً اعتباطيا .

□ العناصر الأربعة :

ونحن أيضاً بدورنا نعقب على عبارات الروح هذه : « وقال الله لتخرج المياه زحافات ذات نفس حية ، وطيوراً تطير على الأرض ، على وجه جلد السماء » . فنعالج شكلاً آخر في قوله « لتخرج الأرض ... لتخرج المياه » . فلنعلم أنه ولئن اقتصر الأمر على الأرض فقط « لتخرج عشبا » فذلك لأن الأرض وحدها كانت منظورة في ذلك الحين الذي فيه نبت العشب والأشجار فيها . أما العناصر الثلاثة الأخرى ، الماء والهواء والنار ، فلم تكن منظورة بعد . فان العشب والأشجار التي تنبت في الأرض ليست وليدة هذه الأرض (التراب) فحسب ، بل تشترك معها بقية العناصر أيضاً . فمن الواضح أن عناصر الماء والهواء والنار تدخل مع التراب في تركيب العشب الذي من الأرض ، وخشب الأشجار ، وتشترك في نمائها . فاذ كانت الأرض وحدها منظورة حينذاك ، ذكرت لوحدها . وعلى نفس الغرار ، قوله : « لتخرج المياه زحافات ... وسمكاً ... وطيورا ... » فلأن المياه فقط كانت منظورة حينذاك ، ولم تكن العناصر الثلاثة الأخرى ، التراب والهواء والنار موجودة لدى ولادة هذه الحيوانات ، علما بأن طبيعة التراب موجودة مع الماء ، وكذلك الهواء والنار ، وعليه فهي تدخل في تركيب الأسماك والحيوانات الأخرى التي خرجت من المياه . فلا يجوز أبداً أن يظن أحد ما أن لحم وعظام وجسم الاسماك والطيور مركبة من الماء فقط ، ولا تشترك معها العناصر الثلاثة الاخرى ، التراب والهواء والنار ، وقد اعتدنا ، والعالم كله ايضا ، ان نقول : ان العشب والجذور والأشجار والشجيرات تنبت من الأرض دون أن نشير الى اسم أحد العناصر الأخرى . ونقول عن الأسماك ، انها من الماء فقط . لذا فقد نهج الكتاب أسلوبنا وراعى عاداتنا . وانه لأمر معروف ان العشب الذي يتولد وينمو في الارض ، وكذلك الأشجار وكل النباتات التي تتولد من العشب ، هي مركبة من العناصر الأربعة . والأسماك وكل الحيوانات تتولد من الماء ، وكذا الأمر بالنسبة الى طبيعة الطيور . فالكتاب يقتصر على ذكر العناصر المنظورة والمعروفة فقط ، تمشياً مع ما هو مألوف في العالم الذي ينسب نمو البذور والأشجار الى التراب ، وولادة الأسماك والطيور الى المياه .

□ كلمة الله :

ونعقب على كل ما سبق الحديث عنه ، متسائلين ومدفوعين بمحبة العلم والحق . ترى من هو القائل « ليكن كذا » ، فنجيب أنفسنا متسائلين أيضاً وقائلين ، ترى من هو الذي نفذ فيما بعد الأمر الصادر ؟ . لقد تلت

الكلمات المدرجة أعلاه أي « وقال الله الذي أمر لتخرج المياه » ، كلمات أخرى هي : « وخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها ، وكل طير ذي جناح كجنسه ، ورأى ذلك انه حسن » • وباركها الله قائلا : « أثمري وأكثري واملأي الأرض » • فمن هو الذي أمر أن تخرج المياه ، ومن الذي نفذ ؟ • من المعروف ،وكما سبق الكلام عن الخلائق الأخرى ، ان الذي أمر هو اقنوم والذي نفذأقنوم آخر • وهنا أيضاً ينبغي أن نفهم الأمر هكذا • ان الله الآب أمر باعتباره رأس كل ما يصدر عنه ، وكل شيء هو منه • والكلمة الذي منه نفذ ، وهو الآخر رأس كل شيء مع أبيه والروح المساوي لهما في الجوهر والمجد والخلق • وهنا أيضاً يجدر بالفكر الباحث ومحب الحق أن يقول : اذاكان الآب بالابن ، والابن بالآب ، ولهما ارادة واحدة ، ومتساويان بالنسمة (النفس) و (الذات) ، ولهما سلطان واحد • فكيف يجوز أن يقال ان واحداً يأمر والآخر ينفذ الأمر ؟ • علماً بأن القول ان واحداً يأمر وآخر ينفذ ما أُمر به ، لا يشير الى كونهما متساويين في الكرامة ، بل ان من يأمر كأنه يفعل ذلك كرئيس ، والذي ينفذ كأنه مستعبد وبدرجة أدنى من الرئيس ، لكي ينفذ ما أُمر به • نقول : ان هذا الكلام يصح علينا نحن ، أما بالنسبة الى الله • فان للاوامر وتنفيذ الأوامر مفهوماً آخر • فلما يأمر الآب ، فان الابن والروح أيضاً يكونان قد أمرا معه في نفس الوقت ، وعندما ينفذ الابن ويعمل ما أمر بعمله فان الاب والروح القدس ، مكمل الأعمال ، يكونان أيضاً ينفذان معه • فلهؤلاء (الأقانيم) أزلية واحدة وسلطان واحد وارادة واحدة • وعلى هذا المقياس يكون الأمر واحداً بالنسبة اليهم ، وكذلك تنفيذه واتمامه ، فاذا قيل عن واحد انه أمر ، فالثلاثة يكونون قد أمروا ، واذا قيل عن واحد انه يعمل شيئاً ما ، فثلاثتهم هم الذين يعملون • فهذه الأمور كتبت بصورة سرية من قبل الاله الروح ، ليس من أجل أن يظهر اختلاف ما بين الذي يأمر والذي ينفذ ، ولكن لكي نتعلم بها نحن ، بأن الأقانيم تختلف عن بعضها ، الأمر الذي لم يكن بالامكان أن يدركه الناس أو يعتقدوا به • فالقول : ان واحداً يأمر وآخر ينفذ ، يظهر بأكثر وضوح ان سلطانهم واحدوارادتهم واحدة ، ولا يفهم منه الاختلاف في الجوهر والسلطة • وقولنا ان الله الاب أمر لتكون الأعمال ، يعني أن الله الكلمة نفذ ما أمر به ، ليس بصفة مستعبد أو أدنى ، بل كمساو في الارادة وغير مخالف ، ومساو بالكرامة والسلطة •

□ الحيوانات المائيـة :

وهكذا وبلحظة تم من قبل الله الصانع ما أمر به من قبل الله الخالق «لتخرج المياه زحافات ذات نفس حية وطيوراً تطير على الأرض»(٣) • ويقول: خلق الله حيتاناً أي تنانين عظاماً ، وكل نفس تدب ، الأمور التي أفاضتها المياه بجنسها • فبهذا الأمر لم يبق شيء من طبيعة المياه حيثما وجدت ، دون أن يثمر أو يلد لحظة سماعه الأمر وتنفيذه اياه • فأفاض نفساً حية ومتحركة بامكانها الحفاظ على نوعها ، ففي البحار الشاسعة التي لا تسبر أغوارها • كانت تتوالد حيتان كبيرة أي تنانـين • ولا أدري ما الذي أسميها • وقد ذكرها الروح المرتل وهو يأمرها مع سائر الخليقة لتسبِّح الخالق مع ذوي النطق ، قائلا : « سبحي الرب يـا كل الأرض ، التنانين وكل اللجج(٤) • ويبدو من كلامه ، ان هذه لا تستطيع أن تعيش الا في أعماق البحار نظراً الى ضخامتها • كما ان اله الجميع ، وهويخاطب أيوب ويذكره بعظائم أعماله العجيبة ، يقول(٥) عن جنس هذه الحيتان أو التنانين • انك تستطيع أن تصطاد هذا التنين الهائل بالشبكة وتشد بالرسن مبلعه • ويشهد له الكتاب بأنه ملك حيوانات المياه ، وقد جعل سخريـة لملائكة الله بسبب ضخامته وقوة بأسـه • وتروي قصص بعض الغرباء شهود عيان ، ان طول بعض هذه الحيوانات التي أفاضتها الميـاه يبلغ نحو مئتي ميـل * وتكثر في أغوار البحار الكبرى التـي لا تجـاب والمعروفة بالمحيطات والتي هي خارج نطاق المسكونة • وان بحار المسكونة الهادئة والمستغلة ، أفاضت هي الأخرى حيوانات كبيرة وصغيرة تسبـح وتجوب فيها ، كل بنسبة ما فيه من مياه ، وبمقتضى خصائص ومنـاخ بيئته • ويولد كل منها من جنسه وبحسب طبيعته ، الدلافين والأسماك الكبيرة ومختلف أنواع الأسماك الأخرى من كل جنس ، التي يولد كل منها كجنسه للحفاظ على نوعه ، منفذاً أمر الخالق الذي أمرها أن تثمر وتكثر وتملأ مياه البحار •

---

٣ ـ تكوين ١ : ٢١ ـ ٢٢ •

٤ ـ مزمور ١٤٩ : ٧ •

٥ ـ أيوب ٤٠ : ٢٠ •

★ لا يفهم من هذا أن المؤلف يؤمن بوجود مثل هذه الحيوانات لكنه أوردهـا حرصا منه على النقـل التقليدي للروايات التاريخية حتى ولو كان هذا النقل لا يخضع للمنطق أو فيه أخطاء اجتماعيـة وهذا دليل على أمانته في النقل (ص) •

والى جانب هذه ، فهناك زحافات لا يحصى عددها ، ومختلف أنواع الحيوانات التي لا نعرف عدد أنواعها ولا أسماءها ونعجز عن وصفها ، لا سيما وان البحار ليست بقريبة منا ، ونحن لم نعتد رؤية هذه الانواع لكي نعطيها أسماء حتى ولا لدى الأمم الأخرى الساكنة بالقرب من البحار ، أي اليونانيين والمصريين والرومان والعيلامـيين والهنود • وذان جدير بهؤلاء أن يضعوا أسماء وتسميات متميزة لكل نوع من الأسماك والزحافات والحيوانات البحرية ، لكونهم قريبين من البحار • أما بالنسبة الينـــا فنكتفي بما قاله الروح عنها « البحر الكبير الواسع الأطراف ، هنـــاك دبابات بلا عدد ، صغار حيوان مع كبار ، هناك تجري السفن ، لوياثان هذا خلقته ليلعب فيه »(٦) •

هكذا أفاضت مياه البحار أنواعاً مختلفة من الحيوانات الزاحفة • فليس هناك أي شعب يعرف جيداً أنواع وأسماء جميعها ، وكما يقـول البعض ، فان أعداداً كبيرة منها تعرف بأسماء الحيوانات والطيور التي على الأرض ، اما بسبب التشابه بين أجسامها أو مسلكها أو لأسباب أخرى ويقال أيضاً ان بعض حيوانات المـاء تسمى خنازير وكلاباً ، أو حماراً وأرنباً ونسراً وباشقاً ويمامة وعقرباً وحية ، وغيرها من أنواع الزحافات التي نعرفها • وقد تكون تسميتها بأسماء الحيوانات البرية سليمة ، نظراً الى تشابهها بالصفات والعادة • ومعروف عن الأسماك عامة التي تتوالد في البحار ، ان لها أسناناً تحت شفاه أفواهها مثل وحوش البر ، أما الأسماك التي تعيش في الأنهار والمياه العذبة فلا يوجد لها • هكذا فان الله ، بأمر واحد ، جعل المياه تثمر وتلد • وسواء كانت قليلة أم كثيرة فلا بد وأن تثمر وتلد اطاعة لأمر الخالق • وكذلك الأنهار والبحيرات ، فهي الأخرى بمقدار كميتها وبالنسبة الى صفاتها وطعم مياهها ، أولدت وأخرجت مثل مياه البحار أسماكاً مختلفة وزحافات ، وأنواعاً أخرى كثيرة لا تحصى ولا تعرف أسماؤها • أمثال السلور [illegible] والمرمريج والحنكليس •

والى جانب هذه ، هناك أجناس صدفية ، مثل السلاحف والسرطان والحلزون والودع ([illegible]) وأنواع أخرى كثيرة غير مسماة • وهذا ما تفعله أيضاً كل من ينابيع المياه الصغيرة والجداول والسواقي ومجمعات

---

٦ ـ مزمور ١٠٤ : ٢٥ ـ ٢٦ •

المياه وسيول المياه الصغيرة · فان وجد في هذه قليل من الماء لا تتأخر عن تنفيذ الامر · وكل منها يولد ويثمر ويفيض بالنسبة الى نوته وطبيعة وكميــة مياهــه ومكانها · ومنها ما يؤكــل مثــل Conchyliae squillae (ܚܙܢܐ ܘܣܘܪܛܢܐ) ــ اني أستعمل هنا الأسماء والتسميات الغريبة ــ وهناك الأسماك الصغيرة ، والصغيرة جــداً · وهنــاك أيضــاً الضفادع وغيرها من الأجناس الأدنى منها · فلا يبقى أي مكان رطب ، مهما كان صغيراً ، دون أن يثمر ، اما برغشاً أو بقاً أو حشرات أخرى صغيرة وحقيرة ، وهي الأخرى تخضع لأمر الله القائل ، لتخرج المياه زحافات ذات نفس حية · فالكل يخضع ، والكل يولد، والكل يخرج بقدر مستطاعه والقوة المعطاة له من الخالق · فقد أثر ذلك الأمر في طبيعة المياه لكــي تثمر وتولد وتخرج ذات نفس حية في البحار والأنهار ومجمعات الميــاه والينابيع · ولم يكن تأثير الأمر آنياً فقط ، بل ما زال أثره سارياً ، فهو يطلب اليها لتكمل ما خلق فيها عن طريقه ·

☐ طرق الولادة والتربية :

ولنتحدث الآن عن تنوع طرق الولادة والتربية لدى هذه(الحيوانات) فان مجمل ما نعرفه أو ما تسلمناه ممن سبقوا وعرفوه هو ان المعنيين الذين اجتهدوا أن يختبروا ويشاهدوا ويتعلموا ويدونــوا في الكتب · يقولون عن الأسماك انها لا تولد بزواج الذكور والاناث · ولا تحبــل الاناث بشيء تستعيره من الذكور ، كما هي الحال بالنسبة الى حيوانات البر · لكن هناك حباً لبعضها البعض مقترناً بالشهوة كما يقال ،فتنجذب نحو بعضها البعض في الوقت المناسب دون أن تتزاوج جسدياً كالحيوانات والطيور أو كزحافــات الأرض · الا أن أجسادهــا تلتحم بدافــع الحب والشهوة ، وتختلط الذكور والاناث وتزحف أجسادها جنباً الى جنب بمحبة وتتزاحم وتتدافع وتحتك جوانبها ببعضها ، فتدفأ الاناث فتحبل وتملأ كيساً دموياً بالبيض بكمية لا تحصى · ولما يحين الميعاد المحدد لها من قبل الخالق ، تجتمع الذكور والاناث مرة أخرى في الأمكنة المناسبة للحفاظ على الوليد ، في مكان تكون المياه فيه هادئة ، وليس فيه جرف لئلا يُجرف بيضها ، وحيث لا يوجد طين أو حمأة لئلا يغور فيها فيتضرر ويغدو غير صالح للتوليد · فتتواعد الذكور والاناث وتجتمع في مثل هذه الأمكنة بدافع الحب نفسه ، ويقترب الذكر من الانثى لغاية التوليد فيحتك بها ويحــرضهــا على التــوليــد وازاء ذلــك ترمــي الأنثــى بيضــاً

من بطنها فيلقحها الذكر ، وكل البيض الذي يصله منى الذكر ينشق فوراً ويخرج الأسماك التي تكونت فيه داخل بطون أمهاتها ، فتكتسب الحياة • أما التي لا يصلها المنى فلا تلد أبداً • واذ تتوالد الأسماك في المياه ،فان بعضها ينمو في المياه دون أن تقتات من حليب جسد الأمهات مثل الحيوانات، ولا مثل أولاد الطيور ، تتلقى طعامها من أفواه أمهاتها التي تجتهد فتجمع من بذور الحقل • أو مثـل التي تربي أولادهـا بالبق والذباب وهوام الأرض ، لكن ساعدها يشتد أولا برطوبة المياه ثم تتربى ويغدو الكثير منها طعاماً لوالديها ، حتى تكبر وتتقوى وتقتات بالتي هي أصغر منها • هذا ما يقوله العلماء عن ولادة الأسماك وتربيتها • لذا فهي تتوالد بكثرة لتغطي بكثرتها غـذاء والديها ، والحفاظ على نوعها • ويبقى بعضها أبداً طعاماً للبعض الأقوى ، حيث يأكل هذا ما هو أصغر ، في حين انـه يصير طعاماً لما هو أكبر وأقوى منه • ويقال أن أصناف السلور والحنكليس وجميع التي تتوالد في الطـين ، تتغذى وتتربى بالطين نفسه بمقتضى ترتيب الخالق • فهي الأخرى مثل السمك تأكل بعضها ، وتؤكل من قبل البعض الآخر •

وبحسب ما يقوله العلماء الذين أخذ الواحد عن الآخر ، أن هنالك بعض أجناس السمك أو من حيوانات الماء على كل حال ، تحملها أمهاتها في بطنها زمناً محدداً ، فهي لا تتكون داخل البيض وتولد ، بل في أحشاء البطون وفي أجساد أمهاتها • فتتكون وتكتمل في بطونها من دون بيض ، مثل أولاد حيوانات البر التي أعتقد أن لهاطرقاً متنوعة لتغذيتها وتربيتها ويقال أيضاً ان أولاد السرطان والسلاحف وجميع ذوات الأصداف ، تتكون بطرق شتى ، وجميعها تتوالد عن طريق التزاوج كما هي الحال بالنسبة الى حيوانات البر ، ولكن لا تتوالد كلها على نمط واحد • فهناك ما يضع البيض أولا مثل الطيور ، ثم تتكون الأولاد داخلها ، ومثال هذا السرطان وتمساح الماء • وهناك ما تحبل مثـل الحيوانات وتلد أولاداً متكاملـين وتربيها بطرق مختلفة ، بعضها داخل المياه ، والبعض الآخر في البر على الأرض خارج المياه • وهكذا توجد اختلافات في طرق حمل وولادة وتربية الحيوانات المائية • ونحن نجهل أضعاف ما نعرفه لأنها لم تذكر أمامنا ، وقد يعرف آخرون أكثر منا وبصورة أسهل • والى هنا نكون قد تحدثنا بقدر المستطاع عن الحيوانات المائية وولادتها وتربيتها وأنواعها المختلفة •

□ في الأسماك :

ولنتحدث عن هيئة وشكل السمك الذي خلقه الله لأجسامها ، وعن تكوينها وملائمة شكل قشرتها ورؤوسها وأذانها وزعانفها ، أي أجنحتها وأذنابها ، وكيف أنها كونت من قبل الخالق الحكيم بشكل ينسجم وعيشها داخل الماء وللسباحة فيه بسهولة ، كالطيور في الهواء ، وعن تراكم العظام الصغيرة التي كونت لها في لحمها الطري ، كما نتحدث أيضاً عن الحيوانات البرية التي خلقها الله المبدع ، والطيور التي تطير في الهواء والزحافات التي تدب على الأرض ، كل بحسب ما أعطي له من الله من سلوك وتصرف، فقد جعل لكل منها أعضاء يسهل بها تحركها • فللحيوانات الأرجل الكبيرة والجلد والشعر ، وللطيور أجنحة وريش ورقبة متينة وطويلة ، وللزحافات الأرجل الصغيرة والكثيرة • أما للسمك فلا شيء من هذا القبيل ، بل جعل لها رأساً دائرياً وفماً ملموماً أصغر وأمتن قليلاً من الرأس ، وجسماً عريضاً من الوسط أكثر من رأسها وذنبها أي مؤخرتها الدقيقة والمتينة ، على هذه الهيئة خلقها الله لكي تمتد بسهولة عندما تسبح في المياه وتسير فيها وتنتقل من مكان الى آخر مثل الحيوانات التي تسير على الأرض بأرجلها • وقد جعل لها أجنحة في جنبها وذنباً دقيقاً يشكل هو الآخر زعنفة أي جناحاً في مؤخرتها لكي تساعدها على السباحة في الماء كالأشرعة والسكّان بالنسبة الى السفينة ، وتدير جسمها بسرعة حيثما تشاء ، سواء على جنبها أم نحو الأمام أم نحو الوراء • فقد زودتها طبيعتها بهذه الأمور لسهولة تحركها في الماء ، كما زادت فزودتها بالقشور المساعدة المتراصة في جسمها والملتصقة بشكل ملائم ومتجهة من الأمام الى الوراء لتنزلق بواسطتها لدى سباحتها • وليس من الوراء الى الأمام لئلا تعيق جسمها عن السير ، وبدلاً من الشرايين والأوردة جعل في لحمها طبيعة الثبات والقوة ، وكثافة العظام الصغيرة التي تمسك بشدة رخاوة جسمها الرطب • وزاد فجعل في العظام شبه صنارات ماسكة لئلا تنتزع من لحمها بسهولة • كل هذه الأمور تفعلها الطبيعة التي خلقها الله الخالق للأسماك التي تسبح في المياه كما تسبح الطيور في الهواء ، لكي تتحرك داخلها بسهولة ومرونة ، وتنجو من الخطر عندما تشاء أو تشعر به ، حيث ان الله منحها فهماً غريزياً لتميز الضار والعدو ، فتحذر منه وتنجو بنفسها ، ذلك أن الله أولى اهتمامه لخليقته برمتها ، فليس هناك في الخليقة من لا يحظى بعناية الله •

لنتحدث أيضاً عن أمور أخرى زودتها بها الطبيعة التي خلقها الله فيها ، منها : أن الله جعل في داخل جميع الحيوانات والطيور والزحافات،

عضواً يقتبل الهواء الذي تستنشقه بفمها وتحيا به حيث يدخل الى هذا العضو المعروف بالرئتين وهو طري كالاسفنج تملأه الثقوب • وبهما أيضاً تتمكن وهي تستنشق ، باخراج أصوات من حناجرها • الا أن الله لم يزود أصناف السمك كلها بهذا العضو • اذ لم يخلق لها رئة في داخلها• فهي لا تستطيع أن تستنشق الهواء كما تستنشقه الحيوانات ، وبذلك لا تستطيع أن تخرج صوتاً من أفواهها أو حناجرها • فهي بلا صوت مدى حياتها • واذا خرجت من الماء لتتنفس الهواء بأفواهها يدخل الى بلعومها ، وللحال تختنق به ، كما يختنق الناس والحيوانات بالماء عندما يدخل رئاتهم • فالأسماك لا تستطيع أن تدخل الهواء الى داخلها ، لأنها لا تمتلك رئة ، ذلك العضو الداخلي الذي يستقبل الهواء ، مثلما أن البشر والحيوانات لا يستطيعون تقبل مياه كثيرة في بطونهم أو أفواههم ، لأن آذانهم ليست مفتوحة على أفواههم كالسمك • فالسمك يستنشق الماء بدلاً من الهواء ، اذ تفتح أفواهها ، وتخرجه بسرعة من آذانها لئلا يدخل الى بطنها ، لأنها تختنق وتهلك اذا دخل الهواء بطنها ، مثلما أن الانسان والحيوانات اذا دخل بطنهم ماء أكثر من حاجتهم لاطفاء عطشهم ، فانهم يهلكون ويفقدون الحياة نهائياً • هكذا اذن جهز الله كل واحد ما يلائم حياته ويصونها •

وهناك أنواع من (الحيوانات) التي تعيش في الماء ، لها مزايا كلا النوعين • فانها تمتلك رئة العضو القابل للهواء • فلا يضرها الهواء وهي تستنشقه لدى خروجها من الماء • وتمتلك أيضاً مزايا ومكونات السمك ، فلا يلحق بها ضرر عندما تنزل الى الماء وتتجول في داخله دون أن يلحق به ضرر • هذه الأمور كلها صنعها الله المبدع الحكيم لمختلف أنواع الأسماك التي في المياه • واذ حرمها استنشاق الهواء بفمها وبطنها ، فانه جعلها ، وبمنتهى الحكمة ، ألا تتمكن من الحياة وهي تعيش في الماء ، دون مساعدة الهواء ، شأن البشر والحيوانات والطيور الذين ولئن لا يستطيعون أن يأخذوا الماء بكثرة من أفواههم وفي بطونهم مثل السمك ، الا أنهم لا يستطيعون الحياة دون الماء • هكذا السمك أيضاً ولئن لا تقوى على اقتبال الهواء في داخلها كالبشر ، الا أنها لا تستطيع العيش في الماء دون مساعدة طبيعة الهواء • فقد جعل الله في داخلها نفاخة بلا فم مملوءة هواء بصورة دائمية مثل زق مغلق مملوء هواء ، يطوف عليه بسهولة ، السباحون الذين يمتطون زقاقاً منفوخة ويطوفون فوق الماء ، لذا تكتسب الأسماك قوة بارتفاعها من العمق الى الأعلى ، حيث تدفعها الى الأعلى نظراً الى خفتها ولصعوبة بقاء الهواء في الماء • من هنا

نعلم ، أن الاسماك ولئن لا تستطيع استنشاق الهواء ، غير أنهـا مركبة هي الاخرى من العناصر الاربعة كما اسلفنا • فلا تستطيع الحياة في الماء دون مساعدة الهواء ، وهكذا تكون الطبيعة قد زودتها بكل هذه الامور، اذ لم تحرمها الاشتراك بالحواس الخمس ، فهي تنظر وهي داخل المـاء وتسمع وتتذوق وتحس ، وهي ولئن لا تستنشق الهواء ، الا انهـا تمتلك حاسة شم الرائحة وتتجه حيث توجد الرائحة طلبـاً للطعام ، سواء كانت الرائحة متاتيه مـن داخل الماء أم من خارج الماء ، اذ تمتزج قـوة الرائحة بالماء وتخضع لحاستها • على كـل حال ، فهي تمتلك حاسة الشم ، بـل وتشترك في الحـواس الخمس ، ان لم يكن بصورة كليـة كالحيوانات ، فبصورة جزئية • فقـد منحها الخالق المبدع منها بقدر ما تحتاج اليه ، مـن أجل حياتهـا •

لذلك يجب أن يتطرق الحديث والبحث الى قوة ذلك الأمر القائل : « لتخرج المياه كل ذي نفس حية » ، خشية أن يبقى شيء منها لا يتناوله البحث ، حتى تلك التي يدعوها مبتكرو الأسماء ، الأشجار الحيوانيـة ، التي تنمو وتترعرع بـين الصخور داخل ميـاه البحار ، منها الاسفنج Pinnae ([illegible]) مرجانة Urticae ([illegible]) ، وغـيرها كثير على شاكلتها • فان أمثال هذه تتحرك بفعل أمرين ربانيين، الأول: ذاك الذي قال فيه « لتخرج الأرض عشباً » ، والآخر : هذا الذي يلزم المياه « لتخرج ذات نفس حيـة » فالأول صدر الى طبيعة التراب لتخرج عشباً ، والثاني صدر الى طبيعة الماء لتخرج ذات نفس حية • وحيث ان طبيعة التراب الذي فوق الصخور البحرية كانت ممزوجة مع مياه البحار التي تعلوها ، لذا خضعت لكلا الأمرين على حـد سواء ، فباعتبارها ترابـاً ، تلقت أمراً لتخـرج عشبـاً ، وباعتبارها ماء ، لتخرج ذات نفس حيـة حساسة • فقد خضعت وتحركت وسمعت شيئاً ما مختلطاً وعجيباً • وهكذا أعطي التراب طبيعة مبدعة وفاعلة ليلد ويخرج ما ينبتـه التراب مثـل العشب في حين أن جذوره متغلغلة في الصخور داخل الماء كالنباتات • فهو يمتلك احساساً وحياة منحت له من قبل طبيعة المياه التي أمرت فأخرجت نفساً حية • وهكذا حدث وولد هذا المزيج الذي يجب أن يدعى حيواناً لأنه يمتلك الاحساس ، ومن حيث أنه متأصل في الأرض ولا يتحرك مـن مكانه ، استوجب أن يسمى نبـاتاً • ومـن حيث اختلاط وتركيب كـلا المسميين ، تمت تسميته الحيوان النباتي Zoophyton من قبل اختصاصي التسميات والكتّاب اليونان الذين كتبوا عن هـذه الأمور وعن كل ما في

المياه ، سواء كانت سمكاً أم سلوراً أم حنكليساً Anguillae Siluri الذي يولد في الطين ، أم صدفيات أم برمائيات أو حيوانات نباتية • أو ما أشبه ، هذه كلها خلقها الله المعني بالانسان لتكون في خدمة وتحت سلطة الجنس البشري، للطعام ومعالجة الاجساد أو لغيرها من الاستعمالات الضرورية •

فمنها أنواع صالحة للأكل وهي لذيذة جداً • ومنها ما هو غير صالح للأكل اطلاقاً ، نظراً الى كثرة نتانتها ولحمها الكريه ، مذاقاً ورائحة ، وتوجد مثل هذه بين الحيوانات البرية أيضاً • ويكون لحم بعضها قاتلاً لآكليه ، ومنها ما لا يؤكل ، لكن لحمها يفيد للملاج ولغيره من الاستعمالات الأخرى • ترى من أين هذه المزيجات والعقاقير الناجعة لمعالجة أجسام البشر والحيوانات التي تستخلص من باطن الأرض ، ان لم تكن من زحافات المياه ومن الأسماك ، ولا سيما من التي في مياه البحر ، وأسمح لنفسي أن أقول : ان فوائد هذه الحيوانات المائية لا تقتصر على معالجة الأجساد فقط، بل تستغل أيضاً لصناعة العطور التي تنتج كل أنواع العطور الفاخرة ذات الرائحة الممتازة ، وقد اكتشف نوع منها يفوق بطيب رائحته الزكية ، طيوب العالم كلها • ويقول الاختصاصيون ، ان هذا النوع من الأسماك يصعد من بحر الهند • وهناك أنواع أخرى من الحيوانات المائية ذات فوائد متعددة • للمعالجة والعطارة ، فهي تدخل في حرفة الصباغة وغيرها من الحرف الأخرى ، فمن آين الأصباغ الفاخرة الراقية الأرجوانية اللون التي تصبغ بها ثياب الملوك؟ ان لم يكن من دم حلزونيات البحار الذي يفوق منظر جماله جميع ألوان وجمال زهور الأرض ورياحينها • من أين مهنة تركيب العقاقير والأطعمة اللذيذة التي يحذق بها الناس ؟ من أجل اثارة البطن الشرهة ؟ ان لم يكن من لذاذة لحم الأسماك والزحافات المائية الطيب والمتنوع اللذة • ترى لماذا أجهد نفسي بكل هذا الحديث عنها ؟ فان كل أنواع الحيوانات البحرية وجدت صالحة وذات فوائد جمة متعددة الجوانب وضرورية للناس • وبهذا تتأكد شهادة الروح التي قيلت فيها : « ورأى الله أن ذلك حسن ، فباركها الله وقال لها ، أثمري واكثري واملأي المياه في البحار » • ويمكن تفسير كلمة « حسن » بكلمة صالح ومفيد • فاذا كانت كلمة الله تشهد لها بأنها مفيدة ، وباركها • فجميعها صالحة ومفيدة وضرورية للناس • فلم يخلق الله شيئاً منها مهما كان صغيراً دون جدوى على الاطلاق • ولئن ظهر لنا جهلاً ، أن بعضها ضار ولا فائدة منه ، نكتفي بهذا الحديث عن الأسماك وغيرها من الحيوانات المائية •

□ الطيــور والمــاء :

أما بالنسبة الى أمر الله الصادر الى طبيعة الماء والقائل : « لتخرج المياه زحافات ذات نفس حية » مع الاسماك والحيوانات المائية ، فيبدو انه يشمل اخراج جنس آخر أيضاً ، اذ اضــاف عبارة : « وليطر طير فوق الارض على وجه جلد السماء » ، فعلينا اذن أن نتحدث عنها بقدر ما يمد به الروح كلمتنا القاصرة الضعيفة من العون والاستنارة ٠

يقول : « لتخرج المياه زحافات ذات نفس حية ، وطيوراً تطير فوق الأرض على وجه جلد السماء » ٠ فكيف التعقيب على هذا ؟ ان الطيور أيضا تخرج من المــاء ٠ نعم يقول الروح ، فاذا كانت تخرج من الماء ، فان المعقب يتساءل : لماذا لم تعش هي الاخرى في الماء كالأسماك ؟ بل مثل الحيوانات فوق الأرض ؟ انها لجسارة حقاً ممن يحاول أن يكون وصياً لله ٠ فمن ترى « أدرك عقل الرب أو من كان له مشيراً »(٧) ٠ من أدرك عظمة أعماله أو من فهم خفــاء أحكامه ؟ « فالسرائر لله وحــده ، يقول الروح ، والمعلنــات لنــا ولبنينــا »(٨) ٠ وأضيف فأقــول : مــن المعروف أنــه يدعو « بنينا » جميع البشر الذين لم يعطوا بعد القوة الكامنة في خليقة الله ٠ بل الأشكال الظاهرة لأجسام جميع الكائنات المحسوسة فقط ٠ فاننا نراها رؤية العين ، أما كنهها الحقيقي ، فلم تدركه عقولنا بعد ٠ كما لم ندرك أسباب خلقتها، ولا استطعنا معرفة معناها الخفي ٠ يقول الروح المرتل(٩): « أرى السماء عمل أصابعك » ٠ أما البشر فلم يروا فيها بعد سوى لون منظرها الأسود والعميــق ٠ لذلك ليس مــن شأننا أن نتساءل ونقول : لماذا خلق الله القادر على كل شيء الطيور مــن المــاء كالأسماك دون أن يدعها تعيش في الماء مثلها ٠ وليس مــن اللائق أن نشك ونبحث عن مثل هذه الأمور ، والا لوجب أن نشك فنتساءل ، لمــاذا لم يخلقها من الهــواء وقد كانت عتيدة أن تتحرك فيــه ؟. ولو انها خلقت مــن التراب ، لقيل أيضاً ، لماذا خلقت من التراب في حين أعطيت أن تطير في الهواء ؟. كــل هذه الأمور ممكن التشكك فيها ٠ لكن علينا ألا نعترض بسببها على الله القادر على كل شيء دائمــاً ٠ وهو يعمل كل ما يشاء كما كتب ، وحيثما وكيفما شاء ومــن أين شاء ٠ وليس هنــاك مــن يعارضه ويقــول له : ماذا تفعــل ؟. وان رغب آحــد في التشبيه يقــول : ان السمك والطيور

---

٧ ــ أشعيا ٤٠ : ١٣ ٠

٨ ــ تثنية الاشتراع ٢٩ : ٢٩ ٠

٩ ــ مزمور ٨ : ٤ ٠

كُونت من المـاء ، اما لتشابه تصرفها ، فتلك في المـاء وهذه في الهواء ، حيث ان الطيور تسبح وتشق الهواء كما يشق السمك الماء ويسبح فيه ، واما لأن كليهما تلد اولادها بوضع البيض وليس كالحيوانات ٠

ولنقل كلمة متزنة وبعيدة عن الانتقاد : ان الله خلق الطيور مـن الماء ليظهر مدى اتساع نطاق حكمته وعظمة اقتداره ٠ والأصح ، وهذا هو المبدا الحقيقي ، هو ان هذا من شأن من يخلق وليس من شأننا ٠ فانه لأمر طبيعي ، أن الطيور خلقت وتخلق من المياه بموجب أمر الخالق ٠ ولم يشر الى هذا ما كتب عن بدء الخليقة فقط ، بل هناك حديث آخر ، للروح الالهي جاء في الكتاب المقدس ، وهو : عندما اشتهى الشعب الجاهل أكل اللحم في البرية ، أمر الله أن تساق من البحر الأحمر سلوى بأعداد كبيرة لا تحصى بحيث تكفي لاشباع ربوات شعب اسرائيل التي لاتحصى ، أياماً كثيرة(١٠) فمثلما أن هذا دليل قاطع على أن الله جعل طبيعة المياه مولدة للأسماك ، كذلك جعلها أن تخرج طيوراً ٠ يقول : « لتخرج المياه ذات نفس حية ، وطيوراً تطير فوق الأرض » لكي لا يقتصر الجمال على طبيعة الماء فقط ، بل يكون لطبيعة الهواء النقي كذلك جمالها الخاص ، تكتسبه مما تتجول وتسبح وتحيا وتبتهج فيه ٠ شأن السمك في المياه ٠ هكذا صدر الأمر فكان ، يقول : « وخلق الله تنانين هائلة وكل نفس تدب». هذه التي أخرجتها المياه كلا بجنسه ، وكل طير يطير كجنسه ٠

يبدو من هذا ، انه منذ البداية تميز كل نوع وحدد جنسه ٠ فان المياه أخرجت كل نفس تدب كجنسها ، وكل طير يطير كجنسه ٠ فقدميزت هذه العبارة وحددت كل جنس ، ليس بالنسبة الى الحيوانات المائية فحسب، بل الى الطيور أيضاً ٠ ففي بادىء الأمر فُصّلت بين جنسين ٠ تلك التي تسبح وتعيش في الماء ، وجنس الطيور التي تطير في الهواء ٠ وقد تفرعت من هذين الجنسين أصناف متعددة ومتنوعة من أسماك وغيرها ٠ كما سبق وأوضحنا بقدر المستطاع ٠

□ أنواع وأصناف الطيور :

أما الطيور فنوعان رئيسيان ، ذوات الريش الكثيف التي تعرف ب « منفصلة الأجنحة » ، وذوات الأجنحة الغشائية ٠ وهذه تنقسم الى أنواع لا تحصى ، وذوات الريش الكثيف تنقسم بدورها الى نوعين رئيسيين ،

١٠ـ العدد ١١ : ٣١ ٠

تلك التي تسمى بحسب العرف ، طيوراً جارحة وهي شرهة وآكلة اللحوم ، وتلك التي تدعى طيوراً أليفة وهي تأكل العشب وتقتات وتعيش على بذور الأرض · وهي بدورها تنقسم الى أنواع كثيرة لا تحصى ، كبيرة وصغيرة ، ذات ألوان وأشكال مختلفة ، ولا يشبه بعضها البعض · وتنقسم ذوات الأجنحة الفشائية ، هي الأخرى الى أنواع كثيرة ومتباينة لا يشبه بعضها بعضاً أبداً ·

هكذا أمر ففصلت أجناس الطيور وأنواعها منذ البداية ، وهي تتناسل وتعيش منفصلة ، كل بحسب جنسه ونوعه حتى النهاية ، وكل منها يفعل ما طبع عليه ، ويقتات على ما أعطاه الخالق المعني به · يقول : « تنتظر منك أن تعطيها طعامها في حينه ، فتعطيها فتقتات ، وتفتح يدك فتشبع »(١١) · فهي لا تستفيد فقط من الطعام المحدد الذي يسد حاجتها بمقتضى ما أعطاها الخالق المعني ، بل تتصرف مدى حياتها على الأرض وفي الهواء ، بمختلف أنماط الحياة التي قسم لها المبدع والمنظم بما يناسب كلا منها ، من تزاوج وحمل وولادة وتربية الأولاد في مناخات ومناطق وبلدان تنسجم مع حياتها ، حيث تصنع لها فوق كهوف عالية وشامخة ، ورؤوس الصخور التي لا تطال ، بيوتاً وأعشاشاً آمنة لتربية وحماية أولادها ، أمثال العقاب بأنواعه والغواص بأجناسه وما شابهها · وتشيد غيرها أعشاشاً فوق المباني العالية الشامخة ، وتربي أولادها بكل أمان دون خوف · مثل النسور واللقالق والحدأة وغيرها من التي تتصرف نفس التصرف ، فتجلب ما يصلح لاطعام أولادها ونموها · فالنسور تصطاد الأرانب والطيور من حجول ويمام وبوم البر ، واللقلق يصيد الحيات والضفادع وفئران الحقل · والحدأة تصيد فراخ الطيور وتخطف ما يصادفها من أنواع اللحوم · وتلك التي تقصد الأماكن التي تكثر فيها المروج والمياه من اجل التوالد وتربية أولادها ، مثل الكركي التي تذهب كل سنة الى بلدان Alanae (ܐܠܢܐ ܘܣܪܡܛܝܐ) Saramatae والسرامطة ، أما السنونو فيأتي من مصر ومن الحبشة الى بلاد سورية حيث يلد ويربي أولاده داخل بيوت الناس بأمان ودون خوف · وغيرها من الطيور تصنع لها أعشاشاً على أفنان أشجار الحقول البسيطة ، فتلد وتربي أولادها · دون خوف ، وهي حذرة جداً · مثل العصافير التي تلد

١١- مزمور ١٠٤ : ٢٧ و ٢٨ ·

في شقوق جدران بيوت الناس · ومن الطيور الضعيفة ما تتربى في المغاور والأمكنة الخفية وفي أعالي الاسوار والكهوف الحادة ورؤوس الصخور ، وتصنع لها أعشاشاً من الطين تشبه الشقوق وتلد أولادها وتربيها على الأرض ، في الجبال والحقول ، دون خوف · وغيرها اليفة جداً ، تألف الانسان وتسكن مع الناس وتأكل في بيوتهم ، وتلد وتربي أولادها بكل أمان ، مثل الوز والدجاج والحمام والدراج وسائر الحيوانات التي تألف الناس ·

ومن الطيور ، ما أعطاها الله حجماً كبيراً مخيفاً لكنها قليلة الذكاء وصغيرة العقل ، حتى انها تضع بيضها على التراب على قارعة الطريق وتتركها فتدوسها آرجل النـاس والحيوانات فتُحرم الأولاد كما حُرمت الفهم ، ومثالها الطير الهندي الذي يسميه العبرانيون كنفي شباحيم Struthio ܒܢ̈ܬ ܝܥܢܐ أي الرخ أو الطير الجميل · وتلك التي ورد ذكرها في حديث الله مع أيوب على شكل سؤال قائلاً :(١٢) « ·· انك تستطيع أن تقوم أمام النعامة الكبيرة والتي تأتي طائرة ·· وتترك بيضها وتُحميه في التراب وتنسى أن الرجل تضغطه أو حيوان البر يدوسه · تقسو على أولادها كأنها ليست لها ، باطل تعبها بلا أسف لأن الله قد انساها الحكمة ولم يقسم لها فهماً عندما تُحوذ نفسها الى العلاء تضحك على الفرس وعلى راكبه » · كذلك النعامة ، الطائر الراجل ، فقد حرمها الله من الطيران نظراً الى كبر جسمها، حيث لم يعطها أجنحة طبيعية تتناسب وجسمها ، فهي الأخرى تضع وتربي فراخها على التراب ، مشاركة في الحقارة جميع الحيوانات الحقيرة · وهناك أنواع أخرى من الطيور ، لا تقوى على الارتفاع في الطيران بعيداً عن الأرض نظراً الى كبر جسمها، فهي الأخرى تبقى دائماً ذليلة على الأرض · وتقتات على حشرات الأرض وهوامها ودبيبها الحقير ، حيث لا قوة لها لتبتعد في طيرانها ، مثال ذلك البجع البري الذي يقتصر في طعامه على العقارب وما يشابهها ·

ويجب ألا يفوتنا الحديث عن ذلك الصنف الفريد والمتميز والمتغير الذي يصنف مع الغربان السود أي جنس الغربان ، فانه طائر غير طاهر وشره ، ويقال ان بينها ذكوراً واناثاً وهي تضع البيض وتفقسها وتربيها مثل بقية الطيور ، لكنها لا تتزاوج كالطيور ، فلم يشاهدها أحد من

١٢- أيوب ٣٩ : ١٣ - ١٨ ·

الناس تتزاوج كسائر الحيوانات والطيور • ويجب الا يوضع موضع السخرية ما يقال عنها ، من آن الذكر يمس فم الأنثى بشيء من الحب والشهوة فتقبل منه الحبل بهذه الصورة وتضع بيضاً وتخرج فراخافتتربى وتحافظ على نوعها • فهذه كلها وما شابهها، القبرة والغربان والبلق وغيرها من أنواع القبرة تتوسط بين الطيور الجارحة والطيور ، فهي كالجارحة تأكل لحماً ، وكالطيور تأكل عشباً وبذوراً •

وهناك أيضاً الطاووس ، هذا الطائر المتعجرف بسبب جمال ريشه وما فيه من جمال طبيعي ، وهو في الوقت نفسه مجنون وشبق ، وبسبب تصرفه هذا ، لم يعتبره الكتاب المقدس طاهراً بل نجساً ، علماً وكما يقال، ان لحمه لذيذ أكثر من سائر الطيور •

وهناك طيور أخرى تعيش دائماً في المروج والأنهار وشواطئ البحيرات والأماكن الرطبة • وتعشش فيها وتلد وتربي فراخها وتغذيها كما تتغذى هي أيضاً من الأسماك والحشرات المائية الصغيرة • وأمثال هذه ، القبج ، وتلك التي تقتنص السمك والعلجوم ونسور الماء وما يشبهها كثير • وكذلك تلك التي تسمى Anates ([illegible])(١٣) وديك الماء وغيرها كثير من التي تعيش في الماء وهي أقرب الى البرمائيات ، وهي تقتات بالأسماك والحشرات المائية مدى حياتها • وبسبب عيشها في الماء ، فقد جعلت الطبيعة أغشية أرجلها غير مشقوقة وأصابعها غير منفصلة عن بعضها البعض ، لكي تشق بها الماء وتسبح •

وهناك ما يعيش في الغابات والمناطق المكتظة بالأشجار لكونها ضعيفة، وفيها تبني أعشاشها وتلد وتربي بنيها • ومنها ما تعيش حياة دنيئة جداً، ولا تأتمن على حياتها بترك الغابات لئلا يصادفها ما يفتك بها ، وهي كثيرة الغناء حيث تتكرر مناغاتها بعضها لبعض بألحان متناسقة وألفاظ تشبه ألفاظ الناطقين (الناس) •

□ طبائع وعادات الطيور :

أما عن Luscinia ([illegible]) الطير الحذر والخائف في آن واحد فنقول : انها لا تهدأ عن الغناء حتى وهي تحتضن بيضها وتحمي نفسها وعشها من المعادي • وهناك طيور أخرى تعيش بصورة دائمية على

١٣ـ وردت لدى موسى بن كيفا (+ ٩٠٣) أيضا لم نشخصه •

سواحل البحر • وأحياناً تسبح فوق أمواج البحر وكانها على الأرض • فبمثل هذه الحياة زودتها الطبيعة : وهي تبني آعشاشها على سواحل البحر حذراً وخشية ، فتلد وتربي ، ويذكر بعضهم طيراً صغيراً وضعيفاً يسميه اليونان نسر الثريا Alcyon (ἀλκυών) يضع بيضه في الشتاء على رمال سواحل مياه البحر ، وحين يتساقط عليها المطر وتهب الرياح ، يحتضنها ويحميها فتتفقس عن فراخ فيربيها • ويقول الخبراء الذين يكتبون ويتحدثون عنها : انها في خلال أسبوعين تضع بيضاً وتخرج أولاداً وتربيها وتطيرها • وان عناية الله بخليقته تمنع هبوب الرياح في البحر خلال هذه الايام ، فلا تتلاطم فيه الامواج أو تنور اللجج سواء فيه أم على سواحله ، وذلك من أجل أن تصان فراخ نسر الثريا • واذ أدرك البحارة سبب ذلك الهدوء ، أطلقوا اسم نسر الثريا على تلك الأيام •

وهناك طيور آخرى تتواجد دائماً على الجداول وقنوات المياه والأماكن الرطبة ، وتحفر في الطين وتتغذى على دود الأرض فقط ، وهناك ما تتوالد وتتربى في الأقطار الحارة مثل الحبشة ، ويسميها بعضهم ببغاء Psittaci (ψιττακοί) فهي الأخرى ذات صوت رخيم نظراً الى يبوسة أجسامها ومتانتها وقلة أكلها ، ويروى عنها أنها تتعلم بعض الكلام ، وهذا ما ذكره كثير من الخبراء الذين شاهدوها شخصياً • ويوجد منها أنواع كالتي تعرف بالوروار ، فانها تصنع شقوقاً داخل الأرض في جرف التراب ، والتلال المطلة على الأنهار حيث تبني أعشاشها وتلد وتربي ، وتقتات بالنحل والذباب وما شابهها •

وهناك طيور آخرى شرهة ونحيلة لذا فانها تبني أعشاشها في القبور والأماكن النتنة ، فتلد وتربي وتقتات بالمآكل القذرة • وامثال هذه ، الهدهد والشقراق وما شابهها من ذوات الرائحة النتنة •

ومن الطيور ما تحب الظلام ولا تبصر الا في الليل ، وأمثال هذه ، ما يسمى الرخم وقد اشتق اسمها مما تلفظه ، والبوم , الطيطوي وما شابهها كثير • ولكن هناك ما هي أكثر حباً بالليل والظلام ، وهي الخفاش ذات الأجنحة غير المشقوقة ، كما وليست من ذوات الأجنحة الغشائية ، لكنها جلدية الجناح لأن أجنحتها ضمن جلدها ، وكل طعامها من البرغش والبق • وهذه ولئن كانت من جنس الطيور ، وتطير في الجو كسائر الطيور لكنها تتميز وحدها بمزية خاصة لا شبيه لها لدى اي نوع من

الطيور ، وهي وجــود أربع أرجــل لهــا لا رجلين كالطيور ، ولا تتوالد بالبيض بل تحمل بنيها في بطنها مثــل الحيوانات ذوات الأربع الارجــل وتضعها متكاملة وترضعها حليباً من جسمها وتربيها كبقية الحيوانات • وحيث ان لهــا أسناناً وأربع أرجل كالحيوانات والزحافات ، فمن الحق والعدل أن تسمى فئراناً طائرة • وألا تنسب الى جنس الطيــور •

والى جانب ما تم الحديث والبحث عنه ، من أنواع الأطعمة ، وحمل وولادة وتربية وحيــاة الطيور المتنوعة وفي مختلف المناطق ، نقول : ان هنالك ما تعيش فرادى الى أن يحــين وقت تزاوجها ، فيــولد منها زوج واحــد • أمثال اليمام المتصفة بالعفــة • يقول الخبراء عنها ، اذا مات أحدهما وظل الآخر فانه يصون عفتــه مدى حياته ، ذكراً كان أم أنثى ، ويبقى في حالة انتظار شريكه دون أن تكون له شركة ابــداً مع أي كان • وهناك ما يسير رفوفاً رفوفاً مثل الحجل والورشان • وغيرها تتجمع بكثرة وتهاجر مثــل جيوش الجراد التي لا تحصى • وكذلك تتجمع بمجاميــع كبــيرة تلــك التي تدعى ([illegible]) آي Rauci ([illegible]) السن/الحسون التي تحط بمجاميــع على الزيتون والزروع • وكــذلك ضرب مــن القطاة التي تأتي بمجاميع الى زروع الفلاحين ، والعصفور الملون المسمى سمرمر أو ([illegible]) عصفور مادي ، (ربما لأنه يأتي من مادي) • الذي يرسل من قبل الله للقضاء على الجراد عندما يرأف بالبشــر الذين يلحقهم التأديب ، فتــأتي بمجاميع كبــيرة وجيش لا يحصى ، فتأكل دون شبع وتقضي على الجراد وتبيده تماماً ، وتخرج أصواتاً وتثور كالأبطال المقاتلين الذين يفتكون بأعدائهم •

وهناك من الطيور ما جعلها الله قصيرة العمر ، وجعل غيرها طويلة العمر • فيقال ان العقاب والحمام من ذوات الأعمار الطويلة أكثر مــن سائر طيور الأرض ، وقد تعيش نحو مئة عام في هذا العالم • وتختلف الطيور بعضها عن البعض في الطيران وفي غيره من الأمور التي نعجز عن ادراكها أو احصائها أو سردها هنا واحداً فواحداً •

ولكن لا بــد من تسجيلَ اختلاف واحــد هام ورئيسي بين الطيور بحسب ما ميزها الله ، وقد كتبه الروح بواسطة موسى واضع الناموس ، عندما ميز المآكل الطاهرة مــن النجسة • وقد جاء هذا التمييز في سياق كلامه التالي : « وهذه تكرهونها من الطيور ، لا تؤكل ، انها مكروهة :

النسر والانوق والنسر قناص السمك ، والحدأة والباشق على أجناسه وما شاكلها ، والنعام والخطاف والساف على اجناسها وما شاكلها . والبوم والطيطوي والرخم والشقراق وما شاكلها ، واللقلق والبجع والهدهد والباشق والباز ([illegible]) وكل أجناسها وما شاكلها . ([illegible]) والعقعق والورواز ([illegible]) وكل أجناسها وما شاكلها ، والطاووس والكركي وفورفوريون أي الورواز وكل أجناسها ، السنونو ([illegible]) والزرزور وما شاكلها ، والهدهد بأنواعه والخفاش ، وكل دبيب الطير الماشي على أربع فهو مكروه لكم . وهذا تأكلونه من جميع دبيب الطير الماشي على الأرض وهذا منه تأكلون : الجندب على أجناسه ، والحرجل على أجناسه وما شاكلها مما لها أرجل كبيرة تقفز بها غير الأربع التي تسير عليها ، وما الى ذلك . كل دبيب وجنس الطير له أربع أرجل مكروه لكم »(١٤) .

هذا هو التمييز الكبير والاختلاف الرئيسي الذي أشار اليه الروح الملهم ، واضع الناموس : بين أصناف الطيور التي خلقها الله على الأرض لتطير في الهواء .

وندرج هنا بالتفصيل وعلى قدر المستطاع ، الطيور الطاهرة ، ولئن لم يوردها الكتاب ، وهي : الحمام واليمام والورشان والقطاة والحجل والسلوى ([illegible]) والسمانة والوز والبط المائي وديوك الماء وجميع الطيور المائية المشابهة لهذه ، وديوك السلام والدراج واللقلق وجميع أصناف العصافير ، وكل الطيور الصغيرة التي تأكل العشب وتلتقط البذور . لقد اخترنا هذه النماذج ووضعناها هنا ولئن لم يذكرها الكتاب الالهي ، فهي تتميز وتختلف ، كما قيل ، عن الطيور المعروفة بالجارحة التي تأكل اللحوم ، الشرهة والخاطفة والقاسية على الطيور مثل المحاربين والقتلة . فالتي يسميها الكتاب طيوراً هي تلك التي تأكل العشب والبذور ، وللطيور صفة مميزة أخرى تكمن في هيئة جسمها . فآكلة اللحوم الشرهة ، لها مناقير معقوفة وحادة وقاطعة مثل السكين لكيما تقضي على الفريسة بسهولة . ولها مخالب حادة وطويلة لتخترق وتبقر بطون فرائسها . كما تختلف باقي الطيور عن هذه بمنظرها ، وبطبيعتها وشكل أجسامها .

١٤- لاويين ١١ : ١٣ - ٢٠ .

☐ الذكـاء عنـد الطيـور :

أما عن كيفية تصرف الطيور فنقول : لقد منح الله الخالق قسماً منها بعض الفهم · فهناك أصناف مختارة وذكية من الجدير أن تكون لها مكانة لدى الذين يميزون الصالح من الطالح · يقول الكتاب عن الطيور(١٥) : « ان اللقلق في السماء يعرف ميعاده ، واليمام والكركي والسنونو طيور البر ، تعرف وقت دخولها » ، ووقت الدخول عند الكتاب هو وقت هجرها الى المناطق الحارة لدى حلول الشتاء ، وكذلك وقت عودتها الى مناطقها الأصلية · وهذا أمر معروف وجدير بالذكر · فان معرفتها تشبه المعرفة التي يكتسبها الناس بالفكر الفاحص ·

☐ الحجـــل :

ويجدر الحديث أيضاً عن الحجول التي يقال عن ذكورها ، انه اذا رأى الاناث وقد وضعت فراخا كثيرة وهي تلاطفها وتفخر بها وقد أحاطت بها ، يمتلىء غيرة وحسداً ، فيذهب سرأ الى عش الاناث ويسرق من بيضها ، ويجمع في عشه بيضا كثيراً ويجلس عليها ويحتضنها حتى تفقس· فلما تخرج من البيض وتكبر ويشتد ساعدها ، تترك العش فارغاً لدى سماعها صوت أمهاتها ، ويقصد كل منها أمه · وربما كان هذا مثالا ومؤشراً للناس الى أن كل عمل اثم يؤول الى العبث · يقول الكتاب المقدس بهذا الخصوص « حجلة تحضن ما لم تبيض محصل الغنى بغير حق »(١٦)· ويقال عن الأنثى أن حيلتها لا تقل عن حيلة البشر · فعندما تكون فراخها ما تزال عاجزة عن الطيران ، وتود أن تأخذها الى مكان ما لاطعامها ،فاذا صادفت انساناً ما في طريقها وهي تسير معها ، فانهاتصيح بهدوء وتسير بشكل يوحي اليها أن تهرب وتختفي · أما هي فتتغافل بخداع وتسير وكأنها مريضة وعرجاء ، باسطة أجنحتها على الأرض وتبدو وكأنها ستسقط هنا أو هناك من جراء ضعفها ، بقصد أن يركز عليها ذاك الذي صادفها ويغض النظر عن فراخها حتى تتفرق هنا وهناك وتختفي في مواضع لا تُرى ولا تُكتشف ·

☐ اللقلـق :

أما بخصوص ما دونه علماء الطبيعة عن اللقالق ، فانه جدير بالثناء والاعجاب سواء من جهة فهمها أم عقلها أم عدالتها ، فانها تبكّت وتدين

١٥ـ ارميا ٨ : ٧ ·

١٦ـ ارميا ١٧ : ١١ ·

الذين يحتقرون آباءهم وأمهاتهم • فيقول هؤلاء الذين كتبوا : بعد أن يطعمها آباؤها ويربوها بكل رعاية حتى يكتمل نموها وتصبح متساوية لآبائها في الجسم وترافقها الى البرية بعد التدرب على الطيران بضع مرات وليومين أو ثلاثة أحياناً • وتجلسها كما اعتادت هي أن تجلس ، تخرج (الأبناء) الى البرية وتأتي بالطعام مكافأة للتي ولدتها وربتها ، فتطعمها بكل وقار واحترام ، كما سبق واقتبلت منها طعامها • ويقال أيضاً :انها (الأبناء) تسند (الآباء) في شيخوختها بأجنحتها لدى طيرانها معها في الجو ، وتدفئها بجناحيها وهي راقدة في أعشاشها • لذلك فقد لقبها علماء الطبيعة بالطيور العادلة ، ووصفوا كل مكافأة صالحة يقدمهـا الأبناء العقلاء للآباء ب « اللقلقية » • ويروى عن غيرتهـا الحميدة وحكمهـا العادل الذي لا يحابي ، والذي يثير اعجاب وثناء الجميع ، انها اذا صادف وان بنى زوج من البواشق وآخر من اللقلق أعشاشها بالقرب من بعضها، ويضع كل منهـا بيضه في عشــه ، وصادف أيضاً أن خرجت جميعها الى البرية وابتعدت ، وجاء شخص ما وأخذ بيضة من بيض الباشق ووضعها بـين بيض اللقلق ، فحينما تخرج الفراخ ويأخـذ ريشها بالنمو ، وتميز سواد الفرخ الغريب عـن بياض أفراخ اللقلق ، ترى ماذا يحدث ؟ وماذا يفعل الذكر الجدير بالثناء والاعجاب ؟ انه يجمع لقالق كثيرة ويريهـا ما حدث في عشه من اختلاف الطبيعة ، الأمر الذي يشير الى خيانة زوجته، فيصدر كل من أولئك حكماً عادلا وعجيباً يشبه ما يصدر البشر مـــن الأحكام ، فانها تغار بشدة وتهجم على تلك الأنثى وكأنها قد زنت متعدية حدود الطبيعة ، فتقطع لحمها وتمزقه وتفتك أيضاً بذلك الوليد الغريب الذي وجد في عشها ، فبهذا المقدار تظهر استقامة وعدالة اللقلق ، اكثر من الحكام البشر المرائين •

□ هجـرة الطيـور :

وماذا يقول المرء عن تنظيم الطيور وحذرها ، وهو يراها تضاهي البشر المفكرين • فهي تبني أعشاشاً وتربي أولاداً في أماكن كثيرة وبعيدة الواحد عن الآخر في المدن والقرى وفي الأشجار والجبال والأنهار •وعندما يحين وقت هجرتها الى مناطق حارة في الجنوب لتشتي هناك ، لا يذهب كل بمفرده أو بمجاميع صغيرة ، بل ان جميع التي توجد في قطر واحـد الذي فيــه تضع بيضها وتربي أولادها وتمضي صيفها ، تهـاجر سوية • حيث تقضي يوماً في مكان ما وأحياناً أسبوعاً كاملاً اذا اقتضى الأمر لتتجمع

على شاطىء نهر ما أو مرج أو أي مكان ملائم لتجمعها ، حتى يجتمع الكل فتهاجر الضعيفة مع القوية ، والفتية مع البالغة ، حيث لا يفقد أو يتأذى أي منها • فهي تنتظر بعضها البعض ليلا حيث تبيت ، وتتواعد وتحط بكل حذر على الأشجار ، وعندما ترحل فسوية مثل أرتال الجيش ، وسوية تحط أيضاً وعندما تبغي الرحيل فانها تصوت بقرع مناقيرها شبه بوق الجيش • وهكذا ترحل سوية بكل هدوء وحذر ، وتغير أمكنة نزولها وتحط فيها في الوقت المقرر • وفي فجر كل يوم تقتات بما تجده في هذه الأمكنة ، ثم تواصل رحيلها بحذر ونظام حتى تصل الى المكان الذيتشتي فيه • فالتي تمضي صيفها وتتوالد في سورية وما بين النهرين ، تشتي في منطقة البحر الميت المتفرع من نهر الاردن • نظراً الى حرارة المنطقة وسهولة تأمين الطعام من الضفادع المتواجدة هناك بوفرة ، ومما يروى عنها ، ان القبرات تجتمع سوية لدى رحيلها وتشيعها بالحب ومحبة الغرباء •

□ القبَّرة :

واذا كنا قد تحدثنا بما فيه الكفاية وبحسب المستطاع والوقت ، عن نظام وحذر وفهم وذكاء هذا الصنف من اللقلق ، يجدر بنا ألا نهمل الحديث عن صنف القبرة ، فنذكر ما تمتلك من المزايا الحسنة كحبها لأولادها واهتمامها بهم • يروى عنها ، ان لها اهتماماً بتربية أولادها وحراستها أكثر من سائر الطيور ، ليس فقط في صغرها عندما تكون في الأعشاش بعد ، بل وحتى لدى مغادرتها اياها وطيرانها ، فانها ترافقها لكي تطعمها وتقيها شر الأعادي ، وتظل تساعدها فترة طويلة حتى تتأكد من أنها لم تعد بحاجة الى مساعدة والديها ومربياتها •

□ الكركي :

أما بالنسبة الى الاهتمام والمساعدة المتبادلة ، فنقدم الكركي مثالاً لذلك ، لا سيما خلال فترة نومها أو هجرتها الى الغرب أو عودتها • وهنا لا يسع الانسان الا أن يمجد الخالق المبدع الذي أودع فيها مثل هذا الذكاء والفهم لكي تساعد من ذاتها بعضها البعض دون أن يحثها أحد على ذلك • فعندما تنام في الليل تختار الأمكنة الآمنة تكون في حرز من الأعداء ، وفي الغالب تبيت في الجزر اذا اقتربت من الأنهار لكي تشعر

بدنو العدو وهو يهيج الماء ٠ واذا باتت في السهل وفي الأماكن المكشوفة ، فانها تبيت مجتمعة لكي تتسنى لها رؤية العدو عن بعد ٠ فينام بعضها دون خوف لأن البعض الآخر تجول حولها وتحرسها وتؤمن لرفاقها نوماً مطمئناً ٠ وعندما تنتهي فترة نوبة الحراس وتريد أن تنام تصرخ بصوت عنيف وتوقظ غيرها وتعطيها مكانها ونوبتها ، أما هي فتنام مع البقية ٠ وعندما تريد أن تترك المكان وتطير لفترة طويلة ، سواء لدى هجرتها أم عودتها وحيث انها بصعوبة وجهد تشق الهواء أثناء طيرانها ، لذلك لا تطير كل على حده بصورة مشوشة وعدم انتظام ٠ بل زرافات زرافات مجتمعة مع بعضها وبصورة منظمة وغير مشوشة ، اذ يطير الواحد تلو الآخر بصف مستقيم كالحبل الممدود ، ويترأس الصف أحد الأقوياء ويشق الهواء الكثيف فيتبعه الباقون بسهولة دون عناء كثير ، وأحياناً يقود ويساعد صفين مختلطين ، واذا ما تعب بسبب شقه للهواء ، يترك المكان ويسلمه الى الذي يليه ويصطف آخر الكل لكي يرتاح من عنائه ٠ وهكذا يظهر جلياً ، ان لصنف الكراكي ذكاء وفهماً أعطيا له غريزياً من قبل الخالق المبدع ٠

☐ الوز :

ومن الطيور ما أخذت أحساساً كبيراً من عند الله الخالق لدى خلقتها٠ أو أن الطبيعة زودتها بهذا اما بسبب خوفها من العدو أو زيادة في الحذر٠

☐ الوز والعقاب :

يروى عن الوز ، أن له شعوراً في الليل أكثر من جميع الطيور الموجودة عندنا ، فهو سريع اليقظة لدى نومه ويشعر بأي شيء يتحرك ، وينطبق هذا أيضاً على صنف البوم الكريه عندنا ، وهناك أصناف أعطتها الطبيعة سابق احساس كصنف العقاب الشره ٠ فاذا لم تكن الطبيعة قد زودتها بمثل هذا الاحساس ، فما الذي ينبئها اذن وهي في مرابعها في الكهوف ، بمكان الجثث الملقاة على بعد ، في نفس اللحظة التي تلقى فيها تلك الجثث ؟ اذ انها تصل الى هناك فوراً ٠ ثم من يعلمها مسبقاً بأن الجيوش تتهيأ للقتال فتسرع نحوها قبل بضعة أيام مرات عديدة ، حيث تطير في الجو فوق الجيوش ، وهي بذلك تنبىء ذوي الألباب بما سيحدث ٠

□ السنونو :

كذلك السنونو ، من أين لها كل هذا الفهم والبراعة ، ليس فقط في ما يخص بناء الاعشاش ، بل بايجاد العلاج أيضا كما يروى • فعندما تبني عشا لتربية اولادها تمسك بفمها بقطعه من حشيش الحنطة اليابس، وتحمل معه طيناً لكي ياتي البنيان مرصوصا لا يهدم بسهولة ، تربى فيه أولادها بعناية وحذر ، وتغذيها بالجراد وحشرات الحقول والذباب الطائر في الجو • واذا ما عميت عيون أولادها بسبب ما ، تجلب ، كما يقال أدوية من الحقل وتشفيها •

□ اليمام والحمام :

ولنتحدث الآن عن الطيور التي أعطاها الله فهما وذكاء ، ترى ماذا بوسع الانسان أن يقول عن اللطف والوداعة والهدوء وعدم الحقد التي منح الله اليمام والحمام ؟ أليس لأنها ستقدم ذبيحة لله منحت هذه المزايا ؟ ولكي يتمثل بها الرب أمام تلاميذه بقوله : « كونوا ودعاء كالحمام »(١٧)• ثم ماذا يقول المرء وهو يتأمل رحمة وشفقة الطير الذي يسميه اليونان (فيني) Fini فانه ، شفقة منه بأولاد النسر ، يتبناها ويبيتها عنده ، عندما يطردها أبوها القاسي خارج العش، فيربيها مع أولاده جنباً الى جنب، ترى ماذا نقول عن رحمة هذا ، وماذا عن قساوة ذاك ؟ فمن الواضح لدى كل واحد ، أن الرحمة هي صورة الله وهبة منه ، أما القساوة وبغض الأبناء فهي صورة لشر القتلة الذي زرعه في البشر ، الثلاب الذي كان منذ البدء قتالاً للناس • كما علمنا في الانجيل مخلصنا يسوع ذاك الاله الرحيم واللطيف بالعباد(١٨) •

□ المالك الحزين :

ويجب ألاّ يفوتنا أيضاً الحديث عن الملك الحزين فترى هل فيه ما هو جدير بالذكر ؟ يقول الذين جربوه ، انه سهل الاصطياد لكونه هادئاً ومسالماً أكثر من معظم طيور البر ، وهو يألف الناس ويحبهم كثيراً ويستأنس لعاداتهم والبقاء الى قربهم • ويقال أيضاً ، اذا ما نام أحدهم بالقرب منه ، يتقدم نحوه بهدوء وسلام ومرونة ويلتقط الذباب الذي

١٧ـ متى ١٠ : ١٦ •

١٨ـ انظر : يوحنا ٨ : ٤٤ •

يحط على النائم ، لأنه يقتات على الذباب ، كما يبدي ارتياحاً أكثر من كل شيء ، عندما يكون قريباً ويسمع الذين يرتلون مسبحين الله • حيث يدخل ويقف بين جوقتي المرتلين ويتجه نحو الغرب ، وأحياناً ينام بينهم واضعاً رأسه تحت جناحيه وهو واقف على رجل واحدة فقط • أما الذي اعتقده أنا ، فهو أنه بالحقيقة لا ينام ، انما يجمع ذاته بهدوء لكي يلتذ بأنغام المرتلين • ويقال كذلك ، انه يقف هكذا صابراً دون أن يتحرك حتى الانتهاء من الترتيل • ولمّا يهم أولئك بالانصراف ، يصرخ هو الآخر بابتهاج وكأنه يرتل ، ويطير على الارض ويقفز ويرف بجناحيه، ثم يخرج خارج البيت مع أولئك • ويروون عنه أيضاً ما يلي : كلما سمع صوت الخشبة التي يدق بها الناقوس الذي يدعو المرتلين الى الاجتماع، يفرح ويبتهج ويقفز الى الأعلى والاسفل ويرفع صوته عالياً بحيث يفوق اعلانه على الناقوس ، واعتقد أن هذا هو نوع من التوبيخ للكسالى والمهملين الذين لا يبهجهم صوت تلك الخشبة • ويسترسل الذين وقفوا على عاداته في الحديث عنه قائلين : انه لا ينام في أي مكان غريب لم يعتده ، غير المكان الذي اعتاد أن ينام فيه •

ففي حديثنا هذا الذي يهدف الى الفضيلة ، اخترنا لمحبي العمل والمعرفة ، الأمور الحميدة والحافزة على الغيرة ، من تصرفات ومزايا حميدة منحها الخالق والطبيعة لبعض أصناف الطيور ، لتكون للتوبيخ واثارة الغيرة ، للحرية والسلطة الذاتية قولاً وفكراً لمن ليس فيه شيء صالح وحميد ، مثل العفة أو المعرفة أو السلام أو الهدوء أو النظام ، أو أية فضيلة أخرى •

ونحن ولئن تحدثنا بهذا المقدار عن الطيور غير الناطقة أو العاقلة، وعما اتصفت به من خصائص حميدة جديرة بالذكر ، الا اننا نضيف هنا وبأسلوب قصصي واضح شيئاً عن تكوين أجسامها والهيئة المناسبة التي أعطتها الطبيعة الفاعلة والتي تنسجم وحياتها وتصرفاتها ، والطيران في الهواء الذي جعل مركوباً لذوات الطبيعة الطائرة ، كما هو الماء بالنسبة لذوات الطبيعة السابحة • فقد أعدت حكمة الله الخالقة المبدعة لجنس الطيور كل ما يناسبها ويفيدها وتحتاج اليه في حياتها في الجو • فانه لم يجعل لها جسماً طويلاً ورفيعاً مثل الحيوانات ذوات الأربع أرجل ، ولا طويلاً وعريضاً أو دقيقاً من فوق الى أسفل مثل أجسام السمك ، بل كوّن لها جسماً مستديراً وملتئماً ورقبة طويلة أكثر من امتداد جسمها ،ورجلين مستقيمتين تجاه الرقبة ، وجناحين أطول من الرقبة والرجلين ، لكي تمد

عنقها الى الأمام ورجليها الى الوراء أثناء الطيران ، وأجنحتها الى اليمين واليسار ، وتقف في الجو شبه صليب ، وبسهولة ترفعها طبيعة الهواء الخفيفة والثيفة ، حيث يضغط عليها من راس جناحيها فتشق الهواء وتسبح فيه كما يسبح السمك في الماء · فقد جعل طبيعة رأس جناحيها يحمل قليلا من الريش مثل أوراق الشجر لكي يتم بها الضغط على الهواء من الأسفل فترتفع به نحو الأعلى · دافعة الجسم ورافعة اياها بسهولة· ونظم الأرجل في وسط الجسم لكي تسير عليها عندما تحملها وهي على الأرض مثل الحيوانات ، ورقبتها مرفوعة نحو الأعلى ومؤخرتها نحو الأسفل ، وعلى خط يوازي ارتفاع العنق · وكذلك جعل الأجنحة في وسط الجسم وفوقه لكي تحملها في الهواء وتدفعها بثقله نحو الأعلى بسرعتها · أما تلك التي خلق لها أجنحة قصيرة فقد جعلها مقابل الأرجل تماماً ، وللتي أعطى أرجلا طويلة جعل لها رقبة قصيرة وصغيرة ، وعنقاً طويلا يتناسب واياها ، بحيث يصل الأرض عندما يقف ويريد أن يلتقط شيئاً من الأرض · أما الزرازير المهاجرة التي تعيش على أسوار المدن أو شقوق الكهوف أو رؤوس الصخور الناتئة ، فقد أعطتها الطبيعةأرجلا قصيرة الى درجة انها لا تستطيع أن تحط على الأرض ، ولا تقوى على النهوض والطيران من ذاتها ، لذا فعندما تنظر في المساء أو الصباح ، من تلك الشقوق التي تعيش فيها ، تنطلق للحال نحو الجو ، وبعد أن تلتقط طعامها من البق وهي طائرة فرحة ، تعود الى شقوقها ثانية لأنها لاتستطيع أن تحط على الأرض · وقد أعطت الطبيعة خاصية متميزة للسنونو ، وهي عدم مقدرتها على السير على الأرض ولئن تمتلك أرجلاً تقف على الأرض ، فهي لا تقوى على الحركة من المكان الذي تقف فيه · ووهبت الطبيعة Cygnus (ܩܘܩܢܘܣ) الوز العراقي والغواص رقبة طويلة جداً أطول من أرجلها الطويلة ، لكي تغطسها الى العمق وتنتشل طعامها من الماء · كما أعطت الطبيعة لتلك التي تعيش بصورة دائمية في المياه أو بالقرب منها ، أرجلا تتناسب والسباحة في الماء ، وأصابع غير منقسمة أو منفصلة عن بعضها لتكون لها بمثابة أشرعة وسكان السفينة ، وأقداماً ترسب في الماء · مثل هذه الخصائص منح الله الخالق لبعض الطيور،لكن الطبيعة لم تمنحها أسناناً في أفواهها كالحيوانات ، بل منحتها منقاراً طويلا وحاداً في أفواهها كالملاقط ، ومخالب طويلة وحادة في أرجلهاالتحفر بها الأرض متى شاءت أن تبحث عن الطعام ، هذا عن هيئتها وتكوين أجسامها ·

☐ أصوات الطيور :

أما بالنسبة الى شدوها واختلاف أنغام أصواتها ، فانها تملأ الغابات بأصواتها وتنعش عابري الطريق بأنغام أناشيدها ، وجميعها تنشد في الوقت المناسب ، كل بحسب ما منحته الطبيعة والكل يسبّح الخالق ويحفز السامعين ليمجدوا الخالق الذي كونها على هذه الصورة • فالديكة ترفع صوتها في الفجر بكل نشاط منتظرة النور وموقظة الناس ليمجدوا الله • وكذلك يغني السنونو في الصباح ، ويزعج السكان بخشونة صوته ،وتنشد Psaroi (ܦܣܪܘܐ) التي تسمى Ranci (ܣܛܘܪܢܐ) (حسون) بما منحتها الطبيعة من تنوع في أصواتها ، وليس كما نسبه اليها الشعراء زوراً ، فانها لا تهدأ وترفض الامتناع عن الصياح في وقتها المحدد • والبوم ، ذلك الطير الضعيف والحقير والبغيض والمدمدم ، تنشد ممجدة خالقها صباحاً خلال الربيع • وتنشد Ortyges ܐܘܪܛܘܓܣ في الغابات بنفس الجرأة التي فيها تصرخ الواحدة في وجه الأخرى • وكالتي تسأل وتجيب ، أمثال Croceae (ܟܪܘܟܝܐ) الشبيهة بالذهب عندما تقف على الأشجار بعيدة عن بعضها البعض ، ويستشف من الألفاظ التي ترسلها وكأن أحدها يسأل قائلا : ما هذا ؟ انه كذا • وهذا ؟ انه كذا • والبلبل(١٩) ذلك العصفور الناطق ، يهيج الغابات في الظهر بألفاظ مختلفة ومتنوعة • ومنها وضيعة تزقزق بهدوء • وغيرها رفيعة • ومنها ما اذا غنى أزعج وخاصم وأسرع في لفظه وأطاله وكأنه خائف أو كأنه يوشوش ، ويغير ألفاظه ويقف دون حركة من مكانه ، حتى ليتوهم السامعون بأنهم يسمعون مجموعة كبيرة من مختلف الأجناس ، يصدر كل منها ألفاظه الخاصة ، في حين انه واحد • النسور تصرخ برهبة ، واللقالق بخوف ، وتسجع اليمام بوداعة ، والعصافير تغني وتزقزق وتشوش بأصواتها وهي في أماكنها • والعصفور الحبشي المدعو Psihacus (ܦܣܝܛܩܘܣ) الذي سبق ذكره • فان غناءه يفوق الوصف ، وكثيرون يميزون نغمته • ويقال ان أحدها تعلم من بعض المغنين في مدينة انطاكية العظمى ، أن يلفظ باللغة اليونانية « قدوس أنت الله ، قدوس

١٩- ܦܘܕܚܐ

أنت القوي ، قدوس أنت غير المائت • يا من صلبت عوضنا ارحمنا » •
وكان ينشد أمام جمهور الشعب هذه التسبيحة المثلثة التقاديس والتي
يرددها المسيحيون في الكنائس دائماً • وقد ضمنها تلك اللفظة التي تشير
الى صلب الله من اجلنا • فجميع الطيور تنشد ، حتى العصافير آكلة الدود
فهي تكثر الانشاد مبتهجة في الربيع • ذلك ان الله لم يدع أيا من الطيور
صامتاً دون صوت • ودون أن يمجد الله في الوقت المناسب ، وبمقتضى
ما منحته الطبيعة • لكنه لم يخلق أية من التي في الماء بامكانها أن تنطق
أو تسمع كلمة ما • والى هنا نكتفي بما أمكننا سرده عن شدو طيور
بلداننا وتنوع أصواتها •

□ الطيور ذات الأجنحة الغشائية :

ويوجد كذلك في الأقطار الأخرى ، طيور كثيرة ومتنوعة لا تحصى ،
ولا يُعرف عنها شيء ، ولا عن عدد أصنافها أو أسمائها أو أصواتها ،
لا سيما تلك التي تجوب الماء في بلدان مصر والهند والكلدانيين ، ولا عن
أصناف الطيور ذوات الأجنحة المنفصلة • فلا يجب اذن أن يغض النظر
عن الحديث عنها عن أصناف هذه الطيور وأصواتها ، ولا عن تلك المعروفة
بذوات الأجنحة الغشائية • فتلك أيضاً طيور خلقت وتخلق من طبيعة
المياه ، ولئن ليس من مجمعات المياه • أي البحار والأنهار والينابيع ، مثل
الطيور الكبيرة ذات الأجنحة المنفصلة • بل لا بد وانها كونت هي الأخرى
من رطوبة المياه ، و لايمكن أن تتولد أو تثبت بشكل أو بآخر دون رطوبة
المياه • ورب قائل يقول ــ وهو على حق في ما يقوله ــ ان الأعشاب
وجذور الأشجار التي أمر الله أن تخرج من الأرض ، لا تنمو دون وجود
رطوبة المياه ، في حين لم يكتب أو يذكر في مكان ما أو في كتاب أو تقاليد ،
انها خرجت وتخرج من المياه • اذن يجب أن ينسب أصل تولد الأعشاب
الى التراب ولئن لا تتولد الا بفضل رطوبة المياه • لأن العديد منها ، كما
يبدو ، لها تركيب ويبوسة طبيعة التراب • أما بالنسبة الى الطيور سواء
منفصلة الأجنحة أو غشائيتها فتغلب عليها طبيعة الرطوبة أكثر من
اليبوسة ، وان أصل وجودها هو من الماء أكثر مما هو من التراب • لذا
يقول الكتاب أيضاً ، انها تلد من الماء وليس من التراب • وان واقع
الطيور الغشائية الأجنحة هو انها تتولد من رطوبة التراب ، ولكن من
أين رطوبة التراب هذه ؟ أليس من طبيعة الماء ؟ فاذن يصح القول أنها
تتولد من طبيعة الماء • وكذلك الطيور الصغيرة الغشائية الأجنحة كالنحلة والزنبور

على اختلاف أنواعها ، والذباب وذباب الكلب وأجناس الجندب ، والخفاش الصغير والكبير وما يشبهها من التي سنتناولها بالحديث · فهذه ، مثل الطيور الكبيرة ، تطير في الجو مبتهجة ومنشدة ومسبحة ، حاثة السامعين العقلاء الأذكياء ليسبحوا الخالق من أجلها وهم ينظرونها باندهاش · فحتى هذه الكائنات الحقيرة لم تحرم موهبة الخالق وعنايته · فقد خلق كلاً منها بشكل متميز · معطيا اياها نهجا خاصا للحياة ، حتى اذا نهجته حافظت على نوعها باستمرار · شأن سائر حيوانات الأرض وطيورها · فهي جميعها تعنى باستمرارية أنواعها · وكما يقال ، فانها تتوالد وتربي بنيها بطرق شتى · فبعضها تلقي رزعها في الأجسام فتتكون ديدان شبيهة بالبيض ومنها تتكون الفراخ · ومنها ما تلقيه في النفايات ، وغيرها في الطين أي في التراب الرطب · ومنها في أجسام الحيوانات كالدرن (نوع من الحشرات) الذي يتكون في ظهر البقر والماعز ، ويقول بعضهم ، ان من هذه تتولد ذباب الكلب التي تلقي زرعها في الأغصان الرطبة وفي جذوع الأشجار الطرية ، حيث يتم التلقيح داخل خشب الجذع وتلد وتربي بنيها ، مثل الزنابير التي تخرج من شجرة البلوط · فهذه تتوالد في ثمار الأشجار الناضجة لتحافظ على نوعها · وغيرها تتوالد بطرق أخرى مختلفة يصعب الحديث عنها أو يستحيل ، نظراً الى عدم وضوح ما كتب عنها · ونقول عنها بايجاز ، انها تنقسم الى نوعين ، ذوات الأجنحة الظاهرة ، وذوات الأجنحة الخفية ، وأمثال ذوات الأجنحة الظاهرة ، الزنبور والنحل وذباب الكلب وكافة أجناس الحشرات الحقيرة آكلة العشب · أما ما يسمى بذوات الأجنحة الخفية ، فهي التي لها ما يغطي أجنحتها عندما تحط على الأرض وعندما تهم بالطيران ترتفع الأغطية عن أجنحتها فتطير · وأمثالها ܡܠܠܐܘ̈ܗ أي الخنفساء وما يشبهها · وهي أيضاً أصناف مختلفة لا يشبه بعضها البعض ، لكننا ندع البحث الدقيق والعميق في هذا للمهتمين بهذه الشؤون ·

□ **النحل :**

وحيث ان لبعضها نوعاً من الميل الى العمل والعلم ، استوجب الحديث عنه ، اذ يستفيد منها الباحث المجتهد الذي يحب العمل · لذا توجب علينا أن نظهر اهتماماً وحب العمل ، فنتحدث منطقياً عن نشاطها الحميد ، لا سيما عن ماهية بعضها ، وفي مقدمتها تلك المعروفة بشكل أوسع وأعني بها النحلة · المحبوبة ومحبة العمل ، الوديعة والنشيطة والحميدة بين الطيور ، التي

وضعها سليمان الحكيم ، وبكل جدارة ، العاملة الحكيمة ومحبة العمل ·
والحق يقال ، انها محبوبة وحميدة ، بسبب صغرها ومسالمتها ونظامها ·
فان لم يكن بسبب نظامها فبسبب وداعتها ، وان لم يكن بسبب وداعتها،
فبسبب نظافتها . وان لم يكن بسبب نظافتها . فبسبب نشاطها . وان لم
يكن بسبب نشاطها فبسبب اجتهادها · وان لم يكن بسبب هذا ، فبسبب
سرعتها ومثابرتها وان لم يكن بسبب هذه فبسبب حكمتها وفهمها · والى
جانب هذا فبسبب مهارتها ، وان لم يكن بسبب مهارتها فبسبب عملها ،
وما تنتجه من مادة لذيذة وحلوة وضرورية ومفيدة · وان لم يكن بسبب
احدى هذه ، فمن أجل جميعها ، توجب أن تُجلّ من قبل الناس · انالملوك
والرؤساء يحبونها وهي ضرورية للأطباء · ترى أي من الناس لايعرفها
صغيراً كان أم كبيراً ولا يبدي اعجابه بها ؟ ويعترف بأن الفهم الذيمنحها
الخالق عظيم وعجيب ، فانها تخرج نشطة من البيوت المظلمة التي تعيش
فيها ، وتتيه بسرعة بين المروج والبقاع والجبال ، وتحط على الأعشاب
والورود والزهور وأغصان وجذوع الأشجار ، وتلتقط منها عصيرها
وخلاصة دسمها ، وتصنع منها كرة صغيرة على أفخاذها من كلا جانبيها ،
فتحملها وتعود متعبة وطائرة بسرعة فتدخل الى الأكوار المظلمة التيلانور
فيها وهي تلهث من شدة التعب ، فتضم ما جلبته بمهارة وتقيم منه مباني
مدهشة تفوق الوصف وتصنع منه خلايا مسدسة الزوايا وموضوعةبشكل
معاكس ، وتبني بنياناً مرصوصاً سليماً يصلح تماماً لأن يكون مخازن
للمادة الرطبة التي ستجمعها من الكرات التي على أفخاذها ، والتيتأخذها
بفمها وتبني القرص في الظلام ، وتسوّي وتجمل بنيانها بدقة مدهشة
من فوق ومن أسفل ، طولا وعرضاً وسمكاً، يعجز عنهالمهندسون والحرفيون
بما لديهم من المساطر والموازين وآلات القياس وأدوات المهنة ، ولا كل
المهندسين الحاذقين في هذا العالم (ܓܐܘܡܛܪ̈ܐ Geometrae) ·

فهي تخرج بكل نشاط وجد لجمع المواد لانشاء المباني ، وتمتص بفمها
وتلتقط المن الحلو من الأعشاب وأوراق الأشجار ، ومن على الصوان
الصقيل ، ومن كل مكان صقيل يسقط عليه ولا يهدر · فانها تملأ بطنها
مثل الزق وتدخل لتفرغها بسهولة في المخازن التي ابتنتها · فعن طريق
هذا العمل المضني والمتواصل ، جمعت النحلة المحبوبة النشيطة هذه المادة
اللذيذة العجيبة ·

وبعد الحديث عن أعمال النحلة ، علينا أن نتحدث عن تولدها ·

فانها تترك بعض العسل في خلايا الأقراص التي هيأتها وحفظتها بصورة جيدة ، لكي يكون طعاما للاولاد الذين سيوضعون فيها ، لذا فانها ترش عليها الماء بحدود وحكمة ، وتلقي فيها الزرع المولد لنوعها • ورغم ان النحلة ، في لغتنـــا الآرامية ولدى اليونانيـــين وربما لـــدى غيرهم مـــن الشعوب ايضاً : تلفظ بصيغة المؤنث دائماً ، الا أن بينهـــا ذكـــوراً واناثاً شان بقية الأجناس والأنواع ذات الاجنحة الغشائية ، وهي تتزاوج على طريقـــة الذكور والاناث • ولئن لم يشاهد أحـــد أو كتب جازما بانهـــا تتزاوج أو لا تتزاوج • ولكن مهما يكن مـــن الأمر ، فانهـــا تلقي زرع ولادة طبيعتها في خلايا الأقراص ، حيث تربي أولادها ، وتكون في بادىء الأمر ديداناً بيضاء نقية تسمى فرخ النحل ، وحينما يكتمل نموها ويكشط جلدها ، وتُنمي أرجلاً وأجنحة ، تخرج من الخلايا نحلة كاملة طائرة ، وتولد معها في الوقت نفسه ، وفي قسم من الخلايا ، نوعاً آخر أكبر حجماً ، ومختلفاً عنها ، يسميه اليونانيون (ܣܥܢܬܘ) أما نحن فنسميه حمار النحل (الذكور) اليعسوب ويتميز عن سائر النحل بأن الطبيعة لم تخلق له ابرة أبداً ، ولا لاسعاً ساماً ، في حين أن النحل تمتلك ابراً حادة ناقمة وسامة ، وان بعض الخلايا المعروفة والكبيرة التي في نهاية القرص، تولد نوعاً آخر مختلفاً ، لهـــا قامة طويلة أضعاف الأخرى ، تؤهلهـــا لأن تكون ملكات ومدبرة ومرشدة عندما تترك مساكنها الى أخرى غيرها ، في أعقاب كثرة النحل بحيث لا يعود مسكنها يسعها ، فتقود كل ملكة طائفة منها وتخرج بانتظام ، فتخرج معها وهي محاطة بهـــا مثلما يحيط الجنود المدججون بالسلاح ، بالملك ، وتصغي الى صوتهـــا بانتبـــاه وهي تطـــير وتصـــوت وتتبعها حيثما يممت أو توقفت ، وتحط معهـــا حيثمـــا حطت محيطة بها ، واذا تأخرت ظلت معها ، واذا تحولت رافقتها • فهي (الملكة) هادئة ومسالمة وجديرة حقاً بالرئاسة والملك ، الى درجة أنها ولئن تمتلك ابرة ولاسعاً ســـاماً كسائر النحل ، الا أنهـــا لا تنتقم ولا تلسع أو ترمي سماً عندما يمسك بها الانسان ، فلا تضره أبداً ولا تغضب أو تسخط ، ولا تفقد مسالمتها وهدوءها • فليتعظ اذن بهـــذه الفضيلة أولئك الذين يقاومون الرؤساء ، وليكونوا هادئين مسالمين ، ان كانـــوا لا يتعظون مـــن مسالمة وهدوء الله الذي أعطاهم السلطان • هكذا هو اذن طبـــع (الملكة) هادىء ومسالم • والنحل عامـــة هادئـــة ومسالمة أكثر مـــن سائر الطيور ذوات الأجنحة الغشائية ، ولكن في الوقت المناسب ، تقضي على الذكور التي ولدت معها •• وانها تغضب وتضرب ناقمة من يدنو منها ويمسك بها ، وتفقد حياتها بانتقامها هذا ، لأن أمعاءها تخرج مع لسعة ابرتها •

وهـذا مؤشر الى أن الهادىء المسالم يهلك نفسه لدى غضبـه اذا أرخى العنان لغضبه وارادته • على هذه الصورة تتم ولادة وتناسل وتربيـه جنس النحل الكريم •

يقول علماء الطبيعة : نظراً الى نشاط النحل واجتهادها وتصرفها الحميد وعملها الجيد ، فانها تتوالد أيضا وتنمو وتتناسل من لحم البقر اذا ما وضع في أماكن مظلمة لا يتحرك فيها الهواء حيث ينتن داخل جلده• ويقـول علماء الطبيعة أيضاً ، ان الزنبور يتولد مـن لحم الخيل بنفس الطريقـة ، ويحاول ، بشتى أنواعـه ، أن يصنع أقراصـا شبيهة بالتي تصنعها النحل من الهشيم الناعم والحشيش اليابس ، ويقسمها الى خلايا كبيرة بالنسبة الى حجم أجسامه ويضع فيها أولاداً من أجل الحفاظ على نوعه • وهذا ما تفعله أيضاً جميع ذوات الأجنحة الغشائية ، كما أسلفنا •

وتوجد بين هذه ، نوع من النحل Pseudo - apum (ܦܠܗܐ) تعرف بالبرية ، تصنع هي الأخرى أقراصاً صغيرة في الصخور أو الأشجار وتضع فيها ما تجمعه مـن عسل أخضر مرّ لا يؤكل • وهـذا مؤشر الى الذين يقول عنهم الرسول الالهي بولس : « الذين لهـم صورة التقـوى منكرين قوتها »(٢٠) • ويقول علماء الطبيعة عن هذه الأجناس أي ذوات الأجنحة الغشائية والنحـل والزنبور وما يعرف بذباب الكلب وجميـع أجناسها ، وما شابهها ، انهـا اذا سقطت في الميـاه تغرق حالاً بانسداد مجاريها الهوائية التي منحتها الطبيعة ، نظراً الى كونها ضيقـة • واذا انتشلها أحد من الماء وغطاها بالتراب ، فان التراب يمتص الرطوبة من تلك المجاري الضيقة فتنفتح وتعود الى الحياة من جديد ، وتطير كالمعتاد، واذا سقطت في الدهن وسدت المجاري ، يقال انها تختنق حالاً وقلما تنجو •

☐ دودة القـز :

لنتناول في حديثنا أيضاً، ولادة وتربية Bombyliusy ܒܘܡܒܘܠܝܘܣ الدودة الكريمـة التي مـن بلاد Serici (ܣܝܪܝܩܐ) ، لكي تعطي هي الأخرى درساً لنـا وللذين في الحياة الدنيا ، الذين لا يرغبون في الابتعـاد عنها ولئن شاخوا وشبعوا منها : لكي يهيئوا أنفسهم للرحيل من هنا بحسب الأمر الصادر اليهم • يروى عـن (ܒܘܡܒܘܠܝܘܣ) أنهـا تولد كدودة

٢٠- طيطس ١ : ١٦ •

صغيرة حقيرة وتتغذى وتنمو في الربيع نحو ستين يوماً أو أقل ، اشارة الى سنوات الانسان الستين الهنيئة ٠ وبعدها تمتنع عن الاكل ولا تعود تأكل ، ثم تبحث عـن مكان ضيق تحشر فيه نفسها ورأسها مرفوع نحـو الأعلى لتصير رفيعـة وتتخلص مـن سمنتها ، فتنزع ما فيها من السمنة الزائدة وتلقيها جانباً ، وتتقيأ وتخرج من فمها كل ما سبقت وأكلته في حياتها ٠ وبعـد أن تمضي في هذا السجن سبعة أيام ، وتنزع عنهـا ثوبهـا الدودي الثقيل ، وتكتسب اجنحـة ، تنتظم في صفوف الفراشات السريعـة ذوات الأجنحة الغشائية ، فلا تأكل أبداً وتعيش نحيلة جداً ، وفي آخر أسبوع من أيام حياتها تتزاوج مـن أجـل البقاء على نسلها ونوعها ، على أن يبعث نوعها في ربيع السنة التالية بمقتضى خلقة الله المبدع اياها ٠ فها نحن نقدم هذه الشهادة الصريحة للعقلاء من دودة غير عاقلة أو فراشة حقيرة وضعيفة، لكي نحتقر هذه الحياة وننبذها وبخاصة خلال فترة الشيخوخة والشبع من الأيام ، ونرفع أفكارنا نحو العالم العتيـد ولا نخجل مـن كلمة الله ، بل نتعظ بها عندما نقول لكل واحد « هيىء أعمالك للخروج لئلا نوجد مذنبين ومن دون حجة »(٢١) ٠ حيث لا نخشى كلمـة الله ، ولا نخجل مـن الأدلة الطبيعية التي تبدو أمام ناظرينا ، ونأبى بمحض ارادتنا أن نهيىء أنفسنا وأعمالنا للرحيل حتى ولو بدرجة الدودة غير الناطقة ، ولا ننزع عنا ثقل الجسم حتى نهـاية الخمس والسبعين سنة ، مدة حياتنا مثـل بومبوليوس ونتقيأ جشع هـذا العالم ، ونكتسب أجنحة العقل بمرونة ، وننتقل الى عالم تبعث فيـه أجسادنا حقـاً ، كمـا يشير لبعث أجساد بومبوليوس ٠

ولتكن هـذه الحشرات الطائرة وغير الناطقة ، قـدوة لنـا أيضاً في التجرد والتنسك والزهد وعدم محبة المال ٠ حيث يروى أن هناك أنواعاً منها تتوالد من رطوبة الربيع وتنمو وتعيش دون أن تأكل ، حيث تحيـا وتعيش طوال الصيف بالندى المتساقط على الأشجار ٠ فهي تتجول بصورة مستمرة وتحط على أغصان الأشجار وتلصق نفسها بها ولا تعود تتحرك ، وتبقى في مكانها عـدة أيام دون أية حركة اذا لم يصادفها ما يحركهـا ، وهي هادئة ومسالمة وغير مخيفة ، فهي تثبت ولا تتحرك اذا رآها أحد الا اذا مستها يـد الانسان ، فاذا حاول أحد الامساك بها فانها تطير للفـور وتنتقل الى شجرة أخرى وتستقر هنـاك بهـدوء دون صوت طيلة فتـرة الربيع ، وعندما تبدأ أثمار الأشجار بالنضوج ، تختار أمكنة خفيـة على

---

٢١ – أمثال ٢٤ : ٢٧ ٠

الأغصان ، وتشرع بالغناء العذب طيلة فترة الظهر ، حيث تجذب الهواء برقه نحو صدرها ، ويخرج منه صوت قاس لا تتحمله الآذان • فهي تبدأ بالانشاد منذ الساعة الرابعة وحتى التاسعة • وكلما اشتد حر الشمس يعلو صوتها وضجيجها أكثر • ولها أجنحة بيضاء نقية وغشائية أكبر واطول من جسمها ، وبين هذه نوع اخر يختلف عنها أكبر حجماً منها نوعا ما ، وهي تختلي في غابات الاشجار وليس في السهول كالنوع الأول ، وهي ذات صوت أطيب وأقوى منها، وعندما تغني يرتجف جسمها وأجنحتها، ويظل هذا النوع بدون طعام طيلة فترة الصيف ، وتسكت على هذه الحالة المرهقة حتى تنتهي حياتها في نهاية فصل الخريف • ويسميها اليونان Tettiges = Cicadae (ܨܠܨܠܐ) ، وبلغتنا الآرامية الذباب الصيّاح • هكذا اعتاد بعضهم تسيمتها • فمن هذا لنا ، نحن وكل ذي بصيرة وفكر نيِّر ، مثال للتجرد والزهد • وبهذا نكون قد اخترنا وتحدثنا عن أصناف الحشرات الطائرة ذوات الأجنحة الغشائية الضعيفة والحقيرة بطبعها ، وليس عن كل منها على حدى • لكي يتأملها الانسان بامعان ويدرك ما في هذا النوع من مزايا •

□ الخاتمة :

وهكذا يكون أمر الله قد شمل هذه الأجناس الثلاثة التي تحدثنا عنها ، عندما صدر الى المياه لتخرج زحافات ذات نفس حية وطيوراً تطير فوق الأرض على وجه جلد السماء • وقد نفذ هذا الأمر ، الكلمة خالق الكل ، فخلق هذه الأصناف منسجمة مع المناطق التي تعيش فيها • فخلق السمك بشكل يتلاءم وحياة المياه • أما الطيور سواء المنفصلة الأجنحة أو غشائية الأجنحة فبما يتلاءم والحياة في الهواء • وقد فرز كل منها ليوضع في المكان المخصص له لدى خلقته • فالأسماك وضعت في الماء ، والطيور في الهواء ، وجميعها تبتهج وتتنعم ، كل في مكانه الملائم لطبيعته • فالأسماك وجميع الأجناس التي تعيش في الماء ، تسبح في المياه مثل الحيوانات على الأرض ، والطيور الكبيرة منها والصغيرة تطير في الجو يميناً ويساراً والى الأمام والى الوراء وهي فرحة مبتهجة وحاثة الناظرين اليها ليمجدوا الخالق المبدع الحكيم •

هذه هي الأعمال التي اذ رآها الخالق المبدع ، كما هو مكتوب ، ابتهج لكمالها ، واذ رآها حسنة ، كما يقول الروح ، باركها وقال لها :

« أثمري واكثري واملأي مياه البحار » ، أما الطيور فتتكاثر على الأرض. وهكذا أثمرت الميـاه في كل مكـان وتكاثرت هـذه الأجناس بحسب الأمر الصادر اليها ، لتوجد في كـل المسكونة بكثرة تفوق الوصف والاحصاء ، وتشاهد بوفرة وبشكل لا يجارى ولا يحصى . وبهذه الأعمال يتمجد أيضاً الله خالقها ، ذاك الذي أوجد كل هذه الأشياء في هذا العالم ـ البيت الكبير والعجيب ، من أجل كرامة وراحة الانسان الذي كان عتيداً أن يخلقه على صورته ، ولمجد قـوته وحكمته ، الذي له المجـد والكرامة الآن وكل أوان والى أبـد الآبـدين .



المقال السادس

في البهائم والوحوش وكل زحافات الأرض

مقدمة :

ان الذين يبنون قصور الملوك ، ويعدونها بعناية تامة من أجل راحة وكرامة الملك العتيد أن يسكنها ، فانهم ، الى جانب ما يعدون من الحاجات والمستلزمات ، يهيئون أيضاً بهائم لخدمة الملك وراحته ، وحيوانات لتذبح طعاماً له ولأهل بيته ، واكتمالا لأطايب مائدته ، وأحياناً يأتون ببعض الوحوش البرية للمتعة والخدمة والمساعدة في الصيد ، كذلك أيضاً ، الله خالق هذا الكون البارع والقادر على كل شيء ، ذلك المهندس الحكيم والمعني بخليقته ومدبرها ، وبخاصة ذلك الجنس الذي كان عتيداً أن يخلقه بعد كل ما خلق ، ويسلطه على جميع خلائقه المنظورةوالجسمانية، بعد أن يكون قد زين الأرض بنباتات الأعشاب والزروع والعروق والشجيرات والأشجار ، وبجمال كل من طبيعة المياه والهواء ، بما تحويه المياه من السمك والزحافات ، وطيور تطير فوق الأرض في جلد السماء • ثم أراد أن يزين الأرض بزينة أخرى هامة بديعة ونفيسة أكثر من الأولى ، على اعتبار أن الحي المتحرك هو أفضل مما ليس فيه حياة أو حركة • فقد كانت مزينة بالنباتات والأشجار وبما هو محسوس وغير متحرك ، وهو الآن يزينها بالحيوانات ذات نفس حية وذات احساس وحركة ، تمشي وتسعى على الأرض • فقبل أن يخلق الانسان ، أراد أن يخلق ما هو لخدمته ومنفعته من بهائم وحيوانات ووحوش ، الموجودة حالياً على الأرض حيثما يسكن البشر • لذا قال الكتاب(١) « لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها ، بهائم ودبابات ووحوش الأرض كأجناسها • وكان كذلك » •وهذا أيضاً يدعونا الى الاعجاب بعظمة قوة الله الخالق ، الذي بكلمة وباشارة قوته فقط ، يخلق كل هذه بسهولةودون عناء ، ويأتي بها من العدم الى الوجود •

---

١ ـ تكوين ١ : ٢٤ •

يقول الروح : « ان الله أمر الأرض لتخرج ·· » ثم يشهد قائلا : « فكانت كذلك للحال » · فالعبارة اللاحقة في هذا الكلام تشير الى أن كل شيء قد تم بموجب ما أمر الله أن يكون ، ولا يقوى على مثل هذا العمل سوى قوة الخالق · لذا فان الروح رتل قائلا (٢) « قال فكانت · وأمر فخلقت » فقوله اذن « لتخرج الأرض » كان يعني ، لتكن هذه من الأرض أو في الأرض فكانت كما قال · فان الذي أمر الأرض فتكونت من ذاتها ، بامكانه أن يأمر وتخرج منها أشياء أخرى في لحظة ودون تأخير ، فهي لا تستطيع أن تعصي أمره · لذا كتب أولا : « انه قال لتخرج الأرض » ، ثم أردف « وكان كذلك » فبمثل هذه السهولة يخلق الله « لتخرج الأرض نفساً حية كجنسها ، البهائم والدبابات ووحوش الأرض كجنسها ··وكان كذلك » · فانه أمر الأرض التي لا نفس لها أن تخرج ذوات أنفس حية· والتي لا حياة لها ولا تتحرك ، أن تخرج أحياء متحركة · لذا فان قوته جديرة بالاعجاب · فلو كانت الأرض حية وذات نفس لما كانت جديرة بالاعجاب بهذا المقدار ، اذ يأمرها الله لتخرج أنفساً حية ، ذلك لأن كل الأنفس الحية تلد ، فلو كانت الأرض حية لما استحقت الاعجاب لو ولدت أحياء ، ولكن الشيء العجيب الذي يشير الى قوة الله العظيمة هو أن يأمر أرضاً لا حياة فيها ولا نفس فتخرج نفوساً حية · وهذا [يشير] الى ان ما كان في العدم من بهائم ووحوش ودبابات تدب على الأرض · جاء بها الى الوجود ، حيث أخرجتها الأرض بأمر منه · ومن المعروف ان هذه هي وليدة العناصر الأربعة وليس عنصر التراب فقط ·

☐ تحليل لبعض آيات الخلق :

ترى ما الذي ينبغي أن نبحثه هنا أيضاً ، ثم نتأمل في ما كتب فيما بعد ؟ يقول(٣) « وخلق الله حيوانات الأرض كجنسها والبهائم كجنسها ، وجميع دبابات الأرض كأجناسها ·· ورأى الله انها حسنة » · يجب ألا يعتقد أحد وهو ينظر الى ترتيب الكلام ، بأن البهائم أقدم من الوحوش ، والدبابات التي دبت على الأرض هي الأخرى أقدم من الوحوش · فان هذا مجرد ترتيب للكلام الذي جاء فيه ذكر البهائم أولا ومن ثم الدبابات وأخيراً الوحوش ، ولكن في العبارات التالية ، أُبعد هذا الاعتقاد · اذ وضع الوحوش في المقدمة ومن ثم البهائم ، وآخر الكل الدبابات ، حيث قال « حيوانات الأرض كجنسها ، والبهائم كجنسها وجميع دبابات الأرض

---

٢ ـ مزمور ٤٩ : ٤ ·　　　٣ ـ تكوين ١ : ٢٥ ·

كأجناسها » فقد أظهر بما كتبه في الحالتين الأولى والثانية ، انه (الله) خلق جميعها كقادر على كل شيء بكلمة قوته في آن واحد ، وليس هناك ما سبق الآخر في تكوينه · فان هذه العبارات كتبت ورتبت بما يتماشى مع ما هو مألوف بالنسبة الى طاقتنا ، التي تنجز الأشياء واحداً بعد الآخر وليس كلها في آن واحد · ومن المعروف أن هذه الأشياء كلها كونت دفعة واحدة ، وليس فيها ما سبق خدنه · فلا البهائم سبقت الوحوش ولا الوحوش سبقت دبابات الأرض · ومن هنا استوجب البحث في هذا (الموضوع) أيضاً ·

يقول في العبارات الأولى « قال الله لتخرج الأرض نفساً حية ، بهائم ودبابات ووحوشاً » وفي العبارات التالية يقول « وخلق الله حيوانات الأرض كجنسها » · وبهذا أوضح الروح الذي كتب هذه ، ان الأرض ليست هي التي أخرجت هذه (الحيوانات) ، بل ان الله الخالق هو الذي خلقها بفاعلية أمره · وهنا أيضاً يوجد تمييز في اقنوم اللاهوت المساوي في القوة والأزلية ، بين الذي أمر الأرض أن تخرج وبين الذي نفذ ما أمر به · لكن الروح دوّن ذلك بشكل رمزي سري نظراً الى طفولة اليهود وضعفهم (في الادراك) ، فالله الاب بقوله « لتخرج الأرض ·· » كان معروفاً بأنه رأس كل شيء وخالق الكل ، وهو ذلك العقل العظيم الذي ولد منه أزلياً كلمته المساوي له في الأزلية والمجد والخلق دون انفصال أو ألم · أما عباراته الأخيرة التي يقول فيها « وخلق الله حيوانات الأرض كجنسها » ، فكان المقصود بها كلمة الاب الأزلي وابنه الوحيد ، ذاك الذي هو قوته وذراعه وحكمته · وهو الآخر خالق الكل ، وبه ومع الاب والروح القدس ، كونت الخلائق كلها ، سواسية ، المنظورة منها وغير المنظورة ، وقد أقام وأبدع هذا العالم كخالق حكيم كما رتل الروح(٤) : « بكلمة الله خلقت السموات ، وبروح منه كل قواتها » · هذا هو الله خالق الكل · وقد كتب الروح قائلا « خلق الله حيوانات الأرض كجنسها والبهائم كجنسها ، وكل دبابات الأرض كأجناسها » · انه خلق وميَّز كل واحدة بميزات نوعها وجنسها · وعلى ضوء الكتاب نقول : ان الله الخالق ،خلق أجناس الحيوانات الثلاثة هذه في اليوم السادس قبل أن يخلق الانسان لتكون في خدمته ولفائدته وحاجته من أطايب الطعام وغيرها من الفوائد التي فصَّلها الكتاب بأسماء معروفة وتسميات خاصة · وسنفصلها نحن أيضاً ولا سيما في ما يخص تسمياتها المختلفة وخصائصها المتميزة ·

---

٤ ـ مزمور ٣٣ : ٦ ·

☐ أصنـاف البهـائم :

لقـد اعتاد الكتّاب والنـاس على حـد سواء ، أن يدعوا بهـائم ، الحيوانات ذوات الاربع أرجـل آكلـة العشب ، وبخاصة تلك التي تألف الانسان وتستانس له ۰ وترضخ لعبوديتـه ۰ لذلك يسميهـ اليونانيون بقراً ، بدلاً من تسميتها « بهائم » ۰

وتدعى بهائم بصورة رسمية وحقيقية كل من : الفيل وذي السنامين والجمل والثور والحمار والحصان ۰ فهـذه تسمى بهائم ۰ استعارياً أو عمليـاً ، لكونهـا عبيـداً للانسان حقـاً ۰

وكذلك تلك التي ندعوها ماشـية ، أعني الغنـم والمـاعز وصنف الخنازير ، هذه كلها يستعبدها الانسان ۰ هذه هي البهائم من الحيوانات ذوات الأربع أرجل وآكلة العشب ۰ أما التي تعيش مع الانسان دون أن تخضع له فهـي : حمار الوحش ، والغزال والظباء وتيس الجبل ومعز الجبل الذي يسمى الوعل ، والتيس البري واليحمور ، والريم ووحيد القرن ، هـذه هي حيوانات آكلة العشب المعروفة لدينا والتي تعيش في مناطق سكنانا ۰ ويوجد أخرى كثيرة من آكلة العشب في أقطار أخرى ، كما أعتقد ، لا بل أجزم ، غير معروفة لدينا ، كما ونجهل أنواعها وأسماءها ۰ وان احدى فصائل حيوانات الأرض ذوات الأربع أرجل ، هي ما تسمى بالحيوانات آكلة العشب ، والفصيلة الثانية هي المدعوة : الوحوش ، وهي حيوانات آكلة اللحـم ، وهي خاطفة وقاسية على نظرائها ، وقـد تبحث حتى عـن الانسان المتسلط عليها ۰ ومـن أصنافها وأسمائهـا : الأسـد ، الـدب ([illegible]) ، النمر ، الفهـد ، الذئب ، الضبـع ، ابن آوى ، الثعالب ، النمس [دويبـة كالسنور] وما شابههـا ۰

وتلك الموجودة في أقطار أخرى غير معروفة لدينـا ، ولا نعرف حتى أسماءها ۰ وهناك بعض آكلـة اللحم تألف الانسان ، مثـل الكلب رفيق الانسان والقط ۰ وكذلك ما يتوسط آكلة اللحم وآكلة العشب ، مثـل خنازير البر والدعلج والأرانب ، وما يسمى بالقرود ، وربمـا هنـاك أنواع أخرى صغيرة بين آكلة اللحم ، أو ما بينها وبين آكلة العشب ، مثل التي تدعى أيل الجبل وهي تعيش بـين الأشجار ، وغيرها مـن أمثالها ، وأصغر غير معروفة لدينا التي تنتمي الى كلا فصيلتي الحيوانات ذوات الأربع أرجل ، من آكلة العشب وآكلة اللحم ۰

□ الصنف الثالث : الدبابات :

أما الصنف الثالث الذي سمي دبابات تدب على الأرض ، فان أنواعه كثيرة ومختلفة ولا تحصى ، ولا تعرف أسماؤها وتسمياتها · وأول هذه الانواع هو ذات الأربع الارجل مثل الوحوش والبهائم ، وهي تحبل وتلد مثلها· ومن أمثالها: الخلد والفئران وابن عرس ، وربما هناك ما يشبهها ولا نعرفها ، وبينها نوع آخر من ذوات الاربع أرجل كالنوع السابق · فهو لا يحبل ويلد أجنة متكاملة حية ، لكنه يضع بيضاً كالطيور ويحضنها · فتخرج منها أبناء أحياء حاملة نوعها، وأمثال هذه، الورل والعضايا والتمساح والضب والحرباء أي (هـدا) نوع من الحرباء الذي يسميه اليونانيون أسد الأرض · وهناك نوع ثالث لا أرجل له البتة ، ويضع بيضاً ويسمى حية ، وتعم هذه التسمية سائر أنواع الحيات · أما النوع الرابع الكثيرة الأرجل فمنها العقارب والشبث وجميـع التي تعيش مثلها في التراب ، وبه تولد أنسالاً لأجناسها ·

ونوع الدبابات الخامس هو النمـل والحشـيرات الصغـيرة ، وهي الأخرى تضع بيضاً في التراب وتولد بنين وتربي من أجل تسلسل جنسها ·

وهناك أيضاً نوع سادس من الدبابات له فروع كثيرة وهو مختلف الأجناس ، أمثال القانصة المسماة ثيران الارض ، وتلك المـدعوة عناكب المستمد اسمها مما تصنعه من نسيج وهي الأخرى أنواع وأشكال مختلفة، وتلك المسماة أسد الذباب · واضافة الى هذه هناك نوع سابع يضم سائر أنواع وأجناس الجراد والحرجل وما شابهها · فهي الأخرى تضع بيضاً في التراب وتولد بنين وتربيها وهي من حشرات الأرض ، وفي الوقت نفسه من الحشرات الطائرة في الجو ، لذا تطلق عليها كلا التسميتين ، أي دبيب الأرض وطير السماء ·

وهناك نوع ثامن بين هـذه ، يلد جراداً زحافاً أي دوداً ، وبأشكال كثيرة ومتباينة ، ويرمي بكثير من الفضلات وهو يزحف ، ومن ثم يكشط جلده ويطير ، لذا فانه يعتبر وسطاً وثنائي الحياة ، حيث انه يحصى مع كلا الدبابات والطيور ، وهـذه كلها رباعية الأجنحة ، ومنها ما تكـون أجنحتها خفيفة ، ومنها ما هي ظاهرة دائماً وليس لها غطاء · فجميع هذه الأنواع التي أحصيناها توجد في صنف الدبابات ، وكثير غيرها موجودة في أقطار الأرض المختلفة لا يدركها عقـل الانسـان لكثرتهـا ولاختفائها في الأرض ·

وقد جعل الله الخالق والقادر على كل شيء، صنفي أجناس الحيوانات ذوات الأربع أرجل التي سبق ذكرها ، تحتوي على أنواع أخرى كثيرة ، ما خلا التي ذكرت في أقطار عديدة وبعيدة ، لأننا نجهلها ولم نألفها ، اذ ليست مدونة لدينا ولم ترد لها أسماء في لغتنا · فهذه كلها أوعز أمر الله الخالق والقادر على كل شيء ، أن تخرجها الأرض ·

ومن الملاحظ أن تأثيره ما زال قائماً يفعل نفس الشيء عندما وحيثما يشاء ، سواء بقصد التأديب أم لفائدة ما · فهو الذي ، بعمق أحكامه الالهية ، يعرف ما يجب أن يصنعه · فعندما يحسن له فانه يأمر الأرض فتخرج بلحظة واحدة جراداً كثيراً أو فئراناً لا تحصى ، تأديباً للناس وردعاً لهم ، إما سنّاً أو جندباً أو قملاً أو صرصوراً أو شيئا آخر· وان كان رحمة بهم فيرسل السلوى أو طيوراً أخرى طعاماً لهم · ندرك ونفهم من هذه الأمور ، أن مفعول أمر الله الأول ما زال ، يرافق الأرض ، ويضغط عليها لتخرج حيوانات للحال اذا شاء ، وان لم يشأ أن تخرج بالطريقة الأولى ، فتقيم آلنسل بطريقة الولادة دون آن تضعف طبيعتها · هذه هي فاعلية الأمر الذي صدر الى الأرض لتخرج حيوانات ، مثل الأمر الصادر الى السماء لتدور والى أنوارها لتنير الأرض ، ومثلما أن تلك لا تهدأ من الدوران ، هكذا أيضاً فان الأنواع التي خلقت بفعل الأمر الأول، لا تحرم النسل المستمر الذي يحفظ طبيعتها· وقد قدمت كلمة الله السماء وما فيها من أنوار، وفصلي الصيف والشتاء برهاناً على ذلك(٥)·

ولما كان الحديث قد تطرق بصورة عابرة الى مثل هذه الاختلافات (في الحيوانات) التي أخرجتها الأرض ، لذا استوجب أن نبدأ من جديد فنتحدث عن كل منها بقدر المستطاع ، وبها ندلك على عظمة اقتدار خالقها ، وتشعب حكمته غير المدركة ·

يوجد بينها اختلافات عديدة وأشكال متنوعة لا يشبه بعضها البعض، سواء في فترات حبلها أم ولادتها وتربيتها ، أم في اختلاف أنواع طعامها ، أم في مدة حياتها أم في خصائص رغباتها · وكذلك في عمالها وفي أمور أخرى كثيرة ومتنوعة لا يشبه بعضها البعض ·

---

٥ ـ انظر : تكوين ٨ : ٢٢ ·

□ الفيـل :

يقـال في صنف الفيـل : ان مـدة حملها في بطـون أمهاتها سنتان ، ولا تكتمل حضانتها الا في السنة الثانية عشرة • ومثلما أن فترة حملهـا تختلف عن سائر الحيوانات ، هكذا ايضاً فان فترة حضانتها تاخـذ وقتاً طويلاً يتناسب وضخامة جسمها ، فان الله الخالق والقادر على كل شيء ، نظم مدة حياتها بالقياس الى فترة حملها وحضانتها وضخامة أجسامها • ويقـول الخبراء ، ان الله أمـد حياتهـا الى ما يقارب الثلاثمائة سنة •

وقـد رتب الله ايضا ان يخضع للانسان هذا الحيوان الضخم ، بـل جبـل اللحم كما سماه بعضهم نظرا الى ضخامته . ولكن مهما بلـغ مـن الضخامه فهو دليـل امام الانسان ، ولا يستغله النـاس للركوب وحمـل الاثقـال فحسب ، بل يصحبونه معهـم في الحروب ضد الاعـداء . حيث يروضونه على القتال والانتقام من الاعداء أكثر منهم ، اذ يسقونه خمراً ممزوجا بلبان ويسكرونه حتى يجعلوه يركض نحو كتائب المحاربين بغضب واندفاع لا يستهان به، وبذلك يكون قد آزر أصحابه• ويقول الخبراء الذين وقفوا على عادات الفيلة، ان لها خبرة متميزة في الحروب• وانها تستطيع أن تميز أصحابها مـن الأعداء مهما اشتبك الفريقان أو سقط الواحـد فوق الآخر أو تتبع الواحد الآخر، فتندفع بشراسة وتدوس أولئك وتقضي عليهم ، في حين تجتاز أصحابها بنفس الاندفاع ولكن دون أن تلحق بهم أي ضرر ، أو تدوس أيّاً منهم • ويقال ان الفيل لا يحارب بأرجله فقط، بل أيضا بشفته الطويلة (الخرطوم) وبانيابه التي على جانبي وجهـه ، حيث ينطح بها الأعداء ويشقهم ، ويبسط شفته الى الأمام او اليمين أو اليسار فيصطادهم بها ويقربهم اليه ويطرحهم أمام رجليه لكي يدوسهم ويقتلهم • فقـد جعل الله شفته بمثابة أيـد له ، ليس فقط في حربه مـع الأعداء ، بل وحتى عندما يحتاجها لتناول الطعام • ففيها يأخذ ما يأكله ويقربه من فمه ، وبها أيضاً يجرع الماء أو أي شيء آخر ، وبها يأخذ من الأرض ما يريد أخـذه ، وقـد جعل له رقبة قصيرة ومنكمشة ومربوطة بالقرب من أكتافه ، لكي تكون شفته القليلة الأذى قريبة جداً من أرجله، وتتردد تحت نابيه المخوفين بشجاعة ودون خوف . هكذا خلق الله الفيـل وحصنه من كل جهة لكي لا يلحقه أذى من الأعداء بسهولة ، وقد وشّحه من الخارج بجلد ثخين وسليم ، يليـه لحم كثيف مشتبك بالأوردة لئـلا يبقر بسهولة بضربة من الخارج ، وبسبب كثرة لحمه وثقله ، جهزه الله بأرجل مستقيمة لا تنحني شبه أعمدة ، وليس له مفاصل أبداً لكي يتمكن

من احتمال ثقل الأحمال دائماً الى جانب ثقل جسمه ، ولم يخلقه الله قادراً على أن يركع أو يتكىء مثل بقية حيوانات الأرض ، اذ ان أعصاب أرجله لا تقوى على رفع جسمه الضخم وانهاضه بسهولة عندما يتكىء · لذافانه لا يتكىء حتى على الأرض · ولكن عندما يريد أن ينام و يرتاح قليلا ، فاما أن يسند جسمه على أشجار قوية راسخة أو على الحائط ، لذا فانه موضع الدهشة لدى الانسان وهو يتأمل قوته وفهمه من جهة وخضوع ارادته من جهة ثانية ، ففي حين زوده الله الخالق بضخامة فائقة وقوة الجسم ، وحصنته الطبيعة ببأس وصحة وفهم متميز لا ينقص كثيراً عن فهم ذوي النطق ، فانه مستعبد وخاضع للانسان ، لا يقوى على العصيان والتمرد بالاتكال على ضخامة جسمه أو شدة بأسه ، لكنه يخضع لعبودية الناس كلما أمروه ، ولو شاء لاستطاع أن يحرر نفسه ويصير سيد ذاته ·

وعندما يحاول الباحث أن يكتشف الحقيقة الكامنة وراء خضوعه ، يرى أن سبب هذا الخضوع لا يعود الى ارادته هو ، بل ينسب الى اللهخالقه القادر على كل شيء الذي أقام الانسان ــ صورته(٦)، رأساً ومتسلطاً على الخليقة المنظورة كافة ، وله يستعبد الفيل ، خضوعاً منه لأمر الخالق ولئن كان أضخم وأقوى منه ·

☐ الجمل :

وعلى نفس الطريقة يستعبد للانسان كذلك ذلك الحيوان الجميل المنظر والبهي المدعو ذا السنامين الذي يزهو بقامة رفيعة وطويلة ، وبشعر كثيف ذي لون جميل ، وبسنامين منفصلين ومتساويين طبيعياً ، يشبهان بحجمهما راكبين متساويين على متن حيوان ما · وبأرجل مستقيمة ومتوازية مثبتة تحت جسمه كأعمدةراسخة، وبرقبة طويلة عالية ومتشامخة ، رتبتها الطبيعة بما يتناسب وحجمجسمه، وبرأس ملك الأعضاء مزين بحواس حية ملائمة ، وعليه تاج من شعر أنيق · ان هذا ولئن هو أقل من الفيل قوة وحجماً ، غير انه يفوقه كثيراً جمالا وتشامخاً بجسمه وأعضائه ، وهو لا يرفض الرضوخ للبشر الذين هم أقل منه قوة ، اطاعة منه لأمر خالقه الذي جعله أن يخدم الانسان صورة الله الخالق وملك الجميع · وهكذا يستعبد هذا أيضاً للناس بكل أمانة ودون أية ضجة ، حتى اذا شاءوا وضعوا زماماً في أنفه واتخذوه مركوباً لهم ووضعوا عليه حملا ثقيلا منهكاً ، كما يفعلون بالنسبة الىبقية الحيوانات التي تستعبد لهم ·

---

٦ ــ انظر تكوين ١ : ٢٦ ·

كما تخضع لعبودية الانسان جميع الجمال التي تنتمي الى جنس ذي السنامين ولئن لا تنحدر من نفس النوع ، والتي تكثر بطريق الصدفة ، في بلاد العرب ، ودعاها الجميع بهذا الاسم المميز (الجمال العربية) ، وقد صار هذا اسمها الخاص الثابت • وقد احتال بعضهم بطريقة غير شرعية ، رغبة منهم في زيادة ما يخدمهم ، فزوجوا النوعين ، فنتج نوع يختلف عن كليهما يسمى الهجين ويتصف بالخبث والخداع ، وهو حاقد وقاتل ويقترف جرائم كثيرة ، فانه ولئن يخدم أصحابه من دون ارادته ، الا انه لا يحتمل منهم سوى القليل نظراً الى غباوته الزائدة ، فهو يحقد عليهم لفترة طويلة ولا ينسى شره وخبثه حتى ينتقم من الذين ضربوه • هذه صورة من شر الجمال ولا سيما تلك الهجينة ، وأعتقد انه بسبب هذا اعتبره الكتاب الالهي من الحيوانات غير الطاهرة ولئن ينتمي الى فصيلة آكلة العشب وليس الى فصيلة الوحوش آكلة اللحم النجسة برمتها •

□ الثـور :

والى جانب هذه ، فان الله قد وضع تحت عبودية الانسان وفي خدمته، الثور ذلك الحيوان الأليف الطاهر ، الذي تقول فيه كلمة الله مثنية «حيث الغلال الكثيرة هناك تظهر قوة الثور »(٧) • لقد أشارت كلمات الثناء هذه الى قوة الثور وعبوديته • فلو لم يكن الثور قوياً لما كثرت غلال صاحبه ، ولو لم يكن خاضعاً تماماً لما كثرت غلال من اقتناه • وكما يقول الكتاب الالهي ، ان غلاله كثيرة ومعروفة لدى الانسان • وكذلك الأمر بالنسبة الى قوته الظاهرة والمعروفة والى عبوديته الارادية • وتظهر قوته بوضوح أكثر عندما يضع الناس أحمالاً ثقيلة على العربات ويربطونه بها، وحيث ان الحمل يكون ثقيلا الى درجة عدم الاحتمال ، فانه يضغط على نفسه وينتصب حتى يرفع الحمل • ان عبوديته الارادية غير متناهية ، اذ يأمرونه أن يحني نفسه تحت النير ، ويقولون له ادخل واحمل ، فيتقدم من ذاته ويدخل رقبته ويرفع الحمل على كتفه بارتياح ودون تمرد • وهكذا تظهر قوة الثور وعبوديته بعمله وخدمته الأمينة ، وتظهر أمانته وعمله بما ينتج للانسان من غلال كثيرة بسببها • فالفلاح يلقي بذاراً في الأرض ويحرث المساحات بفضل قوة الثور وعبوديته • وبفضل قوة الثور وعبوديته أيضاً ، يجمع الفلاح الغلال من الحقول الى البيادر ، ويخزن

---

٧ ـ أمثال ١٤ : ٤ •

المنتوج لطعامه • وبفضل قوة الثور وعبوديته كذلك، ينقل الناس الاحمال الثقيلة من مكان الى آخر للافادة منها • هكذا يخدم الثور الانسان باستمرار طيلة مدة حياته وفي اي مكان من المسكونة مهما كان نوع العمل أو شكله ، حيث انه يسحب المحراث والجرجر والعربة وأحيانا يدور في الرحى ويطحن • وكذلك يقدم العون بدورانه في المعاصر • ويرفع المياه من الأعماق بواسطة الوسائل الدائرة للحرفة ، ويسقي الأراضي لتاتي بالثمار والطعام ليتنعم بها الانسان ، هكذا يعمل الثور ويخدم بوداعة حتى ليخال ان له دالة عند الانسان بسبب ما يلقاه من اهتمام طيلة مدة حياته • وبسبب الخدمة التي يقدمها من أجل راحة وكرامة الجنس البشري ، بحسب ما خلقه الله الخالق كما هو ظاهر في ما دوناه هنا ومن أمور اخرى غيرها معروفة لدى الجميع •

□ الحمار والحصان :

وبالرغم مما يقدمه الثور عن طريق قوته وخضوعه للانسان ، فان راحة الانسان وخدمته تتطلبان حيوانات أخرى كثيرة • لذا كان من الضروري أن تخضع له حيوانات أخرى وترضخ وتستعبد له ، بموجب الأمر الذي وجه الى الانسان لدى خلقته « أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها، وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض(٨) • من المعلوم أن الانسان كان بحاجة الى حيوانات أخرى من أجل خدمته وكرامته ، ليمتطيها ويتنقل بارتياح من مكان الى آخر مثلما يتنقل بأرجله ولكن بدون عناء ويحملها الأحمال كلما شاء لئلا يحمل هو أكثر من طاقته • لذا كان من الضروري أن يرضخ له وينحني أمامه الحمار والحصان مستعبدين شأن الثور • فالحمار يحمل أحياناً ما يحتاج الى حمله الانسان ، وعند الضرورة يكون له مطية لركوبه • أما الحصان فيستغل من أجل الركوب والمساعدة في الحرب ضد الأعداء ، وحمل أثقال الراكب المقاتل وسلاحه وحاجياته • وتكمن مساعدته في قوته وسرعته •

وأعتقد أن الطبيعة أعطت هذه الهيئة لأجسام البهائم ، لهذه الغاية لكيما اذا حملت الأثقال لا تميل وتسقط ، اذ قد أعطتها الطبيعة أربع أرجل لا اثنتين فقط كالانسان والطير • فاذا أقيم مثلاً قصر منيف

---

٨ ـ تكوين ١ : ٢٨ •

أو بيت كبير وعال وواسع على دعامتين فقط دون أساس ، فانه يميل بسرعة ويسقط ويؤول بناؤه الى الزوال ، ولكن اذا وضعت له أسس على أربعة أعمدة أو أقيم بشكل سليم راسخ على أربع دعائم فلا يتزعزع ولا يميل أو يسقط بسرعة . هكذا أيضا البهائم ذوات الأربع أرجل . مثل الفيل والجمل والحمار والحصان ، فانها تشتد وتثبت عندما توضع عليها أثقال ، ولا تميل الى أي من الجوانب أو تسقط أثناء سيرها .. فلوكانت الطبيعة قد أعطتها رجلين فقط ، جاز أن تميل أو تسقط بسرعة عندما تحمّل أثقالا ، أو قد يسقط الحمل يميناً أو يساراً أو نحو الأمام أو الوراء ، لذا فان الجمل والحمار يسيران محملين دون أن يميلا ، وكذلك الحصان وهو تحت راكبه أو عندما يسرع جامحاً أو في الحرب ، فان رقبته تمتد نحو الأمام دون خوف وهو معزز بالقوة والجبروت ، ومن أجل اظهار قوة الحصان ندرج هنا الكلام الموجه الى أيوب من الله خالقه ومبدعه ، والذي منه يظهر بأسه (الحصان) وقوة بنيته . فقد قال الله لذلك الرجل البار وهو يطلب اليه أن يجمع فكره ويظهر فضله أمام أصدقائه الذين كانوا يعيرونه ، مع غيرها من الأمور التي سأله عنها . فقد قال بخصوص الحصان « هل أنت تعطي الحصان قوته وتكسو عنقه عرفاً ، أتوثبه كجرادة، نفخ منخره مرعب ، يبحث في الوادي وينفر بيأس يخرج للقاء الأسلحة ، يضحك على الخوف ولا يرتاع ولا يرجع عن السيف ، عليه تصل السهام وسنان الرمح والمزراق ، في وثبه ورجزه يلتهم الأرض ولا يؤمن انه صوت البوق ، عند نفخ البوق يقول هه ومن بعيد يستروح القتال صياح القواد والهتاف »(٩) . فالحصان ولئن كوّنه الله الخالق بهذه الصورة ، وجمّلته الطبيعة بمثل هذه الأمور التي جاءت في سياق كلام الله عنه ، الا ان خالقه لم يطلق له الحرية الذاتية لكي يفعل ما يشاء بروح الكبرياء اذا ما تمرد على الانسان مثل حمار الوحش والريم ، بل جعله مستعبداً خاضعاً لسيادة الانسان . فيخدمه اعلاء لشأن كرامته دائماً في كل ما يأمره به طيلة مدة حياته . لذا فقد أعطاه الله كما يبدو ، أنيدرك بأنه عبد وان عبوديته للانسان ليست من حسن ذاته ، بل هي ترتيب من خالقه الذي خلقه بهذا الشكل من القوة والنشاط وجعله عبداً للانسان العاقل الذي خلقه على صورته وشبهه ليكون سيداً ومتسلطاً على جميع ما في الأرض .

---

٩ ـ أيوب ٣٩ : ١٩ ـ ٢٥ .

فاذن كان بأمر الله وتدبيره أن يستعبد للانسان ما استعبد • وان ينصرف عنه ما تمرد مثل حمار الوحش والريم والأيل والوعل واليحمور وما شابهها ، هذه التي تعيش حياة طليقة دون أن ترضخ لارادة الانسان• تقول كلمة الله عنها في نفس الكلام مع أيوب ، موضحة انه تعالى أطلقها حرة ، ما يلي « من سرح الفراء حرا ومن فك ربط حمار الوحش الذي جعلت البرية بيته والسياج مسكنه ، يضحك على جمهور القرية ،لايسمع رجز السائق ، دائرة الجبال مرعاه وعلى كل خضرة يفتش »(١٠) • ثم يضيف فيسأله قائلا « أيرضى الثور الوحشي أن يخدمك أم يبيت عند معلفك ، أتربط الثور الوحشي برباطه في التَّلم أم يمهد الأودية وراءك، أتثق به لأن قوته عظيمة أو تترك له تعبك ، أتأتمنه أنه يأتي بزرعك ويجمع الى بيدرك »(١١) •

ان ما قيل عن هذه الحيوانات يصح على غيرها أيضاً ، ويشير الى انه بأمر الله كانت عبودية ما استعبد • وتمرد ما تمرد منها • فجميع الحيوانات البرية متمردة على الانسان • ومنها ، بالاضافة الى ما ذكر ، Bubalus (ܒܘܒܠܘܣ) وعنز الجبل والظباء وتيوس الجبل وكثير غيرها تشبهها توجد في مختلف الأقطار وهي غير معروفة لدينا ، أضف اليها الوحوش آكلة اللحم • فاذا كانت تلك لا تخضع للانسان ، فان الله ناسب أن يستعبد له الثور ويخدمه ليس فقط بقوته ، بل ان لحمه أيضاً يصلح لطعامه ، كما يصلح جلده للاحذية وغيرها من الحاجات الأخرى • وكذلك الأمر بالنسبة الى الحمار والجمل اللذين يقدمان خدمتهما وجلدهما لصنع بعض حاجيات الانسان • كما جعل الله أن تستعبد الغنم والماعز أيضاً للانسان ، ليس فقط من جهة لحمها لطعامه ، والحليب والجبن اللذين تنتجهما، بل أيضاً بالنسبة الى الصوف والشعر الذي تصنع منه ثياب وغيرها من الحاجيات • لكن (الله) لم يجعل الأيل وعنز الجبل وغيرها أن تستعبد له ، ليس لأنها عديمة القوة ولا تستطيع أن تقدم له خدمة فحسب ، بل ولأنه لا يستفاد حتى من شعرها أو جلدها مثلما يستفاد من تلك ، كما لا يستفاد طعاماً من حليبها • وهي ولئن لا تستعبد للانسان مثل تلك ، الا انها تحت سيطرته ، فانه يعمل بها ما يشاء ومتى شاء ، فهو يأكل لحمها اذا احتاج اليه ، ويسد بها أيضاً حاجات أخرى عندما يشاء كما

١٠- أيوب ٣٩ : ٥ ـ ٨ •

١١- أيوب ٣٩ : ٩ ـ ١٢ •

قال الروح المرتل عنها ، موجهاً كلامه الى الله « لقد استعبدت جميعهـــا ووضعتها تحت رجليه · جميع الغنم والبقر »(١٢) ·

كما أن جميع الحيوانات البرية وطير السماء وسمـك البحر هي الأخرى موضوعة تحت سيطرة الانسان الذي أقامه الله رئيساً ومتسلطاً على جميع الخليقة المحسوسة ، ليس فقط الحيوانات آكلة العشب المعروفة بالبهائم والتي يصلح لحمها لطعام الناس ، بل ان جميع الوحوش آكلة اللحم المتوحشة وغير الأليفة تخشى الانسان وترهبه ، وتنفر من رؤيته وتحيد عنه خجلة ، وتفر من أمامه ، كملك لـه السلطان عليها ، وليس في كل هذه الحيوانات الماردة وغير الأليفة واحدة تود أن تنظره أو ينظرها· لكن الله يسمح بشيء من هذا عندما يغضب على الناس ويريد أن يؤدبهم· والذئب أيضاً رغم قساوته ووحشيته ، والنمر رغم سرعته وشدةحركته، والخنزير البري رغم جسارته وخبثه ، والأسد رغم ملوكيته وقوته ،هذه كلها تنفر خجلة من رؤية الانسان باعتباره السائد عليها ، لا بل وتخشاه لمجرد سماعها صوته فتبتعد عنه · فخضوعها اذن له أو تمردها عليه هو من الله ، فعندما يغضب ويود تأديب الناس ، بسبب خطاياهم يرفع عنها الخجل ويجعلها أن تسعى وراء الناس لتهلكهم دون أن تخشاهم أو تهرب منهم · وتشهد على هذا كلمة الله الواردة في الكتاب الالهي خلال سرده ضربات أخرى « سأرسل وحوشاً كاسرة على الأرض(١٣) »· وهكذا يتم رضوخ الحيوانات للانسان أو تمردها عليه بارادة الله ·

اذن فليكن معلوماً أن مصدر كل هـذا التـدبير هو الله · فبارادته وأمره خضع ما خضع وتمرد ما تمرد ، واذا شـاء فحتى الأسـد والدب وسائر الحيوانات الوحشية ترضخ بسهولة كما حدث مرات عديدة ، حيث أطاعت الانسان هي الأخرى ، وكان يتصرف بهـا كيفما يشاء باستثناء الذئب والثعلب والنمر التي مـن الصعوبـة أن تألف الانسان ، بسبب تحايل تلك الزائـد ، وانعزال النمر التـام وعدم ائتلافه مع الناس ، ولأنه لا يود أن يُرى · أما تلك المسماة فهداً فقد تألف الناس وتساعدهم، اذ يروضونها على الخضوع واصطياد الحيوانات الأسرع من الناس التي لا يستطيعون اصطيادها · كما انهم تمكنوا من ترويض النسر والبازي والباشق ، لتصطاد لهم حيوانات وطيوراً ، وعلى هـذه الصورة رضخت للانسان الحيـوانات آكلـة العشب وغـير الضارة ، ومعها بعض آكلـة اللحـم والضـارة ·

١٢- مزمور ٨ : ٨ ·

١٣- لاويون ٢٦ : ٢٢ ·

□ الكلـب :

فالكلب ، وهو من الحيوانات آكلة اللحم، استعبده الله خالقه للانسان حتى انه يحب صاحبه ويأتمنه أكثر من الناس بعضهم البعض ، حيث انه يسهر عند باب بيتـه حارسا دون تحايل ، وهو لا يتذمر ولا يهمل عمله وحراسته حتى اذا جـاع او عطش ، ويظهر شكره وامتنانه لصاحبـه • بتحريك ذنبـه وأعضائه الأخرى ، عندما يقـدم له طعاما بسيطا ولئن متاخراً ، في حـين أنه يبذل ذاته حتى الموت محبة منه بصاحبه • فمحبته لصاحبه لا تتغير حتى ولو دعا الأمر وغضب عليه وضربه • واذا ما طرده صاحبه فانه يقبع عنـد الباب ولا يتركه أو ينتقل الى مكان آخر ، واذا شاء صاحبه أن يدعوه اليه ويصالحه ، يبـدو وكأنه خجل بسبب ذنبـه وعقابه ، فيصرخ ويبصبص لصاحبه بذنبه ويدنو منه مداعبا باخلاص • وهو لا يحقد أو ينتقم ممن ضربه • فحب الكلب لصاحبه صادق • وتؤكد هذا بعض القصص التي كتبها فريق مـن الشعراء والأدباء • فقد روى أحدهم : أن كلبـاً كان يرافق صاحبه في الطريق فخرج عليه لص وقتله وأخذ كل ما كان عنده وانصرف ، فوقف يحرس جثة صاحبه من الوحوش والطيور ، فمر رجل حضري ورأى الجثة فدفنها ، ودعا الكلب وحثه على أن يرافقه ، وكمدرك اتبع ذاك الذي صنع حسناً مع سيده • وكان يقف عند الباب بهدوء ويحرس كالمعتاد مثلما كان يفعل مـع صاحبه الأول ، فلا يضر أحداً ممن كانوا يمرون بالقرب منه • وبعد فترة طويلة اجتاز بالقرب منه قاتل صاحبه الأول فعرفه وأمسك به بغضب ونهشه • ولمـا مثـل القاتل الذي نُهش مـع صاحب الكلب أمام حاكم المدينـة ، وتم التحقيق في القضية مع كليهما ، انفضح عمل القاتل الشرير ، واتضـح صدق محبة الكلب ، فقرر الحاكم اعدام القاتل والاعلان في الشارع عما فعله الكلب ، وعن صدق محبته لصاحبه حتى بعد وفاته •

ويروي أحد الشعراء عن كلب لقائد يوناني ، أن سيده تغرب عن بيته مدة عشرين سنة ، فكان طيلة تلك المدة قابعاً عند باب بيت صاحبه دون أن ينبح أو أن يضر أحـداً من المارة ، ولما عاد بعد عشرين عاماً الى البيت نهض بفرح وأخذ يصرخ ويبصبص أمامه ، واذ تضايق من كثرة ما وصل الى مبلغـه مـن رطوبة نتيجـة للفرح الذي اعتراه لدى رؤيته سيده لم يعـد يستطيع استنشاق الهواء كالعادة فسقط ميتاً أمام رجلي صاحبه • فمثل هذه القصص يروي الأدباء عن صدق محبة الكلب للانسان، وعن خدمته ، وأمور أخرى كثيرة تفوق الوصف ، وتشكل توبيخاً للناس

على محبتهم المزيفة لبعضهم البعض ، وهم يمتلكون عقلاً ونطقاً ويدركون أن يميزوا الخير والشر • فــان الحيوانات غير الناطقــة تغلبهم في اختيــار الصلاح والعدل ، وهــم لا يخجلون حتى مــن الناموس الطبيعي الذي وضع عــن المحبة ، ولا يخافون الله واضعه •

وهكذا استعبد الله للانسان الحيوانات التي خلقهــا لأجله ، لــكي تكون في خدمته ، ومن اجــل كرامته • ولم يستعبد له مــن الحيوانات الكبيرة فقط ، بل من الصغيرة والحقيرة أيضاً ، فقد استعبد له الهر فألفه، لكي يطهر بيوت سكناه من أذى وفساد الفئران ، كما استعبد غيره مــن الحيوانات الحقيرة لتساعده وتبعد عنه أذى الأعداء المبغضين • فالناس يخشون بعضهم البعض ، وتجنبا للموت بالسم القاتل عن طريق الطعام ، أو الشراب ، فانهم يصطحبون الحيوانات معهم ، فلا ياكلون او يشربون حتى يفحصوا الطعام بالحيوانات علـه يوجد فيه سم قاتل • وقد أعطى الله هــذه الحيوانات ، ولكن كانت حقيرة ، فهما غريزيا يمكنها مــن تمييز الطعام المحيي من الطعام القاتل ، فمثل هذه الفائدة جعل الله أن يستفيد الانسان من الحيوانات التي خلقها لاجله ، وقــد اخضع بعضها تحت نير عبوديته من اجل خدمته وكرامته • وهنا يكون بحثنا قد أظهر ما صنعه الله للانسان ، ذلك الملك الذي خلقه على صورته وأقامه رئيساً ومتسلطاً على كل هذه الخليقة المحسوسة •

☐ خصائص الحيوانات :

ولنتناول الآن الحديث بأكثر إمعان وتفصيل، عما أعطى الله بحكمته بعض الحيوانات مــن مزايا خاصة تنسجم مــع طبيعة تكوين كل منها • فقد أعطى الله الخالق الحيوانات آكلة اللحم أسناناً من فوق ومن الأسفل داخل شفاهها ، لكي يسهل عليها الصيد ، وتقطيع طعامها بأسنانهــا •• أما الحيوانات آكلة العشب فأعطاها آسناناً من الاسفل فقط ، لكي تقطع بها العشب ، ويساعدها اللسان والشفاه في تقريب العشب اليها ، وقــد أعطت الطبيعة الحيوانات آكلة اللحم ما يشبه الأصابع في أرجلها ومخالب حادة لتساعدها في اصطياد ما تريــد أصطياده ، وفي الامساك بالفريسة بحذر وبقرها وتقطيعها بمساعدة آسنانها • فقد أعطت للأسد والنمر مخالب حــادة وطويلة كالحراب لتستعملها كسلاح ماض وفتــاك ضــد الحيوانات التي تصطادها • أما الحيوانات آكلة العشب ، فلم يجعل لها الله أصابع كثيرة في أرجلها أو مخالب حادة كالتي لآكلة اللحم ، الا أنــه جعل لهــا حوافر متينة وصلبــة تشبه نوعاً ما الحجــر أو الخشب • أما

للحصان والحمار وحمار الوحش فقد أعطيت حوافر مستديرة ذات ظلف واحد أي حافر غير منقسم . أما الثور والأيل والريم والتيس البري واليحمور وعنز الجبل وتيس الجبل والظبي والغنم والماعز وجميع الحيوانات التي وصفت في الناموس القديم بالطاهرة ، فلم يعطها الله أظلافاً مستديرة ، بل مشطورة ظلفين ، وقد جعلها الكتاب المقدس صفة متميزة للحيوانات الطاهرة ، حيث قال موجهاً كلامه لبني اسرائيل « كل ما يشق ظلفاً وقسمه ظلفين ويجتر من البهائم فاياه تأكلون .. »(١٤) . أما الجمل والفيل وما وجد من شبيه لها في أي بقعة من الأرض فلم يجعلها طاهرة مثل هذه ، منها ذوات الأظلاف المنشقة وذوات الظلف الواحد المستدير كالحصان والحمار ، لكنه جعل لها تحت أرجلها الطويلة أظلافاً متنوعة ولحمية وغير منشقة لئلا تنزلق تحت ثقل أجسامها فتسقط .

ترى ما هي الحيوانات النجسة غير الطاهرة وغير مشقوقة الأظلاف التي أوردها الكتاب المقدس ؟.(١٥) « هذه لا تأكلونها مما يجتر ومما يشق الظلف ، الجمل لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم ، والأرنب لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم ، والخنزير لأنه يشق ظلفاً ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر فهو نجس لكم » . فالكتاب المقدس أورد هاتين الميزتين للحيوانات للتمييز بين الطاهر والنجس ، المشقوقة الظلف أو غير المشقوقة ، والمجترة وغير المجترة . وهناك مزية أخرى معروفة ومتميزة للحيوانات الطاهرة آكلة العشب . فقد زودها الله بأجهزة تدعى ( ) بطن مجترة وقانصة لاقتبال الطعام الذي تأكله لكي تعيده من جديد عندما تجتر لتطحنه من أجل أن يهضم تماماً . لكن الطبيعة لم تزود الحمار بالقانصة رغم كونه من الحيوانات آكلة العشب، لذا فانه لا يجتر اجتراراً ، لكنها زودته عوضاً عنها بأمعاء كثيرة أكثر من سائر الحيوانات بحيث يهضم الأكل تماماً لدى مروره فيها . وهناك من الحيوانات آكلة العشب ، لم تزودها الطبيعة ببطن مجترة والقانصة ولا بأمعاء كثيرة مثل الحمار ، لكنها زودتها بأمعاء قليلة ورفيعة داخل بطونها نظراً الى قلة أكلها . ويقال عن الأسد أن له أمعاء غليظة فقط تحتل كافة بطنه . لذا فان هذه تأكل لحماً وان أكلها قليل ، كالأسد وسائر الوحوش التي لم تزود بأعضاء البطن المجترة والقانصة ، لذا لا يجتر اجتراراً .

١٤- لاويين ١١ : ٣ .

١٥- لاويين ١١ : ٤ - ٨ .

وهناك بعض الحيوانات ، جعل الله في طبيعتها صفات خاصة متميزة، فمنها ما تكون لها قلة من الاولاد ، ومنهــا قليلة الأثدية وتقع في حضنها ، ولا تتجاوز الاثنين أو الأربعة فقط ، ومنها ذات أثــدية كثيرة على امتداد بطونها ، نظراً الى كثرة أولادها • فالتي تضع وليــداً واحداً هي كافــة آكلة العشب • والتي تضع أولاداً كثيرين ، ومن ذوات الأثدية الكثيرة هي : الذئاب والكلاب والخنازير ، فقد أعطيت هذه ، أثدية كثيرة نظراً الى كثرة أولادها • والى جانب هذه ، هناك اختلافات أخرى بين الحيوانات • نذكر الصفات المتميزة لبعض منها • فقد زودت الطبيعة بعضها بمنابت للقرون على رأسها لتكون بمثابة سلاح لها تساعدها في الدفاع ، نظراً الى حرمانها من سلاح الأسنان والمخالب الحادة كالذي يوجد لآكلة اللحم • وقد أعطي هذا لكل من الذكور والاناث بالنسبة الى بعض الحيوانات، والبعض الآخر أعطي للذكور فقط • فمن التي أعطي للذكور والاناث ، الثــيران والماعز وعنز الجبــل التي تعرف بالوعول وتيوس الجبــل • أما الغنم والأيــل والظباء والتيوس البرية واليحمور والتيتل Bubali ، وغنم الجبل المسماة تيس الجبل ، فقد أعطيت قرون متساوية للذكور فقط • أما الريم فلم تعطهــا الطبيعة قرنين بل قرناً واحداً فــوق رأسها ، وبدلاً مــن القرن ، زودت الطبيعة خنازير البر بأنياب قوية وحادة وماضية في فمها للدفاع ومقاتلة المعتدين ، وهذا أيضاً ما زودت به الفيــل ذلك الحيوان القوي والضخم ، وقد نوهنا به في حديث سابق •

ولبعض من هذه الحيوانات ميزات خاصة أخرى ، فان صنف الثيران المعروف بالجاموس المتواجد في البلدان الشرقية وفي الهنــد ، بامكانها أن تتجول في المياه متى شاءت دون أن يلحق بها ضرر أو تختنق تماماً ، كمــا تفعل الحيوانات في الهواء الطلق • واذا شاءت أن تنزل الى عمق المياه ، هرباً مــن الحر أو أذى الذباب ، نزلت وربضت وأخــذت راحتها دون أن تتأذى ، أو تتضايق بسبب الحرمان من استنشاق الهواء ، أو تتأذى بالمياه المحيطة بها أو تختنق بها وتهلك كما تهلك الحيوانات عندنا ، ويوجد في مصر نوع من الفرس يعتقد أنها برمائية لذلك سميت فرس البحر أيضاً • فهذه تربض في أعماق النيــل طيلة النهار ، وفي الليل ، تصعد الى البر لترعى وتصخب وتفسد زروع وحقول المصريين • وتوجد في أنهار بلادنا أنواع أخرى من البرمائيات تسمى كلاب الماء وكلاب البحر ، فهي الأخرى تعيش في أعماق المــاء نهاراً وتقتات بما تصطاده فيها • أما في الليــل فتصعد فوق المياه لتصطاد في الهواء الطلق • وتقطع كلاب البحر الأشجار بأسنانها ومن هنــا جاء اسمها « القاطعــة » وهي ليست عديمــة الجدوى

لسيدها الانسان ، فقد أبتكر بعض المهرة ثياباً فاخرة وضرورية من وبرها وجلودها ، واستخلصوا من لحومها أدويه لهم وللحيوانات التي في خدمتهم • ولا تقتصر فائدة الحيوانات النافعة للانسان على ما ذكرناه هنا فقط ، بل هناك أنواع آخرى كثيرة الى جانبها لا تخطر على البال • يستفاد منها للطعام علاج الأجساد والثياب والكسوة والأحذية وغيرها من الحاجيات الضرورية التي تفيد الانسان طيلة فترة حياته ، وبالاضافة الى الاختلافات المار ذكرها في الحيوانات ، هناك اختلافات آخرى غيرها ، ومزايا ينفرد بها كل نوع • فالثور مثلاً يمتاز بالقوة والعبودية وحب العمل • ويمتاز الجمل باحتماله للأثقال ، وتمتاز الماشية بالاخلاص والوداعة ، والكلاب بصدق محبتها لأصحابها • ويمتاز الأسد بالقوة والشجاعة ، والدب بصحة الجسم ، والنمر بحبه للعزلة ، وخنزير البر بالخبث والوقاحة ، ويمتاز الظبي بقوة البصر ، لذا أطلق عليه اليونانيون هذا الاسم • ويمتاز الأيل بالسرعة وهو الآخر اشتق اسمه منها ، والثعلب بالحيلة الماكرة ، والذئب بالخبث وعدم الأمانه •

ومن الحيوانات ما تحب العيش في صحراء قاحلة عطشى ، وغيرها تفضل العيش في كهوف الجبال والمناطق الرطبة، وأخرى تحبذ العيش في الغابات والمناطق الكثيفة• ومنها مايحب العيش لمفرده، وغيرها تفضل العيش مجتمعة مع أبناء جنسها • وقد أشار الله اليها في قوله لأيوب(١٦) « من أكثر وحوش البرية المخوفة في مرابضها ، تكمن وهي رابضة في الغابة وتسعى للصيد» • بعضها يحب الصوت والقرب من الناس ، وغيرها تحب البعد عنهم حرصاً منها على أولادها ، وأمثالها ، الوعول والأيائل التي يقول عنها كلام الله الموجه الى أيوب « أتعرف وقت ولادة وعول الصخور أو تلاحظ مخاض الأيائل ، أتحسب الشهور التي تكملها أو تعلم ميقات ولادتهن • يبركن ويضعن أولادهن يدفعن أوجاعهن ، تبلغ اولادهن »(١٧) • يقال عن هذه، لما يأتيها المخاض ، تختار أمكنة خفية جداً وخالية تماماً من الناس والحيوانات الأخرى ، حرصاً منها على أولادها ، ولكي تعيش بحرص دون خوف ، وقد أتى الله على ذكر حرصها وسريتها في سياق كلامه مع أيوب •

فمثل هذه الاختلافات والمزايا وسواها ما لاحصر له وهي غير معروفة لدينا ، توجد بين الحيوانات • فهناك اختلاف في لحومها ودمائها وحليبها• ومن هنا نرى ان لحم بعض الحيوانات يؤكل ، ويكون دم بعضها الآخر ،

١٦ـ أيوب ٣٨ : ٤٠ • ١٧ـ أيوب ٣٩ : ١ ـ ٤ •

كدم الثور ، قتّالا ومهلكاً • وقل هذا أيضاً بالنسبة الى اللحم والحليب ، فبعضها مغــذ ، والبعض الآخر مضــر • الى هنا نكون قــد أتينا ، ولئن باختصار ، على ذكر الاختلافات والخصائص المميزة للحيوانات •

وبدافع حب العمل ، نضيف هنا فنتحدث عن اختلاف فترات حملها • فالفيل ، وقد سبق الحديث عنه ، بكونه حيوانا ضخما فان فترة حمـل الجنين في البطن تستغرق سنتين حتى يكتمل ، وتستغرق مدة حضانة الابن اثنتي عشرة سنة حتى يبلغ كمال طبيعة جنسه • أما البقية فسنذكر هنا اختلافات فترات حملها ومدة حياتها •

فذو السنامين والجمل والحصان والحمار ، تحمل الجنين في بطنهــا مدة سنة كاملة واحدة ، وتستغرق فترة حضانتها واكتمالها ثلاث سنوات وتموت في نحو سن العشرين ، أما صنف الثور فقــد جعلت الطبيعة مــدة تسعة أشهر لاكتمال حمله ، ومدة سنتــين للاكتمال والبلوغ ، وبالكاد تمتد حياته الى خمس عشرة سنة • أما الغنم والماعز ، فان فترة حملها قصيرة وكذلك فترة حضانتها ومدة حياتها • وكذلك الأمر بالنسبة الى الأيل وعنز الجبل وسائر حيوانات البرية آكلة العشب • كذلك فان فترة حمل وحضانة آكلة اللحم هي قصيرة ومختلفة قياساً بالحيوانات الأليفــة الكبيرة •

وتوجد في الحيوانات اختلافات أخرى في ما يخص الفهم وقلتــه • فمنها عديمة الفهم والتمييز كلياً ، ومنها لها ذكاء قريب من ذكاء ذوي العقل ، يظهر في حركتها وتصرفاتها وتمييزها • يقول الكتاب الالهــي بالروح النبوي عــن الثور والحمار ، بأن لهما معرفة وذكاء كذوي العقــل وأحياناً أكثر منهم • « الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه ، وشعبي لا يعرف ، اسرائيل لا يفهم »(١٨) فهذا يشكل توبيخاً عنيفاً وادانة لاتقبل اعتراضاً لحرية ذوي النطق التي لا معرفة لها ولا تمييز حتى بدرجــة الحيوانات غير الناطقة • وللثور والحمار أيضاً فهــم وتمييز في أمور كثيرة ، ولا سيما تمييزها للأصوات ، مثل العقلاء ، التي تدعوها لتمتثل أمر أصحابها • فذاك عندما يجر المحراث ويشق خطوطاً ، وعندما يسحب الجرجر أو العربة ، والآخر عندما يحمل ثقلا ويســير في الطريق أمــام صاحبه ، الذي يأمره أن يقف أو يسير أو ينحرف عن الطريق • وكما

١٨ـ أشعيا ١ : ٣ •

يقول علماء الطبيعة ، فان الأسد يعرف كيف يخفي آثار أقدامه عن الفريسة أو عن معاديه • وبامكانه أن يكتشف أمكنة مناسبة لرصد فريسته • ويقال ، ان الدب اذا ما جرح يعرف أن يميز العروق المناسبة لعلاج جراحه •

ويذكر بالثناء ذكاء الكلاب الذي يشبه الى حد ما ذكاء البشر • وللقرود أيضاً فهم لا يقل كثيراً عن فهم ذوي العقل ، لذا فانها تروّض وتقوم بكثير من الأعمال التي يعملها الناس • وللأيل أيضاً فهم وذكاء حيث يستطيع أن يميز أي نوع من الحيات يأكل دون أن يتضرر ، وأيّاً لا يأكل ، ويعرف أن يقصد ينابيع المياه عندما يطارده الصيادون ويغطس أرجله بالماء لينشطها ويكتسب قوة أكثر للهروب والنجاة من الأعداء ، لذا فقد امتدح النبي المرتل ذكاءه بدهشة حيث يقول موجهاً كلامه لله « كما يشتاق الايل الى جداول المياه هكذا تشتاق اليك نفسي يا الله»(١٩) • والقطط هي الأخرى كالايائل تعرف أياً من أنواع الحيات تأكل دون أن يلحق بها ضرر • وكذلك الدعالج تعرف وتميز حيلتها وعجزها وتصنع لها مسكناً داخل الأرض مخفياً تحت الصخور لتتجنب الأذى • فالله لم يحرم من الفهم والذكاء ، لا الحيوانات المفيدة ولا الضارة • فالقنافذ الواهنة والفئران الحقيرة تعرف ، كما يبدو ، أن تهيىء لها جحوراً مناسبة داخل الأرض تنجو بواسطتها من المعتدين • هكذا أعطى الله فهماً وذكاء لجميع الحيوانات التي خلقها على الأرض ، تستطيع به أن تميز أياً من المآكل هي صالحة ومفيدة ومغذية ، وأياً منها رديئة وضارة •

الى هنا نكون قد تحدثنا بما أعطينا من قوة محدودة ، عن الاختلافات والخصائص المميزة ، وعن مختلف هيئات الأجسام وأنواعها ، وعن تنوع الرغبات ، وعن اختلاف فترات الحمل والحضانة ومدة الحياة ، وعن الفهم والذكاء الغريزي لدى جميع هذه الحيوانات التي خلقها الله الخالق في هذا العالم ـ البيت الكبير والجميل ، وقصر الملوك ـ هذا الذي أعده الله للانسان ، ذلك الملك الذي كان عتيداً أن يخلقه على صورته ويقيمه رئيساً ومتسلطاً على كل ما فيه لكي تكون جميعها في خدمته وتحت عبوديته ، ولسد حاجاته •

والى جانب هذا النوع من الحيوانات التي خلقها الله الخالق على

١٩ـ مزمور ٤٢ : ٢ •

الأرض لتكون في خدمة ومن أجل كرامة وتحت عبودية الانسان ، هناك نوع آخر من الدبابات ، أشار اليه كلام الكتاب الالهي بقوله(٢٠) « فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها ، ورأى الله ذلك أنه حسن » ٠ فمن الواجب أن نتحدث عن هذا النـــوع ، منوهين بما يمتاز به من خصائص متميزة ومعروفة ٠ وبما في بعضهـــا مـــن اختـــلاف في الصنف المعروف بالدبابات ، ونظهر كيف أن حكمة الله الخالقة والمبدعة أعطت كل نوع ما يناسب طبيعته ، علمـــاً منها بحاجـــة كل منهـــا بعـــد خلقـــه ٠

☐ العضايـــا :

يقول الالـــه الروح واضـــع الناموس لبني اسرائيـــل في الكتـــاب المقدس(٢١) « وهذا هو النجس لكم من الدبيب الذي يدب على الأرض ، ابن عرس والفار والضب على أجناسه ، والجرذون والورل والوزغـــة والعضايا والحرباء ، هذه هي النجسة لكم من كل الدبيب » ٠ فقد أحصيت هذه مع الدبابات بحسب ما يدعوها الكتاب المقدس ، وهي ذوات الأربع أرجل وشبيهة بالحيوانات ذوات الأربع أرجل لا سيما ابن عرس والفـــار والورل ٠ فهذه الثلاثة لا تمتلك فقط أربع أرجل كالحيوانات ذوات الأربع أرجل ، بل لها شعر على جلدها أيضاً ، وكالحيوانات أيضاً تحمل في البطن وتلد ، ومثلها تربي أولادها بحليب من أثدائها ٠

فبسبب هذه الخصائص الموجودة فيها وفي الحيوانات ، فانها تنسب الى صنف الحيوانات ولئن كانت صغيرة الحجم ، أولا ، نظراً الى قربها وشبهها بها ، مثل النمس وتيس الجبل الذي يعيش على الأشجار ٠ وثانياً ، لأن كلا الكتاب والعرف يضعانها في صنف الدبابات ٠ ونحن أيضاً اذ ندعوهـــا ونضعها في صنف الدبابات ، نشير الى الخصائص المتميزة التي منحتهـــا الطبيعة لكل منها ٠ فلجميع الأصناف الثلاثة التي سبق ذكرها ، الخصائص المذكورة أعلاه ٠ أي ان الشعر يغطي جلدها ٠

أما الأنواع الخمسة الأخرى أي التماسيح والعضايا والورل والضب والحرباء ، فليس لها جلود مشعرة ، بل صقيلة ومتنوعة الألوان ٠ ولهذه

٢٠ـ تكوين ١ : ٢٥ ٠

٢١ـ لاويون ١١ : ٢٩ ـ ٣١ ٠

صفة أخرى متميزة ، فهي لا تحمل في بطونها أجنة كاملة كالثلاثة المذكورة والحيوانات الأخرى ، لكنها تضع بيضاً وتحتضنها كالطيور فيتسلسل جنسها . واضافة الى هذه ، فلكل منها مزايا خاصة . فالخلد لم يخلق ليعيش في جو منير فوق الأرض كسائر الحيوانات والدبابات الأخرى ، لكنه يعيش في ظلام وخفاء ، لهذا فانه عديم البصر بحكم الطبيعة ، اذ خلقه الله المبدع دون أعين ، وحيث انه لم يكن بحاجة الى بصر ، فقد وزع الله الخالق العادل قوة البصر على حاستي السمع والشم ، لذا فهو ولئن يعيش داخل الأرض ، الا انه يشعر بما يدور حوله فوق الأرض أكثر من بقية الحيوانات فيحتاط لنفسه . ويشتم رائحة الثوم والبصل عن بعد وهو داخل الأرض ، فيحفر في الأرض حتى يعثر على ما يشتهيه من الطعام . وقد منحه الله أسناناً كبيرة وسليمة ،صالحة وملائمة لحفر الأرض وحفر بيت له ومخزن لمؤونته وتربية أولاده ، وشق الطريق ليذهب حيثما يشاء ، حتى ولو صادف شقه في أرض صلبة صخرية يصعب حفرها . فمثل هذه القوة أعطت الطبيعة الخلد الأعمى .

أما الفئران فقد أعطتها الطبيعة فهماً وذكاء وقاداً وحيلة ، فهي تستطيع أن تسرق كثيراً من القمح من البيوت ، وتخفيها وتخزنها في وكرها ولئن كان في نفس الدار التي تعيش فيها ، وهذا ما تفعله أيضاً بالنسبة الى سنابل القمح في الحقول بعد نضوجها . وتصنع لها مخازن كثيرة في الأرض . وكذلك يفعل ابن عرس في أسس البيوت حيث يعيش .

يظهر من هذا ان الله المبدع الذي خلق جميع الحيوانات على الأرض كبيرة كانت أم صغيرة أم دبابات ، أعطاها فهماً غريزياً يساعدها على وقاية حياتها ، وتجميع واعداد طعامها ، حتى انه تعالى أعطى العنكبوت أحط أنواع الدبابات على الأرض ، الكفاية من الفهم والقوة تتناسب وصغرها وضعف طبيعتها ، وتساعدها على حفظ ذاتها وهي في قصور الملوك ، ولاعداد طعام دنيء من الذباب والحشرات الحقيرة ، لذا امتدحها سليمان ، ذلك الملك الحكيم مندهشاً ، في أمثاله مع التي نوه بها أعلاه ، اذ قال «أربعة هي الأصغر في الأرض ولكنها حكيمة جداً . النمل طائفة غير قوية لكنه يعد طعامه في الصيف ، الوبار طائفة ضعيفة لكنها تضع بيوتها في الصخر ، الجراد ليس له ملك ، لكنه يخرج كله فرقاً فرقاً ، والعنكبوت تمسك بيديها وهي في قصور الملوك »(٢٢) . هذا ما تناوله الكتاب المقدس من حديث عن الفهم الذي منحه الله لهذه (الحيوانات) .

٢٢- أمثال ٣٠ : ٢٤ - ٢٨ .

أما الحردون البري فقد منحته الطبيعة مقداراً كافياً من الفهم والدهاء المدهش يفوق ، على ما أعتقد ، دهاء واستنباط ذوي العقول المفكرة • يروي عنه أولئك الذين عاينوا وكتبوا ، ان حية اصطادت آحدها وهمت ببلعــه ، فأمسك بقوة خشبة في فمه على العرض فعجزت الحية عن ابتلاعه مع الخشبة ، فتركته والخشبة فنجا من الموت ، ويقال انه يتحايل في كل تصرفاته فينجو بدهائه من الأذى مرات عديــدة • ويقولون ان الــورل يمتلك مثل هذا الدهاء ، وهو يعيش في مناطق جرداء قاحلة ، ويصنــع أوكاراً تحت الجذوع القوية الراسخة ويفتح لها عدة أبواب في الجذور ونحو كل الجهات ، الواحد الى جانب الآخر ، لئلا تكون مفترقة عن بعضها حيث يبتعد الواحد عن الآخر نحو أربعة أو خمسة أذرع • واذا جاء عدو محاولا اصطياد بعضها ، فيبدأ بهدم بيوتها ، تهرب من أبواب بيوتهــا الكثيرة وتلجأ الى بيوت زملائها • وبانتقالها من بيت الى بيت تكتب لهــا النجاة من العدو • فمثل هذا الدهاء أعطت الطبيعة الورل •

أما الحرباء التي يسميها اليونانيون Xamelion (ܚܡܐܠܐܘܢ) أي أسد الأرض ، فلا يعزى سبب عملها لمخبأ واق من العداء ، الى ارادتها العقلية ، بل هي غريزة طبيعية ثابتة في جسمها ، وقد منحتها الطبيعة أن يتلون جسمها بشتى الألوان ما خلا اللون الأبيض • لذا فان جسمها يكتسب لون أي شيء يدنو منها ، سواء كانت صخوراً أم خشباً أم عشباً أم أوراق أشجار • وبهذه الطريقة تتقي شر المعتدين باختفاء في لون أي شيء قريب منها • وباعتبارها تتلون بشتى الألوان سوى الأبيض الذي يرمز الى الصفاء والنقاء ، اعتبرت رمزاً للشرير الذي يمكن أن يخضع لشتى التغييرات ما خلا التغيير نحو الخير •

والى جانب ما ذكر من الاختلافات والأنواع الموجودة في الدبابات ، ثمة أنواع واختلافات أخرى كثيرة ، بحيث عندما يطلب من المتحدث الكلام عنها ، فان حديثه لا يطال الا بعضاً منها ، نظراً الى كثرتها وعدم امكانية استيعابها ، فيوليها اهتمامه ويطرح بعضاً من خصائصها المعروفة والمتميزة لتكون على مسمع ومشهــد الذين يصادفونهــا • يقول علماء الطبيعــة والخبراء الذين يهتمون بالكشف عن أعمال الطبيعة وتدوينها • والذين كتبوا ما شاهدوا ، أن هناك نوعاً معروفاً ومتميزاً من فصيلة العضايــا يسميه اليونانيون Salamandra (ܣܠܡܢܕܪܐ) أعطتها الطبيعة

قوة فائقة وخاصية متميزة بحيث تستطيع أن تتجول داخل النار دون أن يلحقها أذى أو ضـرر تماماً مثلما تتجول الحيوانات في الهـواء الطلق ، والأسماك في المياه · حتى اذا ما صادف وان اصطادها انسان أو أي عدو آخر ، تحاول الهرب والافلات منه عن طريق القاء نفسها في تنور أو فرن أو موقد متقد بالنار ان وجد ، فتنجو · وتبقى هناك هادئـة دون أن يلحقها ضرر حتى تتأكد من أن عدوها قد ابتعد ، فتخرج الى حيث تشاء دون أذى أو خوف · ويقولون بأن لجسم هذه العضايا ، مثل هذه القوة والبرودة الشديدة بحيث انها لا تتأثر بحرارة النار المحرقة ·

☐ الحيوانات السامة ـ الحيـة :

ويقولون عن الحية ، ان لها جسماً حاداً ملتهباً بطبعه الى درجة أنهـا لا تحتمل حرارة جسمها ما لم تأكل التراب باستمرار ، لأنه أكثر برودة من كل شيء ، وبه يولد السم البارد القاتل لكي يتصارع ضد حرارة جسمها الشديدة · ولهـذا السبب ، يقولون انهـا تاكل التراب ، أي لكي تولـّـد سمها ، وهي تحاول زيادته من أجل تعديل حرارة جسمها ، ومن أجل أن يكون لها بمتابة سلاح ضد الذين يدنون منها · واذ اكتشف أطباء الأجساد المهرة ، الصراع ما بين جسد الحية وسمـّها ، اتخذوا قراراً سليماً أكدوا فيه بأن ليس هنالك ما هو أقوى وأنسب وأقدر لمحاربة سم الحية ، كلحمها الذي يتعايش وسُمها فيتغلب بحرارته على برودة السم · لذلك أعـدوا وركبوا أدوية مـن العروق الحادة لمعالجة الذين تعضهم الحيـات ، كمـا استخلصوا ، بحكمة وذكاء ، سماً قاتلاً من جسد الحيات الشديد الحرارة ، يمزجونه مـع المعجون الذي أعدوه ، فيتفاعل والسم بفعل طبيعته الحارة ويتغلب على البـرودة التي استحوذت على جسد المريض بسبب العض · هكذا هو مفعول ذلك المعجون الذي يحتوي على لحم الحيـة ، فانه يتغلب على يبوسة وبرودة السم القاتل أو أي نوع آخر من السم ، ويطردها من أي جسم كان ، سواء جسم الانسان أم الحيوان ·

وتوجـد في جنس الدبابات هـذا ، أنواع أخرى سامة جداً كالعقرب والشبت Phalangium (ܦܠܠܓܝܘܢ) وما يسميه بعضهـم Filius Stercoris (ܒܪ ܟܒܘܪ) وكثير غيرها تشبهها · وقد خلق الله أدوية شافية ضد هذه عندما تعضهم ، لتقضي على شرها وتبعده عن البشر والحيوانات · فمن هذه وغيرها نعلم جيداً أن الله يولي عناية لكل ما خلق،

ولا يهمل أو ينبذ خلائقه . فكل ما أبدع وخلق على الأرض انما هو حسن وضروري ومفيد ، ولم يخلق شيئا عبثا لا جدوى فيه للانسان في وقت ما وبشكل ما ، ومنها انواع الدبابات هذه وأمثالها من التي تعيش في التراب وفيه تضع أولادها حاملي نوعها .

□ النحلـــة :

وحيث أن الحديث تطرق الى كل هذه ، لا بد من اضافة ، بدافع حب البحث ، ما يقال عن التي هي أصغر وأدنى منها بكثير ، اذ ، وكما سبقت وقلت ، ان الله لم يخلق شيئاً عبثاً غير حسن ودون جدوى أو فائدة ، حتى ان الكتاب المقدس اثنى على النملة الصغيرة الحقيرة . لذا فقد أحببنا نحن أيضاً أن نتحدث عنها ، مقتصرين على ما جاء في الكتاب عنها من ثناء وحث . يقول سليمان بأمثال الحكمة « اذهب الى النملة أيها الكسلان ، تأمل طرقها وكن حكيماً ، التي ليس لها قائد أو عريف أو متسلط ، وتعد في الصيف طعامها وتجمع في الحصاد أكلها »(٢٣) . ويوجد في هذا الصنف من الدبابات غير هذه مما هو أكثر صغراً ودناءة وأقل قوة ، ومع ذلك فلم تحرم عناية الله أبداً ، ولا فهما أو تمييزاً لتهتم بنفسها وتحذر لحياتها .

□ العنكبـوت :

ومن الدبابات الحقيرة التي تصنع نسيجاً في الصيف ، تلك المسماة العنكبوت أو نوع من العناكب يسميه اليونانيون Aranea (أواحلب)

ولا أدري ما الذي أسميه ، اذ ان الناس لا يعرفون أسماء ثابتة لكل هذه الأنواع . فقد أعطاه الله الخالق فهماً مميزاً ، فيعرف غريزياً أن يهتم ويعد طعاماً لأكله ، ويعرف كيف يكون حذراً ، حرصاً منه على حياته ، وذلك بواسطة عضو ليِّن رهل في جسمه . وهو لا يستطيع أن يتجول على الأرض بصورة دائمية خشية أن يدوسه العبور فيهلك ، ولا يقوى على الطيران في الهواء لأن الطبيعة لم تزوده بأجنحة . وقد منحه الله الخالق والمعني بكل ما خلق ، قوة غريزية ليخرج من بطنه نسيجاً متيناً ، فينشره في الهواء بصورة منظمة ومناسبة أو بين حائط وحائط ، أو بين سقف البيت والأرض ، أو بين شجرة وشجرة . وقد جعل الله هذا النسيج رطباً ولزجاً كالدبق ، لكيما يتعلق ويلتصق كرباط لا ينحل بأي جسم يدنو منه

٢٣- أمثال ٦ : ٦ - ٨ .

فور خروجه من بطنه • فهو ينشر في الهواء هذا النسيج الذي يخرجه من بطنــه والذي يكاد لا يرى لأنــه يشبه الهواء نظراً الى لونــه ونقاوته ، فيجعل منــه مصيدة سهلة لاقتناص الذباب وغيرها طعــاماً له ، أو حصن نجاة وحذر ، اذ انه يهرب بواسطته بسرعة وينجو من أعدائه ، حيث يخفي نفسه في أماكن غــير منظورة ، واذا ما اصطاد به صيداً ما ، توجه اليــه للفور وامسك به ، واذا شاهد معتدياً وعرفه وميزه ، هرب للحال وأنقذ نفسه • واذا أراد أن ينزل مــن علو في الجو ، يخرج النسيج مــن بطنه ويلصقه في الاعلى وينشره ، ويلقي بنفسه في الهواء فينزل دون خوف أو أذى ، واذا شعر بعدو أثناء نزوله ، ثبت ذلك النسيج المعلق بــه بأرجله وصعد بسرعة وانقذ نفسه من المعتدي ، فكل هذا المهم والقوة أعطيت غريزيا لهذا الحيوان الحقير ، لكي ندرك ، منه ومن امثاله ، ان لا شيء مما خلقه الله عديم قوة الغريزة تنقذه وتحافظ عليه ، او هو بعيد عــن عنــايــة خالقــه •

فقــد منــح الله كل واحــد كبيراً كان أم صغيراً ما يلائم طبيعته • فاودع قــوة غريزية مناسبة في كــل ما خلق ، بواسطة الامر الأول الذي صدر بشان خلقها حيث قال : « لتخرج الارض نفساً حية كجنسها ودبابات تدب على الأرض كجنسها » فلم يقتصر تاثير آمر الله هــذا على تنفيــذ ارادة الخالق في حينه فقط ، بل ما زال ساري المفعول بالنسبة الى طبيعة الأرض المولدة ، كلما وحيثما أراد مدبر الكل الحكيم • فمتى شاء وناسب أخرجت الارض جراداً ، لكي به يؤدب البشر ويردعهم عن خطأياهم(٢٤) ، ومتى شــاء أرسل الى الأرض وحوشــاً ضارية بحسب ما جــاء في الكتاب المقدس • حيث أرسل الى المصريين ذباناً ليعذبهم بهــا • واذا شاء أيضاً أمر الأرض فأخرجت لهم قملاً بحسب قرارات الله الحكيمة وغير المدركة ، لكي عن طريق هذه (الدبابات) الحقيرة جداً والصغيرة والواهنة ، يردع قساوتهم الفظيعة وعجرفتهم(٢٥) • هذه هي قوة الله الخالق والقادر على كل شيء ، وهذا هو عمق حكمته • فانه يؤدب الخطاة بأية وسيلة شاء ، سواء عــن طريق الحيوانات الكبيرة أم الصغيرة ، ومتى شاء وكيفما شاء وبالأسلوب الذي تراه حكمته جديراً بأن يتأدبوا به ، فيتأدب الخطاة على خطاياهم • لذا عندما تأمل رجــل حكيم ضربات المصريين تحــدث عنهــا بحكمــة ومنطق ، وقال موجهــاً كلامه الى الله : « ان الذين ضلوا بسبب أفكارهم الغبية الآثمــة ، خضعوا للبهائم غير الناطقة والهوام الحقيرة ،

٢٤ـ لاويون ٢٦ : ٢٢ •

٢٥ـ انظر : خروج : ٨ •

اذ أرسلت اليهم كثرة من الحيوانات الدنيئة غير الناطقة لكي يعرفوا أن الانسان يعاقب بنفس الشيء الذي يخطىء فيه ، وأن يدك القادرة على كل شيء ، التي خلقت من المادة هذا العالم الذي لا شبيه له : لم تكن قاصرة عن ارسال كثرة من الذبان اليهم أو الأسود الكاسرة أو الوحوش من ذلك النوع الخبيث والمجهول التي ما أن تُخلق حتى تنفح لهثا ناريا ، أو تشتر الدخان بقوة على أنوفها ، أو شرارات نار مخيفة تنبعث من أعينها • بامكانك أن تمحوهم حتى بتلك التي لا ضرر منها ، لا بل يخشى أن يهلكوا بمجرد رؤيتها المخيفة : وبغض النظر عن هذه فقد كان بامكانك أن تبيدهم بنفخة واحدة وهم يطاردون من عدالة نقمتك • ويؤدبون بروح قوتك ، لكنك آمرت فأرسلت اليهم كل شيء بالعدد والكيل والوزن لتبرهن على أنك قادر دائماً على أن تعمل ما تشاء حتى كبائر الأمور • ومن ترى يستطيع أن يقاوم قوة اقتدارك » ؟. ان هذا الكلام الذي فاه به رجل حكيم ، يدلل بوضوح للمتامل على أن مفعول الأمر الذي أصدره الله في البدء موجود في كل لحظة ، لأنه كان ولا يزال مخوفاً وقادراً على كل شيء • وكل ما يعمله انما يعمله بالعدل والحق • ويولي عنايته لكل ما خلق ؛ ومن دونه لا يمكن أن يوجد شيء ، فكل هذه الاختلافات التي أتينا الى ذكرها هنا ، وأنواع أخرى كثيرة لا حصر لها ، توجد في صنف الدبابات التي خلقها الله لتدب على الأرض ، الى جانب صنف الحيوانات التي تشمل البهائم والوحوش التي سبق الله فخلقها قبل أن يخلق الانسان ، لتكون في خدمته وتحت عبوديته ومن أجل راحته وكرامته وتنفيذ رغبته في كل أعماله ومدى حياته على الأرض •

☐ كل شيء من أجل الانسان :

على هذه الصورة أعد الله البيت الكبير ، بل قصر الملوك ـ هذا العالم ـ وزينه بكل اللوازم الضرورية قبل أن يخلق الانسان ساكنه الذي أقامه ملكاً على كل ما خلق على الأرض • فكل الأشياء خلقت مسبقاً من أجل الانسان ، اذ سبق وكونها الله من أجله • فمن أجله وطدت الأرض ، ونشرت السماء ، وخلق النور ، وكُون الظلام ، وانفصل النهار عن الليل ، والصباح عن المساء ، من أجله فصلت المياه التي تحت السماء ، وثبت الرقيع في الوسط لكي يفصل ما بين المياه والمياه • من أجله سبقت فتجمعت المياه من على وجه الأرض الى مجمعاتها ، وظهر وجه المعمورة لتكون مسكناً يعيش فيه البشر ، وتركت فيها بحار وأنهار وينابيع مياه من أجل خدمته وراحته • من أجله خلقت مسبقاً في الأرض ، العشب

والبذور والعروق والنباتات وجميع أشجار الأرض لتكون طعاماً وأطايب له ولجميع الحيوانات التي كانت عتيدة أن تخلق على الأرض ٠ من أجله خلقت الانوار في جلد السماء ، الشمس والقمر والكواكب لتنير على الأرض لتفصل بين النهار والليل ، ولتكون للآيات ومعرفة الأوقات والأزمان على الأرض ٠ من أجله سبق الله فأمر المياه لتخرج الأسماك وكل ما في المياه ، وتطير الطيور في جلد السماء٠ من أجله سبق الله الخالق فأمر الأرض لتخرج نفساً حية وبهائم كأجناسها ، ودبابات تدب على الأرض كأجناسها ٠ هكذا سبق الله وخلق كل هذه قبل الانسان ومن أجله ، لكي اذا ما خلق فيما بعد ونظرها ، يتأمل بها ويدرك كيف أنه لم يكن موجوداً منذ قليل ، وقد نقله الله من العدم الى الوجود ، ويدرك كذلك بأن تلك هي آيضاً خلائق لم تكن موجودة فوجدت ، ويعلم أنها خلقت بنفس الطريقة التي خلق بها ، وان الذي خلقه هو نفسه خلقها ، ويقول جازماً ، أن الخلائق هي كل الأشياء المنظورة ، لها بداية وليست أزلية أو سرمدية ، وان الانسان يدرك الله خالقه غير المنظور بمجرد التأمل في جمال الكائنات المنظورة وعظمتها ويصرح ببرهان قاطع قائلاً : اذا كانت هذه منظورة ولها بداية ، فان خالقها لا بد وأن يكون غير منظور وبلا بداية وبعيداً عن الاستقصاء والادراك ٠ فاذا كان هذا رأيه ، عليه اذن أن يمجد دائماً الله خالقه العظيم القوي الممجد ، فانه ممجد منذ الأزل وقوي وقادر على كل شيء ، وصالح وعادل وحكيم وله العظمة والعدل والقوة والحكمة ٠ وبه يليق المجد والكرامة من الجميع ، الآن وكل أوان والى جيل الأجيال آمين ٠



المقال السابع

في الانسان

الذي خلقه الله على صورته ووضعه كعالم كبير وعجيب وسط هذا العالم الصغير

مقدمة :

ان الله الصالح والحكيم والقادر على الكل وخالق الكل ، والصانع والمعني والمدبر لكل ما يصنع ، الذي يرى خليقته ويعرفها قبل أن يخلقها: اذ أوجد العالم ، لم يوجده دون سبب · وحتى أولئك الذين يقومون بعمل ما في هذا العالم ، فانهم لا يقدمون عليه جزافاً وبدون معنى أو سبب · فاذا كان البشر المخلوقون والمتغيرون والمتذبذبون في آرائهم ، والذين هم دائماً تحت وطأة اضطرابات العقل ، لا يقال عنهم أنهم كثيراً ما يأتون عملاً عبثاً لا حاجة لهم به ، فكم بالحري الله الخالق الحكيم وناظر الكل ، الذي خلق بمعرفة حكمته ، وعمل بقوته المبدعة والقادرة على كل شيء ، يجب ألا نقول عنه انه يخلق أو يأتي عملاً عبثاً دون سبب مبرر أو دونما حاجة اليه ·

فاذا كنا قد جزمنا بهذا ووافقنا عليه ، علينا اذن أن نبحث بامعان الفكر وبشكل لائق ، عن السبب المبرر الحقيقي الذي دعا صلاح الله الخالق الى أن يخلق هذا العالم المنظور ، بما فيه من اتقان وجمال السماء والأرض وما يتوسطهما · وأية حاجة كانت له لكي يخلق هذه من أجلها ويأتي بها الى الوجود · فالله خالقها لم يكن أبداً بحاجة الى بيت يسكن فيه ، ولا هو محتاج الآن أيضاً الى سكن ، ذاك الذي يقول عنه النبي في مكان ما بكل هدوء ، كمن يتحدث عن شخصه : « قال الرب ، ألست أملأ السماء والأرض »(١) « فأين البيت الذي تبنون لي »(٢) ·

وكما هو معروف وواضح أن الله الخالق ، ذلك العقل الكبير والأول، لم يكن بحاجة الى بيت مادي ليسكنه ، كذلك أيضاً تلك العقول الثانوية

---

١ ـ أشعيا ٢٣ : ٢٤ ·   ٢ ـ أشعيا ٦٦ : ١ ·

أي القوات السماوية غير الهيولية ، الذين خلقوا على صورته ، لم يكونوا بحاجـة الى بيت للسكنى لانهم ليسوا ماديين ليحتاجوا الى بيت مادي ، لكنهم عقول لطيفة تشبه خالقها نوعاً ما ، ولا يمكن ان تحصرهم أجسام • وقـد تحصر الأجسام أجساماً أخرى • وتكون بحاجة الى بيـوت مادية لسكناها ، ان كانت سكاناً لا أمكنة سكن • اما العقول وكل ما ليس بجسم، فلا يمكن للأجسام أن تحصرها كما أسلفنا • وهي ليست بحاجة الى بيوت ومساكن مادية • واذا كان الله الخالق الخفي وغير المنظور ، غـير محتاج الى هـذا البيت ، وكذلك العقول التي خلقت على صورته وشبهه ، أي جميـع القوات الملائكية لم يكونوا هم أيضاً بحاجة اليه ليحتموا فيـه ، كما لم يكونوا بحاجة الى الأرض ليمشوا عليها ، ولا الى الماء ليشربوا ، ولا الى الهواء لاستنشاقه من أجل تقويم حياتهم ، ولا الى الشمس والقمر والكواكب لتنير لهم فيميزوا الليل والنهار ، فمن الواضح والمعروف اذن أن هذا البيت لم يوجد الا من أجل الانسان الذي كان الله عتيداً أن يخلقه على صورته ، بعد اكمال خلقة هـذا العالم ، ليكون بمثابة قصر الملوك الذي يُعد مسبقاً للملك • من أجل راحته وسكناه وسائر الذين ينحدرون منـه • ومـن أجـل الحيوانات التي خلقت مسبقاً لخدمتـه • والطيور والدبابات التي خلقت على الأرض مـن أجلـه •

هذا هو سبب خلقة العالم الذي سبقت خلقته من أجل راحة وحاجة الانسان وما معه من الحيوانات والطيور والدبابات التي تدب على الأرض، فمن أجل هذا الذي كان عتيداً أن يؤتى به الى الوجود ويقام من قبل الله، ملكـاً ومتسلطاً على جميـع الكائنات الجسمانية ، سبق واعـد قصـر الملـوك هـذا •

☐ الثـالوث والخليقـة :

فقد سبق اعداد كل الأشياء التي في هذا العالم ، كما نوهنا أعلاه ، وقد جاءت متكاملة ، ولم يعد هناك شيء لاكمال اعداد قصر الملوك هـذا ، ما خلا مجيء الملك الساكن ••• بعد هذا يقول الروح الملهم « وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض »(٣) • وهنا لا بد وأن تأخذنا الدهشة من لطف الله الصالح الرحيم

---

٣ ـ تكوين ١ : ٢٦ •

الذي لا يوصف ، نحو الانسان، حيث نلاحظ من هذه الكلمات الأولى الممهدة لوجوده ، انه يعطيه كرامة أعظم من سائر الكائنات المحسوسة التي خلقها قبله • فقد كتب عنها كلمة « لتكن » فقط ، فكانت • أو « لتخرج الأرض » أو انه يأمر المياه كذا فتخرج ما كان يريد •

أما بالنسبة الى خلقة الانسان فقد كتب الروح الملهم كلمات تشبه الانتقال الفكري والمقدمات التي يستعملها البشر في أعمالهم • فعبارة « لنصنع الانسان كصورتنا وشبهنا » التي فاه بها الله هي بمثابة انتقال فكري لديه وهذا يوحي بأن الله فكر فيما لو يخلق الانسان أولا • فلو لم تكن هذه هي الغاية من هذه الكلمات ، اذن لما كان هناك حاجة لله أن يسبق ويفكر في ما يريد أن يعمله • فليس عنده سبق الأمور ثم الندم • وهو ليس بحاجة كذلك الى مستشارين يشيرون اليه • فقد كتب « من سبق وعرف فكر الله أو من كان له مشيراً »(٤) • فما هو اذن القصد الذي تضمنه قول الله القائل « لنصنع الانسان على صورتنا كشبهنا » ؟ ، لِم لم يقل ما قاله عن سائر الكائنات ، فكانت ؟ اذ كان يقول عن الانسان مثلا ،ليكن الانسان فيكون فور صدور الأمر دون أي ارتباك • فقد قال عن بقية الكائنات ، كما سبق الحديث ، « لتكن » فكانت ، ولدى قوله « ليكن كذا» • كان الكاتب يضيف فيما بعد ويقول : وعمل الله كذا • أما بالنسبة الى الانسان فلم يقل « ليكن الانسان » بل « لنعمل انساناً » وبهذا أظهر بصورة واضحة جلية ، ان قوله هذا ليس موجهاً الى ذاته كما اعتاد بعض الناس أن يفعلوا ، بل كان موجهاً الى شخص آخر ، اذن لم يقل ذلك لذاته، ولم يكن ذاك الذي قال « لنصنع الانسان على صورتنا » نفسه ، بل كان معه شخص أو شخصان ، وله أو لهما قال « لنعمل الانسان » • ومما يثبت قوله « لنعمل » عبارة « على صورتنا وشبهنا » • فلو ان القائل كان اقنوماً واحداً ، ولم يكن ازاءه آخر وآخر ، لما قال ذلك أبداً ، لأن الواحد ليس بحاجة الى أن يقول « لنعمل » ، لكنه يعمل بصمت • حيث لا يوجد أمامه من يكلمه ، ولو تكلم لقال فقط ، لأعمل انساناً على صورتنا وشبهنا • فلو كان مفرداً لقال على صورتي وشبهي وليس بصيغة الجمع ، على صورتنا وشبهنا • وحيث ان الفعل ورد بصيغة الجمع ، وكذلك الأسماء فيما بعد ، اذ يقول « على صورتنا وشبهنا » بصيغة الجمع وليس المفرد ، لذا فالمقصود كان كلمته الخالق الذي اليه أشار سليمان في سفر

---

٤ ـ رومية ١١ : ٣٤ •

حكمته « عندما أسس السماء كنت أنا معـه »(٥) • وروحـه القدوس المساوي لهما بالأزلية والسلطان والقوة والارادة • قال الله الآب غير المنظور ورأس الكل « لنعمل الانسان على صورتنا وشبهنا » مستعملاً الأسمـاء والأفعال كما اعتدنا نحن البشر آن نفعل • فمن الواضح ان ليس هناك من يعمل صورة وشبهاً لله الذي لا شبه له وهو غير منظور أو مدرك ، ولا صورة لـه أو شبه اطلاقاً ، سوى كلمتـه الوحيد الذي يسمى بل هو ابن كولين مساو في الجوهر والسلطان والارادة والقوة والفعل • فهـذا هـو صورته الذي يتمثل به ويُرى ، الصورة التي تشير الى اقنومه وشعاع مجده كما جاء في القول الرسولي(٦) • فلهذين قال الله « لنصنع الانسان » وبسبب ذلك قال « على صورتنا وشبهنا » بصيغة الجمع وليس بصيغـة المفرد • ولكن ليس في اللاهوت أقانيم متعددة ، الذي بسبب صلاحه شاء أن يخلق الانسان • لذا قلت ان الألفاظ « لنعمل » و « على صورتنا وشبهنا » لم تأت بصيغة الجمع • وكذلك فعل « لنعمل » والأسماء التي تلته توحي وكأنها تنسب الى كثيرين ، حيث قيل « على صورتنا كشبهنا » وليس « على صورتي كشبهي » •

يمكن التعبير عن هذا كالآتي : ان اقنومي الكلمة والروح اللذين وجه اليهما فعل « لنعمل » كانا ثابتين في الله الاب القائل ، وهو ثابت فيهما • اذن لم يكن بحاجة الى أن يقول لهما « لنعمل الانسان على صورتنا » بل لم تكن هناك أية حاجة للنطق بهذا • ولكي أوضح بجلاء أكثر حقيقة مفهوم هذا الكلام أقول : ان الله لم ينطق بهذا الكلام اطلاقاً ، اذ لم يكن اللذان وجه اليهما الكلام بحاجة الى أن يقال لهما هكذا ، لكن الروح الملهم أوردها في الكتاب على هذا النحو من أجلنا ، لكي نستطيع أن ندرك سرية وخفاء أعمال الله • فمن هذه الكلمات التي أوردها الروح الملهم عن تكوين الانسان ، يتضح لنـا أن اللاهوت الخالق الواحد الأزلي هو ثلاثة أقانيم مقدسـة • كما تتضح الكرامة التي أولاها الله للانسان أكثر مـن سـائر الكائنـات المحسوسة التي سبق وخلقها من أجله •

قال الله « لنعمل الانسان على صورتنا كشبهنا ويتسلطون على سمك البحر وطيور السماء »(٧) • ففي هذا القول تعبير واضح عن ان الله لم يخلق انساناً واحداً بل كثيرين هم جميع أبناء الجنس البشري • فهو لم يقل

---

٥ ـ أمثال ٨ : ٢٧ •

٦ ـ عبرانيون ١ : ٣ •

٧ ـ تك ١ : ٢٦ •

« لنعمل الانسان (ܒܪܢܫܐ) ، ويتسلط » بل « لنعمل الانسان (ܒܪܢܫܐ) ويتسلطون »(٨) • وفي اللغة العبرية لم ترد الكلمة ابن الانسان بل انسانا (ܐܢܫܐ) علماً بأن كلمة « انسان » باللغة العبرية لا تأتي بصيغة المفرد بل الجمع • وهذا يدل على ان الله خلق جميع الجنس البشري سوية بشخص آدم وحواء اللذين خلقهما أو جبلهما منذ البداية • ولا أدري ماذا أقول ، فان اسم « آدم » بالذات له مدلول جماعي يشمل الجنس البشري برمته ، ولا يعني شخصاً واحداً • ومما يثبت هـذا ، ما كتب عنهم يوم خلقتهم « ودعا اسمهم آدم »(٩) • فمن اسم آدم اذن ، ومن كلمة « انسان » وكلمة « يتسلطون » الواردة بصيغة الجمع وليس المفرد ، يتأكد لنا ان الله خلق جميع الجنس البشري بشخص آدم وحواء اللذين خلقهما أولا ، وأمر أن يتسلطوا على سمك البحر وطير السماء والبهائم وكل الأرض(١٠) • لقد قال الروح الملهم في مطلع كلامه ، ان الله تكلم عن تكوين الانسان وأظهر كرامته الفائقة أكثر من سائر الكائنات المحسوسة التي خلقها من أجله • ثم يستطرد فيقول : وخلق الله الانسان ، على صورة الله خلقه ، ذكراً وأنثى خلقهما وباركهما الله قائلا : « اثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلـى البهائم وعلـى كل الدبابات التي تـدب على الأرض » . فبهذه الكلمات الأولى يقـول الروح الكاتب (الملهم) أن الله قد تكلم عن خلقة الانسان ، وأظهر كرامته التي تفوق كرامة جميع الخلائق المحسوسة التي خلقها من أجله •

ثم يواصل قوله : وخلق الله الانسان ، على مثال الله خلقـه ، ذكراً وأنثى خلقه(١١) • وباركهم الله وقال لهم : انموا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها ، تسلطوا على سمك البحـر وطير السماء والبهائم وجميـع الأرض وكل الدبابات الدابة على الأرض(١٢) فمن هذه الأقوال يعرف الأمر عينه •• أي اختلاف أقانيم اللاهوت ، اقنوم الذي قال أولا « لنعمل الانسان على صورتنا كشبهنا » وأقنوم مـن عمل الانسان • وأقنوم من عمله على صورته • يقول : ان الله خلق الانسان ، على صورة الله خلقـه • فالذي

---

٨ ـ استعمل المؤلف لفظة (نوشو) في العبارة الأولى و (برنوشو) في الثانية •

٩ ـ تك ٥ : ٢ •

١٠ـ فاسم آدم اذن بحسب المؤلف اسم جنس ، لا اسم فرد ، اذ يدل على اسم الجنس البشري بأسره •

١١ـ تك ١ : ٢٧ •   ١٢ـ تك ١ : ٢٨ •

خلقه والصورة التي خلق عليها ، ليسا اقنوماً واحداً بل اثنين • وكذلك الكرامة والسلطان اللذان منحهما الله الخالق للانسان •

وهذا نفسه قاله الروح عنه بلسان داود الذي أظهر بنشيده سمو كرامته وسلطانه(١٣) « من هو الانسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده وتنقصه قليلا عن الملائكة ، وبمجد وبهاء تكلله ، تسلطه على جميع أعمال يديك ، جعلت كل شيء تحت قدميه ، الغنم والبقر جميعها ، وبهائم البر أيضا وطيور السماء وسمك البحر السالك في سبل المياه » • بهذا أظهر الروح الملهم والمرتل مجد الانسان الفائق أكثر من سائر الكائنات المحسوسة، والسلطان الذي أعطاه الله على جميع ما خلق على الأرض، كما يبدو أيضاً من العبارات التي تظهر أقانيم اللاهوت ، ومن العبارات التي قيلت فيه ، ومما قاله له الله لدى مباركته اياهم • لكي بهذه كلها يعرف الانسان قولا وفعلا بأنه أكرم من سائر الكائنات المحسوسة • ومن أجله خلقت على هذه الصورة • لكي تكون لسكناه وراحته وطعامه ، وللحيوانات التي تعيش معه والتي خلقت لأجله ، وللطيور وكل الدبابات الحية •

□ الانسان روح وجسد :

لقد أظهر لنا موسى في أقوال الكتاب المقدس الالهية ، عظمة العقل الذي منحه الله للانسان الذي به صار صورة له وشبهاً ، كملك ورئيس لجميع ما خلق على الأرض • وحيث ان هذا (الانسان) صنفان مختلفان كما يبدو ، وهو مركب وغير بسيط ، ومنظور وغير منظور في آن واحد ، ومحسوس وعاقل في آن واحد • وجسماني وهيولي ، وروحي دون جسم • لذلك استوجب أن يكون الحديث عنه ذا بعدين مختلفين وليس ذا بعد واحد بسيط • فلنتناول بالحديث كلا من هذين البعدين على حدى بما يتناسب والترتيب المطلوب • ومن اللائق أن يأتي في الأول الحديث عن الجانب المنظور لهذا الحيوان المركب ، ومن ثم عن جانبه الخفي وغير المنظور وطبيعته غير المحسوسة وغير المادية ، أعني الروحاني والعاقل ، وذلك بقدر ما يتيسر لمن هو محصور في الجسد أن يتحدث عن طبيعة غير جسدية ولا مادية التي للانسان المخلوق على صورة وشبه الله غير المنظور • فهذا هو جسدي وروحي في آن واحد جسماني ومادي ، روحي وعقلاني •

١٣- مزمور ٨ : ٥ ـ ٩ •

□ جسد الانسان :

لنتناول الحديث أولا عن جسدانيته لأن الهيئة المنظورة للجسد ، هي بمثابة مسكن لطبيعة النفس غير المنظورة ، وان هـذا الانسـان المخلـوق المنظور ، يُرى وكأنه عالم ما صغير ضمن هذا العالم الشاسع الذي سبق ذكره ، وتناوله الحديث · وقد أوجده الله الخالق وجعله بمثابة قصرملكي للانسان الملك الساكن ·· وحيث ان هذا العالم ذو أهمية نظراً الى تكوينه العجيب الذي يفوق تكوين الأول · فاننا نود أن نسميه « العالم الكبير » الذي وضع في العالم الصغير · فانه لدى التأمل الممعن الدقيق ، يُرى مشابهاً للعالم الكبير من عدة جوانب · اذ توجد في تكوين هيئته طبقات مختلفة ، عليا وسفلى ومتوسطة · وقد أقامتها حكمة خالقهـا المبدع بشكل مفيـد ومناسب يشبه نوعاً مـا التناسق الموجود مـا بين السماء والأرض ، لتكون مسكناً متقناً وملائماً للانسان ذي العقل الراجح ، حيث جعله الله مسكنـا يلائم ساكنه الانسان ، في وسط هذا العالم الكبير ·

بعد هذا الحديث الذي تطرقنا فيه الى تكوين الهيئة المنظورة للانسان لنتحدث كاشفين القناع عنه ، مبتدئين بأقوال الروح المقدسـة والالهيـة الواردة في الكتاب الالهي · فقد جاء فيه عن الانسان ما يلي(١٤) « وجبل الرب الاله آدم تراباً مـن الأديم ــ أو كما جـاء في تقليد آخر ، تراباً من الأرض ــ ونفخ في أنفه نسمة الحياة ، فصار آدم نفساً حية » · فالكتاب المقدس تناول الجبل الكريم للانسان ، صورة الله ، بعبارات قليلة وموجزة· أما الحديث الفاحص والمستقصي فانه يتناول موضوع عملية جبل الانسان. بالطريقة التي سلكها بالنسبة الى خلق الحيوانات والطيور والأسماك وكل الدبابات التي خلق الله على الأرض ، وكما فعل أيضاً بالنسبة الى الأعشاب والزروع والعروق والأشجار والنباتات ، فان الله لم يخلق هذه من التراب أو الماء فقط ، ولئن جاء في الكتاب المقدس هكذا ، ذلك لأنه تصرف بحسب العرف المألوف عند الناس · لكنها كونت من العناصر الأربعة التراب والماء والهواء والنار · فمن هذه كلها ركب الله وبنى جسد الانسان ، وليس من عنصر التراب فقط كما يفهم من معناه ، ومن الكلام الذي وجهه الله للانسان بعد أن أخطأ « انك من التراب والى التراب تعود(١٥) » فهو لم يكـن من التراب فقط ، وليس الى التراب وحده يعود جسد الانسان لدى انحلاله ،

١٤ـ تكوين ٢ : ٧ ·

١٥ـ تكوين ٣ : ١٩ ·

بل انه ركب من العناصر الأربعة لدى خلقته ، وسيعود أيضاً الى أربعتها مرة أخرى عندما ينحل بعد موته · وهكذا يكون الله قد كرم الانسان في عملية جبله أكثر من سائر الحيوانات التي هي دونه ، حيث أخذ تراباً من الأرض وجبل الانسان · وان كلمة « جبل » لا تدع المجال للقارىء أن يفهم بأن الله أخذ تراباً فقط من الأرض كما هو مكتوب · فان التراب لا يجبل لوحده بل يظل على يبوسة طبيعته ، فهو لا يستطيع من ذاته أو من طبعه ـ ولا أدري كيف أعبر ـ أن يتحد أو يلتصق ببعضه · فيفهم اذن من كلمة « جبل » الواردة في كتاب الروح ، ان الله لم يجبل جسد الانسان من التراب فقط ، بل من العناصر الأربعة ، حيث أخذ في آن واحد التراب والماء والهواء والنار ، وعجن منها جبلة قوام جسد الانسان · وقد كُوّن قوام جسد الانسان الظاهر ويكوّن دائماً ، من طبيعة التراب أكثر من العناصر الثلاثة الباقية · لهذا فان العرف والكتاب يشيران الى أنه جبل من التراب فقط ، وترك لك أيها القارىء أن تدرك من ذاتك ان جبلة الانسان احتوت على العناصر الأخرى الى جانب التراب ، كما هي الحال بالنسبة الى سائر الحيوانات ، وقد سبق الحديث عنها أعلاه · وحيث اننا نفهم الأمور هكذا ، اذن علينا أن نتحدث عن هيئة جسد الانسان، ونظهر أنه جدير حقاً بالرئاسة وسلطان الملك على كل ما في الأرض ، وأنه أفضل من هيئة جميع أصناف الحيوانات والطيور ، وأفضل من هيئة جميع الدبابات التي تدب وتتحرك على الأرض · فقد كان من الواجب أن تُعرف وتتميز طبيعياً هيئة المنظر الخارجي لجسد ذاك الذي هو رأس ، وتتميز كذلك عن التي هي دونه · لكي يتميز الانسان وتظهر كرامته ، ليس في طبيعته فحسب ، بل وفي هيئة الجسد أيضاً · هكذا أكرمه الله وجبله وركبه من هذه (العناصر) ، وجعل من مسكن جسد الانسان عالماً آخر صغيراً كان أم كبيراً ، ولا أدري كيف أسميه ، أبيتاً أم مسكناً للانسان ، مثلما سماه بولس اذ قال : « اننا نعلم انه ان نقض بيت خيمتنا الأرضي ، فلنا في السموات بناء من الله بيت غير مصنوع بيد أبدي »(١٦) . فسواء دعوناه جسداً أم منزلاً أم بيتاً أم مسكناً ، فهو رمز هذا العالم الكبير الذي خلقه الله من أجل الانسان ، العالم الأكثر وسعاً من هذا ، نظراً الى كونه عجيباً ، وقد وضع في هذا العالم كصغير ليكون بدوره شبه بيت للانسان الحقيقي أي العقل ·

١٦ـ ٢ كورنثوس ٥ : ١ ·

□ تشبيه جسم الانسان بالقصر :

ويمكن أن نشبهه تشبيهاً ملائماً ، بقصر منيف مرصوص مشيّد بثبات على دعامتين متينتين ، ومؤلف من خمسة أدوار ، واحد فوق الآخر • ففيه أرجل وأفخاذ وبطن ورقبة ورأس •

وقد وضع له الله المبدع أساساً ثابتاً تحته كقواعد تحت الأعمدة هي أقدام أرجله التي ترتكز على الأرض باستمرار ، ولم يخلقها صلبة أو مستديرة كالتي للبهائم والحيوانات ، بل لينة لحمية وطويلة نحو الأمام لكيما تسند قامة البنيان عندما ينحني نحو الأمام فلا يسقط • ولئلا يميل نحو الوراء أو ينحرف بسبب ارتفاع علو القصر • وقد سند الأقدام بأعقاب متينة مكينة ثابتة غير منحرفة ، كما جعل في نهاية الأقدام عشر أصابع منفصلة ، لكل قدم خمس على عرض الأقدام ، لكي تساعد هي الأخرى في سند القصر اذا ما انحرف أو مال ، حيث انها تتشبث على الأرض بقوة كمن يوطد الأساس تحته • وقد شيد الصانع الماهر الدورين الأول والثاني على الأكعاب التي فوق الأقدام كمن على قاعدة متينة غير متزعزعة ، حيث نصب سيقاناً مستقيمة مجوفة بمثابة دعامتين راسختين غير بسيطتين ، مركبتين ليس من عظم واحد • بل من قصبتين عظميتين لكي تحمل بسهولة وثبات كل ثقل القصر دون أن تميل أو تنفجر تحت وطأة الحمل الزائدة • هكذا أعد الله الدور الأول للجسد البشري على قاعدتين ودعامتين ، واذ ربط بمتانة وقوة تجويف قصبات الساقين بنقرة الركبة (صابونة) بنى فوق هذه الدور الثاني ، أي زوجاً من الأفخاذ شبه قصرين مستديرين قويين • يقومان بثبات تحت القصر الملكي •

وقد شيد الخالق المبدع فوق هذه كلها بنياناً ثابتاً متيناً من عظام صلبة شبه الزوايا التي تربط البنيان لئلا ينهار ، سميت الأوراك كما اعتاد الناس تسميتها . وعليها أعد وضع الكنز الملكي برمته . وعمل الدور الثالث عريضاً وواسعاً، وهو الذي يسميه الناس بطناً ومعدة وصدراً وكل ما في داخلها • في أسفل هذا البيت قريباً من أرضيته ، جعل المبدع جهازين لاقتبال نفايات البيت ، الأول هو قناة لجلب النفاية الكثيفة ، والآخر من أجل الماء ويسمى المثانة ، وجعل تحتهما مخرجين مناسبين ، مخرج واسع للنفاية الكثيفة ، ومخرج آخر رفيع وضيق للتطهير من الماء ، لكي يتطهر بهما الكنز الملكي بصورة دائمية ، لئلا يبقى فيه شيء لا فائدة منه يأخذ مكاناً دون جدوى • وقد خلق المبدع جهازين متساويين في الثقل

وموضوعين الواحد قبالة الآخر لحفظ البيت كله ، يسميان الكليتين • ووضعهما على جدار هذا البيت شبه آمتعة ضرورية معلقاً بمسامير ، لتعديل هواء جو البيت ، من حرارة وبرودة معدلة ، ويبوسة ورطوبة منظمة ومناسبة ، وهما متميزتان في اللون والشكل ونوعية لحمهما •• وفي وسط هذا البيت ، وضع المبدع بطناً يتقبل المأكل وأمعاء قنوية توصلها الى المخرج • ووضع على حائط آخر من هذا البيت ، من الجانب الأيسر جهازاً يدعى الطحال الذي يتقبل عكر المآكل والمشارب التي تعمل على ادامة الجسم • وفي أعلى هذا البيت ، وفي الدور الثالث نفسه ، أعدّ الله المبدع وخالق الطبيعة غشاء جميلاً داخل الحجب الرقيقة ، وكذلك بيتاً آخر نافعاً ومتقناً جداً ومناسباً ، يسمى خدر الصدر ، من أجل كرامة وراحة الختن ملك الأعضاء ــ القلب ــ والعروس ــ الكبد ــ والقريبة ــ المرارة ــ التي ترافقها ، حيث تشكل مطبخاً للجسد ومائدة تقتات منها جميع أعضاء الجسد • القلب ــ الملك وجميع عبيده وكل الذين يحيطون به ويخدمونه ــ وقد وضع الخالق داخل القلب ، النار التي نعطي الدفء لكل الجسد ، وكذلك الرئة ذلك الجهاز الرقيق والخفيف الذي يتقبل الهواء ، لكي يحيا به الجسد ويثبت كله • كما وضع الله على أساس هذا الدور الثالث أي على رباط عظام الورك ، جهازاً عظمياً يسمى القفص الصدري ، الذي يحمل الصدر وما فوقه • وقد خلق الله أيضاً أضلاعاً عظمية ترتبط بهذا وتحتضن البطن لئلا يتأذى بسبب ليونته من جراء الصدمات والحوادث التي تأتي من الخارج ، ويكون بمثابة سور متين من عظام يصون الصدر لئلا يلحق الأذى ما في داخله من أعضاء ثمينة ورئيسية من جراء هجمة أو ضربة من الخارج • فبهذه ومن هذه ومن أجل هذه ، كانت اقامة الدور الثالث من جسد الانسان ضرورية ، من قبل الله الخالق القوي والقادر على كل شيء والمبدع الحكيم ، لكي يوضع الكنز الملكي في داخله باجلال •

وقد خلق الله المبدع دوراً رابعاً لبنيان الجسد البشري هذا ، عضواً صغيراً كريماً يدعى عادة الرقبة أي العنق ، وهو أرفع وأضيق عضو في الجسد ، فيه تتجمع كل شرايين الجسم وأوردته ، اعتباراً من أعقاب الأرجل ، لكي تجتاز عن طريقه الى الرأس ــ الدور الخامس من مسكن الملك ، بشبه القنوات والطرقات التي تشكل مداخل الى مدينة المملكة ، أو شبه مرقاة الأرجل التي تؤدي الى قصور الملوك • هكذا أعدت الرقبة هذا الدور الرابع ، ووضعت فيه ببراعة قناتان أي مدخلان أعني القصبة والبلعوم ، لكي يدخل عن طريقهما كل ما يجلب للمخزن الملكي ، الدور الذي يقع تحته • فالهواء يدخل الى الرئة عن طريق القصبة • أما الأكل

والشرب فيدخلان الى المعدة عن طريق البلعوم • فالأدوار الأربعة للصرح الملكي ، أعدت في الجسم البشري من قبل الله الخالق المبدع • وبحكمة فائقة وضع فوق هذا الدور ، الدور الخامس والأعلى ـ الراس ـ ليكون مسكنا لائقا وخدراً معتبراً للعقل ، ذلك الملك الذي هو الانسان الحقيقي وصورة الله الملك الخالق المبدع وهو يمثل الانسان • فقد وضع الله هذا الدور في أعلى الجسد ، وأعطاه شكلاً مستديراً كروياً مثل وردة الاقحوانة المحببة أو آية شجرة من هذا القبيل ، فوق جسم الغرسة ، وخلق الله المبدع في هذا (الرآس) سبعة أبواب أو نوافذ ـ انيأسميها بحسب ما جاء في الكتاب(١٧) ـ لكي منها يدخل ويخرج جميع السفراء الذين إما يأتون من الخارج الى الملك ـ العقل ـ أو انهم يرسلون من قبله . وقد نظم الخالق المبدع هذه في ثلاث جهات من جهات القصر الملكي • فمن الجهة الأمامية للقصر ، وضع باباً رئيسياً كبيراً يدعى عادة « فمـا » وجعل له مغاليق متينه وقوية مـن نحـاس ، أي الأسنان والانياب العظمية التي تقوم في داخله كَسُور قوي منيـع ، ووضع خارجه حجابين حريريين ثمينين ، علوي وسفلي يدعوان « الشفاه » ، لتغطياه باكرام كي لا يفاجأ الغرباء فيدخلوه دون استئذان• وقد أقام فيه الخالق عبداً أميناً وخادماً ملكياً ليحرسه بكل همة ، ويلاحظ ويفتش بدقـة كل ما يدخل المخزن الملكي ومطبخه ومائـدته • ان خادم الملك وعبده هذا يدعى « الذوق » ، وقد فتح الله الخالق فوق هذا تجويفين صغيرين يسميان « المناخير » لكي يدخل التكريم الى الملك عن طريقهما ، أي الروائح الطيبة اللذيذة ، والهواء الذي هو قوام القصر وكل خدمه ، وأقام لهما خادماً للملك مهتماً ومميزاً ذا ذكاء وقاد ومميز ، ذاك الذي يدعى « الشم » • ان الله الخالق المبـدع والمنظم لم يخلق للمناخير حجبـاً تغطيها من الخارج ، مثـل التي للباب الخارجي (الفـم) وذلك لسببين : الأول ، لتفسح المجال دائماً بدخول الهواء المنعش خدمة للقصر الملكي كله . وليخرج منها الفائض من رطوبة الماء • والثاني ، لأن مخارجها هي نحو الأسفل ، لذا فهي لا تحتاج غالباً الى حجب تغطيها وتمنع الغرباء مـن الدخول • ويرضى هؤلاء العبيد المهتمون بالأبواب ، أن ترمى عن طريقهم نفايات القصر الملكي ، مثـل البلغم والبصاق والمخاط وكـل السوائل الفائضة من رطوبة المـاء •

والى جانب هـذه ، فقد جعل المبـدع في الجهة الأمامية من القصر الملكي بابـين آخرين متساويين وواسعين ، مفتوحين مباشرة أمام خـدر

١٧ـ أمثال ٨ : ٦ •

الملك ، يسميان « عيوناً » لكي ينظر ويتطلع الملك مـن خلالهما دائمـاً ٠ وينظر ويرى حتى عن بعد كما يرى عن كثب ٠ وقد وضع الخالق المبدع لهـذه ايضا حجبا رقيقة مـن الجلد لكي تغطيهما منعا من دخول الغرباء العابثين ، وجفونا مـن الشعر قوية لتمنع عنف الحوادث ، واقام عليهما أحـد العبيد الحريصين الذي تدعوه « نظرا » ٠ كما وضع المبدع بابـين آخرين عن يمين الصرح وشماله ٠ وأمام الخدر الملكي مباشرة يدعيان « آذاناً » ، واقام عليهما أحـد عبيد الملك المسمى لدى العامة « سمعاً » ولم يجعل لهذين البابين حجبا ، بل تركهما مفتوحين دائماً ، ومنهما يدخل السفراء الذين يأتون الى الملك مـن الخارج ، أعني الألفاظ والرنـين والطنين الرفيع والأصوات التي تاتي من الاجسام دائماً ٠ وقد جعل لهما أسواراً مـن جلد لتمنع مـن الدخول عنف الحوادث الفجائيـة المؤذية ٠ ومداخل ضيقة ودائرية أو حلزونية حتى قاعدة خدر الملك لكي لا تدخل بسهولة كلمـة قاسية أياً كانت فتقلق الملك وهو في خـدره ٠ هكذا هي مداخل الآذان لدى جميع الناس ٠ فالموفدون الآتون من مكان قصي مرسلين الى الملك ، يدخلون عنده من تلك الأبواب التي عن اليمين وعن اليسار ٠ وان كانوا يحملون رسائل فانها لا تؤخذ الى الملك من هذه الابواب ، بل مـن البابين الآخرين المقابلين للخدر اللذين يسميان « أعينـا » ويشرف عليهما العبد المدعو « نظراً » ، ومن خلالهما تدخـل الكتابات الى الملك فتُقرأ ، أما السفراء الذين يوفدهم الملك فلا يخرجون من البابين اللذين عن يمين وعن يسار الصرح الملكي ، ولا من تلك المقابلة للخـدر ، لكنهم يرسلون وهم ممتطون مركبات روحية سريعة ويخرجون من الباب الرئيسي الكبير المقـابل للصرح الملكي ، ويشرف على هـذا الباب وعلى مغاليقه القوية مـن الداخل ، وعلى باب خـدر الملك عبد مطيع للملك ولجميع السفراء الموفدين مـن قبله ، هو الذي يزودهم ويساعدهم على الركوب ويخرجهم مـن الأبواب بأمر الملك ، ويدعى هـذا العبـد « اللسان » ٠ وفوق هذا العبد ، وفي داخله وداخل أبواب الخدر الملكي ، وبين الأبواب التي عن يمين وعن يسار الصرح ، وضع الخالق المبـدع الخدر الملكي في الوسط ، وأمر وقرر أن يرتاح فيـه العقـل ــ الملك ــ الانسان الحقيقي الذي خلقه الله الخالق على صورته وشبهه ، ويدعى هـذا الخدر ومسكن العقل ــ الملك ، الانسان « دماغاً » في منطق البشر ، وقد وضع في وسط الدور الخامس الذي هو الأعلى وعـين الجسد والذي يدعى « رأساً » ، وبـين جميع هـذه الأبواب التي سبق ذكرها ، يحيط به منديل شفاف ورقيق جـداً ، وهو غشاء رقيق غـير قابل للمس ، ويكاد لا يُرى بسبب شفافيته ، ويقول علماء الطبيعة وذوو المهن الطبيـة ، انـه اذا تضرر أو

بقر ولو يسيراً ، تهلك حياة الانسان فوراً ، ويحيط به من الأعلى واليمين واليسار عظم اسفنجي رقيق ، ويليه نحو الخارج ومن كل الجهات عظم آخر قوي ومتين ، يليه جلد متين وثخين يحيط بالرأس كله • وقد وضع الخالق المبدع فوق هذه ، مظلة مزدوجة أو غطاء أو لا أدري ماذا أسميه ، ألا وهو الشعر الكثيف والطويل الذي يسترسل ويغطي دائرياً كل الرأس، ويكون له بمثابة تاج جميل وبهي ليشير الى أن الانسان هو ملك جميع ما خلق الله على الأرض • وترتبط بالدور الأعلى المسمى رأساً ، جميع شرايين وأوردة الجسم اعتباراً من أعقاب الأرجل وحتى الرأس ، يشبه حبال متينة قوية ، وقد ربط الله المبدع الجسد البشري باحكام ، ووفر له سيولاً من السوائل في أوردة وشعيرات دقيقة رفيعة منتشرة ومتغلغلة في جلد الجسم ، ويملأها هواءً أو ماءً أو دماً أو مرارة ، أو بلغماً ، أو ذلك النوع من المرارة الذي يسميه الناس « السوداء » ، لأنه ركب من العناصر الأربعة بشكل مناسب متقن •

ففي المخ الواقع في وسط هذا الدور الأعلى من الجسم المسمى رأساً ، يسكن العقل ــ الملك أي الانسان الحقيقي الذي خلقه الله على صورته وشبهه من السادة والرؤساء في هذا العالم الذين يسكنون الأدوار العليا ، في حين يسكن عبيدهم ومستعبدوهم تحتهم في السفلي ، لكيما يطل من هناك ويلاحظ كل الأدوار التي تحته عن كثب ، ويخلق فيها التاثيرات المسماة « حواساً » ، أي البصر والسمع والذوق والشم ، تلك التي تسكن الحوانيت القريبة التي حوله أي الأعين والآذان والفم والأنف ، وبالاضافة الى هؤلاء الخدم الأربعة، له عبد آخر خامس يقظ ونشيط يقدم خدماته لسيده العقل عن طريق اللمس ، وعن طريقه أيضا يتفقد جميع العبيد الذين يسكنون في الداخل والخارج • هكذا أقام الله مسكناً لائقاً للعقل الذي خلقه على صورته ، حيث خلقه وزوده بصورة متكاملة بكل الحاجات الضرورية، لكي تخدمه كل الأعضاء وتمتثل لأوامره وتخدمه كالعبيد في كل الأدوار •

والى جانب ما تحدثنا عنه ، فقد زوده المبدع بعبدين آخرين وخادمين نشيطين وعضوين كريمين مرتبطين ببنيان الجسد خارج نطاق الأدوار المذكورة عند الأطراف العليا للدور الثالث الذي يسمى المخزن ، تسميها العامة «أكتافاً» • ثم أضاف الله وخلق عضوين آخرين يسميان «الذراعان» وربطهما بالأكتاف بصورة متقنة ، الواحدة عن يمين المخزن والأخرى عن يساره ، لكي تنفذ دائماً وبسرعة ، ارادة سيدها ومدبرها العقل ــ الملك • وقد جعل المبدع أن ترتبط بأربطة رخوة وبسيطة لتتحرك بسهولة دونما عناء ، نحو الأعلى والأسفل والخارج والداخل والأمام والوراء ، تشبه

المجاذيف المربوطة بالسفينة بواسطة حلقات ، ووجهها الخالق المبدع أمام الجسم ، وجعل مفصلاً آخر في وسطها يدعى « المرفق » أي الكوع لكي تنحني بسهولة وتعود الى الجسم لتسد حاجاته دائماً • وقد جعل العظام التي في داخلها منفردة وبسيطة وربطها في الأكتاف بواسطة أحواض مستديرة تطوف بصورة دائمية داخل أحواض مستديرة وعميقة بسهولة ويسر ودون عناء ، لكي تنفذ دائماً أوامر الملك ، وتسميها العامة فئران الأذرع ، واعتباراً من الكوع فما دون تسمى بحسب العرف ، مفاصل • وقد جعلتهما الطبيعة قصبتين كالتي ذكرت في السيقان وربطتهما سوية في الكوع بواسطة عظام الذراعين • وقد أضاف الله الخالق وربط الى جانب تجاويف قصبات مفاصل الذراعين ، أعضاء أخرى صغيرة مفيدة ونافعة وضرورية جداً لجسم الانسان ، وأعقب كلاً من المفاصل برسغ مربع ذي أربع زوايا وأربع قصبات متساوية وصغيرة يلي بعضها البعض بتلاحم وابداع ، وبهذا التلاحم تشكل مجموعة واحدة حتى ليخال للناظر أنها عظم واحد ، وأعقب هذا العضو المركب من أربع قصبات متتالية والذي أبدعه الطبع الخالق ، بكف اليد كما اعتاد الناس تسميته ، وقد أضافت الطبيعة أربع أصابع الى كل كف ، وفي كل أصبع ثلاثة مفاصل متتالية ، وقد ربط هذه برباطات رخوة ولينة ومتحركة لتشكل أكفاً وتنبسط بسهولة بواسطة أجهزة وأوردة ملحقة بها لا روح فيها وبحسب مقتضيات تكوين الطبيعة • وقد وضع الطبع الخالق ازاء هذه ضرورة ، أصبعاً أخرى ، لها هي الأخرى أربعة مفاصل في أصل كف اليد وأساسه ، حتى اذا ما وجهت نحو الأصابع الأربع ، وانطوت معها لدى انطوائها ، أمسكت واياها بما يتطلب لخدمة الكائن • هكذا أعدت الأيدي والأصابع سوية بشكل يمكّن الانسان من الامساك بكل ما يريد بحذر وبالكيفية التي يريدها فتسد حاجة الجسد كله ليس فقط لتقريب المآكل والمشارب الى الفم ، بل والى جانب هذا ، لكي تسد بفوائدها كل الأعمال الضرورية • وقد أبدعت الطبيعة أيضاً بحكمة وانسجام أظافر في رؤوس (الأصابع) تشبه العظام ، حيث جعلت لها جسماً صلباً لا حياة فيه ولا شعور ، وذلك للغايات التالية : أولاً ، ليحك بها الانسان جسمه عندما يحكه ، ويحرك دمه • ثانياً ، لمواجهة صدمات الأجسام المضادة القوية لئلا تصطدم بلحم رؤوس الأصابع اللين فتهشمه • ثالثاً ، لكيما تقلم اذا نمت مثل الشعر أكثر من الحاجة ودون أن تسبب شعوراً بالألم • هكذا جعل الخالق المبدع أن تنمو الأظافر والشعر في جسم الحيوانات دون أن تكون لها حياة أو احساس • لكيما اذا تغذت ونمت وكبرت في أجسام حية وحساسة ، تقلم كشيء لا حياة فيه ولا احساس ،

دون أن تؤلم الجسم الحي الحساس • وتحتوي كل يد على عشرين مفصلا جعلتها الطبيعة صغيرة وناعمة ورخوة في ربطها كما سبق الحديث عنها ، لكي تطوى وتنبسط بسهولة وتمسك بكل ما يحتاجه الانسان من مستلزمات •

وعلى نفس الطريقة ، أعدت الطبيعة الأيدي ومن أجل الأغراض نفسها • وكذلك الرجلين اللتين تحملان الجسم ، فقد أعدتهما الطبيعة بشكل يسهل تحركهما دون عناء أو صعوبه اطلاقاً ، وهما تنقلان الجسم كله من مكان الى مكان ، حيث ربطتهما تحت الجسم بأفخاذ بواسطة الاوراك تحت الحق • وتتحركان بواسطة أحواض مستديرة وملساء تدور داخل أكواع مستديرة وعميقة بسهولة ومرونة الى الأمام والوراء، وتنقل الجسم وتقربه الى حيث تشاء الذات التي تحركه ، وقد جعل الركب وهي الروابط التي تربط السيقان بالأفخاذ في المقدمة ، وجعل وراءها التقوسات التي تسمى أكعاباً لكي يكون تقوسها الى أمام الجسم عندما يجثو على الأرض • ولم يجعلها من الوراء كما هي الحال بالنسبة الى البهائم • على هذه الصورة خلق الله الأرجل ، جاعلا فيها ، كما في الأيدي ، نفس عدد الأصابع والمفاصل ، في كل رجل ، اضافة الى المشط العظمي ، خمس أصابع وعشرين مفصلا • وجعل كذلك الأظافر في رؤوس الأصابع لتكون حارسة وواقية لطراوة لحم رؤوس الأصابع •

وقد خلق الله المبدع والخالق في جسم الانسان باتقان ، عضواً كبيراً وهاماً وضرورياً جداً ، ليثبت ويرسخ ويقي كل هذا الصرح ، انه بيت الانسان أو الانسان الخارجي ، ونود أن نشبهه تشبيهاً مناسباً ، اما بعمود متين وقوي يقوم في وسط البنيان ، وعليه تستند الأسس والسقوف من كل الجهات ، ويتم وزن البناء وضبطه ، وبه ترتبط كل الأربطة بثبات لئلا ينهار وينحل ويسقط على الأرض• أو بالخشبة الضخمة التي ترتفع بصورة مستمرة في وسط السفينة بثبات واستقامة، ويضعون عليها سارية السفينة والأشرعة القطنية التي تحمل طاقة ورياحاً ، وينشرون عليها الحبال المقوية التي تضبط السفينة من أعلاها الى أسفلها لئلا تتزعزع أو تنحرف عن استقامتها ، فتطوف على وجه المياه وتفنى • بهذه نشبه هذا العضو الكبير الذي خلقه الله في وسط جسم الانسان ، الذي سنبحث عنه بجدية ، ونصوره بالكلمات ونقدمه أمام أنظار القراء أو مسمع الذين يصغون • ان هذا العضو يسميه الناس « العمود الفقري » الذي نود أن نتحدث عنه ونبين أهمية وجوده في الجسم البشري • فقد خلق المبدع هذا (العضو) ووضعه على أساس عظمي فوق الأفخاذ وبين الأوراك

على شكل عمود مستقيم كما سبقنا وشبهناه • فقد خلقه المبدع وركّبه من عظام صغيرة ومفاصل كثيرة مثل عمود يُبنى من خرزات صغيرة وكثيرة ، وقد ربطها ، ببراعه واتقان ، بشعيرات وخيوط رفيعة وأوردة مشتبكة ليكتسب قوة للاسترخاء والتقوس والانحناء نحو الاسفل عند الحاجة وينبسط ويستقيم نحو الأعلى بسهولة كلما شاء الانسان ساكن هذا الجسم ، اذ يأمره ليجني منه الفائدة المتوخاة ، شأن سائر أعضاء الجسم الأخرى • وهكذا جعله الخالق منتصباً وقائماً ، بدءاً من الأساس العظمي على الورك ، مقابل البطن والصدر من الوراء ، ومروراً داخل الرقبة بشكل أرفع حتى يرتبط بقاعدة الرأس وعند قاعدة المخ داخل الرأس • وقد خلق المبدع الحكيم داخل خرزاته ، ما يشبه الأنابيب أي قنوات تشبه الأمعاء الدقيقة ، لكي ينحدر في داخله النخاع ، امتداداً من مخ الرأس حتى الرابط الأخير عند الورك في نهاية العمود الفقري هذا ، وفي نهايته الأخرى عند الورك وفوق الرابط الذييربط الأفخاذ بالأوراك، خلق المبدع عضواً ذكرياً مناسباً ومثمراً ، وخلق الى جانبه آنابيب رفيعة مناسبة آتية من المثانة ومن المعدة ، ومن الأفخاذ والأوردة والشرايين التابعة له ، وكذلك من المخ داخل العمود الفقري ، لكي يقتبل باستمرار السيل المائي من المثانة التي تضم الفائض من الماء ، ويلقيه خارجاً عن طريق التبول • ومن مخ العمود الفقري ، والقناة الآتية من المعدة ومن قنوات الأفخاذ وشرايينها ، يقتبل زرع الطبيعة البشرية ويقدمه للأنثى بشكل مناسب من خلال الزواج عندما تدعو الشهوة الجسدية التي غرسها فيها المبدع غريزياً • وعندما ترغب ارادة الانسان ـ الساكن ـ فياستمرار وجود الطبيعة البشرية • فالزرع البشري يصدر فعلاً عن هذه القنوات الثلاث • هذا ما كتبه وسلمه رجال حكماء ، مستقيمون وعلماء في كتبهم التي وضعوها في الطبيعيات وقالوا : ان القناة الآتية من داخل العمود الفقري والصادرة من المخ ومن الشرايين والأفخاذ وقنواتها تمثل الطاقة الطبيعية والرئيسية للجسم ، وتمثل القناة الآتية من المعدة طاقة ثانوية تضاف الى الطبيعة عن طريق الأطعمة • ولذلك نقول مقارنين بما جاء في قصة ابراهيم رئيس الآباء الذي قال لوكيله لعازر(١٨) • « ضع يدك تحت فخذي وأحلفكم بالرب الاله » ، وفي نسخ أخرى « تحت ظهري » ، وقال عن يعقوب بشكل نبوة عن ابنه يهوذا ـ وهو يفكر بكل تعقل وبرؤيا من الروح الالهي ـ الذي منه سيظهر المسيح في الجسد ، « لا يزول القضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع الشعوب »(١٩) • فالعمود الفقري هذا هو السند والركن الأساس

١٨ـ تكوين ١٤ : ٢ •

١٩ـ تكوين ٤٩ : ١٠ •

لقامة الجسم البشري ، اليه يستند بنيان هذا الصرح كله ، وهو يُرعى وكأنه يقوم بمفرده فوق الورك قبالة البطن ، ويعزز ما يسند ثقل هذا الصرح ٠

وجعل الخالق قبالة المعدة أضلاعاً عظمية ، وعلى نفس النمط ربط رتاجاً مثل التي يلقي النجارون المهرة صانعو السفينة ، داخل السفينة ، أو مثل المغالق التي يضعونها على الابواب ، وهي التي تحيط بالمعدة بشدة وبصورة منحنية لئلا تنسكب الى الخارج عندما تستلىء بالأطعمة والأشربة الكثيرة ٠ وربط بالعمود الفقري مقابل الصدر وفوق الأضلاع، عظاماً متينة وقوية تحيط بالصدر وما في داخله ، ومن كلا جانبيه ومن أمامه ، لحفظ ووقاية القلب والكبد والرئة ، هذه الأعضاء الرئيسية ، وكل ما بينها ٠ وربط الخالق بالعمود الفقري الرقبة والاكتاف ، وغيرها من الأربطة التي نسميها الترقوة التي تحيط بالقصبة الهوائية وتحمل الرئة والبلعوم الذي يُنزل الأطعمة والأشربة لئلا تنسكب هنا وهناك ٠ وربط الله بمفتاح تحت الرقبة وعند القناة والمدخل الملائم ، الأحواض التي تتحرك فيها المدقات ماسكة الأذرع ، كما أسند الخالق الحكيم وثبت على ظهر العمود الفقري العضو المتين الثابت ، مناكب وراء الأكتاف ٠ لكي تساعد أربطة الأحواض والمدقات التي في داخلها من أجل تثبيت الأذرع ، لئلا تتحرك وتنحرف هنا وهناك ، وتقفز من أمكنتها ٠ على هذه الصورة خلق الله هذا العضو المدعو العمود الفقري ، لكي ترتبط به وتتعلق كل تحركات الجسم ، من حيث انه يظل ثابتاً تحت الرأس ، مثل الصرح المتين الراسخ الذي يحمل خدر صاحبه ، فهو يقوم وراء الصدر والمعدة وقبالة البطن كَسُور حصين لا يثلم واق للذين يسكنون داخله ؛ ترتبط به الخواصر ، وتتعلق به الأفخاذ ، لئلا تنحرف وتسقط اذا ما حركت ورفعت استعداداً للسير ٠ فهي لا تستغني عن مساعدته ، وكذلك الرُكَب والأرجل البعيدة عنه والتي ، يعتقد لا تتحرك دونه ٠ وترتبط به الشرايين والأوردة الموجودة فيه والتي تصدر منه ، وتمر به أيضاً ، تلك التي تبدأ منها (الشرايين ٠٠) وتجتاز صاعدة الى مخ الانسان ٠ وبهذا نكون قد أظهرنا أن العمود الفقري هو عضو رئيسي هام بالنسبة الى قوام الجسم وتكوينه ٠

وخلق الله هيئة الجسم البشري على هذه الصورة ، جاعلاً اياه بيتاً ومسكناً واقياً للانسان الحقيقي ــ العقل ــ ليسكنه فترة محدودة ، حتى يأمر ذاك الذي خلقه بانحلاله ٠ وقد خلق اختلافاً مناسباً بين الذكر والأنثى ، من أجل اثمار وولادة البنين لاستمرار الجنس البشري ٠ هذا

ما سلمنا اياه أيضاً كلام الله في الكتاب الالهي، القائل(٢٠) : « ذكراً وأنثى خلقهما الله يوم خلقهما » • هكذا كونه مبدعه الخالق منذ بدء خلقته كما شهد أيضاً الكتاب الالهي بقـوله : « ذكراً وأنثى خلقهم » ، وجعل لهـم اعضاء زواج مناسبة ، وغرس فيهم شهوة تدعوهم الى هـذا متى شاءوا ، الـى اثمـار الاولاد ، الى تثبيت وتسوير الجنس البشـري ، بزواجهـم واقترانهم ببعضهم البعض بالحب والشهوة التي تربطهم معـاً ، بمقتضى ما خلقهم الله الحكيم • فالرجل يلقي زرعاً بشرياً حياً في حضن ــ فرج ــ الطبيعة البشرية القابل للزرع بواسطة قنوات جسمه التي سبق الحديث عنها • كما تقدم المراة من رحمها دماً حياً ومثمراً من أجل تقويم وتركيب الانسان ذاك الذي ، كغرسة صغيرة وطرية التي تغرس وتنمو في الرطوبة داخل الأرض ، يغرس جنيناً صغيراً طرياً داخل بطن أمه ويتغذى تدريجياً مثلها وينمو ويكتسب الصورة المتميزة ، صورة الكيـان البشري فيكـون انساناً كاملاً مثل الذين ولدوه وغرسوه من جسد كيانهم •

☐ مميزات الجسم البشري :

ونظراً الى وجود اختلافات في هيئة الجسم البشري ، لنتحدث عنهـا بايجاز ، هذه الاختلافات التي أوجدتها الذات الخالقة في هيئة جسمه ، كصفات ظاهرة ومتميزة أكثر من سائر حيوانات الأرض ، ولكي تؤشر في الوقت نفسه الى الكرامة الفائقة والرئاسة التي أعطيت له من خالقه • وسيتناول الحديث ما يتيسر عن تكوين خلقته ، مشيراً الى كل من الأعضاء التي فيها الاختلافات التي بها يتميز ويختلف خاصة عن بقية الحيوانات :

١ ــ الصفة الأولى التي ميزت بها الطبيعة الانسان هي ، انها أعطت كل الحيوانات التي تمشي أربع أرجل، أما هذا (الانسان) فرجلين فقط، واذ جعلت لكل الحيوانات أظلافاً مستديرة ، فللبهائم أظلاف صلبة ومتينة كالحجر والخشب، وللوحوش أظلاف رخوة ومشقوقة وفعالة• أما للانسان فراحات طرية ولحمية متينة ، وممتدة نحو الأمام مثل قاعدة الأعمدة الطويلة ، لهـا أصابع وأظافر في نهايتها وأعقـاب تسندها مـن ورائهـا •

٢ ــ وقد أعطت الجسم البشري صفة أخرى هي : ان جميع البهائم تضع أرجلها الأمامية التي فيها الركب تحت بطونها عندما تجلس عليها،

٢٠ــ تكوين ٥ : ٢ •

واضعة ركبها أمامها . وكذلك تفعل الوحوش عندما تجلس على ارجلها الخلفيه وتستند على الأمامية وكأنها تستند على الأيدي . أما الانسان فانه يحني ركبه الى الامام ، عندما يركع على ركبتيه لكي يسجد لخالقه ، أو عندما يجلس على أوراكه واضعاً ركبه أمام يديه لتكون له بمثابة مائدة ، أو عندما يقضي بها سائر حاجاته .

٣ ــ ومن صفات الجسم البشري ، أن للانسان أظافر رقيقة ومسطحة ولينه ومستديرة نوعاً ما ، في حين أن لجميع الوحوش أظافر طويلة ورفيعة بطبيعتها .

٤ ــ ومن صفات الانسان ، أنه يمسك بيديه كل ما يريد ، وبهما يعمل ويسد كل حاجاته ، ولئن كان لبعض الوحوش أن تمسك بيديها وبشكل أو آخر ما تريد ، كالأسد والكلب والدببة والقردة التي هي أقرب شبهاً بالانسان من جهة يديها ورجليها .

٥ ــ ومن صفات الانسان التي تدل على كونه سيداً ، انه الوحيد الذي لا يوجد له غطاء طبيعي لجسمه(٢١) ، مثل الحيوانات التي لها غطاء طبيعي يغطي جسمها ، وذلك ليبرهن على أنه سيد كريم ومتسلط على جميعها ، وكمبدع ذكي يستطيع أن يبتكر بعقله ويعد ثياباً مفيدة ومناسبة من الغنم والماعز وغيرها ، ويرتديها متى شاء ، ويستر بها عورته أو يتدفأ بها أو يتزين بها ، ومتى شاء ألقاها عنه من أجل راحته وهيبته .

٦ ــ ومن صفات الانسان ، وجود الأثدية في صدره وبالقرب من قلبه، في حين أن الطبيعة جعلت أثدية الحيوانات جميعها بين رجليها.

٧ ــ ومن صفات الجسم البشري المميزة والظاهرة ، القامة المستقيمة والبسيطة التي أعطته اياها الطبيعة من دون سائر حيوانات الأرض، بشبه صرح عال وقائم يرتفع بين أبنية كثيرة أوطأ منه ، ويُرى فوقها كمن له سلطان عليها ، ولكي يكون نظره دائماً نحو السماء ، حتى اذا تأمل أعمال الله وأخذ بجمالها وعظمتها ، أدرك منها بالتخمين والتقدير ، ما يمكن أن يدركه الوثنيون ، ويعرفوا قوة خالقهم وحكمته .

٨ ــ ومن صفات قوام وهيئة جسم الانسان ، وجود وجه مستدير ورأس كروي مهيب ، ولئن يوجد بين الحيوانات غير الناطقة ما له

٢١ــ الشعر .

شبه بوجه الانسان أو استدارة رأسه ، مثل الأسد والنمر والفهـد وما يشبهها ان وجـد ٠

٩ ـ ومن صفات الانسان ، بالاضافة الى ما ذكر ، نمـو الشعر في أصل أفخاذه لستر عورته رغم الاختلاف في نمو قامات جسمه ، وكذلك في آباطه أو بعدها ، ويكون (الشعر) أيضاً علامة لكمال القامة فينمو الذقن على وجه الذكور أو تحت أفواههم من أجل الجمال ، ولكي يكون علامة رئاسة الرجل على المرأة ٠ وتنمو الأثدية على صدور الاناث علامة شهوة الزواج نحو الرجال لتكون أدوات صالحة وملائمة تنبع غذاءً مفيداً لأطفال الجنس البشري ٠

١٠ـ وأفضل كل صفات الجسم البشري ، أن يكون رأسه دائماً فوق جميع أعضاء جسمه ، في حـين أن جميع الحيوانات تحني رؤوسها نحـو الأسفل مبرهنة بوضوح على أنهـا مستعبدة للانسان ، وهو ملكها والمتسلط عليهـا ٠

١١ـ ومنها أن يكون له شعر فـوق رأسه كتاج ، يظهر بموقعه وجماله رئاسة الانسان على جميـع حيوانات الأرض ، في حـين أن جسده خال مـن الشعر ٠

١٢ـ وينفرد الانسان بصفة ظاهرة ومتميزة وهي بياض شعره في مرحلة شيخوخته ، ليس فقط شعر الرأس والذقن ، بل ذلك الشعر النادر أيضاً الموجود في جسم الانسان ٠

هـذه هي الاختلافات والصفات المتميزة والظـاهرة التي منحتهـا الطبيعة لجسم الانسان حينما أبدعه الخالق ، لكي يتميز بهـا عن سائر الحيوانات على الأرض ٠ وربما لو أمعن الانسان ـ بدافـع حب العمل المتواصل ـ في البحث ، لاكتشف صفـات أخرى في تكوين جسم الانسان غير موجودة في الحيوانات غير الناطقة التي أبدعها الخالق على الأرض ٠

لقد استوفى الحديث حقه بما أوتي من قوة ، من جهة هيئة الجسم البشري ، البيت والمسكن الأرضي الذي أعده الله الخالق لسكنى الانسان الحقيقي الذي خلقه على صورته ، أو العالم الكبير ضمن الصغير ، أي هذا العـالم ، أو العالم الصغير الذي كُون ضمن العـالم الكبير الذي يُرى ويُحدد بوجود السماء والأرض وما يتوسطهما ٠ وليعتبره أي واحد كما يشاء ، ويطلق عليه اسماً يناسبه ، اما انساناً خارجياً أو بيتاً طينيا ، أو قميصاً لحمياً ، أو ثياباً باليـة أو انجازاً مركبـاً زائلاً ، أو لا أدري ما أسميه ، حيث يرد في الحديث على مثـل هـذه التسميات ٠

وكذلك من جهة الصفات الطبيعية والظاهرة التي يتميز بها ويختلف عن سائر الحيوانات والطيور والدبابات التي تدب على الأرض ، يقال عنه ما يقال، هذا هو البيت الصغير الذي أعده الله الخالق للعقل ـ الانسان الحقيقي الذي خلقه على صورته لكي يسكن فيه ضمن العالم ـ هذا البيت الكبير الذي تكوّن من السماء وما فيها ·

وكذلك من جهة هذا الانسان المخلوق الذي دعي عالماً صغيراً ضمن الكبير ، أو عالماً كبيراً · وكذلك من جهة ما فيه من عجب اذ خلق وأوجد في العالم الصغير · هذا ما حُدد عن خلقته وهيئته وتكوين أعضائه ، وما فيه من اختلافات ·

□ العقـــل :

ولنتحدث عن الانسان الداخلي أي العقل الذي خلقه الله على صورته وشبهه كما تسلمناه من شريعته . وذلك بقدر ما أعطينا من قوة الكلام ، وقد نتجاسر ونحاول الحديث أكثر من قوتنا عما يسمو عن ادراكنا ، ومن المناسب أن نبدأ حديثنا من الأعلى ·

ان الله الخالق القوي والقادر على كل شيء ، ذاك الذي له القوة أن يعمل كل ما يشاء وما يوافق مشيئته ، ذاك الذي نقل بسهولة الكائنات ، المنظورة منها وغير المنظورة من العدم الى الوجود بمجرد كلمة من اقتداره واشارة من ارادته ، واذ خلق العقول غير الهيولية الثانوية شبه العقل الكبير الأول : ذاته ، وجعلهم أنواراً ثانوية مثل نور أزليته الأكبر والأول، وأعطاهم سلطة ذاتية بطبيعة خلقتهم العاقلة المجردة تماماً من أي ارتباط أو خضوع مادي : أراد أن يخلق ويكوّن بصورة عجيبة ، وعلى صورته وشبهه عقلاً آخر مثلهم ، له منذ خلقته ، سلطة ذاتية وحرية ، وان شاء أنقذ نفسه بنفسه لدى من هو شبه مثاله دون أن يهلك ولئن كان ساقطاً تحت وطأة المادة ، ويوبخ العقول التي أظلمت وصارت بارادتها أضداداً للنور خالقها · هكذا ولهذا السبب ، ولكي يظهر الله مصدر صلاحه وقوة اقتداره وغنى حكمته ، رغب في أن يخلق هذا الانسان العاقل قريباً للملائكة غير الجسمانيين أو الماديين ، فدعا وحرك ذاته ليخلق العقل البشري أي نفس الانسان ، على صورته وشبهه ويخلطه بطين مادي جسماني ويجعلهما دهشة وأعجوبة ، وهما بهذا التركيب والاقتران ، ينظران الى جميع العقول الناطقة الملائكية التي سبقته في الخلقة · ولكي

يكون كلامنا واضحاً وصريحاً ويستمد قوة الايضاح من الكتاب المقدس ، نعود ونقتبس ثانية في حديثنا عــن خلقة النفس ، أقوال الله نفسها عن خلقة الانسان التي وجهها الى من هم منه ومعه خالقو الكل مثله ، حــين أراد ان يظهر نور مجده ومعرفته الكاملة في خلقته للانسان كشيء عظيم ومحبوب لديه جداً ، والتي اقتبسناها أعلاه ٠

قال الروح موحي الكتاب المقدس(٢٢) : ان الله ، بعد ان خلق هــذا العالم وكونه ، قال عــن الانسان الذي كان عتيــداً أن يخلقه : « لنعمل الانسان على صورتنا كشبهنا ٠ ويتسلطون على سـمك البحر وطيــور السماء وعلى البهائم وكل الأرض ، وعلى جميع الدبابات التي تدب على الارض » ٠ هذا ما كتب وسلم الينا الروح على لسان الله خالق الانسان ٠ ثم يقــول الروح : « وخلق الله الانسان ، على صورة الله خلقــه ، ذكراً وانثى خلقهمــا وباركهما الله قائلاً : انمــوا واكثروا واملاوا الأرض ، وكونوا أسياداً عليها ، وتسلطوا على سمك البحر وطيور السماء وكــل البهائم وكل الأرض ، وكل الدبابات التي تــدب على الأرض » ٠ فقــد سبقنا وأوردنا أعلاه أقوال الله هذه ، لكي نظهر فيها الكرامة التي خلق بها الانسان أكثر من سائر الحيوانات التي سبقت خلقتها على الأرض ٠ ونوردها هنا أيضاً لنظهر بوضوح منهو الذي خُلق على صورة الله وشبهه، جسد الانسان أم نفسه ؟ وما هي صورة النفس وشبهها بالله ؟. لقد قال : « لنعمل الانسان على صورتنا كشبهنا » ٠ فاذا أخذنا هذه الأقوال الالهية والسرية بشرياً وبحسب كلامنا المألوف ، نجد أن لا صورة لله ولا شبه ، وأي شبه نستطيع أن ننسبه الى جوهر طبيعة مجردة تماماً عــن الجسم ، لا يرى ولا يدرك ، وغير قابل للتأمل أو الوصف ، ولكن يظهر ويفهم من هذه ، انطبيعة الانسان الجسمانية والهيولية ليست على صورة الله وشبهه الذي لا صورة له ولا شبه ، بل طبيعة النفس العاقلة غير الجسمانية وغير المنظورة التي منها كانت النفس ٠ وهذا أيضاً أمر يصعب علينا أن نفكر فيه أو نتحدث عنه ، أي أن نقول : ان العقل هو الذيخلقه الله فيها على صورته وشبهه مثل سائر عقول الملائكة ٠ واذ نسمع باسم الصورة والشبه ندرك أن الله الخالق خلــق العقول الناطقة وغــير الهيولية واللطيفة أي القوات الروحانية شبيهة لفضائلها وحسناتها ، وكذلك العقــل البشري أي النفس بمقدار ما يمكن تشبيه الطبيعــة الخارجية المخلوقة بطبيعــة خالقها غير الخارجية وغير المدركة ٠

٢٢ـ تكوين ١ : ٢٧ ـ ٢٨ ٠

□ صفـات الله والانســان :

وحيث اننا آسمينا ما لله (صفات) فضائل وحسنات ، اذ لا ندري ماذا وكيف نقول عنها ما لم نستعمل الأسماء والتسميات الخاصة بنا • كمـا لا نعرف الحسنات التي نعتقدها في الله والتي بهـا صور وطبـع العقـل البشري ، حتى قيل انه صورة الله وشبهه :

١ ــ بعـد أن نفكر وندرك أن الله أزلي ومنذ الأبـد ولا بداية له ، ولا تدركه مخلوقاته ، نقـول : انه عاقـل وغير منظور ولا جسم له ، وبخاصة عاقـل وغير مدرك ولا يطاله العقـل ، ولئن يمكن تصوره بعض الشيء والالماح اليه واذ خلـق الله الخالق العقل بدافع صفاته التي بها يقال انه صورته ، لذا قيـل عن العقل انه عاقل ، وهو غير منظور ولا جسم له •

٢ ــ يقال عن الله ، وهو كذلك ، انه غير متناه ولا مدرك نهائياً ، حقيقياً وبصورة كاملة • وبهذا أيضاً شبه الله العقل البشري وجعله صورة له ، فيقال عنه هو أيضاً انه غير متناه ولا مدرك بشكل أو آخـر ، اذ لا يمكن أن نحصره أو نتحراه دون أن نضل •

٣ ــ يقـال : عن الله ، وهو كذلك • انه لطيف وسهل وحاذق ويرى كل شيء • وقـد تشبه العقل البشري بهذه أيضاً لدى خلقته ، وبهذه نفسها يقال عنه انه صورة الله وشبهه ، لأنه هو الآخر لطيف وسهل وحاذق بطبعه ويرى كل شيء بالخيـال •

٤ ــ يقال : عن الله ، وهو كذلك ، انه صالح وعادل ، اذ له وحده الصلاح الذي يسمو عن الكل • لهذا قال هو (المسيح)(٢٣) « ليس صالح الا الله وحده » ، الذي له من طبيعته العدل والبر الذي يفوق الجبال علواً كما يُرتل(٢٤) • لذلك قال لأبيه(٢٥) ، انك عادل ياأبتـاه ، والعالم لم يعرفك • وبهـذا أيضاً شبه العقـل البشري أي طبيعة النفس • ومن هذه الناحية أيضاً يقال انه صورة خالقه ، ويدعى هو الآخر صالحاً وعادلاً بعض الشيء ، اذا ما سعى بقدر امكانه وأتقن التشبه بشبهه ولو جزئيـاً •

٢٣ــ مرقس ١٠ : ١٨ •

٢٤ــ مزمور ٣٦ : ١٦ •

٢٥ــ يوحنا ١٧ : ٢٥ •

٥ ــ يقال : عن الله ، وهو كذلك • انه قوي وجبار وقادر على كل شيء• وبهــذه أيضاً صور الله وشبه العقل البشري ، لذا اودع فيه غضباً وغيرة كحافزين مشجعين للشجاعة ، وبهــا أيضــاً يقال انه صورة خالقه جزئياً • كما يقال عــن الناس أيضاً انهم صور الله وأشباهه عندما يرون أنفسهم أقوياء بارادتهم ويحملون ثقل الضعفاء •

٦ ــ يقال : عن الله ، وهو كذلك • انه رحيم ولطيف بالبشر • وبهــذا أيضاً شبه العقل البشري بخالقه واكتسب صورته ، وبها أيضاً يقال انه صورة الله ، وبسببها جعل له ناموس طبيعي ليحب قريبه كنفسه، ويتصف بالرحمة هو الآخر جزئيــاً اذا شاء أن يتقن صورته ويحب قريبه كنفسه ويرأف باخوته • لذلك قال المسيح لتلاميــذه(٢٦) : « كونوا رحماء كما ان آباكم هو رحيم » •

٧ ــ يقال : عــن الله ، وهو كذلك ، انه حكيم بطبعه وعارف كل شيء • وهــذه أيضاً وضعها الله الخالق في العقل البشري ، وطبعــه عليها وصوره بهــا • ويقال تشبيهاً انه بسبب هذه يدعى عارفاً وحكيماً جزئيــاً ، ويشترك معه عندما يتأمل بتمعن شبهه ويقتبل منه أشــعة المعرفة والحكمة ، ويتأمل بما هو موجود •

٨ ــ يقال : عن الله ، وهو كذلك ، انه طاهر وقدوس ومنزه عن كل دنس ونجاسة بصورة تامــة تسمو عــن الجميع • وقــد جعل الله العقل البشري شبهاً بهذه ، فيقال عنــه هو أيضاً أنه طاهر وقديس بحدود وبقدر ما يمكن للمخلوقين • اذا ما اجتهد بكل قوته وطهر نفسه من الدنس والنجاسة جسداً وروحاً •

٩ ــ يقال : عن الله ، وهو كذلك ، انه غير شرير ولا خاطىء ويبغض الشر والاثم • وقد طبع وثبت هذه أيضاً في العقل البشري المشبه بصورته، وجعله هو الآخر أن يبغض الشر ويبغض الاثم ، لذا يقال عنه انه صورة وشبه الله ولو في هــذه فقط ، لأن له ضميراً في ذاته قاضيــاً يبغضها حتى عندما ينحرف ويميل اليها بارادته •

١٠ــ يقال : عن الله ، وهو كذلك • انه هادىء وديــع ومسالم وطويــل الأناة ولم تذكر له اساءة ، ولا يكن حقــداً ولا يضغن • وبالحقيقة فان الله قد جعل العقل البشري صورته ومثاله في هذه أيضاً ، ويمكنه

٢٦ـ لوقا ٦ : ٣٦ •

أن يصورها في ذاته لو شاء فيكون صورة وشبهاً لله بها ، حيث يرى هادئاً وطيباً ووديعاً ومسالماً وطويل الأناة ، ولا يذكر الاساءات أو يكنّ حقداً لاخوته • لذا قال السيد المسيح ، ذلك الهادىء والوديع والمسالم ، لتلاميذه « انظروا اليّ وتعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب ، فتجدون راحة لانفسكم »(٢٧) •

هذه هي صور تشبيه العقل البشري وتمثيله بصورة الله خالقه ، والتي بها يقال عن كلا نفس الانسان وعقله ، انهما صورة وشبه الله خالقهما • وسوف نتحدث عنهما بايجاز زيادة في الايضاح لمن يرغبون أن يتعلموا •

ان صور تشبيه العقل البشري بالله هي : أن يكون مثل خالقه عاقلاً وغير منظور وغير ذي جسم ولا متناه ، وغير مدرك ، ولطيفاً وحاذقاً وسهلاً ، ويرى كل شيء بالخيال عن بعد • وفي الصلاح والعدل والاقتدار ، والشجاعة والرحمة واللطف والمعرفة والحكمة والفهم ، الذي يتطلب في أعمال الله ، والطهر والقداسة والابتعاد عن الدنس وقذارة الجسد والروح ، وعدم الاساءة ، وعدم الاثم ، والهدوء والوداعة والمسالمة والطيب وطول الأناة ، وعدم ذكر الشر أو الحفيضة ، أضف الى هذه ، اقامة الله اياه رئيساً ومتسلطاً على جميع الكائنات المحسوسة ، واعطاؤه السلطان الذاتي والحرية الشخصية ، وجعله اياه أن يكون حيث لا يرى ولا يُعرف أين هو ، ويكمل جميع أعضاء جسمه • ويؤثر وينظم ويحرك جميعها سوية متى وحيثما شاء • مثلما أن الله يكمل كل مخلوقاته ويؤثر فيها وينظمها ويحركها سوية متى وحيثما شاء • وهو غير مدرك ولا متناه ، ولا يُعرف أين يوجد • والى جانب هذا ، وما يفوق كل هذه شبهاً ، كونه ينظر دائماً الى مثاله ويستنير به ، ويرجع الى شبهه ويندمج به مثل نور السراج الذي يؤخذ من اللهب ثم يعود ويندمج به من جديد ، ورغم أنه مخلوق وله بداية ، فقد جعل غير مائت وغير فاسد ولا نهاية له الى الأبد • هذا هو التشبيه الكامل للعقل البشري بالله خالقه • وهذه هي صورة النفس البشرية الحقيقية والرئيسية والثابتة لمثلها الخالق •

□ في النفس :

لقد اطلعنا الكتاب المقدس من خلال الأقوال التي اقتبسناها عن خلقة الانسان : على السلطان الذي أعطي له من خالقه على سائر الخليقة

٢٧ـ متى ١١ : ٢٩ •

المحسوسة · ومن الضروري أن يشمل كلامنا هنــا ، الحديث عــن اتحاد وتركيب هــذا الانسان · وعن هــذا أيضاً يجب أن نقتبس مــن الكتاب المقدس ، ونضعه أساساً لما سنقوله فيما بعد · قال الكتاب الالهي بهــذا الصدد : « وجبل الرب الاله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفــه نسمة حيــة · · · »(٢٨) · فقــد أخبرنا في الأولى ، أن الله خلق الانسان على صورته وشبهه ، وفي هذه علمنا ماهية الجسد البشري المخلوق ، أي بيت الانسان ، وماهيــة نفس الانسان الحقيقي ، وأضاف موضحــاً ، فــدعا الجسد تراباً ، وأخبرنا في الوقت نفسه من أين آخذه الاله جابله ، وأعطى النفس اسماً مناسباً ــ نسمة حيَّة · وهنا لم يقل : « خلــق » كما فعــل في الأول ، بل « جبــل » · وان كلمة « جبــل » تظهر بوضوح بأن الجسد البشري هو طين مجبول من تراب الأرض والماء · يقول « جبل تراباً مــن الأرض ، ونفخ في أنفــه نسمة حيــة » · فمن المعلوم أن الخالق استعار الجسد من الأرض التي سبقت خلقتها · أما نسمة الحياة فقد أضافها الى الجبلة من عنده ، فقد سمى روح الله ، النفس التي خلقها الله على صورته وشبهه ، نســمة الحيــاة · لذلك أضاف فيما بعــد قوله ، وكان الانسان نفساً حيــة ، وبتأثيرها يتحرك الجسد الذي اتحدت به · أما قول الروح « ونفخ في وجهه » فمعناه ، ومثلما يحدث عندنا ، ان الذي ينفخ في وجه قريبه ، يرسل اليه من ذاته ولسلطانه نفخة الريح الى وجه من يقتبلهــا وليس مــن مكان آخر · هكذا أيضاً وضع الله الخالق في خلقته للانسان ، نفساً حية من ذاته بكل تشابيهها ، يضاف اليها أنها حية صادرة عن الحي والمحيي ومانح الحياة ، وعاقلة من عاقل ، وغير مائتة ممن هو غير مائت · فاذن النفس الناطقة والعاقلة التي لا جسم لها هي من الله الخالق العاقل الذي لا جسم له · ولا يشهد على هذا كتاب الروح الالهي المقدس فقط ، بل هنالك أيضاً رجل من العبرانيين عالم وحكيم ومعروف ، سمى جميع النفوس ، بنات الله ، ليس لأنه وجدها فقط عاقلة مــن عاقل ، بل والى جانب هــذا ، رأى أن محبــة أبيها نحوها هي أضعاف محبة الآباء هنــا للأبنــاء والبنــات(٢٩) ·

ولا أجــد بأساً من دعم كلامنا بأقوال بعض الوثنيين مــن كلــدان ويونانيين ممن هم خارج حظيرتنا ، التي تؤيد الحق وتثبته · قال بعضهم في حديثهم عن الاله بيلوس مشبهين اياه بما لنا(٣٠) : انه هو الذي خلق هذا العالم ، فعندما كوّن وميز السماء والأرض وما يتوسطهما ، انتقــل

٢٨ـ تكوين ٢ : ٧ ·

٢٩ـ لعل المقصود فيلون الاسكندري

٣٠ـ لقد استمد مؤلفنا بشأن الاله Bel تاريخ أوسابيوس ١ ، ٢ ·

للحال الى عمل الانسان كما نقــول وكما فعــل موسى وكتب ، وكتبوا بصورة رمزية وبما يتناسب ، هكــذا « ان الاله بيلوس هذا عندما قطع رأس نفسه عجن في التراب الدم الذي سكب وجبــل الناس ، لهذا فانهم عقلاء ومشتركون بالحكمة الالهية ؛ أما بيلوس الذي يسمى زوس فقد فصل السماء والأرض عــن بعضهما عندما قطــع الظــلام مــن وسطه ، والحيوانات التي لم تتحمل قوة النور هلكت ، والحيوانات التي لم تهلك ــ كما يبدو هنــا ــ هي قوات الثلاب والشياطين المتمردة الذين صاروا أضداداً لله خالقهم • يقول عندما راى بيلوس مكاناً خرباً وفارغاً ومثمراً ــ يبدو أنه يقصد الأرض ــ أمر أحد الآلهة ليقطع رأسه ويعجن تراباً بالدم المنسكب ويخلق بشراً وحيوانات بامكانهم احتمال الهواء ، ثم أكمل بيلــوس نفسه (خلقــة) الكواكب والشمس والقمر والكواكب الخمسة التائهــــة » •

فهذه تشكل بمفهومها تشبيهاً تقريبياً نوعاً ما لما نقوله نحن ، وليست بعيدة كثيراً عن كلمــة الحق ، فهي الأخرى تخبر وتؤكد على تكوين جزء من البشر من الله • وهم عقلاء لأنهم من الله العاقــل ، وأصلهم من الله ، كما قال وأكد واحد آخر منهم ، وانهم يشتركون في الحكمة الالهية ، ومن العدالة أن يكون المشتركون في حكمة الله ، صورة الله • ان الذين يتعاملون منا بالكلمات المألوفة ، لا يرون في قطع الله رأسه وانسكاب الدم منه الذي عجنه بالتراب وجبل البشر ، سوى آن الله وضع جزءاً منه في جبلة البشر لكي يشتركوا في المعرفة والحكمة ، حكمة الله التي يشترك فيها البشــر العقلاء وذوو الفهم والذكاء ، أولئك الذين صاروا على صورة الله العاقل وشبهه باقتبالهم النفخة الالهية • فما الذي ترى يجب أن يعتقده الانسان حقــاً فيها ، سوى كونها روح الله القدوس منعش ومحيي جميع النفوس الحية والناطقة ، ومنير جميع العقول الناطقة ، ذاك الذي تسميه الكتب هو الآخر حكمة الله ، ولئن كان كثير من ملافنة الكنيسة ، مفسري كلام الله في الكتب المقدسة يؤولون عبارة « نفخ في وجهه نسمة الحياة » التي قالها الروح عن جبل الانسان ، بأنها تعني تكوين النفس ، استناداً الى كونها وضعت فيما بعد عبارة « وصار الانسان نسمة حية » • بيد أن الطوباوي كيرلس(٣١) الذي أخــذ المزيد من روح الله ، الملفان الكبير ومخزن كلام الروح ، أول عبارة « نفخ في وجهه نسمة » بشركة الروح القدس(٣٢) •

٣١ـ لعله كيرلس الاسكندري لا الأورشليمي • ٣٢ـ كورنثوس ٢ : ١٠ ــ ١١ •
انظر جمهرة الآباء اليونان ٧٦ : ٥٤٠ PG LXXVI Col 540

وقد آكد هذا وثبت العبارة بقوله الصريح « ان النفخة التي نفخها الاله في آدم صورت الانسان تصويرا » ويقـول « ونحن نرى ونقول أيضاً انهـا شركة الروح القدس » ٠

فاذا كانت نفخة الله هي التي صورت الانسان تصويراً بحسب تأكيد هذا الرجل الروحاني الذي اكـد كونها شركة الروح القدس ، فقد ظهر جليـا ، ان هـذه هي الصورة الحقيقية والشبه الحقيقي بالله الذي خلقنا على صورته والذي بواسطته تكون دائما للعقل البشري الناطق والمفكر ، شركة وفاعلية الروح الالهي ، الذي ينير دائماً الانفس الناطقة المتشبهة بالله وينقي ويطهر عقولها باستمرار ، لكي تقتبل أشعة معرفة الله ، لأن الله خلقنا ذوي سلطة ذاتيـة ، ولنـا ارادة حرة دائمية تتجه حيثما شئنا ، سواء أمال فكرنا نحـو الصالحات أم نحو الشـر ٠ وان الخالق المـدبر لا يسيِّرنا بالقوة ولئن يرغب في خلاصنا ، ويعيننا على ذلك في كل ظرف ومناسبة ٠ فاذا طهرنا نحـن بارادتنا الحـرة ، عقولنا كالمرآة لنقتبل في ذواتنا نور شركة الروح الالهي ، نكون حقاً صور الله كما خلقنا ٠ ولكن ان أفسدنا فكرنا وغضضنا الطرف بارادتنا عن أشعة نور معرفة الخالق ، وعن أشعة نور وصايا الله ونواميسه ، وملنـا نحو الشهوات الجسدية ، ونحو متاهات ظلام هذا العالم ، نكون قد حكمنا على أنفسنا بأننا لسنا صورة الله كما خلقنا ، ونظهر أنفسنا بأنفسنا بأننا بعيدون وغرباء عن شركة وفاعلية الروح الالهي الذي أعطيناه لدى خلقتنا ٠ هكذا أعطى الله الصلاح للانسان لدى خلقته اياه ، وكان صلاحاً غـير ثابت أو راسخ ، لأنه لم يثبَّت في الطبع بـل وضع في الارادة التي تلتقط الصـلاح مثـل الصورة ، لذلك فهو مهزوز فينا ؛ نظراً الى ارادتنا السيئة الميالة نحـو الشرور منـذ طفولتها ، وبسبب الخطيئة المسيطرة علينا ، وهو بلا عيب مـن حيث اتحادنا بالصالح (الله) ٠

لقد ظهر من كلمة الحق التي سلمها الينـا الروح الالهي في الكتاب المقدس ، ما الذي تعنيه صورة النفس وشبهها بالله ، وما هي الصور التي تكمل العقل وتصونه بعيداً عـن العبث والفساد ٠ كما ظهر أن الأشياء التي دمجها الله في خلقته للانسان بصورة عجيبة، تختلف عن بعضها البعض وهي غير متساوية في الجوهر والطبيعة ، وذلك لكي يظهر قوته وحكمته وغنى صلاحه غير المحدود ، ويثير دهشة جميع العقول الناطقة التي سبقت خلقتها ، لهذا الاندماج غير المدرك ، فقد دمج الروح ، روحاً وطيناً(٣٣)

٣٣ـ ان لفظة (روحو) السريانيةتعني (الروح) و (الريح) معا ٠

لا لطبيعة الأثير ، بل للطبيعة العاقلة غير الجسمانية التي دمجت معاً وركبت تركيبا عجيبا مثيراً للدهشة ، طبيعة واحدة مركبة من أربعة أجسام ، أي من التراب والماء والهواء والنار ، منظورة وملموسة وذات أبعاد ثلاثة • وقد جمع الله وركب بحكمة ومهارة طبيعة أخرى روحية عاقلة وغير هيولية ، وخلق حيوانا مركبا وعجيباً ـ الانسان ـ من طبائع مضادة ولا تشبه العنصر ، هذه التي كانت بعيدة عن بعضها البعض ومختلفة بأشواط غير محدودة • فقد قربها وركب منها طبيعة واحدة مركبة ومتحدة دون تبلبل أو تغيير ، ووحدت بشكل عجيب يفوق الوصف لكي تكون واحداً حقا ، وتكون صفات كل منها حقيقية للمركب كله ، ولكن تحافظ على عدم امتزاجها • فقد جمع الله معاً ، منذ بداية هذا العالم ، الطبيعة المنظورة وغير المنظورة ، لكي يسبق فيمهد الطريق ، كما أعتقد ، للسر العظيم ليجعله قابلاً للايمان به وتقبله عندما يتم • واذا صح هذا هنا ، فان الباحث المستقصي عن الخفايا ، يستنتج من الكلام عن تكوين وتركيب هذا الكيان المركب ـ الانسان ـ بأنه سر ، لأن الله العارف بالأمور قبل حدوثها ، سبق فرأى أن الانسان الذي خلقه وركّبه من مواد مختلفة لا يشبه بعضها البعض ، سيخطىء ويسقط وسيبتعد عنه الجنس البشري برمته • وسينزل ويخلي نفسه من أجل ايجاد وخلاص صورته ، لذا سبق واتخذ رمزاً ومثالاً لطريقة وسر مجيئه ، من تركيب الانسان من الطبائع المختلفة ، لكي يكون شبهاً ودليلا مناسباً لاتحاد طبيعته مع الطبيعة البشرية التي سبق وخلقت على صورته وشبهه ، وسبقت وركبت هي الأخرى من الطبائع المختلفة التي لا تشبه بعضها • وبهذا أصبحت رمزاً ، لتقوم دليلا على اتحاده وتركيبه بها • الأمر الذي كان مزمعاً أن يفعله من أجل خلاصه •

ولقد سبق واتخذ سر اتحاد الانسان رمزاً واشارة الى اتحاد الله مع هذه البشرية ، باتحاد النفس مع الجسد ، ليكون صورة ودليلا واضحاً وجلياً على اتحاد الله الخالق مع الانسان بالجسد لدى مجيئه من أجل خلاصه • لذا ، عندما جاء خالق الانسان وأكمل الرمز ، لم يتخذ الباحثون في أسرار الكنيسة للبرهان على تأنس الله واتحاده بجسد الطبع البشري ذي النفس ، سوى تركيب الانسان الذي تم من طبائع متباينة ، وقد سبق وأشار بهذا الى جميع الطبائع المتباعدة والمختلفة معاً في الخالق والمخلوق ، فتجتمع مع بعضها البعض وتكوّن طبيعة متحدة وأقنوماً واحداً متحداً وغير منقسم ، أقنوم واحد للمسيح الرب ، الانسان والاله ، واتحاد تام للاله الانسان الذي تم باتحاد عجيب غير منفصم ، واذ كان الهاً بسيطاً صار الهاً متحداً من أجل خلاص الانسان المتحد •

هكذا سبق الله الخالق ، واتخذ رمزاً ودليلاً على اتحاده مع جسد ذي نفس ، باتحاد صورته مع الجسد الحي · لأن نحن الذين صرنا بشراً ذوي نفوس كصورته ، إذ استعبدنا لشهوات الجسد صرنا جميعاً جسديين ، فكان من الضرورة أن يتحد الاله العاقل الذي لا جسد له ولا جسم فيصير ذا جسد من أجل خلاص وتحرير الانسان من شهوات الجسد ، اذ يجعله روحانياً والهياً باتحاده به ويعطيه أن يسمى الهاً كما اشتهى ورغب من قبل عندما خدعته الحية عدوه · هكذا ركبت طبيعة الانسان من هذه المضادات ، من التراب والروح ، من النفس والجسد ، ومن كونه منظوراً وغير منظور ، من الحساس والعاقل ، من الجسماني والروحاني ، من زائل ومائت ومن غير المائت الى الابد ، وهذا هو سر تركيبه ·

وبالاضافة الى هذه الأسرار التي كشفها الحديث وجلاها بوضوح ، نتحدث الآن عن تركيب الانسان الذي يدهش اخوانه العقول الروحية والناطقة الذين اذ يدهشهم تركيبه يمجدون حكمة الخالق · ولكي يمثل اتحاده اتحاد الله مع الجسد ، ويشير الكلام بدقة وامعان الى أن هناك سراً آخر أبدعه الخالق الحكيم ، سنتناوله بالحديث أيضاً ·

حيث ان الكلمات التي نطق بها غريغوريوس اللاهوتي الحقيقي(٣٤) هي الهام الهي ، وهي الأكثر مقدرة على وصف هذا السر ، لذا سنقتبسها هنا لكي نؤيد بها رأينا · قال في مكان ما وهو يتحدث عن خلقة الانسان ، هكذا « لما كان العقل والحس قد انفصلا عن بعضهما البعض منذ مدة ، وانحصر كل منهما ضمن حدوده ، وظهرت فيهما عظمة الكلمة خالقهما ، فكانا المشيدين الصامتين بعظمة عمله ، ودعاة ذوي اصوات صارخة ، فلم يكن بعد امتزاج بينهما ولا اتحاد · أي شيء من تلك الأشياء المضادة ، وهذا دليل كلمة أعظم ، وغنى الطبيعة ، كما لم يكن غنى صلاحه قد ظهر بعد · فلما أراد الكلمة المبدع أن يصنع حيواناً واحداً من كليهما ، أي من الطبيعة المنظورة وغير المنظورة ، خلق الانسان · اذ أخذ الجسد من المادة الموجودة من قبل ، ووضع من ذاته الحياة التي تعرف بالنفس العاقلة وصورة الله كعالم ثان ، يقيم الكبير في الصغير على الأرض ملاكاً آخر ، وساجداً متحداً ، وناظراً للخليقة المحسوسة ، يقف على سر العاقل ، ملك كل ما على الأرض ، يستمد سلطته من فوق ، أرضي وسماوي ، زمني وغير مائت منظور وعاقل ، يتوسط العظمة والوضاعة ، له روح

٣٤- انظر جمهرة الآباء اليونان ٣٦ ، ٦٢٩ PG XXXVI, Col. 629 غريغوريوس النيصي

وجسد على حد سواء ، الروح من أجل النعمة ، والجسد من أجل الرفعة • فتلك لكي يستمر بواسطتها ممجداً ولي نعمته وهو يكرم بالعظمة ، أما هذه فلكي يتألم ، ولكي يتذكر ويتادب عندما يتألم • حيوان يوجد هنا وينتقل الى مكان آخر • وختام السّر ، انه يتأله بجنوحه نحو الله • الى هذا يقودني قبس ضئيل من حقيقة سناء الله ، فارى وأحب • وهذا جدير بالذي يحل ويربط في آن واحد • بل ويربط بشكل أرفع وأعظم » •

بهذا ظهر السر الثالث ، حيث ان النفس الناطقة والمفكرة ، عندما ترى ضعف الجسد البشري الذي اقترنت به ، وتشعر بشهواته ، وكأنها شهواتها ، لارتباطهما معاً ، وينالها العقاب بسبب الشهوة ، وتدرك زعزعة الأمور هنا وعدم ثباتها ، تهرب مما لا ثبات له أو بقاء وتنضم الى الأشياء الباقية الثابتة التي لا نهاية لها ، لتنقذ خفتها من ثقل من اقترنت به بموجب قصد الله الذي قرنهما معاً لكي يخلصا معاً كذلك • بسبب صورته التي انطبعت وصورت فيهما • أما السر في تركيب الانسان واتحاد النفس بالجسد معاً الذي يظهر قصد الله الخالق الذي قرنهما لهذه الغاية : فاننا نوضحه كالآتي :

□ الحيـــاة :

بما أن كلمة « الحيـــاة » وسمعها لا تفهم بسهولة وليست على نمط واحد ، كما أن قواها ليست كلهـا واحدة ومتساوية في كل مكان ، لذلك فاننا سنبذل بعض الجهد بهذا الصدد • يطلق الوثنيون كلمة « الحياة » على البشر الناطقين والحيوانات غير الناطقة ، وكذلك على الأشجار والشجيرات ، وباختصار نقـول : انهم يطلقونها على كل شيء ، له قوة التغذية والنمو ، وله نفس • وعلى الأشجار والشجيرات وعلى كل شيء له قدرة النمو من الأرض وانتاج زرع يحافظ على جنسه كما قال الكتاب المقـدس • ويقولون ، ان القوة الغذائية والقوة النامية هما واحـدة • ومن الواضح أنه لو لم تكن له قوة غريزية ترفعه وتعد القوت من التراب والمـاء والهواء والنـار ، حتى اذا دخل الى جوفه تغذى به وأضاف الى جسمه فينمو ويكوّن أغصاناً وأوراقاً : لما دعوه ذات نفس ، كما لا يدعون كذا الخشب اليابس والأحجار التي لا تتغذى ولا تنمو • وبما أن هـذه تتغذى وتنمو وتضيف الى جسمها ، لذا يقولون انها حية ويؤكدون على وجود نفس فيها ، ولكن ليس نفساً كاملة ، بل مـن حيث ان لهـا نفس القوة الغذائية والناميـة •

□ القـوى الانسـانيـة :

أما بالنسبة الى الحيوانات والطيور والدبابات التي تدب على الأرض فيقولون ان لحياتها قوتين ، الأولى : المغذية والنامية ، كالتي للشجيرات ، والأخرى قوة الحس والحركة التي تدلل على أنها حية ، لذا يسمونهـا ذات نفس ويؤكدون على آن لها نفساً ليس كنفس النباتات غير المتكاملة والتي لها قوة واحدة فقط • كونها أكثر كمالاً منها • ولها قوتان في آن واحد • القوة المغذية والنامية ، والقوة الحسية والمتحركة ، لكنها ليست كاملة • ويقولون ان لنفس هـذه (الحيوانات) غضباً وشهوة ، لـذا فهي تشتهي الأكل وتطلبه بل وتخطفه ، وتهدد وتغار وتميل الى الانتقام • أما عن الانسان فيقولون ، ان له ثلاث قوى وحياة ــ ونحن أيضاً نؤيـد هـذا ــ القوة المغذية والنامية كالتي للنباتات ، والقوة الحسية والحركية كالتي للحيوانات ، والقوة العاقلة والمفكرة التي أعطيت له كهبة من الله خالقـه ، باعتباره خلـق على صورته وشبهه ، لذلك نقـول ان للانسان نفساً متكاملة ، مؤكدين أن لنفسه القوى الثلاث ، فلهـذه النفس غضب وشهوة وفكر منطقي(٣٥) • وليس غريبـاً آن نصفها بمركبـة أفلاطون المؤلفة مـن حمارين وسائسهما • ولهـذا الانسان المركب شهوة كالتي للحيوانات والتي بسببها يتزوج مثلها لاقامـة النسل ، ويشتهي وينتزع الطعام مثلها نظراً الى رابطهما الموحد • ثم هناك الشهوة نحو الصلاح نظراً الى نمو النفس والجسد جنباً الى جنب ، وكذلك الغضب الذي به يغار ضد الاثم ويكره الشر ، لأن كليهما مربوطان تحت مركبة ناطقـة ومفكرة كربط الحمير بالمركبة ، وهي قابضة على زمام ادارتها كسائس حكيم وقوي ، وكمساعـدة للنفس ، لا بل يبدو أن الله أعطاها هي الأخرى لذاك المركب مـن أجـل استمرار وحفظ الحيوان المركب ــ الانسان ــ ولا يمكن للانسان أن يتحرك نحو الانتقام من الشر دون غضب ، ولا نحو اقتناء الصالحات دون رغبة أو شهوة • لذا فان كلتيهما منحتا مـن الخالق الحكيم لتقويم النفس مع الفكر المتأمل المدبر • لكيما يكون الفكر بالنسبة الى الغضب والشهوة مثل السائس بالنسبة الى الحمير والمركبة • فيسير ويجاهـد بنجاح في ميدآن هـذا العالم دون أن يسقط اطلاقاً • ومثلما يشتهي ويريد الله خالق الانسان ، ومانح الاكليل لجهاد الجنس البشري برمته • هكذا طبعت النفس على كل الفضائل ، فكانت صورة الله خالقها،

٣٥ـ انظر كتاب (النفس والتبانة) لغريغوريوس النصيبي ، PG XLVI, Col. 27 .

وهكـــذا ركب الانسان مـــن ضدين ، النفس والجسد ، فصـــار ذا حيـــاة مركبة موضوعة في الوسط وقريبة مـــن كل مـــن الحيوانات غير الناطقة والمائتة ، والقوات الروحية العاقلة والناطقة وغير المائتـــة •

وحيث اننا تحدثنا بما أوتينا من قوة ، ولئن بتلعثم ، عـــن هيئـــة الجسم البشري ، أي الانسان الخارجي ، وعما فيه من تغييرات وخصائص معروفة ، وعـــن تكوين النفس وتشبيهها بالله ، وعـــن اتحادها العجيب وارتباطها بالجسد المركب الزائل ، داعمين حديثنا بأقوال الروح الالهي القوية والطاهرة ، يجدر بنـــا الآن أن نتحدث عن النفس باسهاب أكثر ، ونبيّن بقدر الامكان ، ماهيـــة النفس وماهية العقل ، وهـــل ان العقل شيء آخر غير النفس أم لا ؟. وما هي خصائص النفس المتميزة والمعروفة التي لا تنسب لأي طبيعة أخرى غريبة ، بل اليها فقط •

□ تحـــديـــد النفس :

ان لفظة « النفس » (ܢܦܫܐ) الواردة في قاموس لغتنا النهرية، أي الآرامية ، هي مقتبسة من اللغة العبرية القديمة العريقة ، ولا ندري « أصل هـــذه اللفظة ومدلولها لدى اليـــونان الحكماء وذوي المصطلحات الكثيرة ، لأن تشبيه اللفظة بكلمـــة « برد » جـــاء نتيجـــة للهذر الكثيـــر والجهـــالة » ولو اعتمدنا ما أقره أولئك الأغبياء وغـــير الحكماء وغـــير المستقرين ، مـــن أن الأنفس اذ بردت من خدمتها المستمرة وقيامها الحار النشيط أمام خالقها ، سميت « منفصلة » أي باردة • لذلك فانها فصلت وأقصيت وتغربت عـــن الله خالقها وعن الأرواح غير الهيولية والعاقلة والحارة ، لتسكن هذا العالم ، لأنها التزمت بالارتباط مع الجسد الثقيل الصلب والمليء أوجاعاً وآلاماً ، والزائل والمائت ، على كل حال ، ومهما دعيت ووصفت ، سواء « المنفصلة » أو نفساً أو أية لفظـــة أخرى ، فمن الضروري التحدث عـــن ماهيتها ، معطين عنها تعريفاً محدداً وواضحاً ، كما ونتحدث بقدر الامكان عـــن الطبيعة غير الجسمانية بكلمات تصدر عـــن جسم •

فالنفس هي جوهر مخلوق حي ذاتي الحركة ، واذ هي عاقلة ومـــن دون جسم ، أعدها الله خالقها للارتباط بالجسد ، وليس العقل شيئاً آخر غير هذه ، أو طبيعة أخرى مغايرة وغريبة عنها • لكن هذا ــ كما سنحدده بقدر الامكان ــ هو العين العاقلة القابلة للنور العاقل والمرشدة للنفس ،

يرى بالخيال والتشبيه الممعن ، الأمور البعيدة كأنها قريبة • هــذا هو موقع العقل مــن النفس ، فبواسطته ترى النفس ما ترى ، وبــه تسمع باعتباره حاسة البصر أو السمع للجسم كله ، وبه أيضاً تتذوق أو تشتم أو تمس الأشياء التي تقترب منها ، ومثلما أن العين أو الاذن ليست ذات طبيعة أخرى أو غريبة عن طبيعة الجسد ، هكذا أيضاً العقل ليس غريباً أو شيئاً آخر سوى طبيعة النفس • اننا استعملنا مصطلح «النفس والعقل» بالرغم مــن وجود مدلولات كثيرة تشير اليهما ، لأن عنصر « النفس » أي العقل ـ قوام الانسان ـ هو أكثر وضوحاً وانتشاراً ، وهذا ما تصبو أن يوجد فينا فيعطينا شبه الله خالقها ، الذي بسببه يقال اننا صورة الله ، فالله الخالق الذي يشبه صورته هذه ، هو عاقل وغير منظور وغير جسماني، والنفس أيضاً أي العقل ـ صورته ـ هي الأخرى عاقلة وغير منظورة وغير جسمانية، وهي موضع تعجب من قبل جميع ذوي العقول المبصرة والمفكرة• هذه هي طبيعة النفس ، وهذا هو العقل عين هذه (النفس) •

□ صفات النفس والعقــل البشريين :

١ ـ ان صفات النفس الانسانية الناطقة هي الآتيــة : أولاً ـ انهــا الوحيدة التي تتعامل مــع الفكر الفاحص من دون ســائر العقول المخلوقة الناطقة • فان الله والملائكة غير الهيوليين ، وحتى الأبالسة الماردين ، لا يفكرون ، وليسوا بحاجــة الى التفكير فيما اذا ينبغي عمل هــذا الشيء أم لا • فانهم يعرفون بمجرد نظرتهم اليــه ، اذ لا يوجد حجاب أمام طبيعة العقل • فاذن من صفات النفس البشرية وحــدها ، أن ترى اذا كان ينبغي أن تفعل هــذا الشيء أو لا تفعله وذلك عن طريق الانتقال الفكري والتمحيص •

٢ ـ ومن صفات النفس أي العقل البشري • لما كان العقل مرتبطاً ذاتياً بالجسد البشري المتحد به ، فانه يتخيل فكرياً فيرى ويصور في ذاتــه الأمور البعيدة عنه كأنها قريبة منــه • فيغدو وكأنه يسافر ويتنقل دون ن يبتعد عــن مكانه • في حين أنه ملازم لمسكنه ـ الجسد ـ ولا ينفصل أو ينتقل من بيته• فانه يرتفع بسرعة نحو السماء ، وبسهولة يهبط على الأرض ، ويغطس في لجــة البحر ويغوص دون خــوف ، ويطوف أرجــاء العالم دون عنــاء ، حيث يرى ويبحث بامعــان كــل الأمور • ويتأمل ويدرك بدقة كل أعمال الله خالقــه •

٣ ــ ومن الصفات المتميزة والظاهرة للنفس المفكرة أي العقل البشري : عندما ينام الجسد البشري المرتبط بها ويركن الى الهدوء ، ويرتاح هو الآخر معه لارتباطهما ببعضهما ، يكون كالانسان المحصور في بيت مظلم لا يهدأ عن متاهات التفكير ، فيتحرك هو الآخر ويتيه في الخفاء محاولاً أن يرى ويزور ما كان يريد أن يراه ويزوره في يقظته ، ولئن اعتقد بعضهم أن لبعض الحيوانات غير الناطقة كالكلاب مثلاً ، شيئاً من هذا القبيل ، أي انها ترى أحلاماً وتتخيل جزئياً ما تراه في اليقظة ٠

٤ ــ ومن صفات النفس البشرية الناطقة ، أنها تتألم بآلام جسدها وتشقى في الأمراض والأوجاع معه وتتعذب مثله في الضيقات ، لأنها مرتبطة معه ارادياً وطبيعياً ، ولئن كانت غير متألمة بطبيعتها ، ومتسامية عن كل ألم ومرض ، وهي رصيفة تلك الروحانية غير الهيولية وغير الجسمانية ، البعيدة عن كل ألم أو ضيق ، والتي تتمتع بالنعمة المليئة بالأطايب والمسرات ٠

٥ ــ والى جانب هذه ، فللنفس الناطقة والمفكرة أي العقل الذي فيها ، صفة آخرى ، هي كرهها للشر والخطيئة والاثم ، ومحبتها للصلاح والعدل والفضيلة ولئن تزل وتخطىء وتنحرف نحو الآلام والأمراض ، ولها أيضاً أن تتوب عن زلاتها اذا ما أخطأت ، تطلب الغفران من خالقها الرحيم ، وهو بدوره ، كمحب للبشر ، يمنحها هذه الهبة والقوة والتوبة والمغفرة ٠

٦ ــ بالاضافة الى فضائل صورته ، أعطى الله الخالق العقل البشري ، أن يتحرى من ذاته المعارف ويكتشف الأمور الضرورية والنافعة متشبهاً ، على قدر الامكان ، بالله خالقه ومثاله ٠

□ عظمة العقل العجيبة :

عندما يتأمل ويبحث فكر الناس العقلاء الباحثين ، في الكائنات التي سبق الله وخلقها من أجله ، ويأخذه العجب العظيم : يستوجب عليه أن يمجد الله الخالق المبدع الذي وهبه كل هذا الفهم والحكمة لدى خلقته اياه ٠ أو من أجل أعماله العظيمة والعجيبة ، أي السماء والأرض وما فيهما ٠ ترى من لا يأخذه العجب وهو يرى ابداعات العقل البشري المدهشة التي تفوق الوصف ٠ أقول هذا بالنسبة الى أنواع ومقاييس الصناعات

المتقنة التي تظهر في الأبنية المختلفة، وانشاءات المدن والهياكل والحمامات ذات المغاور المختلفة المتعددة الصيفية منها والشتوية • وفي صناعة الهندسة التي تظهر في الادوار السفلى والعليا والوسطى ، الظاهرة منها والخفية ، وتقاسيم الشبابيك وزخرفة الأبواب والاواوين المتنوعة والسقوف المتباينة ، والأبنية ذات الحيطان المنقوشة والصور المتنوعة على الأحجار الكريمة اللماعة ، وأحياناً في البلاط اللماع ، وأحياناً في الذهب والفضة والزجاج الثمين البراق ، وفي مواد أخرى مختلفة وزاهية • من لا يندهش لأعداد وتركيب الأنابيب وقنوات المياه التي ابتدعتها واخترعتها عقول حاذقة لمهرة الناس في هذا العالم ، ترى من لا يندهش عندما يرى الصناعات التي يأتيها الناس الحاذقون بواسطة النار ، وعندما يرى المواد المتنوعة المستخرجة من الأرض ، الذهب والفضة والنحاس والحديد والزنك والرصاص والزجاج وغيرها من المواد • وما يصنع منها من أشياء وحاجيات ضرورية • من لا يندهش وهو يرى الصناعات التي اخترعها العقل البشري بواسطة الماء والهواء لفائدة البشر واستعمالاتهم، أحجار وأخشاب مصنعة تخدمهم بأتم استعداد • أو الذين يعدون الطعام بواسطة المكاييل(الغربال) وغيرهم يرفعون الماء الضروري للسقي من الآبار والبرك العميقة بالمكائن والوسائل الأخرى، وأحياناً يخرجونها من أعماق أنهار جارفة لا تسير جديرة بالدهشة • وكذلك طرق استخدام الهواء التي اكتشفها الانسان من أجل حرفة الموسيقى والأغاني المتنوعة ، في الأرغن المصنوع مثلاً وغيره من الآلات الصالحة لمثل هذه الأمور • ترى كيف نعبر عن دهشتنا واشادتنا بما توصل اليه العقل البشري بمعرفته ، من المصنوعات المدهشة المختلفة من الحجر والخشب والجلود والعظام المأخوذة من الحيوانات ، ومن طين الأرض الحقير ، ومن أغصان وأوراق الأشجار وسائر الأعشاب والعروق المتنوعة ، وماذا عن اكتفاء الانسان من الثياب مما ابتكره من الصوف وشعر الحيوانات ، ومن قشور أعشاب الأرض ومن أمعاء الديدان • فهذه الأمور التي تدعو الى الدهشة ، تدعو في الوقت نفسه الى الثناء والعجب • كما تستحق الذكر أيضاً ، ابداعات المعرفة البشرية في أنواع النسيج المختلفة والثياب والأغطية المتقنة المتباينة العدة والمصنعة بحكمة • يقول الكتاب الالهي بخصوصها ـ اننا نعزز كلامنا بالكلمات الذهبية بدلاً من كلمات الرصاص ، أو بعبارة أنسب ، لأن كلمات الروح تشد كلامي الهش ـ قال الله لأيوب(٣٦) : « من وضع في الطخاء(٣٧) حكمة ، أو من أظهر في الشهب فطنة » ، « من أعطى

٣٦ـ أيوب ٣٨ : ٣٦ •

٣٧ـ السحاب المرتفع •

النساء فطنة النسيج ومعرفة النقش » • يقول الله هـذا مظهراً به بعض المعرفة الفاعلة التي اوجدها في العقل البشري • وما هي جديرة بالاعجاب والثناء أكثر من هذه ، والتي بها ترفع التسابيح لخالق الانسان ومعطي الحكمة للعقل البشري : ابداعات رجال الفطنة المهرة في الفلاحة • مـن فلاحة الأرض الى جمع الغلال والثمار وخزنهـا • وأنا بدوري أتساءل عن هذه الأمور على غرار قول الله : ترى من الذي أودع الحكمة في خفايا الانسان ، ومن أظهر في شهب العقل البشري فطنة ؟ من الذي أعطى البشر كل هذه الحكمة والمعرفة لكي يعرفوا أن ينظموا ويضبطوا شؤون الفلاحة ويجمعوا محصول الزرع ، والحصاد والدرس ، ويتقنوا خـزن الخمر والزيت • وأضيف فأقول : من أعطى مثل هذه المعرفة وهذه القوة للذين يجـوبون البحر بالسفن ، أو أولئك الذين ينجزون أعمالاً ما بواسـطة الميـاه الكثيرة(٣٨) ، لكي يعرفوا كيف يهيئون لهـم ، بطريقة حكيمة ، مراكب خشبية فوق المياه، ووسائل ومعدات أخرى، يقتنصون بها مساعدة الرياح ، ويسيطرون بذلك على هيجان وقساوة البحار ، ويطأون مخاوف أعماق الغمـر ؟

لقد توصل العقل البشري الى كل هذه الأمور باكتشافاته، وأمور أخرى كثيرة وعجيبة ورائعة تفوق الوصف ، استطاع أن يعدها ويتقنها بمعرفة ومهارة ، والبحث وانتهاز الفرص ، ليس فقط المفيدة منها ، بل والمضرة الآثمة أيضاً ، كتلك التي صنعها الناس وأعدوها لصنع الأسلحة لمحاربة بعضهم البعض، وكالتي اخترعها الأعداء المقاتلون لمهاجمة المدن، وكتلك التي صنعها أهالي المـدن للدفاع ضد المهاجمين ، ولِمَ أطيـل الشرح ، فأعدّد اختراعات حكمة العقل البشري الذي وجد في خلقته صورة وشبهاً لله الذي بهـذا أظهره أنه فعلاً مثال صورته • فالله يعمل كـل ما يشاء ، والعقل البشري يعمل بفطنة كل ما اكتشفه بصلئيل(٣٩) الفنـان الماهر مشيد خيمـة الشهادة ليكون شاهـداً على اختراعات العقـل البشري ، وحيرام الصوري(٤٠) الذي يثني عليه الكتاب الالهي ، والذي صنع جميع أدوات النحاس لبيت الرب بحسب توصية ورغبـة سليمان بن داود ملك اسرائيل • وفنانون آخرون ماهرون أتوا أعمالاً عجيبة جديرة بالثناء في بلدان متعددة ومناطق مختلفة ، واشتهروا في هذا العالم بسبب أعمالهم واختراعاتهم العجيبة ، التي هي نتيجة الحكمة والمعرفة ، مثل فيـداس

٣٨ـ مزمور ١٠٧ : ٢٣ •
٣٩ـ خروج ٣٥ : ٣٠ •
٤٠ـ ١ ملوك ٧ : ١٣ •

ودادلوس وغيرهم من الصناع الحاذقين · انه لتطفل منا أن نأتي على ذكر أمثال هؤلاء ومن اشتهروا بالاختراعات ·

نتطرق هنا الى ما هو ضروري فقط فنقول : لقد منح الله الخالق العقل البشري حكمة واستنارة بهذا المقدار في ما أتاه من اختراعات وأعمال ، حتى بلغ الى أن يصب بشكل مناسب ، أعمال الطبيعة وخلائق الله ، ليس فقط بالأقلام التي بها نصنع تماثيل الناس والحيوانات والطيور ، من النحاس والحديد والذهب والفضة ومواد أخرى كثيرة ، بل من طين الأرض الحقير المجبول ، ومن مزج وتركيب الكلس والجبصين ومواد أخرى ، واضافة الى هذه ، نماذج من الأدوية والألوان المختلفة ، وقد تقدم بعضهم في أصالة الفن حتى انهم خدعوا حاسة البصر لدى البشر والحيوانات ، نظراً الى التشابه الحقيقي التام ·

□ حياة الانسان وولادته :

على هذه الصورة خلق الله العقل البشري ، وثبت فيه حكمة مقارنة ومفكرة ومدركة ، ومزجه بطين مركب ، متغير وزائل ، ومن تركيب هذه، كوّن هذا الانسان المنظور وغير المنظور الذي يقال عنه انه شبه وصورة خالقه ، وهكذا أعده لينمو شيئاً فشيئاً ويتقدم نحو الأمام ويكتمل ماراً بمختلف القامات ، وكاشفاً تدريجياً عن المعرفة والحكمة التي غرست فيه· ولما كنا قد ذكرنا نمو هذا الانسان المنظور ، في سياق قصته ، استوجب أن نعطي هذه الناحية أيضاً ، وبحسب الترتيب ، ما تحتاجه من الحديث · وكذلك لفترة الحياة التي حددها لها الخالق كما سبق ذكره ، فقد جاء في الكتاب الالهي : أن الله خلق الحيوانات والنباتات ذكراً وأنثى يوم خلقها، وأن الانسانين الأولين اللذين خلقهما من التراب وكوّنهما من الأرض ، قد جمعهما جسداً واحداً وارادة واحدة ، شأنهما شأن سائر الحيوانات والطيور ذات نفس حية ، بواسطة الزواج واتحاد الذكور والاناث بالشهوة والحب والقاء الزرع البشري من الرجل ، والدم من المرأة ليقيموا نسلاً لجنسهم داخل رحم المرأة · على هذا النمط رتب الله الخالق أن يتسلسل ويتكاثر الجنس البشري · لذا قال لهم : « أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وكونوا أسياداً عليها » · هكذا حدد الله المبدع الحكيم أن تتم صياغة وتركيب الانسان الحي داخل رحم رطب لحمي وطيني الذي هو حجرة الطبيعة البشرية ، مثل غطاء النباتات النضرة في جوف الأرض الرطبة الطينية ، لأن قوام الانسان وتركيبه هو من العناصر الأربعة :

التراب والماء والهواء والنار • وربما بسبب هذا حدد الله الخالق المبدع الحكيم اربعين يوماً لاكتمال الجنين في الرحم ، مقسما ومحدداً لكل من العناصر الاربعة بالتساوي عشرة أيام كاملة • وهذا ما يسلم به أيضاً علماء الطبيعة الحاذقون ، وكذلك جماعة من ملافنة الكنيسة القديسين الذين حددوا العدد أربعين يوماً لاكتمال صورة وهيئة وقوام الجسد البشري داخل رحم المرأة الحامل • ومن المعروف أنه منذ بدء الحمل يعجن ويتحد معاً النفس والجسد من أجل تركيب قوام طبيعة الانسان المركبة• وحيث أن كليهما كانا معا داخل الرحم ، فان الجسد يتغذى ويزداد نمواً ويكتمل ظاهرياً وتدريجياً ، أما النفس فهي خفية وغير منظورة • وله قوة غريزية واحدة للحياة فقط حتى اليوم الأربعين ، وهي المسماة المغذية والنامية • لذا فان الجنين لا يتحرك ولا يشعر حتى ذلك اليوم • وبعد اليوم الأربعين حيث تظهر وتنمو في الجنين قوة الحس والحركة ، يعرف عند ذاك بكونه حساساً ومتحركاً ، ويحرك نفسه داخل رحم أمّه مثل يوحنا بن زكريا الذي ارتعش في بطن أمه اليصابات في الشهر السادس كما يشهد الروح المبشر(٤١) • هذا هو حال الجنين في الرحم ، حيث يتغذى وينمو بالقوة الغريزية ، ويحس ويتحرك بالقوة الحية حتى الشهر التاسع ، حيث يكتمل الحمل البشري • هكذا حدد الله أن يتم حمل الانسان وولادته خلال تسعة أشهر ، ولئن يطرأ أحياناً طارىء على الطبيعة فتنقص المدة المحددة من الخالق أو تزيد •

هكذا تحدد وثبت زمن الحمل البشري في البطن ، وهكذا يكتمل الجسد البشري داخل أرحام الأمومة ، وهو يحمل كلا القوتين النفسيتين اللتين تظهر أفعالهما فيه، واللتين أشرنا اليهما أعلاه • أي القوة الغريزية والقوة الحية ، دون أن تظهر فيه قوة النطق والتفكير الذي يعتبر نفس الانسان الحقيقية المتكاملة • وهكذا يولد الانسان بعد الحمل في البطن مدة تسعة أشهر ، ويخرج الى هذا العالم التعيس المليء بالجرائم ••• وهكذا ينمو تدريجياً وبصعوبة وتحفظ ، كما تظهر أيضاً النفس الناطقة والمفكرة مع نمو جسدها ، حيث يدركها المعنيون تماماً من أعمالها ، وينظرون اليها والى أعمالها ببصائرهم • وهكذا يبدو نمو هذا (الانسان) صعباً بهذا المقدار ، ويأخذ مدة أطول وأكثر من سائر حيوانات الأرض ، كما انه أكثر كرامة بخلقته من سائر الكائنات المحسوسة ، ومن هذا يدرك كل واحد جيداً ويتحقق من الكلام القائل ، ان أكرم وأحب شيء ،

٤١ـ لوقا ١ : ٤٤ •

هو الذي يكتسب بجهد وصعوبة · هكذا يولد الانسان حيث يتغذى من جسد امه بواسطة حليب اثدائها حتى السنة الثانية من عمره أو أكثر · توجد بعض الحيوانات التي تنتصب على الارض فور ولادتها على رجليها وتسير مع امهاتها · أما الانسان فحتى بعد مضي سنتين بالكاد يستطيع تثبيت ارجله ليسير على الأرض · وفي حدود السنة الرابعة ، أكثر أو أقل قليلاً لدى بعضهم ، تظهر النفس الناطقة ذاتها بواسطة الكلام الذي يخرج ، والحركات والاشارات الجزئية التي تظهر بداية أعمالها وما في طبيعتها من قوى · والى أن ينمو الانسان حتى السنة السابعة ، وله تفكير بسيط ومرن ، طاهر وبعيد عن كل شر ، ولا يدرك حتى عري جسده الذي كان لآدم ، الانسان الأول وامرأته حواء · خلال فترة حياتهم السعيدة الخالية من الالم والضيق ، الحياة المقدسة الطاهرة التي يسميها الكتاب الالهي رمزياً ، فردوس النعيم · هذه هي حال الانسان في الاسبوع السنوي الأول(٤٢) من حياته ، حيث لا وجود للشر فيه ، ولا تحسب له خطيئة من قبل الله ديان الأحياء ، كما لا يُدان حتى من الشرائع الموجودة هنا ، ولا من تلك التي هناك نظراً الى حكم الله العادل ، لذا فان سن السنوات السبع الأولى لا تصلح كثيراً للتربية والتعليم ، ولا أن نربى بقضيب التعليم ، ولكن يجب أن يُقرب منه قضيب التحذير والتخويف من الأمور المضرة ، وفي الأسبوع السنوي الثاني من الحياة البشرية ، يظهر بجلاء اكتسابه الطبيعي لقوة النطق والتفكير المنسوبة الى النفس العاقلة · وهذه هي السن الملائمة للتربية والتي تخضع لقضيب المربي ، كما أن الذنوب تحسب لمن في هذه السن ، وكذلك ما يقضي به الحكام من عقاب ·

□ النمو والبلوغ :

ان الفتى الذي بلغ السنة الخامسة عشرة ، وقد اجتاز الأسبوع السنوي الثاني ، يكون أكثر صلاحاً لاقتبال التربية والعلم اعتباراً من السنة السابعة وحتى الخامسة عشرة ، حيث ان فكره لم يتدنس بعد بالشهوات التي تستوجب عقاباً من الموجهين · فقد قال سليمان في مطلع أمثاله عن سن الفتى هذه «لنعطي الجهال حكمة والفتيان معرفة وفكراً»(٤٣). فلمثل هؤلاء يناسب اعطاء المعرفة والفكر ، لأنهم مثل الشمع الطري ، لهم استعداد تام لتنطبع فيهم بجدية صورة الفضيلة وتنقش فيهم المعرفة والحكمة ، لذلك دعي الذين هم في الأسبوع السنوي الثاني من حياتهم

٤٢ـ أي في السنوات السبع الأولى من حياته · ٤٣ـ أمثال ١ : ٤ ·

أحداثاً . وتكون سن الأسبوع السنوي الثالث من حياة الانسان ، أي من السنة الرابعة عشرة وحتى الحادية والعشرين ، مهزوزة وتنتفض بسهولة لريح الشهوات وتميل نحو مختلف النزعات بدون استقرار . وهي بحاجة الى تغطية تامــة وحرص دائم . فانه ينمو وينضج دون سقوط في فترة الأسبوع السنوي الثالث ، وليس مــن العسير اصلاحه واقتباله التأديب وهــذا شأنه أيضاً في الأسبوع السنوي الرابع . وعندما يكمّل الانسان الأسابيع السنوية الأربعة ، ويبلغ العقد الثالث ، يكون قد بلغ ملء قامة الرجال يعرف ... ... ويصبح أهلاً للرئاسة وادارة الكثيرين اذا كانت لديه المعرفة والحكمة . هكذا ينمو الانسان ، وهكذا يرحل عن حياة هذا العالم بأعمار متباينــة ، أي رجــلاً كامــلاً أو في منتصف العمر أو في الشيخوخة، لكي ينتقل الى العالم الآخر بمقتضى أمر خالقه ، حيث ان الحياة حُددت له بسبعين سنة أو ثمانين كقول الكتاب . قال ذلك الروح المرتل بلسان النبي موسى عندما كان يطلب الى الله مــن أجــل شعب اسرائيل ويترجاه أن يغض النظر عن خطاياهم خلال أيام سنيهم التي هي سبعون سنة وبالكاد ثمانون سنة . هذا هو التحديد الأخير لفترة حياة البشر(٤٤) .

☐ عمر الانســان :

وأود أن أقــول شيئاً آخر وأنا أنظر الى فترة حيــاة رؤساء الآباء الأولين الطويلة الواردة في الكتاب الالهي التي امتــدت لدى معظمهم الى نحــو تسعمائة سنة أو أكثر ، كما يشهد الكتاب المقــدس(٤٥) . بالنسبة الى الذين ولدوا من الملائكة أبناء الله الذين شكوا ونكثوا عهدهم مع الله ، واتخذوا نساء من بنات قايين وولد منهم رجال مقاتلون وعملوا شروراً كثيرة على الأرض : فقــد روى لنــا الكتاب المقــدس أن الله قال عنهم : « لا تسكن روحي في هؤلاء الناس الى الأبد لأنهم بشر ، بل تكون أيامهم مئة وعشرين سنة »(٤٦) ، في حق هؤلاء فقط أصدر الله هذا الحكم وليس في حق سائر الجنس البشري الذي جاء فيما بعد . انه لأمر واضح وظاهر أن الكتاب دوّن وروى عــن حيــاة بعض رؤساء الآباء أنهــا امتدت بعد الطوفان الى نحو ستمائة سنة والى سبعمائة أو أكثر بالنسبة الى البعض الآخر . وكذلك زاوس اليوناني طاغيــة الكريتيين الذي ناهزت حياته السبعمائة سنة كما تروي مــدوّنات وروايات المؤرخيــن اليونانيــين .

٤٤- مزمور ٩٠ : ١٠ .
٤٥- تكوين ٥ و ١١ .
٤٦- تكوين ٦ : ٣ .

اضافة الى هذا نقول : لا زالت حتى الآن حياة بعض الناس الهنود طويلة أكثر من سائر الشعوب ، تمتد الى ثلاثمائة وخمسين سنة أو أربعمائة سنة ، ومعظمهم يعمرون حتى مئتي سنة أو مئتين وخمسين . أما في البلاد العربية الخصيبة فيعيشون حتى المئة والثلاثين سنة ، ويبدو أن بعضهم حتى الآن ما زال يشملهم تحديد الله للمئة والعشرين لحياة الذين أثموا قبل الطوفان ، وليس جميع الجنس البشري ، سواء في ذلك الزمان أو بعده .

ويجب أن نتحدث عما هو موجود الآن . ففي البلدان الغربية مثل اسبانيا وفرنسا (غاليا) ، وفي البلدان الجنوبية ، سومطرة وسيفيثية Seytharum بالكاد ومع الشيخوخة ، تمتد حياة الناس الى نحو ستين سنة ، ويستنتج من هذا ، أن لمناخات المناطق تأثيراً على الشيخوخة وطول حياة الناس ، مع تحديدات الله التي تحدثنا عنها ، ولكن يجب أن ندرك أن أمر اطالة حياة البشر على الأرض وكيف ومتى تنتهي أيام حياتهم ويرحلون من هنا ، منوط بارادة الله ، لأنه يولي اهتمامه بجميعهم على حد سواء ، لا بل وبكل واحد بصورة خصوصية ، وبحياتهم وخروجهم وانتقالهم .

□ اتحاد النفس بالجسد :

وحيث أن الحديث تناول بما فيه الكفاية ، خلقة الله للعقل البشري ، وما وهبه خالقه من معرفة وحكمة ، واكتشافات العقل وأعماله المدهشة، وقوام الانسان وتركيبه من نفس وجسد ، وتسلسله عن طريق الزواج والحمل والولادة والنمو ، وعن مختلف سني أعماره وعدد سني حياته ، يجب ، لا بل من الضرورة ، أن نضيف فنتحدث عن اتحاد النفس بالجسد ، فمثلما أنها تحافظ على طبيعتها وخصائصها بدون امتزاج أو تبلبل أو اختلاط أو انصهار ، وبعيداً عن كل تغيير أو تبديل ، كذلك الجسد فانه مستقل ومحافظ على خصائصه دون امتزاج أو تبلبل أو تغيير ، نظراً الى وحدتهما الحقيقية وتركيبهما الكامل . وكلاهما يشكلان وحدة باطنية غير منقسمة بصورة متشابهة ومتساوية وكأنها كلها شيء واحد بسيط وغير متغير ، فهكذا تنسب الى النفس آلام الجسد وكأنها من صلب طبيعتها ، وتنسب الى الجسد خصائص النفس وكأنها من صلب طبيعته ، فينسب الى النفس جوع الجسد وعطشه ، وشهوة الأكل والشرب ، والتعب والمرض والضعف والشعور بالبرد والحر وغيرها ، فيقال عنها انها تجوع وتعطش وتعاني المرض وتضعف وتتألم . وكذلك الجسد فانه يهيج ويخاف ويفزع ويكتئب ويفرح ويفلح ويهش بنشاط للشجاعة والجبروت ، هذه كلها

تنسب اليه وكأنها من طبيعته وصادرة عنه وليست النفس هي مصدرها ٠ ومثـل هذه الأعمال لا تؤكدها النفس والجسد فقط عن طريق الأعمال المنظورة التي يأتيانها ، أو العامة وتقليدهم الذين هم الآخرون يؤكدون ذلك ، ولا الحديث المألوف الذي يدور حولها ٠ ولكن الكتاب الالهي أيضاً يشهد ويعلم هذه كلها ، نهجاً على ما اعتادت اليه العامة ٠ اذ يقول الروح المرتل(٤٧): « أشبع الله النفس الجائعة » و « بالحديد قيدت نفس يوسف » ، والذي يسرق لكي يشبع النفس الجائعة(٤٨)٠ اسرق، يقول سليمان(٤٩): في حين ان النفس لا تجوع ولا تشبع بالطعام الجسدي ولا تقيد بالحديد ولا تتالم بسبب أي من هذه الأمور التي تنسب الى الجسد فقط ٠ ولكن هكذا ينسب او يكتب كل ما هو للجسد على النفس ، وما هو للنفس على الجسد ، نظراً الى وحدتهما الحقيقيـة والطبيعية التي عملهـا لهما الله خالقهما ، والتركيب الذي يوفق بينهما في الوقت الذي هما بعيدان كثيراً الواحد عن الآخر سواء بالطبيعة أم بالخصائص المختلفة والمضادة ، بما هو منظور أو غير منظور ، بالحس والتعقل ، بالجسد والروح ، بالجسم ومن دون جسم ٠ هكذا وحّد الله خالقهما ، الكلمة الخالق ، النفس والجسد في وحـدة حقيقية طبيعية وعجيبة وفائقـة الوصف في حين أنهما شيئان مختلفان في الهدف وغير متساويين لبعضهما في الجوهر ٠

وهكذا فان المبـدع الحكيم والقادر على كل شيء ، سبق وأعدهما متناسبين الواحـد للآخر ، ينسب ما لأحدهما للآخر ويجعله وكأنـه له ٠ ولئن يظـن الخصوم بأنهما لا يشبهان بعضهما ، سواء بالصفات أو الآلام أو أي شيء آخر ٠ أو الأسماء أو الكلمات التي تشير اليهما ٠ فانه (الله) عمل هذه بحكمة وبشكل رمزي في آن واحـد ، حيث سبق وأعطى صورة موضحة ورمزاً مشابهاً لسر تجسده ، فقد مهد الطريق وأعطى دليلاً على ما قيل عنه مـن كلام ٠ فمثلما اتحـدت النفس البسيطة والعاقلة مـع الجسد المركب المحسوس اتحاداً طبيعياً دون امتزاج أو تبلبل، ونسب كل منهما لنفسه ما هو للآخر دون أن يعترض أحد ، أو يشك في هذا ، لأن العرف والكتاب يشهدان ويوافقان على هذا كما بيّنّا ٠ هكذا اللاهوت البسيط العاقل الأزلي وغـير المخلوق ، عندما اتحـد طبيعياً وحقيقياً بالناسوت المركب والمحسوس والمخلوق ، باتحاد طبيعي وأقنومي عجيب لا يُحـد ، دون امتزاج أو تبلبل أو تغيير ، حيث أعطي ما هو للناسوت ، ونسب اليه

٤٧ـ مزمور ١٠٧ : ٩ ٠

٤٨ـ انظر : مزمور ١٠٥ : ١٨ ٠

٤٩ـ انظر : امثال ٦ : ٣٠ ٠

ما للناسوت • تشهد على هذا أقوال الانجيل المقدسة • وليس هناك من يعترض او يشك مـن العقول التي تشترك بالمعرفة ، فبكل عدالة تنسب الى ناسوته القوات والاعمال العجيبة التي كان المسيح يصنعها من شفاء المرضى وطرد الشياطين واقامة الموتى ، وان آلام ناسوته ترتقي وجوباً الى لاهوته ، الجوع والعطش ، النـوم والتعب ، الارتبـاك والضيق ، الحزن والخوف ، وكذلك الالم والصلب والموت وجميـع الاشياء الأخرى المنزهة عن الملام والخطيئة • وكل روح هي من الله ، تسلم وتعترف بهذا وتعرف يسوع المسيح الذي جاء بالجسد •

☐ الهـدف مـن خلـق الانسان والمصير :

الى هنا ينتهي الحديث المختصر والمحدود الذي قيل عن هذه ، وفيه الكفاية لمـن يعي كيف يسمع ويعترف • أما الآن فلنوجه حديثنا نحـو هدفـه • ونقول بلطف ، كل ما يدور من كلام من جهة الانسان ، وان ما يدور عنه هو ولا شك ضروري اذ يدور حـول حياته في هذا العالم ، وضرورياته فيه ، ولماذا وضع فيه ، وحتى متى يدع الله الانسان في هـذا العالم ؟ وعن موته وانحلاله منه ، وعن بعث جسده من التراب ، وقيامته ، وعن يوم دينونة الجنس البشري برمته ، وعن المجازاة المعروفة والمعترف بها التي تعطى من قبل العدالة لمن يستحق من المدركين والمعترفين ، والتي تسميها الكتب المقدسة ملكوت السماء وجحيماً وناراً • عـن هـذه الامور يدور الكلام في ما يخص الانسان •

☐ ما هو ضروري للانسان :

لقد أعطي الانسان ، مسلكاً في هذا العالم الذي جاء اليه ، وقد أباح له الله المعني والمدبر ــ أوضح كلامي هنـا بأقـوال الكتاب الروحي ــ أن يعمل في أرض اللعنات التي طرح فيهـا ليأكل خبزاً مـن عشب الحقـل بعرق وجهه ، حيث يجني منها بالتعب والعنـاء والعذاب ما هو ضروري ونافع له فقط • فقـد قال له(٥٠) : « انك تأكل منها بالآلام والأوجاع طيلة أيام حياتك ، وتنبت لك شـوكاً وحسكاً ، وتأكـل عشب الحقل ، بعرق وجهك تأكل خبزك حتى تعـود الى الأرض التي أخذت منها ، لأنك تراب والى التراب تعـود » • لقـد قـرر الله للانسان وأباح لـه فقط الضروريات التي تخص مسلكه في هذا العالم ، وهذه الضروريات هي :

٥٠ـ تكوين ٣ : ١٨ ـ ١٩ •

أن يبني له بيوتاً من الأرض ليسكنها مع البهائم التي تخدمه ، وبها يتقي برد الشتاء القارص ، والحر في الصيف ، ويجمع منها القوت الضروري له ولبهائمه ، ويتزود منها بالأشياء الضرورية لسد حاجاته ، مثل الحديد والنحاس وأمور أخرى تشبهها ، ويعمل له ثيابا وكسوة منها ومن الحيوانات التي فوقها ، ليتدفأ بها في زمن البرد ويغطي عري جسده ، اجلالاً للطبيعة وتخلصاً وتهرباً من العهارة ·

هذه هي كما يبدو ، الأشياء التي أباح بها الله سرّياً للانسان ، من أجل سكناه على الأرض ومسلكه في هذا العالم · ولكي أجمّل كلامي بكلام رجل حكيم(٥١) أورد هنا ما يلي : « ان العناصر الاساسية لحياة الانسان هي الخبز والماء والكساء ، والبيت لستر عورته » ، وبناء على قول هذا الرجل الحكيم ، فان البيت والثياب هي ضرورية لستر عورة الانسان ، وليس من أجل الزينة والتبجح الفارغ والباطل الذي لا طائل تحته ؛ اذ يُزين باطلاً قبل سكانه ، ببلاط ذهبية وأحجار براقة لماعة ، وجهد لا جدوى منه · ولكي نعطي لكلامنا ايضاحاً أكثر عن هذه الضروريات ، لا بد من اضافة شيء آخر هنا مناسب وضروري ، من أقوال هذا الرجل الحكيم · فقد قال بهذا الصدد ما يلي : « ان رأس كل الأشياء الضرورية لحياة الناس هو الماء والنار والحديد والملح ولب الحنطة والحليب والعسل وعصير العنب ، والزيت ، وأدوات الغطاء والملابس » ، ويضيف سارداً أشياء أخرى مناسبة جداً ، ليظهر أن هذه كافية للأتقياء وخائفي الله الذين لا يطمعون في أمور زائدة ، ولئن يسعى الجشعون بجشع وراء أمور أخرى ، فانه يقول : ان هذه كلها خلقت صالحة للصالحين وخائفي الله ، ولعنة وشراً للأشرار والاثمة · هذه فقط كانت الأشياء الضرورية لسكنى الناس في هذا العالم ، أما الذهب والفضة وما يشبهها ، فقد وجدت كنتيجة للطمع الشديد ، وأثارت على الجنس البشري بل وحياته برمتها حروباً ومظالم وغيرها من الشرور الكثيرة ، فان جميع حاجات الانسان قد سُدت ولم ينقصه شيء حتى ولو لم تكتشف هذه ، فليس هناك كلمة واحدة تشير الى اكتشاف الذهب والفضة قبل الطوفان ، حتى ولا ذكر لها اطلاقاً · ومع ذلك لم تكن حياته في هذا العالم تنقصها حاجة ، ولم تكن له حاجة ماسة الى الذهب · اذن فليكن معلوماً : أن اكتشاف هذه ليس فقط دون فائدة ، بل هو ضار ومسبب للشرور ، وان محبة المال هي أمّ وأصل كل الشرور كما دعاها القول الرسولي(٥٢) ·

٥١ـ لم نشخص هذا الحكيم الذي يستشهد به مؤلفنا ·

٥٢ـ ١ طيمثاوس ٦ : ١٠ ·

□ لماذا الانسان في العالم ؟ :

الى هنا يكون الحديث قد أوضح بايجاز الأمور الضرورية لمعيشة الناس ، أما لماذا وُضع الانسان في عالم العذاب والعناء والأمراض ، بعد سقوطه وخطيئته ؟ وعلى أية قاعدة تقرر هذا · وحتى متى يخضع لحكم هذا القضاء ؟. فسنوضح هذه الأمور الآن بصورة سريعة · فالانسان لم يرسل الى هذا العالم ليمكث فيه أو يسكنه الى الأبد ، بل من أجل أن يؤدب فيه كالطفل في مدرسة التربية وتُمحى خطيئته وذنب آدم وعصيانه بالكامل ، ولكي يدرك عندما يتأدب ، أن هذا العالم هو حقاً غابة البكاء وليس مسكناً ، وساعة أحلام غير مستقرة أو مستمرة وليس كمال الأشياء ، واذا اعترف بهذا ، غض نظر تفكيره عما هو هنا ، واذ ينظر نحو خالقه منتظراً خلاصه ، فانه يتشبث ويصمد دون تزعزع ، على رغبة ومحبة الأمور الثابتة والباقية · هذا هو السبب الذي من آجله طرد الانسان ووضع في هذا العالم · وقد امتد حكم القضاء بهذا المقدار حتى شمل الجنس البشري ، لكي يعيش سوية وهو شتي ومعذب بشرور هذا العالم ، في الحمل والولادة والتربية والضيقات والأوجاع والنزعات والآلام والأمراض وضعف الشيخوخة ، ومن ثم بالموت وفساد الجسد ، والبقاء في الأرض حتى اكتمال عدد المختارين المفرزين الموجودين في كيان الانسان منذ خلقته ، المعنيين والمعروفين لدى الله خالقهم ، منذ بداية وجود الانسان · وحين اكتمال هذا العدد ، سينقطع فوراً نسل الجنس البشري وتتوقف مسيرة هذا العالم التعيس الشقي · وهذا هو سبب تيهان وغربة الجنس البشري الشقي في هذا العالم ·

هذه هي حياة الانسان في هذا العالم ، لذا فانها ستكتمل فيما بعد الموت والفساد في القبور ، وانحلال وتلاشي أعضاء الجسد في الأرض ، وتبديد عظامنا في الهاوية كما يقول المرتل(٥٣) · فسيرسل الجسد الى التراب بقرار من الله ، ومن هناك ينتقل كل من العناصر الى ما هو من جنسه ، الماء والهواء والنار ، حتى يبقى التراب وحده حقاً على الأرض مثيله في الجنس · أما النفس فستنتقل اما عند أنفس الصالحين مع جموع الملائكة القديسين، أو عند أنفس الأثمة مع زمر الأبالسة المتمردين، كل واحدة بحسب حكم الله الصادر بحقها حتى يأتي وقت قيامة الجنس البشري كله والدينونة والمجازاة العادلة المقضية على كل واحد بحسب

٥٣ــ مزمور ١٤١ : ٧ ·

أعماله • وبموجب مسلكه وأفعاله هنـا • وبهذا يكون الحديث قد شمل كل هذه الأمور ، وتأكد بشهادة الرجال القدامى والمحدثين ، آبائنا مثبتي الكنيسة المتبحرين الصادقين والجديرين بالثقة الذين علموا وسلموا الينا •

□ البعث والقيامـة :

وحيث ان الحديث تطرق الى البعث والقيامة ، استوجب أن نتوسع قليلاً بشأنها ، فنتحدث عـن الأمور الهامة مشيرين الى الأقوال الصادقة التي قيلت فيها ، والأقوال المزيفة التي يجب ألاّ تُقبل • اذ ليس لجميع الذين يعترفون ببعث الأموات وقيامة الأجساد مـن التراب ، آراء صائبة فيها • لذا ولكي يكون كلامنا عنهـا واضحاً ومستنيراً ، رأينـا أن نضع نصب أعيننا أولاً اختلاف الآراء بشأنهـا بالترتيب المناسب مـع العـدد المشير اليهـا • ومـن ثم الكلام الصادق والصائب ، الى جانب الشهادات المقبولة ، مضيفين ما يناسب مـن أقوال الروح الالهي ، اسناداً وتأكيداً لكلامنا بخصوصها :

١ ـ لقـد خاصم قوم من الهراطقة اليهود المعروفين بالصدوقيين ، المسيح ، منكرين حدوث قيامة الأموات ، وقالوا في حالة حدوثها ، يكون الزواج بين الرجال والنساء أمراً ضرورياً • الا أن المسيح برده ، سفـّه هـذه الهرطقة وأبطلهـا قائلاً لأولئك الضالين : « انكم تضلون لأنـكم لا تعرفون الكتب ولا قوة الله • تعلمون أنه في القيامة لا يتزوج الرجال نساء ولا تكون النساء للرجال ، بـل يكونون كملائكـة الله في السماء • هكـذا هـم »(٥٤) •

٢ ـ وقال آخرون بجنون : ان الأجساد في القيامة تكون روحية أثيرية، لا أجساداً كثيفـة ذات احساس ثابت وسليم ، ودعماً لرأيهم يستشهدون بقول بولس القائل : « وان كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد ، لكن الآن لا نعرفه بعد »(٥٥) ، ويدعون بأن أجسادنا أيضاً ستكون مثل جسد المسيح في القيامة • فهؤلاء يدحضهم قول الرب لتلاميذه : « المسوني واعرفوا أن ليس للروح لحـم" وعظام" كما ترون لي »(٥٦) • فاذا كـان للمسيح بعد القيامة لحم وعظام ملموسة ، فهي ليست أثيرية أو روحية ، بل جسم سليم وقائم يحتوي على العناصر الأربعة ، واذا دعموا قولهم بدخوله والأبواب

٥٤ـ متى ٢٢ : ٢٩ ـ ٣٠ •
٥٥ـ ٢ كورنثوس ٥ : ١٦ •
٥٦ـ لوقا ٢٤ : ٣٩ •

مغلقـة(٥٧) ، فليعلموا أن هـذا يدخل في نطاق أعماله الالهيـة الخارقة للطبيعـة ، وليس لاجسادنا ان تدخل بعد القيامة والابواب مغلقة • أما قـول بولس فلا يشير الى أن جسد المسيح ليس لحماً بعد القيامة ، بل الى أن جسد الرب لا يخضع بعد قيامته من بين الأموات الى الشهوات الجسدية الطبيعية التي كانت له قبـل القيامة • وآخرون يهذون عـن قلة العقـل ويقولون : سوف لن تكون للأجساد ، الهيئة التي كانت لهـا قبل القيامة ، ويتساءلون عـن ضلالة ، ما الحاجة الى أن تكون لهم أيدٍ وهم لا يعملون شيئاً • لماذا تكون لهم أرجل وهم ليسوا بحاجة الى المشي ؟ لماذا تكون لهم أعضاء التناسل وهم لا يتزوجون ؟ انهم يقولون هذا لأنهم لا يدركون أن ذاك الذي أهـّله الله ليشترك في صورته مهما كان كبيراً أو صغيراً ، لا يدعه يُهان أو يهلك • ولا يفكرون بما كتب ، بأن كل ما خلقه الله هو حسن(٥٨) • فاذا كان حسناً ، كل ما خلقه الله الذي هو أكثر علماً وحكمة • اذن فأعضاء الاناث قد خلقها الله مكوّن الطبيعة ضرورة وهي حسنة ، اذ استحقت هي الأخرى لشركة صورته • لذا فلا تترك للفساد لتهلـك وتصير وكأنهـا لم تكن ، لكنها ستستقر في أماكنها لدى تجديد الأجساد البشريـة ، وسيبقى أيضاً شكل الجسد الذكري ، وشكل الجسد الانثوي ، وسيظل الرجل رجلاً والمرأة امرأة ، فالمسيح بقـوله : « يكونون كملائكـة الله لا يزوجـون ولا يتزوجون » لا ينفي وجود رجال ونساء ، بل يشير فقط الى أنهم لا يتزوجون • لذا ، وحيث ان جميع الأجساد البشرية اشتركت في صورته ، فانها ستقوم كاملة بهيئاتها وأعضائها الكبيرة والصغيرة دون أن يطرأ عليها نقص ما • ويبعث من جديد صفاء الطبيعة ونقاؤها الكامل ، متحرراً من كل الشهوات والعيوب ، ومن كل الزوائد والنواقص • ولِمَ أطيل الكلام وقد تجمـّله كلمات رسولية قليلة ألهمها الروح ، تلك التي بها تظهر الأمور الحقيقية والسليمة • قال بولس الالهي في قيامـة الأجساد البشريـة(٥٩) : « تزرع بفساد وتقوم بلا فساد ، تزرع بهوان وتقوم بالمجد ، تزرع بضعف وتقوم بقـوة ، يزرع جسد نفساني ويقوم جسد روحاني ، هناك جسد نفساني وجسد روحاني » •

هذا ما قاله الروح الرسولي في الأجساد البشرية ، حيث يسمى جسداً نفسانيـاً ، الجسد الذي له جميع الشهوات الجسدية والنفسية كالجـوع والعطش والنـوم والمرض وما شابههـا ، والغضب والشهوة والتشوش ، الخوف والضيق ، وسائر شهوات النفس الأخرى ، وهذه كلهـا تخص ذاك

٥٧ـ يوحنا ٢٠ : ٢٦ •
٥٨ـ جامعة ٣ : ١١ •
٥٩ـ ١ كورنثوس ١٥ : ٤٢ ـ ٤٤ •

المركب • أما الروحاني فهو الذي قد تحرر من كل هذه • ثم يستطرد الرسول قائلاً(٦٠) : « لا يستطيع اللحم والدم أن يرثا ملكوت السماء ، ولا الفاسد يرث عدم فساد » ، فهو يسمي الجسد المستعبد للشهوات الجسدية والنفسية لحماً ودماً وفساداً • أما ملكوت السماء فقد سماه عدم الفساد ، وهو ما سيمنح الله للذين يحبونه • ثم يقول(٦١) : « لا نرقد كلنا أي نموت، بل كلنا نتغير » ، ويشير هنا الى تحرير الاجساد البشرية من الشهوات • ولما أراد أن يظهر ماهية مفاعيل القيامة وقوتها، قال(٦٢): « ان هذا الفاسد سيلبس عدم فساد ، وهذا المائت عدم الموت ، فيتم القول المكتوب : ان قد ابتلع الموت بالغلبة • فأين شوكتك أيها الموت، وأين غلبتك أيتها الهاوية؟». فقد أوضح الروح الرسولي بهذه الكلمات صراحة ، أن تحريراً كاملاً من جميع الشهوات الجسدية والنفسية سيتم للأجساد البشرية في القيامة من بين الأموات وبتسميته دائين كبيرين هما الفساد والموت ، يكون قد أخرج وحرر جميع الأجساد التي ستقوم من بين الأموات ، من سائر الشهوات • لذا فان الأجساد ستتحرر في القيامة من جميع شهوات الجسد ، وليس من هيئة أعضائها التي أعطتها اياها الطبيعة بامر خالقها • فهذا هو شكل قيامة الأجساد البشرية بموجب اعلان الأقوال الالهية •

« لما وصل الكاتب ، أي المعلم الحكيم ، الى هنا ، انتهت حياته وانتهى حديثه ، فأكمل البقية الاسقف جاورجي اسقف العرب والطائيين وبني عقيل الذي في عهده تمت كتابة هذا الكتاب وهذه اللوحة أيضاً »(٦٣) •

☐ الدينونة :

لنتحدث الآن عن الدينونة التي ستتم ــ كما ذكر ــ بعد البعث وقيامة أجسادنا من القبور ، فنذكر أولا أن الكثيرين اعتادوا جهلاً ، تسمية الدينونة عقاباً ، قياساً بالذين يصدرون قرارات حكم ضد البعض ويقرنونها بالعذابات والضيقات والآلام المختلفة ، بسبب اجرامهم وشرورهم المتنوعة ، لذا يقولون : ان فلاناً أصدر مرات كثيرة أحكاماً قاسية ومريرة ضد المتهم الفلاني ، أو ان الحاكم الفلاني لم ينصف كثيراً المتهم الفلاني الذي مثل أمامه • وتوجد هنا وهناك في الكتاب المقدس ،

٦٠ـ كورنثوس ١٥ : ٥٠ •

٦١ـ ١ قورنثية ١٥ : ٥٢ •

٦٢ـ كورنثوس ١٥ : ٥٣ ـ ٥٥ •

٦٣ـ المقصود باللوحة هو ما كان النساخ يقومون به من كتابات كبيرة وخطوط جميلة وزخارف فنية في مقدمات ونهايات الكتب •

عبارات توحي بالظن بأن ما حدث هو حقيقة · كالتي قالها يعقوب أخو الرب في رسالته الجامعة: « لأن الحكم هو بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة(٦٤)، وكما قال الرسول بولس واشعيا : « لانـه بنار يدين الرب ويمتحن بهـا كل جسد »(٦٥) · وكما جاء في انجيل يوحنا على لسان مخلصنا : « الذين عملوا الصالحات الى قيامة الحيـاة ، والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينـونة »(٦٦) · انه فحص واستقصاء وامتحان يجريـه الديان مـع بعضهم عما اقترفوه ، ومع البعض الآخر عما عانوه واحتملوه من الغبن والمظالم · والدليل على هذا هو ، ان أياً كان يستطيع ، لو شاء ، أن يجد في الكتب الالهية ما لا حصر له منها ، ويقارن بين الأمور الصغيرة والكبيرة، ومنها شهادة الكتاب (أنظر ١ صموئيل ١٨:١٤) ، وما أمر الله قضاة بني اسرائيل بواسطة أشعيا النبي قائلاً ··· (أشعيا ١:١٧) ، وكـذلك ··· (أشعيا ١:١٨) و ··· (تثنيـة ١:٧١) كما نبَّـه الله مراراً ، وأيضـاً (مزمور ٨١:٣) وما قاله داود (مزمور ٧:١٢ و ١٠) ، و (أرميا ١١:٢٠ و١٧:١٠ و ٢٠:١٢) وما قاله داود وأرميا · وكذلك ··· (مزمور ١:٥)، ما قاله داود · والكثير مما هو على غرار ذلك ·

بيـد أن الشهادة الأكثر وضوحاً على حقيقة هذا ، ما قاله الروح المرتل نفسه بشأن الأئمة الكاملين الظاهرين ، « لذلك لا تقوم الأشرار في الدين » · فاذا كانت الدينونة عقاباً وعذاباً كزعم بعضهم ، فكيف يقول « لا يقـوم الأشرار للدينونة » أي العذاب ؟. فهـذا لا يتناسب ، ولكـن المعروف أنه قال هـذا بالنسبة الى الأشرار الذين تميزوا مـن البطن ، فمثل هؤلاء لا يستحقون حتى أن يقوموا في الدينونة مع الصالحين · فان أعمالهم لا تحتاج الى بحث وتمحيص أمام الديان، لأنها مكشوفة ومفضوحة أمام كل واحـد · لذا فان دينـونة الله العتيـد للجنس البشـري عادلة ومسـتقيمة ·

وسيكون امتحان وفحص وتمحيص بعـد البعث وقيامـة أجسادهم من الموت · ويتم ذلك بحسب اعتراف وأقوال كل واحد بشكل ملائم وعادل جـداً · ومثلمـا يحـدث في هـذا العالم بالنسبة الى الذين حصلوا على رئاسات عليا أو دنيا ، ويودون تسليم بعض السلطات لمن هم أدنى منهم ، أي يقيمونهم وكلاء على بيوتهم وأعمالهم ، اما كمأجورين أو كعبيد ان

٦٤ـ يعقوب ٢ : ١٣ ·

٦٥ـ ١ كورنثوس ٣ : ١٣ ·

٦٦ـ يوحنا ٥ : ٢٩ ·

حــدث ، أو أحياناً كأبناء • وكما اعتادوا ، عندما تنتهي المدة المقررة ، أو عندما يرغب الرؤساء ويحسن لهــم أن يمثلوا أمامهــم للمقاضـــاة والامتحـــان ، أي التمحيص والفحص والحساب ، في ما أسلم لكل منهــم واؤتمن عليه ، هكــذا الله أيضـــاً رئيس الرؤساء وملـــك الملوك وســيد السادات ، مزمع أن يمتحن ويدين ، أي أن يفحص ويبحث مع كل الناس، في كل الأشياء التي أسلمهم اياها وائتمنهم عليها ، وقد سبق فكر مهم اذ منحهم اياها وعــن تصرفهم منذ اليوم الأول لخلقتهم وحتى اليوم الأخير يوم بعثهم ، ليس فقط بالنسبة الى ما ذكرناه وسردناه، مما فعل(٦٧) ، بل أيضاً بالنسبة الى أمور أخرى لا تحصى • واذ فعل الله هذا ، لا لكونه محتاجاً الى الدينـــونة والفحص ليعرف أعمال وأفعـــال البشر ، لأنه هو الذي يعرف خفايا القلب ، وهو فاحص الكلى والقلوب كما هو مكتوب ، وكل شيء مكشوف وظاهر أمامه، من أعمال وأقوال وحتى حركات الفكر • ولكن ليظهر للملائكة والنـــاس على السواء ، انه يدين المسكونة بحـــق والشعوب بالاستقامة ، ويجازي بعدل كل انسان بحسب مسلكه وثمـــار أعماله كما تصرح الكتب الالهية : « معروف هو الرب • قضاء أمضى • الشرير يعلق بعمل يـــديه »(٦٨) • ثم « لأنه لا ينسى المسكين الى الأبد ، رجـــاء البائسين لا يخيب الى الأبـــد »(٦٩) •

مـــن المعلوم لدى العارفـــين ، أن ما ينسب الى الله بأنه يجلس على كرسي القضاء ويدين ويفحص ويمتحن ويختبر أعمال الناس وأفعالهم ، انما ينسب اليه بحسب اصطلاحنا نحن البشر ، كما كتب عنه أيضاً هنـــا وهناك في الكتب المقدســـة في العهـــد القديم والجديد ، وكما يكتب عنه الآخرون ، أو كما ينسب هو الى نفسه ، فلا يوجد هناك أو عنده كرسي أو مجلس ملموس ، أو دينونة وامتحان بمعناه الحرفي ، بل ما يليق بالله من سلطان غير هيولي ودينونة معينة وامتحان عقلي ، وهو وحده يعرف كيف سيكون ، لا بد وأن سيكون حقيقة لا كذباً • كما تشير وتنادي كتب جميـــع الأنبياء والرسل المقدسة • والأكثر وضوحاً وجلاء رب الأنبياء والرسل نفسه يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عندما يظهر في مجيئه ، كمـــا كتب بولس(٧٠) • ذاك الذي هـــو ديان الحـــق كما رتل

٦٧ـ ورد بالفعل بالشخص الثالث لأنه يقصد المؤلف يعقوب ، بينما كاتب هذه السطور جرجس •

٦٨ـ مزمور ٩ : ١٧ •

٦٩ـ مزمور ٩ : ١٨ •

٧٠ـ طيمثاوس ٤ : ١ •

داود ، ذاك الذي صرخ في الانجيل المقدس بلسان يوحنا قائلاً : « ان الآب لا يدين أحداً بل أعطى الحكم كله للابن »(٧١) ، ثم يستطرد : « وكما أن للآب حياة بذاته ، هكذا أعطى الابن أن تكون له الحياة بذاته ، وأعطاه سلطانا أن يدين »(٧٢) ·

١ ـ ان هذا الديان هو ابن الانسان الذي ستظهر علامته في السماء ، والعتيد أن يرسل ملائكته مع بوق كبير ويجمع مختاريه من الرياح الأربع من رأس السموات وحتى رأسها الآخر(٧٣) ·

٢ ـ هذا هو الديان ابن الانسان العتيد آن يأتي بمجد أبيه مع ملائكته القديسين ليجازي كل واحد كأفعاله(٧٤) ·

٣ ـ هذا هو الديان الذي ستقوم ملكة التيمن أمام عرشه في الدين لتحاكم جيل اليهود وتدينهم(٧٥) ·

٤ ـ هذا هو الديان الذي سيقوم أمامه رجال نينوى ومعهم جيل اليهود ليحاكموه ويدينوه(٧٦) ·

٥ ـ ان هذا الديان والسيد الصالح هو الذي يشد وسطه ويتكىء عبيده الصالحين ويتقدم ويخدمهم اذ يراهم وقد شدوا أوساطهم وأناروا مشاعلهم منتظرين مجيئه من العرس(٧٧) ·

٦ ـ هذا هو الديان الذي أقام على بيته ذلك العبد الأمين الحكيم ، ليعطي الطعام في حينه ، وعندما يراه يعمل هكذا ، يعطيه الطوبى حيث يقيمه على كل ماله(٧٨) ·

٧ ـ هذا الديان ، هو ذلك الرجل الغني الذي كان له وكيل ··· ولأنه كان يبدد أمواله دعاه سيده وقال له أعطني حساب وكالتك لأنك لن تستطيع بعد الآن أن تكون لي وكيلاً(٧٩) ·

٨ ـ هذا الديان ، هو ذلك الرجل الذي اذ أراد أن يسافر ، دعا عبيده وأعطاهم وزنات ، ولدى عودته سيثني على الذين تاجروا بها حسناً

٧١ـ مزمور ٧ : ١٢ ·
٧٢ـ يوحنا ٥ : ٢٢ ·
٧٣ـ انظر متى ٢٤ : ٣٠ ·
٧٤ـ انظر متى ١٦ : ٢٧ ·
٧٥ـ انظر : متى ١٢ : ٤٢ ·
٧٦ـ انظر : متى ١٢ : ٤١ ·
٧٧ـ انظر : لوقا ١٢ : ٣٧ ·
٧٨ـ انظر متى ٢٤ : ٤٥ ·
٧٩ـ انظر لوقا ١٦ : ١ ـ ٨ ·

ويدخلهم الى فرحه ، أما العبد الشرير الكسول الذي طمر وزنته ولم يتاجر بها فيخرجه الى الظلمة البرانية ويداه ورجلاه مشدودة(٨٠) ٠

٩ ـ هذا هو الديان الذي يأتي في منتصف الليل مع الصراخ ، ويدخل معه الى خدر العذارى الحكيمات اللواتي أضأن مصابيحهن(٨١) ٠

١٠ـ هذا هو الديان ابن الله الذي سيعترف أمام أبيه الذي في السماء بكل من يعترف به أمام الناس ، ومن أنكره من الناس ، ينكره هو الآخر أمام أبيه الذي في السماء(٨٢) ٠

١١ـ هذا الديان هو المسيح الذي نحن جميعاً عتيدون أن نقف أمام عرشه الرهيب عراة مطمئنين ليجازي كل واحد بجسده بحسب ما عمل ، صالحات كانت أم سيئات(٨٣) ٠

١٢ـ هذا الديان هو ابن الانسان الذي، اذا ما جاء بمجده وجميع ملائكته القديسين معه ، يجلس على عرش مجده وتجتمع أمامه جميع الشعوب ، ويميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف عن الجداء ، ويقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره ، ويوجه للذين عن يمينه العبارة المفرحة قائلاً : « تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعدّ لكم منذ انشاء العالم » ٠ أما الذين عن يساره فيقول لهم : « اذهبوا عني أيها الملاعين الى النار الأبدية المعدّة لابليس وملائكته(٨٤) ٠

هذه كلمة موجزة عن الدينونة والامتحان ، أي البحث والفحص الذي سيجريه الديان للجنس البشري بعد البعث وقيامة أجسادهم من القبور ٠

□ مجازاة الصالحات والسيئات :

والآن من الضروري أن نتحدث باختصار عن مجازاة الصالحات أو السيئات الواردة في كلام الديان ، والتي ستعطى من الديان العادل لكل واحد بحسب ما يستحق ، تلك التي تدعى حصراً ملكوتاً وجحيماً ٠

٨٠ـ انظر متى ٢٥ : ٣٠ ٠
٨١ـ انظر : متى ٢٥ : ١ ٠
٨٢ـ انظر : متى ١٠ : ٣٢ ٠
٨٣ـ انظر : ٢ كورنثوس ٥ : ١٠ ٠
٨٤ـ انظر : متى ٢٥ : ٣١ ـ ٣٤ ، ٤١ ٠

يزعم البعض أن مجازاة الصالحات أي التمتع بالخيرات الذي سيتم للصالحين والابرار في العالم الآتي ، سيدوم الى الابد نظراً الى ان صلاح الله ورحمته غير متناهية وغير قابلة للتحديد ، والتي بهـا يعطينا أكثر مما نستحق من خيراته وانعامه • أما مجازاة السيئات اي العقاب والعذاب الذي سياخذه الآثمة والبغـاة بسبب أعمالهم الشريرة ، فلا يستمر الى ما لا نهـاية ، بل سيكون Apocatastasis ([illegible])
ونهاية للعذاب ، وفور ما يتعذب ويتطهر كل واحد بما يستحق ، فيدخل الجميع الى ملكوت السماء ، وبذلك يتم ما قاله الرسول الالهي ، حينئذ سيكون الله « إلـه الجميع »(٨٥) • اذ ليس جـديراً بمكاييـل الله العادلة ومقاييسه المستقيمة أن يتعـذب الانسان في ذلك العالم الى الأبـد وبـلا نهـاية ، من أجل مدة قصيرة يخطىء خلالها في هذا العالم • علماً بأن فترة العالم برمتها هي قصيرة قياساً بطول فترة العالم الآتي غير المتناهية ، وان يتنعم الصالح الى الأبـد الى ما لا نهـاية ، بمقدار ما يأتيه مـن نعمة الله ولطفـــه •

ان ملافنة البيعـة الفقهاء القديسين جميعهم ، يعلّمون ويرشدون ويخالفون هذه الفكرة والعقيدة الباطلة ، أي تلك التي تزعم بأن للعذاب نهاية ، مستشهدين بقول الرب الذي أوردناه بعد الفصل الأخير القائل : « ويذهب هؤلاء الى العذاب الأبدي والصالحون الى الحياة الأبدية »(٨٦) . ومن المعروف أن عبارة « الى الأبـد » تنطبق هنا على الفريقين بلا حـد ولا نهـاية • وان مجازاة الأعمال الصالحة تدعى ملكوتاً ، أما مجـازاة الأعمال الشريرة فجهنم النـار • ويعرف الفهمـاء أن هـذه التسميات اقتبستها الكتب الالهية من عرفنا ، اذ لا يوجد في هذا العالم اعظم وأسمى وأرفع كرامة ونعيماً وشهرة مما للملوك وأبناء العائلة المالكة ، لذا فان الكلمات المدونة ، في محاولتها نقل الينا ما نستطيع سماعه ، دعت حصراً عظم وسمو الخيرات المعدة للقديسين وصانعي الصالحات التي ستكون في العالم العتيد : ملكوتاً • وحيث انه ليس في هذا العالم ما هو أقسى وأكثر ايلاماً من الاحتراق بالنار ، لذلك فان الكتاب ، في محاولته التعبير لنـا بقدر المستطاع عـن شدة الألم والعذابات المريرة وقساوتها المحفوظـة للأثمة وصانعي الاثم في ذلك العالم ، دعاها مجتمعة ، جهنم النار • واذ

٨٥ـ ١ كورنثوس ١٥ : ٢٨ • (فيكون الله كل شيء في الكل) •
٨٦ـ متى ٢٥ : ٤٦ •

أراد مخلصنا أن يطلعنا ، كمــا أعتقد ، على الاختلافات الكثيرة بالنسبة الى الكثرة والقلة ، والزيادة والنقصان ، الموجودة في مجازاة الصالحات والسيئات ، قال : ان كل واحد سيجازى بحسب اعماله • وكما جاء في مكان ما من انجيل يوحنا(٨٧) : « في بيت آبي منازل كثيرة » ، فالاختلافات كثيرة بالنسبة الى الكثرة والقلة والزيادة والنقصان ، في صالحات هــذا العالم وسيئاته ، أي مسراته وضيقاته ، كما نلاحظ من الاعمال نفسها •

ومثلما نؤمن ونعترف نحن المسيحيين ، بأن هناك مجازاة للصالحات والسيئات في العالم الآتي ، وهي غير زائلة ولا نهاية لها ، بحسب تعليم وشهادة الكتب الموحى بهــا من الروح ، هكــذا أيضاً تصورها وقال بهــا بعض الوثنيين الذين ليس لهم رجــاء القيامة كقول الرسول(٨٨) • فقــد دعوا مجازاة الأعمال الصالحة ، جزر السعداء وبقاع اليزيوس Elysios (ܐܠܘܣܝܘܣ) ، وكما أعتقد ، فانهم قالوا بهذا لأنهم سمعوا منا أي مــن كتبنا تذكر الفردوس ، نعيم الفردوس • أما مجازاة الأعمــال الشريرة التي سيتحملها أولئك الذين عاشوا بالاثم ، فدعــوها جحيــم Tartarus Cocytum Pyriphlegethons (ܛܪܛܪܘܣ • ܘܩܘܩܘܛܘܣ ܘܦܘܪܝܦܠܓܛܘܢ) • ويقولون ان (ܛܪܛܪܘܣ) هو مكان متوسط في غاية الظلمة ولا أشعة فيه ، يكونون فيه وكأنهم غارقون في الطين ويمتصون ماء • وفيه يتعذب الأثمة • (ܩܘܩܘܛܘܣ) هو نهر أكثر برودة من الكل يتعذب فيه جميع الخطاة • (ܘܦܘܪܝܦܠܓܛܘܢ) هو نهر يغلي أكثر من الكل ، يسقط فيه ويتعذب جميع الأثمة • وأعتقد أن هذه الفكرة اقتبسها الوثنيون من سفر دانيال النبي حيث ذكر فيه : « نهر نار جار »(٨٩) الذي هو أعظم رعباً ورهبة من هذه العذابات وغيرها من الهذيانات الوثنية • فاذا كان قليميس الروماني الذي تتلمذ لبطرس رئيس الرسل(٩٠) يهذي برأيه ويشكك لما كان وثنياً ، لأنه لم يكن يدري ما الذي سيحدث بعد موته • اذ كتب عن نفسه في المقال الأول من كتابه ما يلي : كنت أقول : اذا كانت تلك تسبب لي ضيقاً أكثر من هذه ، اذن

٨٧ـ يوحنا ١٤ : ٢ •

٨٨ـ انظر : ١ تسالونيكي ٤ : ١٢ •

٨٩ـ دانيال ٧ : ١٠ •

٩٠ـ قليميس الروماني أو اكليمنفس • والنص موجود في PG II, Col. 60

علي أن أحتمل هناك أشياء قاسية لأنني لم أتصرف بالعـدالة والبرارة .
واني أسلم ، بما يقول بعض الفلاسفة عن (ܛܪܛܪܘܣ)
ܘܛܝܛܝܘܣ مثـــل Tityus Sisyphus Tantalus Ixion

ܛܝܛܝܘܣ ܐܘ ܐܟܣܝܘܢ ܐܘ ܛܢܛܠܘܣ ܐܘ ܣܝܣܘܦܘܣ

وأمكث معاقباً في الهاوية الى الأبـد .

وقد أطلقت كتب الوثنيين ، كما ذكرنا أعلاه ، هذه التسميات على العقوبات والعذابات والظلمة . أما كتبنا المسيحية فقـد دعتها الهاوية التحتانيـة ، البرانيـة ، بكاء وصريف الأسنان ، دوداً لا يمـوت ، ناراً لا تنطفىء ، نهر نار ، جهنم نار .

أما الأطايب والتنعمات المعـدة للأبرار والتي دعاها الوثنيون جزر السعداء ، وبقـاع الفردوس Elgsion (ܐܠܝܣܝܘܢ) كما قلنـا .
فنسميها نحن المسيحيين: جنة النعيم ، جنة المسرات، الخدر الذي لا يزول، العرس الذي لا يحـول ، مظال النور ، منزل الأطايب ، مسكن الأفراح ، الأماكن الشهية ، ملكوت السماء . ومن المعلوم وكما قيل وكتبنا ، ان العذابات والتنعمات دعيت كذلك تمشياً مـع عرفنا ومصطلحاتنا نحـن البشر ، كل شعب بحسب تقليده واختلاف لغته ، وليس لكونها مادية . فالعقل البشري لا يستطيع أن يدرك كمية وكيفية وماهية مجازاة الشرور، ولا كمية وكيفية وماهية مجازاة الصلاح ، بل انها مثل مرآة ولغز قبـل أن نعرف كمـا عرفنا(٩١) ، وبحسب القول الرسولي : « العـين لم ترَ ، والأذن لم تسمع ولم يخطر على قلب انسان ما أعده الله للذين يحبونه»(٩٢). كذلك هو الأمر بالنسبة الى ما يعده للذين يبغضونه ، ولكن هذا أمر لا بد مـن حدوثه ، حيثما يأخذ كل واحـد جزاء أعماله وأمانته مـن الديّان العادل ، الذي هو ملك الكل وسيد الكل واله الكل مخلصنا يسوع المسيح .

□ خاتمـة :

هذه كلها في ما يخص العلة الأولى والخالقة ، الأزلية والقادرة على كل شيء ، وغـير المخلوقة ، التي هي الاله الواحـد ضابط الكل الذي يفهم بوحدانية الجوهر ، ويدرك في الوقت نفسه ويمجد بثلاثية الأقانيم : ففي

٩١ـ ١ كورنثوس ١٣ : ١٢ .
٩٢ـ ١ كورنثوس ٢ : ٩ .

مقـال ما من الكتـاب الأول تحدثت أيضاً عـن الخليقـة التي جاءت الى الوجود بواسـطة العلة الاولى · فتلك غير منظورة وظـاهرة ، أما هـذه فمنظورة ومحسوسة · وفي كتابنا هذا الثاني في مقالات سبع بذلت جهداً بقـدر المستطاع وبحسب طاقـة تفكـيري الطبيعيـة . يا بني محب الله قسطنطين ، يكفي لاستنارتك وفائدتك ، ولجميع الذين سيصادفونه في المستقبل· سائلاً اياك واياهم ، أن تقدموا أولاً صلواتكم عوضا عن ضعفي للجهد الذي بذله حسب طاقته · ومن ثم اذا لاحظتم هنا وهناك في الكلام عن الخليقة ما يخالف تعليم بعض ملافنة البيعة القديسين ، فلا تلوموني ، فان كلاً منا تحدث عن الخليقة بحسب ادراكه واعتقاده ، وبما رآه ملائماً لطبيعة الأعمال ، وان ما نستفيد مـن الحديث عـن الخليقة ، كما يقول الملافنة القديسون ، هو أن ندرك الحقيقة ، وأن لا يكون هنالك خطر ان أخطأنا · أما في ما يخص الحديث عن اللاهوت أي ملء الألوهية ، أو أي حديث عن الايمان ، فاني عارف وواثق بأني لم أجرؤ أن آتي بشيء جديد أو غريب ، ما خلا بما نطق به الروح القدس ، وتحدثت به كتب الأنبياء والرسل المقدسـة ، والملافنـة المقتـدرين بالله ، فاياه تبعت أنا الصغير وسلمت به وأسلمته اليك وللآخرين لتقرآوه · وهذا هو الأفضل بالنسبة اليّ والى كل محب الحـق المبـين ·

نصلي كخطاة ، ونتضـرع للثالوث الأقـدس غـير المخلوق والأزلي والمساوي في الجوهر ، الذي منه تُمنح كل حكمة ومعرفة وفهم ، وتُقدم لخليقة الملائكة الناطقة كلها ، وخليقة البشر ، كلٌ مثلما يستحق وبقدر ما يستحق · لكي يعطينـا المعرفة والحكمة في كـل شيء بحسب الدعـاء الرسولي · حتمـاً اذا ما استنرنا به واسترشدنا بالقـول والأفعال يؤول ما أتيناه الى فائدتنا وخلاصنا وعوننا والآخرين ، من أجل كرامة ··· وكرامـة ··· هنـا وفي العوالم الآتية في كل ساعة والآن وفي كـل أوان والى أبـد الآبـدين آمـين ·

☐ ديبـاجـة الختـام :

انتهى المقال السابع من « الأيام الستة » أي تكوين الخلائق · تأليف المطران يعقوب اسقف مدينة الرها · المجد للآب الذي ساعد والابن الذي قـوّى ، والروح القـدس الذي آزر · آمـين ·

انتهى هـذا الكتاب في الساعة السادسة من يوم الخميس في الثامن من شهر آذار ، عام ألف ومئة وثمانية وأربعين بالتقويم المكدوني(٨٣٧م)·

كتبـه الخاطىء المحتـاج الى رحمة الله ، والضعيف والشقي ديوسقورس ، الكاتب ٠٠٠ والقس في الوظيفة ، وأتوسل اليك أيها القارىء أن تخشى الله وتصلي من أجلي ، بجاه محبـة الغربة ٠

لمجـد وعزة وجلال وعظمـة الثالوث الأقـدس المساوي في الجوهر ، الآب والابن والروح القدس ٠ اهتم ووضع هذا الكنز الروحي ، اكراماً له ومـن أجل فائدته وجميع محبي الله الذين يرغبون في ٠٠٠ أن الله مـن أجل اسمه القدوس اجتهد ووضع ، ليكافأه الله برافتـه : الحسنات والصالحات في هذا العالم وفي العالم الذي لا يزول : المتعة مع القديسين ، والراحة في مظال النـور له ٠٠٠ ولصاحب الكتاب ويكتب اسـمه في سفر الحيـاة في أورشليم السماوية ٠ ويصنع الراحة والذكر الصالح لموتاه ، ويرش عليهم طـل الرحمـة يوم ظهوره مـن السماء بصلاة والـدة الاله مريم البتـول وجميـع القديسين آمـين ٠

يا ابن الله ، وابن البتول مريم ، المسيح الاله الحقيقي ، ترحم على الكاتب ٠٠٠ القس ديوسقورس وأهـّله برحمتك أن يقف أمامك باسفرار الوجـه يوم دينونتـك العـادلة ٠



مطابع الف باء ـ الأديب
دمشق ـ هاتف ٢٢١٧١١



ܝܘܪܬܢܘܬܐ ܣܘܪܝܝܬܐ

SYRIAC PATRIMONY

التراث السّرياني



4

ܗܩܣܡܪܘܢ

ܕܡܪܝ ܝܥܩܘܒ ܐܦܣܩܘܦܐ ܕܐܘܪܗܝ

الأيّام السّتة

ألّفهُ بالسّريانية

مار يعقوب الرهاوي

متروبوليت الرها

نقله إلى العربيّة

غريغوريوس صَليبا شمعون

متروبوليت الموصل وتوابعها

قدم له ونشرَه

غريغوريوس يوحنا ابراهيم

متروبوليت حلب